بسم الله الرحمن الرحيم

وأفضل الصلاة وأتم التسليم

على محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين

مقدمة التحقيق

دمشق: ﴿ربوة ذات قرار ومعين﴾

دمشق: ﴿إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾

شُغِفَ بها البعيد فما ظنك بالقريب، وأثنى عليها ربُّ العرش على لسان نبيه الحبيب، احتضنت الجافي اللئيم، وراضت الشَّمُوس العنيد.

دمشق: ما أغمَضَتْ على قذًى عيناً، ولا فتحت إلا على نورٍ جفناً.

دمشق: لم تعرف إلاّ عطاءً، و لم تَدُرَّ إلا حبًّا ونوالاً.

قال شيخ المعرة:

فللشَّامِ الوفاءُ وإنْ سِواهُ   تَوافَى مَنْطقاً غَدَرَ اعتقادا

كُتب عنكِ الكثير الطيب، و لم يخرج من مهاجع الظلمة، ورفوف العتمة من هذا الطيِّب إلا أقلّه. ومن هذا الطيب البشام الذي تعطرت به صفحات الأيام:

البرق المُتألِّق في مَحاسنِ جِلِّق[1]

المؤلف:

هو محمد بن مصطفى بن خُداوِيْرْدِي[2] عاش في القرن الثاني عشر، ترجم له المرادي في كتابه «سلك الدرر» لكنّا لا نجد له ذكراً في المطبوع من الكتاب، وهذا من الأدلة القاطعة على نقص المطبوع، وقد هدى الله أحد نسّاخ كتابنا أن يترجم للمؤلف في أول صفحة من المخطوطة الموجودة الآن في مكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة حيث جاء بها نقلاً عن «سلك الدرر»:

هو محمد بن مصطفى بن خُداويردي بن مراد بن إبراهيم الشهير بالراعي - بفتح الراء - الحنفي الدمشقي الكاتب المنشئ الأديب، أحد الكتّاب الماهرين بالفنون.

وُلد بدمشق في سنة تسع عشرة ومئة وألف، ونشأ بها، وأخذ الكتابة والمعارف عن أربابها، وتخرَّج بذلك على يد محمد عاصم بن عبد المعطي أحد أعيان الكتّاب بدمشق.

ومَهَر بصناعَتَي النظم والنثر، وصار يكتب الخطوط المتنوعة كالرقعة، والديواني، والقرمة، والسياقة، والنسخي، وغير ذلك، وبرع باللغتين الفارسية والتركية.

وصار مقاطعجياً[3] بباب الدفتري[4] بدمشق، وكاتباً في أوقاف الحرمين المحترمين.

---

(١) جِلِّق: كحِمِّص بكسرتين مشدَّدة اللام، وكقِنَّب: دمشق. القاموس.

(٢) خُداوِيْرْدِي: كلمة تركية مركبة، تعني: عطاء الله، هبة الله.

(٣) المقاطعجي: نسبة إلى دائرة مقاطعة الخواص (المكتب الخاص) من مكاتب نظارة المالية العثمانية القديمة لتسجيل العقارات والأراضي الخاصة بالأسرة المالكة في الدولة في دفاتر خاصة، وتنظيمها والإشراف على الأراضي، ومنحها للملتزمين بالمقطوع. المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية.

(٤) باب دفتري: الموسسة الإدارية التي كانت تسيِّر الأمور المالية للدولة العثمانية، وكان يطلق على رئيسها: باش دفتردار. وقد تعرضت لتغييرات إدارية كثيرة حتى تحولت إلى نظارة المالية. المعجم الموسوعي للمصطلحات.

وكان يغلب على شعره الهجو، وله أهاجٍ في الناس كثيرة، ونكتٌ ونوادر مقبولة.

وفي آخر أمره تراكمت عليه الأمراض والعلل والأكدار، وقلّ ما بيده، إلى أن مات.

وله من الآثار «البرق المتألِّق في محاسن جِلّق» يحتوي على ذكر دمشق ورياضها وغياضها ومياهها، ورسائل أُخَرُ في الأدب. وشعره كثير.

وكانت وفاتُه في يوم الثلاثاء خامس صفر الخير سنة خمس وتسعين ومئة وألف. رحمه الله تعالى.

انتهى ملخصاً من تاريخ جناب المولى الهمام العالم الإمام السيد محمد خليل أفندي المرادي المفتي بدمشق الشام.

ومن خلال هذه الترجمة الموجزة، ومن صفحات كتابنا نستشف جملة متميزة من الجوانب العلمية لشخص المؤلف أهمها:

١ـ ثقافته وعلمه: يتحلى ابن الراعي بثقافة تراثية عالية تتبدى من:

أ ـ الاستشهادات الشعرية والأدبية التي ملأت فصول الكتاب، وزينت صفحاته، والتي تعود إلى دواوين فحول الشعراء، وأمات كتب الأدب.

ب ـ الكتابات النثرية البيانية التي تنم عن معرفة بعلوم شتى، فلو تتبعنا ما كتبه من مقامات وما يشبهها لوجدناها قد تنوعت بمفردات فقهية (ص ٢٠٦) أو مصطلحات حديثية (ص٢٠٧) واستطاع أن ينظم من أسماء الكتب (ص٢١٠) مقالة تثلج الصدور، وتقرُّ بها العيون، أما أسماء الرجال فانظرها صفحة (٢١٦)، وقد أدرج الأمثال والحكم في الصفحة (٢٢١) إدراج عارف متقن.

٢ـ ومع أن كتاب سلك الدرر الذي نقل إلينا ترجمة مؤلف كتابنا ملخّصة فإنه لم يذكر من أسماء كتبه إلا «البرق المتألق» ثم أردف قائلاً: ورسائل أُخرى، في الأدب، فأغلب الظن أن له كتباً أخرى، إذ لا يمكن أن يكون كتابه هذا بيضة الديك.

٣ـ أما شاعريته فقد مهر بها وسخّرها لأمورٍ وافقت هوى في نفسه؛ فكتابنا ينص على أنه قد نظم القصيدة التي جعلها فاتحة كتابه وغرّة كلامه، نجد فيها دقة والتزاماً بأداء ما ألزم به نفسه من وصف دمشق وذكر أوديتها وأنهارها وأعينها. إضافة إلى خمسة أبيات فقط.

والذي في ترجمته أنه صاحب شعر كثير غلب عليه الهجو إضافة إلى معرفته باللغتين الفارسية والتركية، ومهارتِهِ بعلم الخطوط المتنوعة.

الكتاب:

إن التفريق بين المؤلِّف والمؤلَّف في كتابنا هذا تفريق صوري قولي بياني، إنه وصفُ ذاتٍ، وتعريفُ نَفْسٍ حلاًّ في جِرْمٍ، فغدا جوهراً فرداً. فدمشق هي ابن الراعي، وابن الراعي هو دمشق، وبهذه المشاكلة من الاتحاد والحلول فهمتُ قول قيس عندما سئل عن اسمه، فقال: ليلى، وكيف نادى محبٌّ محبوبه: يا أنا. لقد حلَّ بدمشق، وحلّت دمشق به، وغدا في كتابه يقول: ما في الجُبَّة غيرُ الشَّام.

أما سبب تأليف الكتاب، فإننا نستنبط من مقدمة المؤلف سببين بارزين كانا وراء تأليف الكتاب:

١ـ السبب الموضوعي: وهو ما أشار إليه بقوله:

وَلِعْتُ بالتنزُّهِ في حدائقِ الأدبِ وأزهارِهِ، والنَّهلِ من سائغِ مناهلِهِ وأنهارِهِ، سيَّما كتبُ التاريخِ والأخبارِ، وما يتعلَّقُ بالمدنِ والأمصارِ، التي أحلاها في الأفواهِ ذِكْرًا، وأعلاها في الأسماعِ قَدْرًا، أخبارُ الثغرِ البسَّامِ، والمِصْرِ المحفوفِ بطرائِفِ الإنعامِ، جلَّقَ الفيحاءِ ذاتِ الظلالِ، الموسومةِ بأنواعِ المحاسنِ والجَمالِ، التي ميَّزها الله تعالى على جميعِ البلادِ، وشَرَّفَها بقَولِهِ سبحانَهُ: ﴿إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾.

٢ـ الحمية الوطنية والغيرة العصبية المباركة المحمودة[1]، وقد ذكرها المؤلف رحمه الله بقوله:

فحرَّكتْني نسائمُ الحَمِيَّة، وهزَّتني الشنشنَةُ العصبيـة، أنْ أكشـفَ نِقـابَ مُحَيَّاهـا، وأُديـرَ على الأسماعِ كؤوسَ حميّاها، وأنْ أنظمَ في حدائقِ الأدبِ عِقْدًا مـن زهرِهـا المنثـورِ، وأُورِدَ منه ما يزهو على روضاتِ الزهور.

أما عمل المؤلف في كتابه فقد شرحه في مقدمته أيضاً بقوله:

وجمعْتُ مِن محاسِنِها مـا هـو لسـماءِ الأدب نجومٌ، ولجِيْـدِ البلاغـةِ عِقـدٌ بفرائـدِ الـدُّرَرِ منظومٌ، فجاء ـ بحمده تعالى ـ سِفرًا يقطُرُ منه مـاءُ الآدابِ؛ بـل روضًـا تتعطَّـرُ بعبـيرِ نَشْـرِهِ مَسامُّ ذوي الألبابِ، وَشَّحْتُهُ بطريفِ الكناياتِ، ولطيفِ الاستعاراتِ، ورشيقِ الإشـاراتِ، ورقيـقِ العبـاراتِ، مِـنَ التشـبيهاتِ المُصيبـةِ، والاختراعـاتِ الغريبـةِ، والأسـاليبِ العجيبـةِ، بلطائِفِ الإبداعِ، وتوليـداتِ الاختراعِ، بسهولةِ تفصيلٍ، وإصابةِ تمثيلٍ، ممّا يَصبو إليه القلبُ والطَّرْفُ، ويَرْشَحُ مِن وجهِ محاسنهِ ماءُ المَلاحةِ والظَّرْفِ.

وبنى مؤلّفنا كتابه مادحاً دمشق على ثلاث طرائق:

١ـ ما قيل عن دمشق وصفاً ومدحاً، وهو عماد الكتاب، وجلُّ ما جاءت به الصفحات.

٢ـ ما قيل في مدنٍ أو أماكن سوى دمشق، وليس للتي قيلت الأبيات فيها ذكر ضمـن المتن، أورد ابن الراعي الأبيات دون أي تغيـير، وجعلهـا في جلـق الشـام، فهـذا محمـد بـن إدريس المعروف بمرج كحل ينشئُ قصيدة في نهر الغنـداق في لوشـة بـالأندلس، فيصيّرهـا مؤلف كتابنا في نهر عقربا (صفحة: ١٧٠).

نهـــرٌ يَهيـــمُ بحُسْـــنِهِ مـــن لم يَهِـــمْ ... ويُجيـــدُ فيـــه الشِّـــعرَ مـــن لم يُشْـــعِرِ

---

(١) إنها منافسة بين أبناء الأمة الواحدة شعارها: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم﴾.

مـا اصفـرَّ وجـهُ الشـمس عنـد غروبـه إلا لفرقـــة حُسْــــنِ ذاك المَنْظَـــرِ

ومن أمثلتها:

ـ ذكر أبي فراس لمدينة منبج، جعلها في دمشق صفحة: ٩٨.

ـ علي بن ظافر يصف قصراً بظاهر الإسكندرية، يجعله وصفاً للقصر الأبلق، صفحة ١١٤.

ـ ابن سارة يصف غرناطة، يجعلها في الفيجة ص ١٤٦.

٣ـ ما قيل في سوى دمشق من المدن والأماكن، وللتي قيلت فيها الأبيات ذِكْـرٌ وتسمية، أتـى مؤلف كتابنا بالأبيات بعد أن غير أسماء الأماكن، ليجعلها في دمشـق، وأمثلة ذلـك كثيرة منهـا: وصفُ ابن المعتز نَهر الفرات قائلاً:

أَجـرى الفـراتُ إليهـا مِـنْ سلاسِـلِهِ . نهـراً تمشَّـى علـى جَرْعـاء ميثـاءِ

موكَّـلٌ بالمَسَـاحي في جَداوِلِهـا حتّـى يـدلَّ عليهـا حيّـةَ المـاءِ

فجعلها ابن الراعي لنهر يزيد صفحة ٩٥ فقال: أجرى يزيد إليها...

وها هو أحمد بن صالح بن أبي الرجال يصف روضة صنعاء:

روضَ صنعـاء فقـتَ طبعـاً ووصفـاً فكثـيرُ الثنـاءِ فيـكَ قليـلُ

تِـهْ على الشِّـعْبِ شِـعْبِ بـوَّانَ وافخَـرْ فعلـى مـا نقـولُ قـامَ الدَّليـلُ

أخذ مؤلف كتابنا البيتين، فجعلهما في روض كيوان صفحة ٢٠٩ بلفظ: روض كيوان فقت طبعاً..

ـ وكذلك بدَّل قول القاضي التنوخي صفحـة ١٠٠ مـن: (وإذا نظـرْتَ إلى الأُبُلَّـةِ) إلى قوله:

وإذا نظـرتَ الصَّالحيّـةَ خِلتَهَـا مِـنْ جنّـة الفـردوس حـينَ تخيَّـلُ

فابن الراعي ما استحلى درًّا إلا نحلها الشام، وما وجد عقدًا إلا زيّن بـه جيدهـا. إن استعذب منطقاً جعله في وديانها وروابيها، وإن استحلى نظماً وضعه فيها، ولو غير الكلام أو بدّل الأعلام.

فإن ذكر جدولٌ بالأندلس فهو بردى، أو تُكلّم عن جنان فارس فهي الغوطة، وإن مدحت روضة مصر وقصر صنعاء فهما الأبلق والقنوات.

إنه نَفَس مقاتل منافح عن محبوبته دمشق زينة الدنيا وشامةِ الدهر وواسطةِ العقد، متحدٌ بجمالها من سواها، ومن سواها جمالاً وروعة إلا الأندلس ومصر، فما كان منه إلا أن جرّد اليراع، وانبرى يناضل عن الشام مُدلِّلاً بسؤددها ونيلها قصب السَّبْق.

أ ـ **أما مصر**، فقد ترك أمر اعترافها لسيادة الشام إلى أبناء مصر، فهذا الدماميني الإسكندري يقول عن دمشق والشام صفحة (٢٨):

وما أقولُ إلاّ مُنتزهاتُ مِصرَ عاريةٌ مِن المَحاسنِ، وهذهِ ذاتُ الكِسوةِ، والنِّيلُ ما احترقَ إلاّ مِنَ الأَسَفِ، حيثُ لمْ يُسْعِدْهُ الدهرُ بالصُّعودِ إلى تلكَ الرَّبوةِ، وَحُقَّ لِمِصرَ ألاّ تُجري حديثَ المُفاخرةِ في وَهْمِها، وأنْ تَتّقي شرَّ المنازَعةِ قبلَ أنْ تُصابَ مِن هذه البلدةِ بِسَهمِهَا.

وللشام الشرف الأعلى على مصر ونيلها:

وإن شَرُفَتْ بالنيل مصرُ فلم تزل   دمشقُ لها بالغُوطةِ الشَّرفُ الأعلى

ـ **وأما الأندلس** وما ذكر عن جنانها ورياضها، وما قيل من الموشحات في معالمها ومحاسنها، فقد عقد الفصل الأخير من الكتاب للرد على هذا البيان، وإفحام المُناظِرِ في هذا المقام، فقال:

ولّما مدحَ شُعراءُ الأندلُسِ قُطرَهُم البَديعْ، بِموشَّحاتٍ هيَ أزهَى وأنضَرُ منْ وَشْيِ الربيع، ووَصفوا مَعالِمَها ومَحاسِنَها بأبدَعِ لَفظٍ وأعذَبِ عِبارَة، ووَسموا تلكَ المُوشَّحاتِ بالكَواكِبِ السبْعةِ السّيارَة، انتُدِبَ لِمُباراتِهم منَ الشامِ رِجالٌ وأيُّ رِجال! ونَظموا في حِلَقِهِم ما يُزْري بعُقودِ اللآل، شَبَّبوا بِذِكْرِ رياضِها الّتي تَسْتَوقِفُ الناظِر، ووَصفوا مُتَنَزَّهاتِها الّتي تُفْحِمُ المُناظِر.

وفي النهاية لا يستطيع أي معاند أو مكابر إلا أن يسلّم بما قاله ابن الراعي مؤلف كتابنا في الصفحة ٣٠:

وبالجملة فالاعتراف بالحق فريضة، ومحاسن الشام وأهله طويلة عريضة.

إن الكتاب نفثة مقروح، وآهةُ محبٍّ محروق، ترجمها إلى حروف وكلمات، فغدت روحاً وريحانا، وجواريَ غيداً حسانا.

وقد قام الأستاذ الدكتور صلاح الدين المنجد بنشر أرجوزة المؤلف المذكورة في بداية الكتاب في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٢٥/٢٧ سنة ١٩٥٢، ثم تكلّم عن حياة المؤلف في مجلة المجمع أيضاً ٦٩٣/٣٤ سنة ١٩٥٩، وكأني به وهو المحبُّ لدمشق الذي سخّرَ قلمَه لها قد أراد إخراج الكتاب، ولكن صارفاً أبعده عن مشروعه هذا.

النسخ المخطوطة للكتاب:

ولقد اعتمدت في إخراج هذا الكتاب على ثلاث نسخ خطية وهي:

مصورة مجمع اللغة العربية بدمشق ذات الرقم (٢٠٣): ويغلب على الظنِّ أنها نسخة مكتبة فيينا ذات الرقم (١٢٦٨) وهي بخط المؤلف، وتقع في (٩٧) ورقة، في كل صفحة منها (٢١) سطراً، وخطُّها نسخيٌّ جميل، قال في نهايتها: إنه انتهى من تأليفها غرّة جُمادى الآخرة سنة ١١٧١ للهجرة أي قبل وفاته بأربع وعشرين سنة. ورمزت لها بحرف (أ).

٢ـ نسخة مكتبة عارف حكمت ذات الرقم (٥٩: تاريخ) وتقع في (٩٧) ورقة، في كل صفحة منها (٢١) سطراً، نسخها محمد درويش بن يحيى بن مصطفى بن محمد الطالوي. وقد انتهى من نسخها في شهر محرم سنة ١١٩٩ للهجرة وخطُّها نسخيٌّ جميل. منسوخة عن نسخة المؤلف. ورمزت لها بحرف (ب).

٣ـ نسخة مكتبة دار الكتب المصرية ذات الرقم (٥٥١٦: تاريخ)، وهي نسخة مبتورة تقع في (٤٦) ورقة، في كل صفحة (٢١) سطراً. كتب بأولها اسم ناسخها، وهو محمد كمال الدين بن محمد شريف العامري الحسني ابن الغزي، وهي تنتهي في المطبوع صفحة (١٤٣). عند قوله: «همومي وقد عاينت في خده سطرا»، وخطُّها نسخي جميل أيضاً. ورمزت لها بحرف (ج).

وللكتاب نسخ خطية لم أطلع عليها[1] وهي:

١ـ نسخة في المكتبة التيمورية، ذات الرقم (٢١٨٧: أدب).

٢ـ نسخة في مكتبة برلين، ذات الرقم (٦٠٩٠).

٣- نسخة في الخزانة العامة بالرباط ذات الرقم (٢٦٤٤).

عملي:

حاولت أن يرقى العمل إلى رتبة الرضا قدر استطاعتي، واتبعت المتعارف عليه عند أصحاب الصنعة أرباب التحقيق.

ـ و لم أدخر وسعاً بإعادة كل قول إلى صاحبه معرِّفاً بقائله، عائداً إلى المطبوع من كتب الأدب العامة والدواوين، مضاهياً، مثبتاً الفروق.

ـ ذيلت الكتاب بجملة من الفهارس تعين المراجع على نيل مبتغاه و لم أقتصر على النثر، بل ضممت إليه فهرس كل ما جاء في الأشعار من آيات، وأحاديث، وأعلام، وأماكن، وأقوام، وكتب، وأمثال، وورود.

---

(١) كوني اكتفيت بنسخة المؤلف الأم عن النسخ الأخرى.

ـ أبقيت لغة المؤلف على ما كانت عليه من الأخطاء النحوية والصرفية. ولا تخفى أهمية هذا لمن يدرس تطور اللغة، ويسبر درجة الثقافة من خلال النصوص، ويستشف حالة المجتمع[1].

والحمد لله أولاً وآخرًا

رب بما أنعمت عليَّ فلن أكون ظهيراً للمجرمين

دمشق: ربيع الآخر ١٤٢٧ **محمد أديب الجادر**

أيار ٢٠٠٦

---

(١) **مصادر البحث:**

ـ مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ٢٧/٢٢٥، ٣٤/٦٩٣.

ـ معجم المؤرخين الدمشقيين وآثارهم المخطوطة والمطبوعة، تأليف الدكتور صلاح الدين المنجد صفحة ٣٧١.

ـ المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية. إعداد د. سهيل صابان.

ـ تاريخ الأدب العربي تأليف بروكلمان، القسم الثامن، صفحة ٤٠.

ـ هدية العارفين ٢/٣٣١.

ـ الأعلام للزركلي ٧/١٠٠.

صور المخطوطات
التي تم تحقيقُ الكتاب عليها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غرس دواح التوحيد في رياض قلوب
اهل العرفان وامطرها من سحايب فيضه فاثمرت افنان
الهداية والايمان وفجر فيها ينابيع الحكمة فاهتزت
وربت وانبتت من البلاغة ما علت به كلمة الفصاحة
وسمت ابدع الموجودات من غير مثال سابق وابرزها
[illegible] المودع في اسرار الحقايق ورفع السماء بقدرته
وبسط الارض وقضى بمشيته ان شرف بعضها على
بعض فزينها بانواع الازهار وميزها بصنوف الفواكه
والثمار وجعل لها جنات تجري من تحتها الانهار وبسط
على الغبراء بساط السندس بباهر الابداع ونشر عليها
الوية الازاهر لما اغرورقت بدمع المزن عيون الروابي
والتلاع ونطقت بتوحيده السن الاطيار في منابر
الغصون على خرير الانهار وشهدت بقدرته ضماير
النسايم واقرت بوحدانيته اطفال الازاهر في مهود
الكمايم وصلى الله تعالى على سيدنا محمد صاحب الوجه الازهر
والحوض والكوثر من حن الجذع لفراقه ومشى الشجر
لدعوته على ساقه الوارد عنه صلى الله عليه وسلم في
السنة ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة
صلى الله عليه وعلى اله الذين سقوا من عذب موارد
السيادة العظمى شجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها

3

الصفحة الأولى من نسخة (أ)

ما استبان ان ذكاه اوخفاه * بارق من طيبة واليمن
وتحلى كل نظم الفا * باقتتاح واختتام حسن

وهنا جبنا عنان البراعة لا عن ملل بل اكتفينا عن التعبير بالجمل ولو استقصينا ما بها من الاعاجيب لاتسع بنا المجال وضاقت المهارق فاقتصرنا على ما ذكرناه فهذه الرسالة البديعة الاساليب العديمة المثال المتحلية بكل معنى رايق وضبط محاسنها بعيد المرام صعب على من رام

محاسن الشام جلت * عن ان تحد بحد
عن حسنها فتحدث * وعن سواها فحد

كما قال المرحوم عبد الباقي الحنبلي

محاسن الشام قالت * كل المداين جندي
فلا تقسني بغيري * واترك لشوم التعدي

وقول الاخر

محاسن الشام نادت * انا الفريد وحدي
وكل حسن لغيري * فانما هو بعدي

وهذا اخر ما سرده اليراع وسلك به منهج الابداع والله الموفق وعليه الاتكال وهو حسبي في كل حال وقد ختمتها بهذين البيتين البديعي النظام راجيا من الله سبحانه حسن الختام وهما

وبحمد الاله منذ * حاز لطفا نظامها
قلت فيها مؤرخا * جاء مسك ختامها

دور

الصفحة قبل الأخيرة من نسخة (أ)

وقد يسر الله تعالى الفراغ من تأليفها نهار الخميس غرة شهر
جمادى الآخرة سنة احدى وسبعين ومائة وألف على يد محررها
الفقير إلى الله تعالى السيد محمد ابن المرحوم السيد مصطفى ابن المرحوم
خداويردي بن مراد بن ابراهيم الشهير بابن الراعي الدمشقي
غفر الله تعالى له ولوالديه ولسائر المسلمين أجمعين وصلى الله
تعالى على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين
والحمد لله رب العالمين

الصفحة الأخيرة من نسخة (أ)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غرس ادواح التوحيد في رياض قلوب اهل العرفان
وامطرها من سحايب فيضه فاثمرت افنان الهداية والايمان
وفجر فيها ينابيع الحكمة فاهتزت وربت وانبتت من البلاغة ما
علت به كلمة الفصاحة وسمت ابدع الموجودات من غير مثال
سابق وابرزها من كنز علمه المودع في اسرار الحقايق رفع السما
بقدرته وبسط الارض وقضى بمشيته ان شرف بعضها على بعض
فزينها بانواع الازهار وميزها بصنوف الفواكه والثمار
وجعلها جنات تجري من تحتها الانهار وبسط على الغبراء بساط
السندس بباهر الابداع ونشر عليها الوية الازاهر لما اغرورقت
بدمع المزن عيون الروابي والتلاع ونطقت بتوحيده السن
الاطيار في منابر الغصون على خرير الانهار وشهدت بقدرته
ضماير النسايم واقرت بوحدانيته اطفال الازاهر في حجور
الكمايم وصلى الله تعالى على سيدنا محمد صاحب الوجه الازهر
والحوض والكوثر من حن الجذع لفراقه ومشى الشجر لدعوته
على ساقه الوارد عنه صلى الله عليه وسلم في السنة ما بين

الصفحة الأولى من نسخة (ب)

لا تسع بنا المجال وضاقت المهارق فاقتصرنا على ما ذكرنا في
هذه الرسالة البديعة الأساليب العديمة المثال المحلية
بكل معنى رائق وضبط محاسنها بعيد المرام صعب على من رام

محاسن الشام جلت عن أن تحد بحد
من حسنها فتحدث وعن سواها فحد

كما قال المرحوم عبد الباقي الحنبلي

محاسن الشام قالت كل المداين جندي
فلا تقسني بغيري واترك لشوم التعدي

وقول الآخر

محاسن الشام نادت [illegible] وحدي
وكل حسن لغيري [illegible]

وهذا آخر ما سرده اليراع وسلك به منهج الإبداع والله الموفق
وعليه الاتكال وهو حسبي في كل حال وقد ختمتها بهذين البيتين البديعي
النظام راجيا من الله سبحانه وتعالى حسن الختام وهما

وبحمد الله تمت حان لطفا نظامها
قلت فيها مؤرخا جاء مسك ختامها

قال مؤلفها وقد يسر الله تعالى الفراغ من تأليفها نهار الخميس غرة شهر
جمادى الآخرة سنة ١١٧١ إحدى وسبعين ومائة وألف على يد محررها الفقير إلى
الله تعالى السيد محمد بن السيد مصطفى ابن المرحوم خليل وبردي بن مراد بن
إبراهيم الشهير بابن الراعي وقد وافق الفراغ من نسخها نهار الاثنين
سلخ محرم الحرام ١١٩٩ تسع وتسعين ومائة وألف على يد أفقر الورى إلى
عفو ربه البرية محمد درويش بن يحيى بن مصطفى بن محمد العطاري الشهير بحباب

الصفحة الأخيرة من نسخة (ب)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي غرس ادواح التوحيد في رياض قلوب اهل
العرفان، وامطرها من سحايب فيضه، فاثمرت افنان الهداية
والايمان، وفجر فيها ينابيع الحكمة فاهتزت وربت، وانبتت
من البلاغة ما علت به كلمة الفصاحة وسمت، ابدع الموجودات
من غير مثال سابق وابرزها من كنز علمه المودع في اسرار الحقايق
رفع السما بقدرته وبسط الارض، وقضى بمشيئته ان شرف بعضها
على بعض، فزينها بانواع الازهار، وميزها بصنوف الفواكه والثمار
وجعلها جنات تجري من تحتها الانهار، وبسط على الغبرا بساط
السندس باهر الابداع، ونشر عليها الوية الازاهر لما افترقت
بدمع المزن عيون الروابي والتلاع، ونطقت بتوحيده السن
الاطيار في منابر الغصون على حرير الانهار، وشهدت بقدرته
ضماير النسايم، واقرت بوحدانيته اطفال الازاهر في حجور
الكمايم، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد صاحب الوجه الازهر
والحوض والكوثر، من حن الجذع لفرقته، ومشى الشجر لدعوته،

عل

الصفحة الأولى من نسخة (ج)

وأراكه بالأصال خفق هوآيه الممدود بتحريك الهوى المقصود

سلا بانه المقصود في حديثه . المرفوع عن ذيل الصبا المجرود

أراضي سطراهي محسوبة من متنزهاتها الغراء رياضها

حلت في منظر الناظر وتاهت بوشيها على كل روض ناضر

تخفق ألوية الأفنان في هضابها . وتلعب خيول النسيم في ميادين

شعابها . أعلام روضاتها مرفوعة . وثمارها لا مقطوعة ولا ممنوعة

انظر إلى الأشجار تلق رؤوسها . شابت وطفل ثمارها ما أدركا

وعبيرها قد ضاع من أكمامها . وغدا بأذيال الصبا متمسكا

تشقها جداول وأنهار تجري بين نفح أزاهر وغناء أطيار . .

وفاح للورد نشر من كمائمه   والنهر كالصل في الأدواح ينسحب

غنى الهزار على أغصانه طربا   حتى تراقصت الأفنان والقضب

وقد اعتنت الشعراء بذكرها لما شاهدتهم من طيب نشرها

فقال ابن خطيب داريا

سألتكما إن جئتما الشام بكرة   وعاينتما الشقرا والغوطة الخضرا

فمادا قرأ مني كتابا كتبته   بدمعي لكم منثرى ولا تنسيا سطرا

وقال آخر

قالوا أما في جلق نزهة   تنسيك من أنت به مغرى

يا عاذلي دونك من لحظه   سهما ومن عارضه سطرا

ومن التوجيه الحسن قول الأسعردي في بعض متنزهات

الشام   فقال

وربم حلا لي خمرة مزجت   هوى وقد عاينت في خده سطرا

الصفحة الأخيرة من نسخة (ج)

البرق المتألق

في محاسن جلق

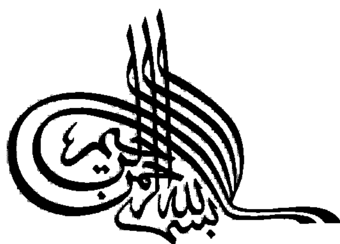
تأليف

محمد بن مصطفى ابن الراعي

١١١٩ - ١١٩٥هـ

تحقيق

محمد أديب الجادر


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي غرس أدواح التوحيد في رياض قلوب أهل العرفان، وأمطرها من سحائِب فيضِه، فأثمَرَتْ أفنانَ الهدايةِ والإيمان، وفجَّر فيها ينابيع الحكمة، فاهتزَّتْ ورَبَتْ، وأنْبتتْ من البلاغة ما علت به كلمةُ الفصاحة وسمَت، أبدعَ الموجوداتِ من غير مثالٍ سابق، وأَبْرزَها من كَنْزِ عِلْمِهِ المُودَعِ في أسرار الحقائق. رفع السماء بقدرته وبسط الأرض، وقضى بمشيئته أن شَرَّفَ بعضَها على بعض، فزيَّنها بأنواع الأزهار، وميَّزها بصنوف الفواكه والثمار، وجعلها جناتٍ تجري من تحتها الأنهار، وبسط على الغبراء بساطَ السندس بباهر الإبداع، ونشَر عليها ألويةَ الأزاهر لمّا اغرَوْرَقَتْ بدمعِ المُزْنِ عيونُ الروابي والتلاعِ، ونطقت بتوحيده ألسنُ الأطيار، في منابر الغصون على خرير الأنهار، وتنهَّدتْ بقُدرته ضمائرُ النسائم، وأقرَّتْ بوحدانيتهِ أطفالُ الأزاهرِ في حُجور الكمائِم، وصلى الله تعالى على سيدنا محمد صاحبِ الوجه الأزهرِ، والحوضِ والكوثر، مَنْ حنَّ الجِذْعُ لِفراقه، ومشى الشجرُ لدعوتِهِ على ساقه، الواردِ عنه في السنة: «**ما بين بيتي ومنبري روضةٌ من رياض الجنة**»[1] صلى الله عليه وعلى آله الذين سقوا من عَذْبِ موارد السيادةِ العظمى، شجرةً طيِّبةً أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السما، وعلى أصحابِهِ الذين عبروا

---

(١) رواه البخاري ٥٧/٣ في التطوع، باب فضل ما بين القبر والمنبر، ومسلم (١٣٩٠) في الحج، باب ما بين القبر والمنبر روضة من رياض الجنة، والموطأ ١٩٧/١ في القبلة، باب ما جاء في مسجد النبي، والنسائي ٣٥/٢ في المساجد، باب فضل مسجد النبي ﷺ، من حديث عبد الله بن زيد.

رياضَ الإيمانِ بينَ جَدْوَلٍ مِنَ الخُلوصِ وَنَهَر، فتفتَّحَتْ لهم كمائِمُ الحُصونِ عن زهراتِ التأييدِ والظفَرِ، وأخلصوا لله تعالى فخاضوا لُجَجَ الجهادِ، وغاصوا بحورَ التوكّلِ في أكملِ هِمَّةٍ واستعدادِ، حتى قطفوا ثمارَ رؤوس الأعداء من رياضِ الفتوحات الجَنيَّة، وأَيْنَعَتْ بهواطلِ النصرِ لهم حدائقُ المِلَّةِ المحمَّديةِ، لا برحَتْ شآبيبُ الرضوانِ تَهطِلُ على غِياضِ مضاجعِهم الشريفةِ، وسحائبُ الرحمةِ مخيِّمةً على تُرْبِ مراقدهم الوريفةِ، ما سقى جدولُ المجرّة رياضَ الشام، وازدهرَ نرجسُ النجم تحت بنفسج الظلام.

وبعد، فلما انفصمتْ عنّي عُرى الطُفوليةِ، وانشقَّتْ في غصن شبابي بُرْعُمَةُ الرجولية، وَلِعْتُ بالتنزُّهِ في حدائقِ الأدبِ وأزهارِهِ، والنّهلِ من سائغِ مناهلِهِ وأنهارِهِ، سيَّما كتبُ التاريخِ والأخبارِ، وما يتعلّقُ بالمدنِ والأمصارِ، التي أحلاها في الأفواهِ ذِكْرًا، وأعلاها في الأسماعِ قَدْرًا، أخبارُ الثغرِ البسَّامِ، والمِصْرِ المحفوفِ بطرائِفِ الإنعامِ، جِلّقَ الفيحاءِ ذاتِ الظلال، الموسومةِ بأنواعِ المحاسنِ والجَمالِ، التي ميَّزها الله تعالى على جميعِ البلادِ، وشَرَّفَها بِقَولِهِ سبحانَهُ: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ [الفجر: ٧] وقد اعتنَت الجهابِذَةُ بتخليدِ أخبارِها، وابتَنَت الأساتذةُ بُيوتَ افتخارِها، وتناقلت أنباءَها ألسنُ الراوين، ومع ذلك فَهُمْ في التعبيرِ عنها غيرُ متساوينَ، منهم مَنْ قَصَّرَ، ومنهم مَنْ طَوَّلَ، ومنهم مَنْ جَرَّحَ، ومنهم من عدَّلَ، يأتونَ مِن مقولهم، على قدر عقولهم. [الطويل]

علـى قَـدْرِكَ الصهبـاءُ تُوليـكَ نَشْـوَةً ... بهـا سِيءَ أعـداءٌ وسُـرَّ صِحـابُ
فلـو أنّهـا تُعطيـكَ مِنهـا بِقَدْرِهـا ... لَضـاقتْ بـكَ الأكـوانُ وهـي رحـابُ

فحرَّكتْني نسائمُ الحَمِيَّة، وهزَّتني الشنشنَةُ العصبية، أنْ أكشفَ نِقابَ مُحَيَّاها، وأُديرَ على الأسماعِ كؤوسَ حميّاها، وأنْ أنظمَ في حدائقِ الأدبِ عِقْدًا من زهرِها المنثورِ، وأُوردَ

منه ما يزهو على روضاتِ الزهور، وإن كنت في ذلك طفيلَ العرائسِ، وكشاةِ سعيدٍ[1] بين الأسودِ الشوامسِ، لكنَّ التشبُّهَ بالكرامِ جميل، والاقتداءَ بأهلِ الفضلِ فيه على القَبولِ أكبرُ دليل. [الوافر]

إذا منعَتْــــك أشـــجارُ المعــــالِي جَنَاهـــا الغَـــضَّ فـــاقنع بالشَّـــميمِ[2]

فنفَخْتُ مَجْمَرَ الخاطِرِ حتى نفَحَ عنبرًا ونـدًّا، وهـززتُ قضيبَ اليراعـة على غديرِ المهارق فأثمر آقاحًا وورِدًا، وجمعْتُ مِن محاسِنها ما هو لسماءِ الأدب نجومٌ، ولجيدِ البلاغةِ عِقدٌ بفرائدِ الدُّرَرِ منظومٌ، فجاء ـ بحمده تعالى ـ سِفرًا يقطُـرُ منه مـاءُ الآدابِ؛ بل روضًـا تتعطَّرُ بعبيرِ نَشْرِهِ مَسامُّ ذوي الألبابِ، وَشَّحْتُهُ بطريفِ الكناياتِ، ولطيفِ الاستعاراتِ، ورشيقِ الإشاراتِ[3]، ورقيقِ العباراتِ، مِنَ التشبيهاتِ المُصيبةِ، والاختراعاتِ الغريبةِ، والأساليبِ العجيبةِ، بلطائِفِ الإبداعِ، وتوليداتِ الاختراعِ، بسهولةِ تفصيلٍ، وإصابةِ تمثيلٍ، ممّا يَصبو إليه القلبُ والطَّرْفُ، ويَرْشَحُ مِن وجهِ محاسنهِ ماءُ المَلاحةِ والظَّرْفِ، وليس لي مِنْ شِعْرِهِ سوى الأرجوزةِ مع خمسةِ أبياتٍ[4]، وما عداها فأبناءُ عَلاَّت.

وسمَّيتُه بـ **«البرق المتألّق في محاسن جلّق»** مُستَمِدًّا من فيض ذي الجلالِ والإكرام، كما يَسَّرَ الابتداءَ أن يُحْسِنَ الخِتامَ، وها أنا أُمَتِّعُ الطَـرْفَ والأسمـاع، بربيعِ ألمى الظلالِ أحوى التّلاع، متوكّلاً على ذي الكرمِ، المُفيضِ على عبادِهِ أنواعَ النِّعَم، مبتديًا بـالأرجوزة الغرّا، إذ جعلتُها لِعروسِ الأقاليمِ مَهْرًا، وهي[5]:

---

(١) هي شاة سعيد بن أحمد، وكان سعيد أهدى إلى صديقه الحمدوني شاة مهزولة، فأصبحت يضرب بها المثل في الهزال، لكثرة ما قال الحمدوني فيها، وتسييره الملح في وصف هزالها. ثمار القلوب ٥٦٢/١

(٢) البيت لابن قلاقس، الديوان صفحة ٥١٥، ورواية شطره الثاني فيه: حباها الغضّ فاقنع بالهشيم.

(٣) في (ب): بظرائف الكنايات، ولطائف الإشارات.

(٤) هناك بيتان صفحة: ٢٩٠ نص على أنهما من قوله، أما الأبيات الأخر فلم أقف عليها، وهي مجال رجم وتخمين.

(٥) نشر هذه الأرجوزة الدكتور صلاح الدين المنجد في مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد ٢٢٥/٢٧.

بسم الله[1] الرحمن الرحيم

١- الحمد للهِ مُفِيضِ النِّعَمِ ... مولٍ لِمَنْ شاءَ صُنوفَ الكَرَمِ

٢- مكوِّنِ الأكوانِ بالإتقانِ ... صُنعَ حكيمٍ مُبدِعٍ مِتْقانِ

٣- بِلا مِثالٍ سابقٍ قد صوَّرا ... هذا الوجودَ كُنْ بِذا مُعتَبِرا

٤- ففيهِ أكبرُ شاهدِ التوحيدِ ... ولقوّةِ الإيمانِ كالتَّشييدِ

٥- فكم بِقاعٍ خَصَّها بالشَّرَفِ ... وأختها قضى لها بالسّخَفِ

٦- وبلدةٍ حوت رياضًا وزهرْ ... وورودًا يانعاتٍ وَنَهَرْ

٧- وبلدةٍ مِنْ عاصفاتِ الحَرِّ ... ظمأى وسَقيا أرضِها مِنْ بئرِ

٨- وقريةٍ ربَتْ مِنَ الأمطارِ ... تُسقى بماءِ الدِّيَمَةِ المِدْرارِ

٩- مشيئةٌ قد شاءها الرَّحمنُ ... بِكفِّهِ الإعطاءُ والحِرمانُ



١٠- هذي دمشقُ الشامِ دارُ اللّهوِ ... فاسنِدْ حديثي عن رُباها وَارْوِ

١١- حاكت جنانَ الخُلْدِ عند العَرْضِ ... بل قيلَ عنها: جَنةٌ في الأرضِ

١٢- بل شامَةُ الدُّنيا وعينُ المُلْكِ ... وتعرفُ الدّينارَ عندَ السَّبْكِ

١٣- أنهارُها عَدُّ النُّجومِ الزُّهْرِ ... وليسَ إلاَّ في رياضٍ تجري

١٤- وكلُّ روضٍ في مِثالِ الجَنَّةِ ... واقٍ لإخوانِ الصَّفَا كالجُنَّةِ

١٥- فإنْ تَرُمْ تفصيلَ ذا قِفْ واستمِعْ سَهْلَ القريضِ أخا الزُّكاء المُمْتَنِعْ[١]



١٦- بعدَ التحيّاتِ الغِزارِ الجَمَّهْ تُهدى لِخَيرِ الخَلقِ مُهدي الأُمَّهْ

١٧- وآلهِ الأخيارِ ثُمَّ الصَّحْبِ وَكُلُّهُم في فَضْلهِ كالسُّحبِ

١٨- هاكَ استمِعْ منّي حديثَ الشامِ دارِ التّصابي والنّعيمِ السّامي

١٩- قَدْ خَصَّها الرَّحمنُ بالأنهارِ وطيِّبِ الأرواحِ والأزهارِ

٢٠- وخَصَّها المولى بذاكَ الجَبَلِ وقَلَّ أن يخلو مكانٌ مِن وَلي

٢١- فكم نَبيٍّ ضَمَّهُ **قاسُونْ**[٢] وكم وَليٍّ عندَه مَدْفونُ

٢٢- وكم صَحابيٍّ بِها استُشْهِدا وفي خبايا أرضِها قد لُحِدا

٢٣- **ودَيرُ مُرّانَ** علاَ قاسونَ[٣] كأنَّهُ في مُلْكِ أفريدونَ[٤]

٢٤- وتحَتَهُ تلكَ الرِّياضُ الغضَّهْ وبينَها الأمْواهُ مِثْلُ الفضّهْ

٢٥- غنَّتْ بِها الأطيارُ في الأفنانِ فمالتِ الأغصانُ كالنَّشْوانِ

٢٦- كذا **الحواكيرُ** التي يَنسابُ[٥] فيها **يزيدُ** السَّلسلُ المِطْيابُ[٦]

---

(١) في (ب): أخا الذكاء.

(٢) يريد جبل قاسيون.

(٣) دير مران: انظرها صفحة ٩٠.

(٤) أفريدون بن أثفيان بن جم: ملك أسطوري من ملوك الفرس الأولى.

(٥) الحواكير: جمع حاكورة وهي: بساتين تحبس لزرع الأشجار، قريبة من المنازل والدور، وتقع في سفح قاسيون الغربي، حول التربة العادلية البرانية الكائنة اليوم في ساحة المالكي، وتعرف بأرض الحواكير. سميت بذلك نسبة لحواكير نبات الصبّارة المزروع فيها.

(٦) يريد نهر يزيد.

٢٧- كـــم أنَّ دولابٌ عليـــه وَشَـــكَا وشَـــاقَهُ عهـــدُ الرِّيـــاضِ فبكَـــى

٢٨- وقَطّـــرَ الدُّمـــوعَ في الحيـــاضِ وبَـــاحَ بالأســـرارِ للرِّيـــاضِ

٢٩- **وقريـــةُ النَّخْـــلِ** مكـــانُ الصُّلَحـــا فكـــم بهـــا قصـــدُ نزيـــلٍ نجحـــا

٣٠- **بالصالحيـــةِ سُـــمّيَتْ** يـــا صـــاحِ[1] بـــل منتـــدى اللـــذّاتِ والأفـــراحِ

٣١- تَحفُّهـــا القصـــورُ والجواسِـــقُ كأنَّهـــا بـــينَ الرُّبـــى سُـــرادِقُ

٣٢- تُظِلُّهـــا الأدواحُ كـــالأعلامِ تزورُهـــا الأرواحُ للســـلامِ

٣٣- وكـــلُّ طـــيرٍ آخـــذٌ في مَغْنـــى وكـــلُّ حِـــزبٍ منهـــمُ في مَغْنـــى

ذِكْرُ أزهارِها[2]

٣٤- وموكـــبُ الأزهـــارِ في المكافحـــهْ ونافحـــاتُ الطِّيـــبِ منهـــا نافحـــهْ

٣٥- فلـــو تَـــرى الرَّيْحـــانَ بـــينَ الآسِ وأصفـــرَ الخِـــيريِّ كالنِّـــبراسِ

٣٦- كذلـــكَ المنثُـــورُ والسَّوســـانُ وعنـــدهُ خَشخاشُـــهُ ألـــوانُ

٣٧- وحلقـــةُ المحبـــوبِ بـــينَ الزَهْـــرِ حـــاكَتْ سَـــنَا اليـــاقوتِ فـــوقَ النَّحْـــرِ

٣٨- وفـــاقَ عَـــرْفُ الطِّيـــبِ عُـــرْفَ الديـــكِ لـــه مقـــامُ السَّـــبْقِ كـــالتمليكِ

٣٩- لليـــاسمينِ الغَـــضِّ عِطـــرٌ زاكـــي يحكـــي ضيـــاءَ الزَّهْـــرِ في الأفـــلاكِ

٤٠- وعِنـــدهُ النِّســـرِيْنُ ثـــم الفاغيـــهْ قـــد أشْـــبَهَا في الطِّيـــبِ نفْـــحَ الغاليـــهْ

(١) الصالحية: انظرها صفحة ٩٧.

(٢) انظرها مفصلة صفحة ١٠٣.

٤١- كَـــذاكَ زهـــرُ الأرغـــوانِ البـــاهي — وثَـــمَّ عَنْـــبَرْبوي زهـــرٌ زاهـــي

٤٢- شـــقائقُ النُّعمـــانِ في الأزهـــار — كَجُلّنـــارٍ فـــاحَ في الأَســـحارِ

٤٣- وســـنبلٌ في اللّـــونِ كالفـــيروزجِ — وزنبـــقٌ يَزهـــو بوجـــهٍ أَبْلَـــجِ

٤٤- ونرجـــسٌ بـــالطَّلِّ عـــينٌ شـــكرى[1] — بـــاتتْ تُناجينـــا بعـــينٍ ســـهرا

٤٥- وغايـــةُ الآمـــالِ زهـــرُ المُضعِـــفِ — وفعلُـــهُ في الـــرَّوضِ فِعْـــلُ القَرقَـــفِ

٤٦- وأطيـــبُ الأزهـــار بعـــد الـــوردِ — زَهْـــرُ القرنفـــلْ[2] عطـــرُهُ كـــالنَّدِ

٤٧- زهـــرُ الأقـــاحي حُقَّـــةٌ مـــن تِـــبْرِ — كـــذا البهـــارُ قطعـــةٌ مـــن صُفْـــرِ

٤٨- وعِنـــدَ زَهـــرِ البَـــانِ لـــذَّ القَصـــفُ — وطـــابَ لِـــي فيـــه الثّنـــا والوَصـــفُ

٤٩- وكـــم مُنـــادي الشـــوق فينـــا لعلـــعْ — لـــدى زهـــورٍ سُـــمِّيتْ بـــاللَّعلَعْ

٥٠- كذلـــك البَلْســـانُ زاكـــي العِطْـــرِ — بـــاللَّيْلَكِ انْعـــمْ يـــا لَـــهُ مـــن زهـــرِ

٥١- إنَّ البنفســـجْ[3] فضلُـــهُ لا يُنْكَـــرُ — وعَرْفُـــهُ الزَّاكـــي كـــذا النّيلوفـــرُ

٥٢- وزهـــرُ آذريـــونَ في الأزهـــارِ — يَحكـــي عبـــيرَ المِسـكِ في الأســـحارِ

٥٣- وعنـــدَ مَرْزنْجـــوشَ طـــابَ النّشـــرُ — فـــلا تقـــل داريـــن لا والشـــحرُ

٥٤- ومُبْهَـــمُ الأسمـــا زهـــورٌ شـــتّى — و لم أقـــلْ في وصـــف شـــيءٍ حتّـــى



(١) عند المنجد: عين سكرى. وانظر ما قيل صفحة ١٣١ حاشية (٢).

(٢) سُكّنت كلمة (القرنفل) للضرورة الشعرية.

(٣) سُكّنت كلمة (البنفسج) للضرورة الشعرية.

ذِكرُ مُتنَزهاتِها

٥٥- وانظرْ إلى **السَّهْمَيْنِ**[1] **والمَيْطورِ**[2] ... تَراهـا جَنّاتٍ بـلا مَحظـورِ

٥٦- **والنَّيْرَبُ** الأعلى محلُّ الأُنْسِ ... كذلكَ **الأدنى**[3] حياةُ النَّفْسِ

٥٧- ونزهةُ الدُّنيا أراضي **سطرا**[4] ... لمْ تَلْقَ إلاّ روضةً أو نهرا

٥٨- وفي **نَصِيبٍ**[5] جَحفَلُ الأطيارِ ... ومَجْمَعُ الأزهارِ والأنهارِ

٥٩- تمشي بها الأمواهُ مَشْيَ الصِّلِّ ... وحُلْيُها الزُّهرُ ونَقْشُ الطلِّ

٦٠- وفرشُها الياقوتُ والزُّمرُّدُ ... وفوقَها شُحرُورُها يُغَرِّدُ

٦١- فكم بِها روضٌ وكم مِنْ مَغْنَى ... طَيرُ التّصابي في رُباها غَنَّى

٦٢- وفي رياضِ **السفحِ**[6] **واللّوانِ**[7] ... هبَّت رياحُ الشِّيحِ والحَوذانِ

٦٣- **والجبهةُ**[8] الغرّا محلُّ البَسطِ ... وسرحةُ الوادِي مكانُ الشَّطِّ

٦٤- واذكرْ رياضَ **القصرِ**[9] **والخلخالِ**[10] ... **والفيجةِ الخضراءِ**[11] **والسلسالِ**

---

(١) انظر صفحة ١٣٥.

(٢) انظر صفحة ١٤١.

(٣) انظر صفحة ١٣٧.

(٤) انظر صفحة ١٤٢.

(٥) نصيب من متنزهات دمشق ومركزها قرب جسر الغيضة (جسرين). غوطة دمشق. صفحة ٧٠.

(٦) السفح: سفح جبل قاسيون.

(٧) اللوان: متنزه بين المزة وكفرسوسة. انظر الحاشية (٣) صفحة ١٤٤.

(٨) انظر صفحة ١٤٥.

(٩) القصر: يعني قصر الإمارة (الأبلق)، وكان محله مكان التكية السليمانية، انظر صفحة ١٥١.

(١٠) انظر صفحة ١٤٩.

(١١) عند المنجد: والمرجة الخضراء

٦٥- مسـارحُ الآرام والغـزلانِ معـاهدٌ للحُـورِ والوِلْـدَانِ
٦٦- مَحاسِـنُ الدُّنيـا ريـاضُ الغوطـهْ لَّمـا غـدَتْ في حُسْـنِها مَغْبُوطـهْ
٦٧- تَشُـقُّها الأنهـارُ والخلجـانُ وكـلُّ نَهْـرٍ منهـمُ سَـيْحانُ
٦٨- فـأينَ منهـا الشِّـعْبُ يـا بَـوَّانُ ومـا حـوى الخـابُورُ والَمَيْـدانُ
٦٩- ومَجْمَـعُ الأَمْـواهِ **جسـرُ الغَيْضَـهْ**[1] وحيثمـا يممْـتَ تَلْـقَ روضـهْ
٧٠- مُلْتقَّـةَ الأغصـانِ بالأغصـانِ ومرتـعَ الأطيـارِ والغُـزلانِ
٧١- ومنتـدى الأفـراحِ **وادي الرَّبـوهْ** وَادٍ حَبَـاهُ ربُّـهُ بـالُحظْوَهْ
٧٢- تجـري بـهِ الأنهـارُ كـالكواكبِ لكنَّهـا تَمشِـي علـى المَراتِـبِ
٧٣- قَـدْ سـاقَها حكيمُهـا المهنـدسُ وَخَطَّهـا فهـو الرَّئيـسُ الأَكْيَـسُ
٧٤- وكُلُّهـم قـد جـاوَرَ الرِّياضـا وبـرُّهُ عليهـا قـد أفاضـا
٧٥- فَقَسَّـموا مـن بعضِهـا أقسـاما وخصَّصوهـا لِلقُـرى سِـهاما

تَفْصيلُ أنْهارِها[2]

٧٦- أوَّلُهـا أَصـلُ النُّهـورِ **بـردى** كـم شَـوْق مَحْـرُورٍ لديـه بَـرَدا
٧٧- وعنـد **ثَوراهـا** يثـورُ الوَجْـدُ غِـذاؤُهُ القيصـومُ ثُـمَّ الرَّنْـدُ[3]
٧٨- كـذا **يَزيـدُ** أطيـبُ الأنْهـارِ إذْ جَرْيُـهُ في داخـلِ الأحجـارِ

---

(١) انظر صفحة ١٥٥.

(٢) سيذكر المؤلف الأنهار بشكل مفصل صفحة ١٦٥.

(٣) القيصوم: شجر من نوع الشيح يكثر في البادية.
الرند: شجر طيب الرائحة، من الفصيلة الغارية، ينبتُ في سواحل الشام والغور والجبال الساحلية.

٧٩- يا طِيبَ ماءِ **القَنواتِ** العَذْبِ ... إذْ خصَّصوه أهلُها للشُّرْبِ
٨٠- وصِنْوُهُ في فِعْلِهِ **بانَاسُ** ... نهرٌ زَهى في حُسْنِهِ يا ناسُ
٨١- يتلوُه نهرٌ اسْمُهُ **الدَّارانِي** ... يمشي كمَشْيِ الوالِهِ الحيرانِ
٨٢- وجَدْوَلٌ يُسْمى **قناةَ المِزَّه** ... مقامُهُ فيهم مقامُ العِزَّه
٨٣- هذي النُّهورُ السَّبعةُ الأُصولُ ... اسمعْ ـ فدَتْكَ النَّفسُ ـ ما أقولُ
٨٤- أما أبو الأنهار زاهي البهجة ... يشقُّ جوفَ الأرضِ نحو **المرجة**
٨٥- **المرجةِ الخضراءِ** ذاتِ الشَّرَفِ ... وقد زهَتْ أكنافُها بالغُرَفِ
٨٦- يَمُرُّ مِثْلَ السَّهمِ كالمُجْتازِ ... حتى يُرَى قَدْ شَقَّ **صَدْرَ البازِ**[1]
٨٧- وقد جَرى في ذلكَ المَيدانِ ... كأنّهُ سابورُ في الإيوانِ
٨٨- تَضُمُّهُ قَناطرٌ مِنْ جَلْمَدِ ... ترنو كألحاظِ الغَزالِ الأغْيَدِ
٨٩- هُناكَ يلقى جدولاً قد عَذُبا ... سمَّاهُ أهلُ الشامِ **نهرَ عَقْرَبا**
٩٠- وبَعْدَهُ مَنْ للتّصابي داعيه[2] ... سَمَّوْهُ مِنْ أنهارها **بداعيه**
٩١- ثم **المَنيحي** جَدْوَلٌ كبيرُ ... كأنّهُ مِنْ بينِهم أميرُ
٩٢- كذاكَ نَهْرٌ اسمُهُ **الزبديني** ... يسيرُ بينَ الوَرْدِ والنّسرينِ
٩٣- وثَمَّ نهرٌ اسْمُهُ **الوسطاني** ... **ومَقْسَمُ الغربيِّ** نهرٌ ثاني
٩٤- يا مَجْمَعَ الأحبابِ يا **دَرْمِيْنَا**[3] ... كم ذا بأشراكِ الهَوى ترمينا

---

(١) صدر الباز: موضع بين الشرفين الأعلى والأدنى. قرب ساحة الأمويين. سمي بذلك تشبيهاً له بطائر الباز، لأن وادي الربوة ينضم من رأسه، ويعلوه جبلان، ويشكل الشرفان جناحيه. معجم دمشق.

(٢) عند المنجد: من التصابي.

(٣) درمينا: نهر يتفرّع من نهر زبدين.

٩٥- ويــا حيــاةَ النَّفْــسِ نهــرَ **الماصيــه** **والحــاجي** نهــرٌ سَــمَا في الســاميه

٩٦- ولســتُ أنســى الجَــدْوَلَ **البــالاني** يســيرُ سَــيْرَ الآبِــقِ الوَلْهــانِ

٩٧- يمشــي رويــدًا صِنْــوُهُ **الزابــونُ** كــذاك **نهــرُ المَلِــكِ** المَصُــونُ

٩٨- كــذا خليــجٌ اسْمُــهُ **الشَّــيْداني** ونهــرُ **تَــلِّ الذَّهــبِ** السَّــاماني

٩٩- **وبيــتُ نــايمَ** نهرُهــا قــدْ عَظُمــا وجــدولٌ يســقي أراضــي **حزرمــا**

١٠٠- وجــدولٌ يســعى إلى **الغَريفــهْ**[1] يمشــي كَخَــود شــيِّق مُهَفْهَفَــهْ

١٠١- وآخَــرُ يســقِي ريــاضَ **المُتْبَــنِ**[2] يمشــي إليهــا كــالحكيم المُتْقِــنِ

١٠٢- **وللبلاليــةِ**[3] خَصُّــوا جَــدْوَلا يمشــي إلى صحرائِهــا مُهَــرْوِلا

١٠٣- ومــا بقــي يجــري إلى **العَبَّــادَه**[4] يســعى كَسَــعْيِ الحَيَّــةِ المُرْتــادَه

الذي ينقَسِمُ في نَهرَي المنيحي والدّاعياني[5]

١٠٤- **الجــامعي** نهــرٌ بِهــا قَــد عُرِفــا وراقَ حُســنًا مــاؤُه فَــوقَ الصَّفــا

١٠٥- وجــدولٌ يُسْــمى بنهــرِ **البــيرهْ** يــا حُسْــنَ رَوضــاتٍ بــه معمــورهْ

١٠٦- وجــدولُ **المَــزّازِ**[6] ثــم **الشــقّ** غنّــتْ عليهــم صادحــاتُ الــوُرْق

---

(١) الغريفة: قرية في شرق بيت نايم. منجد.

(٢) المتبن: قرية بالقرب من حرستا القنطرة، وتُسمّى اليوم حوش المتبن. منجد.

(٣) البلالية: في شرق تل الصالحية. منجد.

(٤) العبادة: هي قرية العبادية في مرج الغوطة. غوطة دمشق ٢٨٣.

(٥) انظرهما صفحة ١٧١.

(٦) انظره صفحة ١٨٠.

١٠٧- وراقَ مـــاءُ **الجـــدولِ الشُّـــلطاني**[1] كـــم ســـارَ مـــن روضٍ إلى بســـتانِ

١٠٨- وَفاقَـــهُ في الحُســـنِ **نهـــرُ الزُّلَـــفِ**[2] قـــد أُتحِفَـــتْ أدواحُـــهُ بـــالطُّرَفِ

١٠٩- وجـــدولٌ يَســـعَى إلى **الخِيـــارةْ** وجريُـــه فِـــي رونـــقِ الإمـــارةْ

١١٠- ولا تـدعْ ـ يـا صـاح نهـر ـ **الشَّبْعا** كـذا **البلاطـي** جـدولٌ كـالأفعى

١١١- كـــذا **كُليبًـــا** جـــدولٌ معـــروفُ **وعـــينُ تومـــا** نهرُهـــا موصـــوفُ[3]

١١٢- إلى **كَفَـــرْ بطنـــا** خَليـــجٌ يجـــري **ونهـــرُ جســـرينَ** كـــذَوبِ القَطْـــرِ

١١٣- وجـــدولٌ يجـــري إلى **حموريـــا** سَـــقيًا لأوقـــاتٍ مضـــت فيـــه ليـــا

١١٤- **ونهـــرُ ســـقبا** في صفـــا اللُّجَيْـــنِ كأنَّـــهُ الإســـفنطُ في الدُّنَّـــينِ[4]

١١٥- و**الأفْـــتَريسُ** القريـــةُ المصطـــافُ يجـــري إليهـــا جـــدولٌ خطَّـــافُ

١١٦- الزَّهـــرُ والأدواحُ في **بيـــتِ ســـوا** لهـــا خليـــجٌ كالحَبـــاب ذا التـــوى[5]

١١٧- هـــذا الـــذي قـــد قسَّـــموا مـــن بـــردى فـــاسمعْ وكـــنْ في قولنـــا مُعتَمِـــدا



(١) الجدول السلطاني: لعله منسوب إلى طريق السلطاني، وهو طريق الميدان حالياً.

(٢) نهر الزلف: ذكره ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ١٤٧/٣، وابن عبد الهادي و لم يحدّدا موقعه، والزلف: الحياض الممتلئة، فإذا كان بالضم فمعناه ساعات الليل الآخذة من النهار، وساعات النهار الآخذة من الليل، وهذا الاصطلاح ما زال معمولاً به في السقيا في كل قرية. غوطة دمشق ١١٨..

(٣) عند المنجد: عين ثرما، وهو اسمها الصحيح.

(٤) الإسفنط: بالكسر، وتفتح الفاء: المطيّب من عصير العنب، أو ضرب من الأشربة، أو أعلى الخمر. القاموس.

(٥) الحَبابُ: طرق تظهر على وجه الماء تصنعها الريح.

الذي ينقسم من الداراني[1]

١١٨- أمَّـــا الـــذي قســـمتَهُ يـــا دارا يـــا مَـــنْ تخـــيَّرتَ الفيـــافي دارا

١١٩- نهـــرُ **العـــرا والذيـــب والشِّـــراكِ** كـــذاكَ نهـــرُ **الميلقـــونِ** الزاكـــي

١٢٠- **والحجَـــرُ الدائـــرُ** شِـــعْبٌ خامِسَـــةْ وجـــدولٌ قـــد خُـــصَّ بالكفارســـةْ[2]

١٢١- فقسَّـــموهُ عندَهـــم يـــا صـــاحِ يـــا مَـــنْ ســـناهُ في ضِيـــا المِصبـــاحِ

١٢٢- **نهـــرُ الكريمـــي** ثـــم **نهـــرُ الغربـــي** **أبـــو عيـــارٍ** جـــدولٌ كـــالقضبِ[3]

١٢٣- وجـــدولُ **الأشـــعاب** نهـــر طـــامي يَخُـــدُّ وَجْـــهَ الأرضِ كالصَّمصَـــامِ

الذي ينقسم من قنوات[4]

١٢٤- وقُسِّـــمتْ قَنْـــواتُ يـــا مســـرورُ **نهـــرُ القُصَـــيْرِ** حَظُّـــهُ التصغـــيرُ

الذي ينقسم من تورا[5]

١٢٥- ونهـــرُ تَـــوْرا قسّـــموهُ فاسْـــمَعِ نظمًـــا حَـــلاَ في الذّهـــنِ ثـــم المَسْـــمَعِ

---

(١) عنوان من المنجد فقط.

(٢) الكفارسة: نسبة إلى كفر سوسيا. قرية جنوب دمشق.

(٣) القضب: كل شجرة طالت وبسطت أغصانها.

(٤) عنوان من المنجد فقط.

(٥) عنوان من المنجد فقط. وانظره صفحة ١٦٨.

١٢٦- أولُهـا **الأنصارُ** نهـرٌ طـافحُ يجـري ونَشْـرُ الزَّهـرِ منـه فـائحُ

١٢٧- **ونهـرُ بِشْـرٍ** جـدولٌ سَلسـالُ والمـاءُ فيـه قَرْقَـفٌ جِرْيـالُ[1]

١٢٨- **وغـالبٌ** نهـرٌ سـليمُ القلـبِ ومـاؤُهُ عـذْبٌ لذيـذُ الشُّـرْبِ

١٢٩- كـذاكَ نهـرٌ **بـالَمحلاّتِ** اشْـتَهَرْ وصِنْـوُهُ **السِّـرداب** نهـرٌ معتـبَرْ

١٣٠- كذلـكَ **الشُّـباك** نهـرٌ زاخِـرُ كـذا **الفراديـسُ** الزكـيُّ العـاطِرُ

١٣١- ونهـر **قلبـين** ونهـر **الزينـبي** ونهر **بـاب الثلـثِ** عـذبُ الَمشْـربِ

١٣٢- كـذاكَ **علّيتـا** خليـجٌ منـهُ حديـثُ عِطْـرِ الـرَّوضِ يُـروى عَنْـهُ

الذي يَنقسِمُ مِن يَزيدٍ[2]

١٣٣- ومِـنْ يزيـدَ جـدولُ **الشَّـجريَّهْ** ونهـرُ **مهـدي** فرقـةٌ فِضيّـهْ



١٣٤- فهـذِهِ الأُصـولُ بالأقسـامِ وكلُّهـا تَجـرِي علـى الـدَّوامِ

١٣٥- مواهـبُ اللهِ العلـيِّ الأَعلـى نالتهـا جِلِّقُنَـا فكـانَتْ أَهْـلا

(١) القرقف: الخمر، والماء البارد الصافي. والجريال: صبغ أحمر، والخمر أو لونها.

(٢) العنوان من المنجد فقط.

ذِكْرُ أودِيتِها[1]

١٣٦- ولنشرعِ الآنَ بذِكرِ الأوديهْ ... اللاتي لأمراضِ القلوبِ أدويهْ

١٣٧- إذْ كُلُّهُمْ في دَوحةِ المِعطارِ ... بالطِّيْبِ يحكي جَونَةَ العطّارِ

١٣٨- تخالُه يَختالُ كالعرائسِ ... في حُلَلِ الدِّيباجِ والأطالسِ

١٣٩- وكلُّهم في حُسْنِهِ تَيّاهُ ... تَحُفُّهُ الأزهارُ والأمواهُ

١٤٠- أوّلُهُمْ - يا صاحِ - **وادي بردى** ... وادٍ تَرى للأُنْسِ فيهِ مَدَدا

١٤١- تجري عليهِ بالدُّموعِ الأعْيُنُ ... إذ قصَّرَتْ عما حواهُ الألْسُنُ

١٤٢- ثانيهُمُ وادي حياةِ النفسِ ... **الربوةُ** الغَنّا محلُّ الأُنْسِ

١٤٣- **وادي المُكَرَّمْ**[2] عِندَهُ **كيوانُ** ... كلاهُما في حُسْنِهِ غَمْدانُ[3]

١٤٤- بالقربِ منهم **واديُ الجَنادِلهْ** ... دعْ عنكَ في أوصافِهِ المُجادَلهْ

١٤٥- **وادي السَّفرجَلْ**[4] منظرٌ فَتّانُ ... أنهارُهُ في وسطِهِ غُدرانُ

١٤٦- **وواديُ الحمصي** صديقُ الرُّوحِ[5] ... كم ذا يُغنّي طَيرُهُ للدَّوْحِ

١٤٧- واذكرْ محلَّ الشَّطْحِ **وادي الشَّقرا** ... فأينَ وادي آشِ[6] أينَ الزَّهْرا

---

(١) سيذكرها المؤلف مفصلة صفحة ٢٠١.

(٢) سكّنت كلمة (المكرم) للضرورة الشعرية.

(٣) غمدان: مدينة باليمن بها قصر عظيم مشرف يُنسب إليه. معجم البلدان.

(٤) وادي السفرجل: واد أول الغوطة عند باب الشرقي، مشهور بزهر السفرجل. المنجد. وسكّنت كلمة (السفرجل) للضرورة الشعرية.

(٥) عند المنجد: وادي الحصا.

(٦) وادي آش: في الأندلس بين غرناطة وبجانة، تنحدر إليه أنهار من جبال الثلج، كثير الشجر.

١٤٨- تُظِلُّـهُ **الشـرفين** مِـنْ طَرْفَيْـهِ[1] يُفـاخِرُ المَرِّيـخَ في شَـرَفيهِ

١٤٩- **وادي الصُّفَـيرا**[2] موسـمُ اللَّـذاتِ أوقاتُـهُ مـن أطيـبِ الأوقـاتِ

١٥٠- وأشـرفُ الوديـانِ وادي **بـرزه** فيـه بِقـاعُ الفَضـلِ حتـى أَرْزَه[3]

١٥١- **لِحِرْنَـةٍ** وادٍ ووادي **مَعْرَبـا** كلاهمـا عـن حُسْنِهِ قـدْ أَعْرَبـا

١٥٢- **ووادِيُ التَّـلِّ** الرَّفيـعِ القَـدْرِ يَضـوعُ نَشْـرًا مِـنْ عبـيرِ الزَّهْـرِ

١٥٣- **وادي منـينَ** أَنْضَـرُ الوُديـانِ أطيـارُهُ تشْـدو علـى العِيـدانِ

١٥٤- **وادي الدُّرَيْـجِ** الطيِّـبِ الأرواحِ قـدْ غَـصَّ بـالأمواهِ والأَدواحِ

١٥٥- **وادي حلبـونْ** سـقاهُ القَطْـرُ علـى غِنـاءِ الطَّـيرِ فـاحَ العِطـرُ

١٥٦- ونزهـةُ الدنيـا بديـعُ السـيما وادي التَّصـابي والهنـا **بَسِّـيما**

١٥٧- **ووادِيُ الخضـرا** مَحَـطُّ الرَّحْـلِ كـم ذا شـدَدْنا نحـوَهُ مـن رَحْـلِ

١٥٨- يـا صاحبـايَ نـارَ شـوقي هَيِّجَـا وعرِّجـا بـي نحـوَ **وادي الفِيْجـا**

١٥٩- وأَطرِبـا سَـمعي بذِكـرِ الـوادي وادٍ سُـمَا يـا صـاحِ **بـالعَوَّادِ**

١٦٠- ونهـرُهُ الطَّـامي البَهـيُّ المَنْظَـرِ وليـسَ مَـرأى العيـنِ مِثْـلَ المَخْـبَرِ

١٦١- **ووادِيُ الشـرقي** عـروسُ الدنيـا إِذْ بينهـم بالحُسْـنِ نـالَ العَلْيَـا

---

(١) عند المنجد: يظله الشرفان.

(٢) وادي الصُّفَيرا: بالتصغير قرب الميطور، قبيل برزة.

(٣) أرزة: قرية محلّها اليوم حي الشهداء في طريق الصالحية.

ذِكْرُ الأعْيُنِ[1]

١٦٢- ونُتْبِــعُ الذكــرَ بذِكــرِ الأَعْيُــنِ ... وَقاهــا ربُّ الشّـامِ شـرَّ الأَعْيُــنِ[2]

١٦٣- أشـهرُها في الحُسْـن **عـينُ الصَّـاحبِ** ... تفـوقُ بـالمَنثورِ نَـثْرَ الصـاحبِ[3]

١٦٤- وفي صفـا الـراوُوق[4] **عـينُ الخَضْـرا** ... مـاءٌ كَـذَوْبِ الـدُّرِّ حـازَ الفَخـرا

١٦٥- كـذاكَ عـينٌ اسْمُهـا **سَـيَّافه** ... وماؤُهـا في غايـةِ اللَّطافـه

١٦٦- واجْـلُ صـدا قلـبي **بعـينِ مَنـينِ** ... بـينَ الرُّبـا والتـينِ والزيتـونِ

١٦٧- يـا عـينَ ذاكَ الـرّوضِ يـا فتّانـه ... يـا مَـن سُـميتِ عندهـم **مرجانـه**[5]

١٦٨- ولا تسـلْ عَـنْ لُطْـفِ **عـينِ الكِـرشِ** ... مـاءٌ قَـراحٌ لؤلـؤيُّ الفَـرْش

١٦٩- وكـم جَمَعْنـا الشَّـمْلَ في **الورَّاقـه** ... عـينٌ تراهـا بالصَّفـا بَرَّاقـه

١٧٠- يـا عـينُ مَـنْ **بالزينبيـه** عُرِفَـتْ ... مَـنْ لي بأوقـاتٍ لَديـكِ سَـلَفَتْ

١٧١- وعنـدَ **عـينِ الشِّـرْشِ** روضٌ زاهـي ... تـأوي إليـهِ زُمَـرُ المَلاهـي

١٧٢- وانْعَـمْ بعـينِ اللـذَّةِ الفِضّيـه ... قَـدْ سُمِّيَتْ - يـا صاحِ - **بالدُّقَيـه**

١٧٣- **وعـينُ قرقـوزٍ** سـقى عهـدي بهـا[6] ... كـم للتّصـابي بعـثُ غايـاتِ النُّهَـى

---

(١) انظرها مفصلة صفحة: ٢٣١.

(٢) في (ب): رقاها ربُّ.

(٣) الصاحب هو إسماعيل بن عباد، انظر الحاشية (٤) صفحة (١١١).

(٤) الراووق: المنفذ الذي يجيء منه الريح، ويُسمّى راووق النسيم. شفاء الغليل.

(٥) المنجد: يا من دعوك عندهم.

(٦) المنجد: عين قرقور.

١٧٤- **وعـينُ أقلايـا** حكـت بـالرَّصْفِ ضياءَ مِـرآةٍ لـرَوْضِ القَصْـفِ
١٧٥- **عـينُ حـروش** كـالزُّلالِ الصـافي قـد أحـرزَتْ مَحاسِـنَ الأوصـافِ



١٧٦- فهـذهِ العيـونُ ذاتُ القَـدْرِ إذ سَـقْيُها الريـاضَ سـقيُ النَّهْـرِ
١٧٧- فـالبعضُ منهـا قـارَبَ المدينـهْ والبعـضُ منهـا للقُـرى مَعونـهْ
١٧٨- ومـا سِـواها - صـاحِ - ليسَـتْ تُحْصَـى ولا تـرومُ العَـدَّ والاسْـتِقصَا
١٧٩- فـانهضْ وشمِّـرْ للتّصـابي باعـا قـد خُـصَّ بالحِرمـانِ مَـنْ أضاعـا
١٨٠- فهـذهِ الدنيـا وهـذا العَيْـشُ وغـيرُ ذِكْـرِ الشـامِ عنـدي طَيْـشُ
١٨١- إلاَّ مَنَـاطَ العـزِّ والتّمكـينِ ومَهْبِـطَ القُـرآنِ والتَبْيـينِ
١٨٢- وادٍ حبـاهُ اللهُ بالتَّشـريفِ وخصَّـهُ بالسَّـعيِ والتَّعريـفِ
١٨٣- وعنـدَهُ الأوزارُ حقًّـا تُطـرَحُ وفيـهِ للغفـرانِ نِعْـمَ المَطْمَـحُ
١٨٤- وبلـدةُ المختـارِ عـينُ المُلْـكِ حامي حمـى الإسلامِ مـاحي الشِّرْكِ
١٨٥- قـد صحَّـتِ الأقـوالُ عنـدَ السُّـنَّهْ في أنَّ فيهـا مـن ريـاضِ الجَنَّـهْ
١٨٦- ونـالتِ العَليـا بخـيرِ الخَلْـقِ وخـيرِكم بعـدي خَدِيـنِ الصِّـدقِ
١٨٧- وصِنـوُهُ الفـاروقُ مُحيـيِ الدِّيـنِ وثـالثُ الخلْفـاءِ ذو النُّورَيـنِ[1]
١٨٨- هواطـلُ الرِّضـوانِ فيهـا تَهْمِـي وبالرِّضـا والعفـوِ أرجـو خَتْمِـي



---

(١) لم يذكر رابع الخلفاء عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه لأنه لم يدفن بالمدينة.

ذِكْرُ الشامِ وفضائلِها ومَحاسِنِ رياضِها ومُتَنَزَّهاتِها وما وَرَدَ فيها مِن الأحاديثِ والآثارِ وأقوالِ أصحابِ الأخبارِ

فمِن ذلكَ أن الشامَ مَوطِنُ الأنبياءِ عليهم الصلاةُ والسلامُ، ومعدِن الزُّهَّادِ والعُبَّادِ.

❁ عن عون[1] بن عبد الله بن عتبة رضي الله تعالى عنه، قال: قرأتُ فيما أنزلَ الله عزَّ وجلَّ على بعضِ الأنبياءِ، أنَّ الله تعالى يقولُ: الشّامُ كِنانَتِي، فإذا غَضِبْتُ علَى قَومٍ رَمَيْتُهُم مِنها بِسَهْمٍ[2].

❁ وعنِ الوليدِ بنِ صالحٍ الأزديِّ، قال: في الكُتُبِ الأُوَلِ، الله تعالى يقولُ للشامِ: أنتِ الأندَرُ[3]، ومنكِ المَنشَرُ، وإليكِ المَحشَرُ، فيك ناري ونُوري، مَنْ دَخلَكِ رَغبةً فيكِ فَبِرَحْمَتِي، ومَنْ خَرَجَ عَنكِ رَغبةً عنكِ فَبِسُخطي، تَتّسعُ لأهلِها كما تتّسِعُ الرَّحِمُ لِلوَلَدِ[4].

❁ وعن زيدِ بنِ ثابتٍ رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ الله يقولُ: «يا طُوبى لِلشّامِ، يا طُوبى لِلشّامِ، يا طُوبى لِلشّامِ» قالوا: يا رسولَ اللهِ، وبِمَ ذلكَ ؟ قال: «تلكَ مَلائكةُ اللهِ باسِطُو أجنِحَتِها علَى الشّامِ»[5].

---

(١) في الأصل: عن عروة بن عبد الله. والمثبت من مصادر الخبر.

(٢) رواه الربعي في فضائل الشام ٣، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٧٥/١.

(٣) في الأصول: أنت الأنذر.

(٤) رواه الربعي في فضائل الشام ٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ١٤٢/١.

(٥) رواه أحمد في المسند ١٨٤/٥، والربعي في فضائل الشام ٤، والترمذي (٣٩٥٤)، والحاكم في المستدرك ٢٢٩/٢، وانظر ابن عساكر ١١٢/١ - ١١٥، وفي «أ»: «يا طوبى للشام» قالها ثلاثاً.

❁ وقال قتادة: أَقسَم ا للهُ تعالى بمساجدَ أربعةٍ، قالَ: ﴿والتِّين﴾ وهو مسجدُ دمشقَ، ﴿والزَّيتون﴾: وهو بيتُ المَقْدِسِ، ﴿وطُورِ سينينَ﴾: وهو حيثُ كَلَّمَ ا للهُ موسى ﷺ، ﴿وهذا البلدِ الأمينِ﴾: وهو مكّةَ، شرَّفَها ا للهُ تَعالى[1].

❁ قال عبدُ ا للهِ بنُ سلامٍ: بالشامِ من قُبورِ الأنبياءِ أَلفا قَبْرٍ وسبعُ مِئةِ قَبرٍ، وقبرُ مُوسى بدمشقَ، ودمشقُ مَعقِلُ الناسِ في آخرِ الزمانِ[2].

❁ قال ابنُ عباسٍ رضيَ ا للهُ تعالى عنهُما: مَنْ أرادَ أن يَرى المَوْضِعَ الذي قالَ ا للهُ فيه: ﴿وآويناهُما إلى رَبوةٍ ذاتِ قَرارٍ ومَعينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠] فلْيأتِ النَّيْربَ الأعلى بدمشقَ بينَ النَهْرينِ، ولْيَصْعَدِ الغارَ في جبلِ قاسيونَ، فيُصلِّ فيهِ؛ فإنه بيتُ عيسى وأمهِ، [وهو كان معقلهم من اليهود]، ومَنْ أراد أن يَنظُرَ إلى إرَمَ، فلْيأتِ نَهرًا في [حصن] دمشق، يقال لهُ: بردى، ومَنْ أرادَ أن ينظُرَ إلى المَقْبَرةِ التي فيها مريمُ بنتُ عِمرانَ والحواريّونَ، فليأْتِ مقبرةَ الفَراديسِ[3]. انتهى.



(١) رواه الربعي في فضائل الشام ٣٦، وابن عساكر في تاريخ دمشق ٢٠٦/١.

(٢) رواه الربعي في فضائل الشام ٥٠.

(٣) رواه الربعي في فضائل الشام ٥٠، وما بين معقوفين مستدرك منه.

ومقبرة الفراديس كانت مجاورة لمرج الدحداح، ولمّا غدا المرج مقبرة، اندمجت مقبرة الفراديس بها وشكلا مقبرة واحدة تعرف بمقبرة الدحداح نسبة إلى أبي الدحداح المحدث الذي توفي سنة ٣٧٢ هـ ودفن بها.

وأما محاسِنُ رياضِها ومتنَزهاتُها فقد كثُرَتْ بذلكَ الأخبارُ.

❁ قال ابنُ عساكر[1]: هـذهِ المدينـةُ مِنَ الإقليـمِ الثـالـثِ، طولُهـا سبعونَ درجـةً، وعرضُها ثلاثةٌ وثلاثونَ درجةً، طالِعُها بُرْجُ السنبُلةِ، وصاحِبُ ساعةِ بنائِها عُطارِدُ.

وقال[2]: [وبلَغـني] مِـن وجـهٍ آخـر، أنَّ الـذي بَنَـى دمشـقَ، بناهـا علـى الكواكـبِ السبعةِ، وأنَّ طالِعَ بنائِها المُشتري، وجعل لها سبعةَ أبوابٍ، وَصَوَّرَ على كُلِّ بابٍ أحدَ الكواكبِ السبعةِ.

وناهيكَ من بَلَدٍ هي لِلأَبْدالِ وطـنٌ، ولِلأَبْـرارِ سَـكَنٌ، ومعقِـلُ الإسـلامِ يـومَ تَشـتَدُّ الفِتَنُ.

❁ وقال غيرُهُ: إنَّ أولَ مَنْ بناها اليونان، وهـمُ الذيـن وضعـوا الأرصـادَ، وتكلّمـوا على حركاتِ الكواكبِ واتصالاتِها، وبنَوا دِمشْقَ، واختاروا لَها هـذهِ البُقْعَـةَ، إلى جـانبِ الماءِ الواردِ من بينِ هذينِ الجبلينِ، وصَرَفُوا أنهارَها تجري إلى الأماكنِ المرتفعَـةِ والمنخفضـةِ، وسلَكوا الماءَ إلى دُورِها، وبنَوا هذا المعبدَ، وهو الجامعُ اليومَ، وإنَّهم مكثوا يأخذونَ الطـالِعَ لبناءِ دمشقَ ثمانيَ عشرَةَ سنةً[3].

❁ وقال القَلَقْشَندي في كتابهِ «صُبـح الأعشـى»[4]: دِمَشْـقُ، بكسـرِ الـدَّال، وفَتْـحِ الميمِ، وسكونِ الشينِ المُعْجَمَةِ، وَقَافٍ في الآخر، وتُسمَّى أيضًا جِلِّقَ، بجيم مكسـورةٍ، ولامٍ مشددةٍ.

---

(١) لم أجد قوله في المطبوع من تاريخ ابن عساكر.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١/١٥.

(٣) في الأصل: ثمانية عشر سنة.

(٤) صبح الأعشى ٤/٩٤.

❋ وحكى في «الرَّوْضِ المِعطَارِ»[1] تسميَتها جَـيْرُوْنَ، بفتـح الجيـم، وسـكونِ اليـاء المُثَناة تحت، وضمّ الراءِ المُهملَةِ، وسكونِ الواوِ، ونونٍ في الآخر.

وسمّاها في موضعٍ آخرَ: العَذْراء[2]، بفتـح العيـنِ المُهملَـةِ، وسـكونِ الـذالِ المُعْجَمَـةِ، وفتحِ الراءِ المُهْمَلَةِ، وأَلِفٍ بعدَها.

وموقِعُها: في أواخر الإقليمِ الثالثِ من الأقاليمِ السبعةِ.

❋ قـال في «القـانونِ»: وطولُهـا سِتُّونَ درجـةً، وعرضُهـا ثـلاثٌ وثلاثـونَ درجـةً وثلاثونَ دقيقةً.

وقد اختُلِفَ في بانيها، فقيلَ: بناها نوحٌ عليه السلام، وذلكَ أنّه لمّا نزلَ منَ السفينةِ بَنَى دمشقَ.

وقيلَ: بناها جَيْرُونُ بنُ سَعْدٍ بنِ عادٍ، وبهِ سُمِّيتْ جَيْرونُ[3].

ويُقالُ: إنَّ جَيْرونَ وبَريدَ كانَا أخوينِ، وهما ابنا سعدِ بـنِ لُقْمـانَ بـنِ عَـادٍ، وبهمـا يُعرَفُ بابُ جَيْرونَ وبابُ البريدِ مِن أبوابِها[4].

وقيلَ: بناها العـازرُ[5]، غـلامُ إبراهيـمَ عليه السلام، وكـانَ حبشـيًّا، وَهَبَـهُ لَـهُ نُمـروذُ بـنُ كنعانَ، حينَ خَرجَ إبراهيمُ منَ النارِ، وكان اسْمُهُ دمشقَ، فسمَّاها باسْمِهِ[6].

❋ وفي كتابِ «فضائِلِ الفُرْسِ» لأبي عُبيدةَ، أنّ بيوراسب ملكَ الفُرسِ بناها[7].

---

(١) الروض المعطار ١٨٦.

(٢) الروض المعطار ٤٠٩.

(٣) انظر تاريخ دمشق ١١/١.

(٤) تاريخ دمشق ١١/١.

(٥) في الأصل: الغادر، والمثبت من تاريخ دمشق ١٢/١.

(٦) تاريخ مدينة دمشق ١٢/١.

(٧) تاريخ مدينة دمشق ١٢/١، وفي الأصول: أبو عبيد، والمثبت من تاريخ مدينة دمشق.

وقيلَ: إنّ الذي بناها ذو القرنين، عندَ فَراغهِ من السَّدِّ، ووكّلَ بعمارتِها غُلامًا اسمُهُ دِمَشْقِش، وسكنها دِمَشْقِشُ، وماتَ فيها، فسُمِّيتْ بهِ[1].

وهي مدينةٌ عظيمةُ البناءِ، ذاتُ سورٍ شاهقٍ، ولها سبعةُ أبوابٍ.

❁ ورَوى الحافِظُ ابنُ عساكرَ، عن أبي القاسمِ تمام[2]، أنَّ بانيها جعلَ لكلِّ بابٍ من هذهِ لِكَوكَبٍ من الكواكبِ السبعةِ، وصوَّرَ عليه صُورَتَهُ.

وبكلِّ حالٍ، فهي مدينةٌ حَسَنَةُ الترتيبِ، جليلةُ الأبنيةِ، وغوطتُها أحدُ منتزهاتِ الدنيا العجيبةِ، المفضّلةِ على سائرِ منتزهاتِ الأرضِ، وكذلكَ الربوةُ، وهي كَهْفٌ في فمِ واديها الغربيِّ، عندهُ تنقسِمُ مياهُها، يقالُ إنَّ بهِ مَهْدَ عيسى ﷺ، وبها الجوامِعُ والمدارسُ، والخوانِقُ والرُّبُطُ والزوايا، والأسواقُ المرتّبةُ، والدُّورُ الجليلةُ المفروشةُ بأنواعِ الرُّخامِ، ذاتُ البِرَكِ بالماءِ الجاري، وربَّما جَرى الماءُ في الدارِ الواحدةِ في عِدَّةِ أماكنَ منها، والماءُ مُحْكِمٌ عليها مِن جميعِ نواحيها بإتقانٍ مُحْكَمٍ، وهي في وطأةٍ مستويةٍ منَ الأرضِ، بارزةٍ عن الوادي المنحَطِّ عن منتهى ذيلِ الجبَلِ، منكوسةِ الجوانبِ لِمَمَرِّ الهواءِ، إلاّ منَ الشّمالِ، فإنّه محجوبٌ بجبلِ قاسيونَ، وبذلكَ تُعابُ وتنسَبُ إلى الوَخامَةِ.

❁ قالَ في «مسالكِ الأبصارِ»: ولولا جبلُها الغَربيُّ المُلْبَسُ بالثلوجِ صَيْفًا وشتاءً، لكانَ أمرُها في ذلكَ أشدَّ، وحالُ سُكانِها أشقَّ، ولكنهُ درياقُ ذلكَ السُّمِّ، ودواءُ ذلكَ الداءِ، وعنايةُ أهلِها بالمباني كثيرةٌ، ولهم في بساتينِهم منها ما تفوقُ بهِ وتحسُنُ.

وبإزاءِ المدينةِ في سفحِ جبلِ قاسيونَ مدينةُ الصالحيةِ، وهي مدينةٌ ممتدَّةٌ في سفحِ الجبلِ، تُشرِفُ على دمشقَ وغوطتِها.

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٣/١.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١٥/١.

ومَسْقَى دمشقَ وبساتينِها من عَيْنَين[1]: البعيدةِ منهُما دونَ قريةٍ تُسمَّى الزبداني، ودونَها عينٌ بقَرْيةٍ تُسمَّى الفيجة، بذيلِ جبلٍ يخرجُ الماءُ منهُ، مِن صَدْعٍ في نهايةِ أسفلِهِ، قد عُقِدَ على مَخْرَجِ الماءِ منهُ عَقْدٌ رُوميُّ البناءِ[2]، ثم ترفِدهُ منافعُ في مجرى الماء من النّهرِ، ويُسمَّى هذا الماءُ نهرَ بردى.

ثم يقسم النهر على سبعة أنهُرٍ:

أربعةٌ غربيَّةٌ، وهي: نهرُ داريا، ونهرُ المزّةِ، ونهرُ القَنواتِ، ونهرُ بانياسَ.

واثنانِ شرقيانِ، وهُما: نهرُ يزيد، ونهر ثورا.

ونهرُ بردى مُمتدٌّ بينهم، وسيأتي الكلام عليهم[3] إن شاء الله تعالى.

فأَمَّا نهرُ بانياسَ ونهرُ القنواتِ، فهما نَهرا المدينةِ، حاكِمانِ عليها، ومُسَلَّطانِ على دُورِها.

ويدخلُ نهرُ بانياسَ القلعةَ، ثم ينقسِمُ قِسمينِ: قِسْمٌ للجامعِ، وقِسمٌ للقَلْعَةِ، كلُّ قِسمٍ مِنهما على أقسامٍ كثيرةٍ، ويتفرَّقُ في المدينةِ بأصابعَ مُقدَّرةٍ معلومةٍ.

وكذلكَ ينقسمُ نهرُ القنواتِ في المدينةِ، ولا مَدْخَلَ له في القلعةِ[4] ولا الجامع، ويجري الماءُ في قِنيً مدفونةٍ في الأرضِ، إلى أنْ يَصلَ إلى مُستحقّاتِها بالدُّورِ والأماكنِ على حَسَبِ التّقسيمِ، وسيأتي تَمامُ الكلامِ على ذلك[5].

---

(١) انظر نهر بردى وما يتفرع عنه مفصلاً صفحة: ١٦٥.

(٢) هو هيكل وثني بُني فوق نبع عين الفيجة، ثم غدا حصناً عُرف بقلعة عزّتا اتّخذ معقلاً زمن الدولة الأيوبية وما بعدها لسجن الملوك والأمراء والمشايخ. ولم يبق منه الآن سوى قسم من جدار قائم في شمالي خزان مياه الفيجة. الريف السوري ٣٣٨/٢.

(٣) كذا في الأصل: بينهم... عليهم.

(٤) جاء في هامش (أ) ما نصه: قوله: (ولا الجامع) هذا ذكره المؤلف قبل جريان الماء إليه من القنوات، وقد أجراه المرحوم الوزير عثمان باشا، وجعل له شادروان.

(٥) انظر صفحة: ١٦٥ من كتابنا.

مِن جُملةِ مدائِنِ الجَنَّةِ، والمأهولةُ بالأَهِلَّةِ مِن أربابِ الكتابِ والسُنَّةِ، والمعروفـةُ بــ ﴿إِرَمَ ذَاتِ العِمَادِ﴾ والمَوصُوفةُ بـ ﴿لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾[1] [الفجر : ٧ ، ٨].

❁ وقال الدَّماميني الإسكندري[2]: تأمَّلَها المملوكُ، فإذا هي جنـةٌ ذاتُ رَبـوةٍ وقـرارٍ ومَعينٍ، وبلدةٌ تبعثُ محاسِنُها البِكْرُ على حُسْنِ الوصفِ وتُعينُ، وحُسْنُها بالجامعِ[3] الفـارقِ بينَها وبينَ سواها، والأنهارِ التي إذا ذُكِرَتْ قَبْلَ المَحْلِ فما أجراها، وما أقولُ إلاّ مُنتزهـاتُ مِصرَ عاريةٌ مِن المَحاسنِ، وهذهِ ذاتُ الكِسوةِ، والنِّيلُ ما احترقَ إلاّ مِنَ الأَسَـفِ، حيـثُ لَمْ يُسْعِدْهُ الدهرُ بالصُّعودِ إلى تلكَ الرَّبوةِ، وَحُقَّ لِمِصرَ ألاّ تُجري حديثَ المُفاخرةِ في وَهْمِها، وأنْ تَتَّـقي شرَّ المنازَعةِ قبلَ أنْ تُصابَ مِن هذه البلدةِ بِسَهمِهَا.

❁ وقال غيرُه: هي ذاتُ الشَّرفِ الأعلى، والسَّهمِ المُعلَّى، والمَورِدِ الأحلى، والرَّوضِ المُحَلَّى، والمَحاسنِ التي تقول للمُضاهِي هكذا هكذا وإلاّ، جبهتُها واضِحةُ الجَبينِ, ورَبوتُها ذاتُ قرارٍ ومَعينٍ، وجَنْكُها[4] المُطرِبُ شامخُ العِرنينِ. [البسيط]

أمَّـــا دمشـــقُ فَجَنَّـــاتٌ مُعَجَّلَـــةٌ   للطّـالبينَ، بهـا الوِلـدانُ والحُـورُ[5]

(١) نزهة الأنام ٤٤، ٤٥.

(٢) هو محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي القرشي، بدر الدين، المعروف بالدماميني (٧٦٣ - ٨٢٧ هـ)عالم بالشريعة وفنون الأدب، ولد بالإسكندرية، واستوطن القاهرة، ولازم ابن خلدون، وتصدر للإقراء بالأزهر، ثم تحول لدمشق، وعاد لمصر، فولي قضاء المالكية، ثم رحل لليمن، وانتقل إلى الهند، فمات فيها، له مؤلفات عدة، منها تحفة الغريب شرح مغني اللبيب.. الأعلام.

وكلامه في نزهة الأنام ٤٨، ٤٩. وجاءت فيه كلمة (منتزهات) (متنزهات) على الصواب.

(٣) في نزهة الأنام: محاسنها الفكر.. وحسبها بالجامع.

(٤) انظر الحاشية (٣) صفحة (١٥٦).

(٥) البيت لعرقلة الكلبي، الديوان ٤١، وانظر خريدة القصر (قسم الشام) ٢٠٤/١.

❁ وقال في «عَرْف الطِّيبِ»[1]: دمشـقُ الشـامِ، ذاتُ الحُسْـنِ والبَهـاءِ والاحتِشـامِ، والأدواحِ المَتنوِّعةِ، والأرواحِ المُتضوِّعَةِ... والغُوطةِ الغَنَّاءِ والحديقةِ... والزهرِ الـذي تَخالُـهُ مَبْسِمًا والنَّدى ريقُه... فهيَ المدينةُ المُسـتَولِيةُ على الطِّبـاعِ، المَعمـورَةُ الرُّبـوعِ والبِقـاعِ... أنهارُها ذاتُ انسجامٍ، تَـتْرَعُ فيهـا مِـن جريـالِ الأُنْـسِ جَـامٌ، وأزهـارٌ مُتوَّجَـةُ الأدواحِ[2]، مُرَوِّحَةٌ للنُّفوسِ بعاطرِ الأرواحِ... جنـانُ أفنانِهـا في الحُسْنِ ذَواتُ افْتنـانٍ... وبطـاحٌ راقَ سَناها، وكَمُلَ حُسْنُها وتناهى.

❁ وقالَ ابنُ جُبَيْرٍ في «رِحلَتِهِ»[3]: هي خاتِمةُ البلادِ التي استَقْريناهَا، وعَروسُ المُـدنِ التي اجتنَيناها[4]، قد تحلَّتْ بأزاهرِ الرياحينِ، وحَلَّتْ مِن الحُسْـنِ بمكـانٍ مَكـينٍ، وتَشـرَّفَتْ بأنْ آوى اللهُ تعالى المسيحَ وأمَّهُ منها ﴿إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون : ٥٠].

❁ وقالَ المَقَّريُّ[5] رحِمَهُ اللهُ تعالى: دَخلْناها فَرأَينا من مَحاسنِها ما لا يَستَوفيهِ مَـنْ تأنَّقَ في الخِطابِ، وأطالَ في الوَصفِ وأطابَ، وإنْ مَلأَ مِن البلاغـةِ الوِطـابَ.. فللّهِ مرآهـا

---

(١) هو «نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب» ١/٥٨، ٦٥، ٦٦.

(٢) في نفح الطيب ١/٦٥: للأدواح.

(٣) رحلة ابن جبير، صفحة ٢١٠.

(٤) في رحلة ابن جبير: التي اجتليناها.

(٥) نفح الطيب ١/٥٨، ٥٩، ٦٨، والشعر للمقري المؤلف نفسه.

وهو: أحمد بن محمد بن أحمد أبو العباس المقري – نسبة إلى مقرّة، من قرى تلمسان – التلمساني (٩٩٢ - ١٠٤١ هـ) المؤرخ، الأديب، الحافظ، صاحب «نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب»، ولد في تلمسان، وارتحل إلى فارس، فكان خطيبها والقاضي بها، ومنها إلى القاهرة سنة ١٠٢٧هـ، وتنقل في الديار الشامية والحجازية، توفي في مصر، وقيل توفي في الشام مسموماً، وله شعر حسن، ومزدوجات رقيقة، وأخبار ومطارحات مع أدباء عصره. الأعلام.

الجميلُ الجليلُ! وبيوتُها التي لم تَخرُجْ عن عَروضِ الخليل! ومَخْبَرُها الذي هو على فَضْلها وفَضلِ أهلِها أدلُّ دليلٍ! ومَنظرُها الذي ينقلِبُ البَصرُ عن بَهجتهِ وهو كليلٌ. [المجتث]

مَحاسِنُ الشَّامِ أَحْلى[1] مِنْ أَنْ تُسَامَ بِحَدٍّ
لولا حِمَى الشَّرعِ قُلْنا ولَمْ نَقِفْ عندَ حَدٍّ
كأنَّها مُعْجِزاتٌ مَقرونةٌ بالتَّحَدِّي

وبالجُملةِ، فالاعترافُ بالحقِّ فريضةٌ، ومحاسِنُ الشامِ وأَهْلِهِ طويلةٌ عريضةٌ.

ولو استقْصَيْتُ هذا البابَ لَطالَ، وأكسبَ قارئَهُ المِلالَ، ولْنَقتصِرْ عَلَى ما حَرَّرْناهُ، ونكتفي بما أوردْناهُ.

❁ **وأمَّا جامِعُها**[2]: فَقد ملأَتْ مَحاسِنُهُ المَهارِق، وامتلأَتْ مِن أخبارِهِ دواوينُ المَغاربِ والمَشارق. [الطويل]

مَحاسِنُ تَهدي المادِحينَ لِوَصْفِها فَيَحسُنُ فيها منهُمُ النَّثرُ والنَّظمُ

وأحسنُ ما قيلَ فيهِ، بلْ مِن أصْدقِ التَّمثيلِ والتَّشبيهِ قولُهُ: [من البسيط]

كأنَّهُ فَلَكٌ والعاكفونَ بهِ بدورُ تَمٍّ عَلاها السَّعْدُ والشَّرَفُ

---

(١) في نفح الطيب: الشام أجلى.

(٢) الجامع الأموي قلب دمشق وفخرها ومنبر العلم وراية جند الشام، كان في مطلع الألف الأول قبل الميلاد معبد حَدَد الآرامي، ثم تحول زمن الرومان إلى معبد جوبيتر، ثم غدا كنيسة عرفت بكنيسة يوحنا المعمدان (النبي يحيى عليه السلام) وذلك في أواخر القرن الرابع الميلادي، وبعد الفتح الإسلامي لدمشق تحوّل نصفه إلى جامع، وقد شرع في عمارته الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك بن مروان سنة ٨٦ للهجرة، واستغرق بناؤه عشر سنوات وأنجز في خلافة سليمان بن عبد الملك، وأنفق في عمارته أموالاً كثيرة حتى أصبح غاية في الروعة والجمال، ويشتهر بمآذنه (مئذنة عيسى ـ مئذنة العروس) وبقبته قبة النسر.

❁ وقالَ الآخرُ[1]: [من الطويل]

تقـولُ دِمشـقُ إذْ تُفـاخِرُ غيرَهـا ... بِمَعْبَدِهـا الزَّاهـي البَديـعِ المُشَـيَّدِ
جَـرَى لِيُبـاهي حُسْـنُهُ كُـلَّ مَعْبَـدٍ ... (ومـا قَصَبـاتُ السَّبْقِ إلاَّ لِمَعْبَـدِ)[2]

❁ وقالَ الآخرُ: [من الوافر]

دمشـقٌ لمْ تَـزَلْ لِلشَّـامِ وَجْهًـا ... ومَسـجِدُها لِوَجـهِ الشـامِ شـامَهْ
أدامَ اللهُ بهجَتَـهُ وأبْقَـى ... مَحاسِـنَهُ إلى يـومِ القِيامَـهْ
مُصَلّـىً فيـهِ لِلـرَّحمنِ سِـرٌّ ... ومثـوًى لِلقَبـولِ بـهِ علامَـهْ[3]

❁ ولِصَديقِنا الفاضِلِ البارعِ، مُصطفى أسعد اللُّقَيميّ الدّمياطي[4] من قصيدةٍ فيهِ: [من الوافر]

حِمًـى عنـدَ المَشـارقِ أنبأَتْنـا ... أحـاديثَ الضِّيـا سَـندًا قويّـا
تَسـامَى إذْ حَـوَى مَولًـى رسـولاً ... حَصُـورًا سـيِّدًا بَـرًّا تَقِيّـا
دمشـقُ الشـامِ مِـنْ عَليـاهُ تَسْـمُو ... بمشـهدِهِ الشّـريفِ ذرًى عَلِيّـا
فَبُشـرَى لِلّـذي وافـى حِمَـاهُ ... يَحُـوزُ سَـعادةً مَيْتًـا وحَيّـا



(١) قال البدري في نزهة الأنام ص٤٦: ونقلت من خط الشيخ صلاح الصفدي قوله فيه.

(٢) عجز البيت لأبي تمام، وصدره: محاسن أصناف المغنين جمّة. الديوان ٢/٢٩. ومعبد: المغني المشهور. انظر الحاشية (١) صفحة ٢٠٩.

(٣) الأبيات في نفح الطيب ٢/٣٩٠ من غير عزو.

(٤) هو مصطفى أسعد بن أحمد بن سلامة اللقيمي الشافعي (١١٠٥ - ١١٧٨ هـ) حاسب، من الشعراء الكتاب، ولد ونشأ في دمياط، وسكن دمشق إلى أن توفي بها، ونسبته إلى لقيم بلدة بالطائف، وأصل أجداده منها، من كتبه «موانح الأنس بالرحلة إلى وادي القدس» و «رسائل الحساب والفرائض»، وديوان شعر. سلك الدرر ٤/١٨٠.

فصلٌ فيما قيلَ في الشام ومحاسنِها وذكرِ جامِعِها مِنَ الشِعْـرِ وما تَفَنَّنَتْ به الشعراءُ مِنْ ذكرِ رياضِها ومياهِها وحُسْنِ مُنْتَزَهاتِها

التي تأخذُ[1] بِمَجامعِ القلوبِ، وتُسْكِرُ الأسماعَ من سُلافَةِ أَخبارٍ هي أشْهى مِنْ وِصَالِ المحبوبِ، وتَبعَثُ الأحداقَ للتَنزُّهِ في حدائِقِها المُطَّرِدَةِ الحِياض، وأنهارِها التي تساهمَتْ تلكَ الخمائلَ والغياضَ، يا لها من رياضٍ ماسَتْ أعطافُ أغصانِها، وتكلَّلَتْ بجواهرِ الأزاهرِ أجيادُ قُضبانِها، وقد أحاطتْ بها الأنهارُ، كما يُحيطُ بالمِعْصَمِ السِّوارُ!

فللّهِ دَرُّ القائلِ فيها: إنْ كانَتِ الجَنَّةُ في الأرضِ، فدمشقُ لا شكَّ فيها، فإنها حِمًى، تَتَقاصَرُ عن إدراكِ وصفِها أَعناقُ الفصاحةِ، وتُقَصِّرُ عن مُناولةِ ضَبْطِ محاسِنِها في ميدانِ الأوصافِ كلُّ راحة.

فمَنْ شَرَّفَها بذكرهِ إيَّاها جنابُ سِدْرَةِ منتهى العارفِينَ، والجوهرُ المُركَّبُ مِنْ عُنصرَيْ عِلْمٍ ودين، كشّافُ غوامضِ المُشكلاتِ في عِلمَي الباطن والظاهر، إمامُ الحضرَةِ القُدسيَّةِ المُودَعةِ في قلوبِ أهلِ العرفانِ المُشرِقَةِ شموسُها في سماءِ المَظاهرِ، الأستاذُ الذي كَمُلَتْ بالقرب معانيه، فإذا عزوتُ لهذا اللفظِ شِعرًا فهو الذي أعنيه، مَنْ تزيَّنتْ بتاجِ ذِكْرِهِ هامُ الأيامِ، وتاهتْ به على سائرِ الأمصارِ دمشقُ الشامِ، صاحبُ المقامِ القُدسيِّ،

(١) الأصل: الذي تأخذ.

مولانا عبدُ الغني النابلسيّ[1]، لا زالتْ سُحُبُ الرّحمةِ مُخيِّمـةً على مَضْجَعِـهِ، وتحايـا المُـزنِ يتلوها لِسانُ الرّعدِ على مَسْمعِهِ، فقالَ: [من الكامل]

١- إنْ سـامَكَ الخطـبُ المَهُـولُ فَأَقْلَقـا … انـزلْ بـأرضِ الشـامِ واسْـكُنْ جلّقـا

٢- تَجـدِ المـرامَ بهـا وكُـلَّ مُنـاكَ بـلْ … وتَـرَى بهـا عِـزًّا وتَفْصُـحُ مَنْطِقـا

٣- بلـدٌ سَـمَتْ بـينَ البـلادِ مَحاسِـنًا … ونَمَـتْ بهـاءً واسْـتَزادَتْ رَونَقـا

٤- لا ينبغـي حَـثُّ الرِّكـابِ لِغَيرِهـا … هـامَ الفـؤادُ بِحُسْـنِها فَتعلَّقـا

٥- حَسْـبِي ﴿وآويناهمـا﴾ فَضْـلاً لهـا … قـدْ جـاءَ في القـرآنِ[2] ذاكَ مُحَقَّقـا

٦- هـيَ صفـوةُ الدُّنيـا وشـائِعُ فَضْلِها … بـالقُدسِ والحَرَمَيْـنِ أضْحـى مُلْحَقـا

٧- زادَ السُّـرورُ بِهـا لِكُـلِّ مُعَـرِّجٍ … لاسـيَّما إنْ كـانَ مِـنْ أهـلِ التُّقـى

٨- إنْ تَعشَـقُوا وطنًـا فـذا أَوْلـى لَكُـم … دُونَ البـلادِ بـأَنْ تُحَـبَّ وتُعْشَـقا

٩- خَـيرُ الأُنـاسِ أُناسُـها يَرْعَـوْنَ أنْـ … ـواعَ الـودادِ ويَحْفظُـونَ المَوْثِقـا

١٠- هـيَ جنَّـةٌ للطـائِعينَ مُعَـدَّةٌ … يتمتَّعـونَ ولا يَـرَوْنَ بهـا شَـقا

١١- طـابَتْ هـواءً للنفـوسِ وماؤُهـا … عَـذْبٌ زُلالٌ سـائِغٌ لِمَـنِ اسْـتَقى

١٢- وبهـا تَـرى الولـدانَ والحُـورَ الـتي … وعَـدَ الإلـهُ بِهِـنَّ في دارِ البَقـا

١٣- جَلَّـتْ محاسِـنُها عـنِ التَّعْـدادِ فلْـ … ـنَـأتي بمـا يُختـارُ منـه ويُنْتَقـى

١٤- يـا حُسْـنَ واديهـا وطِيْـبَ شَـميمِهِ … قَـدْ فـاحَ عَـرْفُ الزَّهْـرِ فيـه وعَبَّقـا

---

(١) عبد الغني بن إسماعيل النابلسي (١٠٥٠ - ١١٤٣ هـ)، شاعر، عالم بالدين والأدب، مكثر من التصنيف، متصوف، ولد ونشأ في دمشق، رحل إلى بغداد، وتنقل في بلاد الشام، وسافر إلى مصر والحجاز، واستقر في دمشق، وتوفي بها.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٥٠.

١٥- وتراسلَتْ أطيارُهُ بينَ الرُّبا   سَحَرًا فَهيَّجَتِ القُلوبَ الشُّيَّقا

١٦- للهِ أيامُ الجُموعِ بظلِّهِ   كادَتْ بأيامِ الصِّبا أن تُلْحَقا

١٧- كيفَ اتَّجَهتَ يَخِرُّ نَحوَكَ ماؤُهُ   وإليكَ يَركَعُ كُلُّ غُصنٍ أَوْرَقا

١٨- يا حبَّذا إشراقُ مَرْجَتِها التي   أضحى غَنِيُّ الهَمِّ فيها مُمْلِقا

١٩- عَذُبَتْ جَداوِلُها فطابَتْ مَوْرِدًا   تحكي الصَّوارِمَ صَيقلاً وتأَلُّقا

٢٠- وتَلاعَبَتْ فُرسانُها وتراكَضَتْ   ما بَيْنَها تعلو الجِيادَ السُّبَّقا

٢١- لم أنسَ بالنَّوروزِ مَحفَلَها الذي   بِسُرورِهِ قلبُ الحزينِ تَعلَّقا

٢٢- جَمَعَ الأنامَ أكابِرًا وأصاغِرًا   وحَوى المِلاحَ مُقَرْطَقًا ومُمَنْطَقا

٢٣- والرَّبوةُ الفَيحاءُ يا نَسَماتِها   مُرِّي عَلَيَّ ورفرفي عِندَ اللِّقا

٢٤- أيامَ قَطْعِ النَّهْرِ يُوصَلُ شَمْلُنا   بأَحِبَّةٍ أَلِفُوا الخَلاعةَ مُطْلَقا

٢٥- بالقاسيونِ قَسَتْ قُلوبُ أَحِبَّتي   وَلَكَمْ سَرَى فيهِ الصَّبا فَترَفَّقا

٢٦- جَبَلٌ كثيرُ الخَيْرِ كَلَّمَهُ الإلـ   ـهُ فَجالَ في ذاكَ اللسانِ وأَنْطَقا

٢٧- كَمْ مِنْ وَلِيٍّ قَدْ تَوَسَّدَ سَفْحَهُ   بَلْ مِنْ نَبِيٍّ حَلَّ فيهِ مُحَقَّقا

٢٨- وكذلكَ الشهداءُ فيه تَخالُهُمْ   أحياءَ مِنْ عَدَمِ البِلاءِ وَرُزِّقا

٢٩- ومَغارَةُ الدَّمِ[1] والمحاريبُ التي   للأَربعينَ مِنَ الرِّجالِ ومَنْ رَقا

---

(١) مغارة الدم: أعلى جبل قاسيون في دمشق، ذُكر أن هابيل قُتل بها، وأن أثراً من دمه ما يزال سائلاً يلمع، جعله الله آية للعالمين، وهي موضع الحاجات والمواهب، والله لا يردُّ سائلاً في ذلك الموضع، وقد نزل بها يحيى بن زكريا وأمه أربعين عاماً، صلى فيها عيسى بن مريم والحواريون، وأن عدداً من الأبدال تجتمع بها في الليالي الفاضلة. انظر زيارات الشام، صفحة ٢٠، وفضائل الشام، صفحة ٦٢.

٣٠- ومَغَارةُ الجوعِ[1] التي قالوا بها ... كمْ مِنْ نَبيٍّ ماتَ جُوعًا فالتَقى[2]

٣١- للهِ سَفْحُ النَّيْرَبَيْنِ فكَمْ بهِ ... مِن رَوضةٍ غَنَّاءَ طابَتْ رَوْنَقا

٣٢- ضَحِكتْ أزاهِرُها على أغصانِها ... فأتى النَّسيمُ بمَيْلِهنَّ وصفَّقا

٣٣- قدْ دَنْدَنتْ أنهارُها في جَرْيِها ... لمَّا شَدَا ذاكَ الحَمَامُ وشَقْشَقا

٣٤- والصَّالحيةُ يا لَها مِنْ مَنزِلٍ ... فيها قُبورُ الصالحينَ أُولي التُّقَى

٣٥- وبها القصورُ العالِياتُ تَزخْرَفتْ ... مِثلَ النُّجومِ زَهَتْ بكلِّ مَن ارْتَقى

٣٦- تسمو على أَطْرافِ جِلِّقَ بهجةً ... وطلاوةً فيها السُّرورُ تَحقَّقا

٣٧- سُقِيَتْ دمشقُ الشَّام صَوْبَ غَمامَةٍ ... أشْفَى على غِيْطانِها فتَدفَّقا

٣٨- كمْ نُزْهةٍ للعينِ فيها قد زَهَتْ ... وسرَتْ على طَرْفِ الهُمومِ فأطرَقا

٣٩- ما الجامعُ الأُمَويُّ إلاّ نُزْهَةٌ ... فيها تَراهُ بالعِبادة مُشْرِقا

٤٠- قَدْ أتْقَنتْ صُنّاعُهُ بُنيانَهُ ... فأتى المُزَخْرفُ زانَه وتأنَّقا

٤١- ولِرأسِ يَحيى فيه نُورُ مَهابَةٍ ... ما بينَ هاتيكَ السَّواري أشْرَقا

٤٢- والحائِطُ القِبلِيُّ زادَ جلالُهُ ... بمَقامِ هُودٍ[3] مَنْ يَزُرْهُ تَحقَّقا

٤٣- وانْظرْ مكانَ التِّينِ[4] فيهِ مُبَلَّطًا ... لا زالَ في الجُمُعاتِ يَجْمَعُ صَنْجَقا

---

(١) مغارة الجوع: أعلى جبل قاسيون بدمشق، مات بها أربعون نبياً من الجوع، وهو مكان شريف، الدعاء فيه مستجاب. انظر الزيارات، صفحة ٥.

(٢) كذا الأصول، ولعلها: جوعاً فارتقى.

(٣) جاء في تاريخ ابن عساكر ٢/٨، ٩، ٢٨ أن هود عليه السلام أسس الحائط القبلي من مسجد دمشق، وبنى حيطانه الأربعة. وما زال مقامه قائماً على يسار منبر المسجد في الحائط القبلي.

(٤) روى ابن عساكر ٢/٦ عن محمد بن شعيب قال: سمعت غير واحد من قدمائنا يذكر أن ﴿والتين﴾ مسجد دمشق، وأنهم أدركوا فيه شجراً من تين قبل أن يبنيه الوليد.

٤٤- وتَــرى دُروسَ العِلْـــمِ فِيـــهِ دائِمًـــا ... في كُــلِّ فَــنٍّ مَــنْ تَداوَلَــهُ رَقــا

٤٥- وعلــى كَراسِــيهِ رَقَــتْ وُعَّاظُــهُ ... تَتلُــو أحــاديثَ النَّبــيِّ المُنْتَقَــى

٤٦- مِــنْ كُــلِّ مَــنْ لَــو مِلْــتَ مُسْتَمِعًا لــه ... شــاهدْتَ حــالَ النــاسِ في دارِ البَقــا

٤٧- يــا ليلــةَ النِّصــفِ الشَّــريفةَ فــازَ بالــ ... إسعادِ مَنْ قَــدْ كــانَ فيــكِ مُوَفَّقــا

٤٨- هــذي قِبــابُ النُّــورِ تُشْــعلُ في الدُّجــى ... لا يســتطيعُ لهــا امْــرُؤٌ أنْ يَرمُقــا

٤٩- مِــن كــلِّ شمــسٍ نِيــطَ أَوْجُ كَمالِهــا ... بمُفَتَّــلٍ حتــى سَــمَتْ فتعَلَّقــا

٥٠- وثــلاثُ هــاتيكَ المــآذنِ تَنجَلــي ... مِثْلَ العرائِــسِ قــدْ لَبِسْــنَ اليَلْمقَــا(١)

٥١- مِــنْ فَوقِهــا أَهْــلُ الأذانِ تَراسَــلوا ... بِــتَرَنُّمٍ يُشْــجِي الفُــؤادَ الشَّــيِّقا

٥٢- مِنْ كلِّ مَنْ لــو رُحْــتَ تَسْــمَعُ صَوتَــهُ ... لَحَسِــبْتَهُ فَــوقَ الأراكِ مُطَوَّقــا

٥٣- والعَشْــرَةُ الأبــوابُ لَمّــا أنْ زَهَــتْ ... فَتَحَــتْ علــى المُشتَاقِ بابًــا مُغْلَقــا

٥٤- صُفِّــتْ بهــا الحَلْــوى أفانينًــا فَمَــنْ ... وافَــى غَنِيًّــا راحَ عنهــا مُمْلِقــا

٥٥- لمْ أَنْــسَ لَيــلاتِ الصِّيــامِ وأُنْسَــها ... فيــهِ لَعَمْــري فهــي لَيــلاتُ اللِّقــا

٥٦- تَتَلَقَّــتُ الآرامُ حَــولَ قِبابِــهِ ... فَــتزيدُ نُــورًا ســاطِعًا وتَأَلُّقــا

٥٧- يــا حبــذاكَ الصَّخْــرُ أشــرقَ وانْجلَــى ... فَغَــدا بِــهِ مــاءُ النَّســيمِ مُرَقْرَقــا

٥٨- مِنْ حَوْلِهِ الأســواقُ تُشــرِقُ في الدُّجــى ... مِثْــلَ النَّهــارِ بمــا بهــا قَــدْ عُلِّقــا

٥٩- فيهــا تَــرى مــا تَشــتهي وتَلَــذُّهُ ... وبيــوت قهــواتٍ شَــذَاها عَبَّقــا

٦٠- هــي شــامُنا أعلَــى الإلــهُ مَنارَهــا ... وبهــا أدامَ الله عَيْشًــا رَيِّقــا

٦١- لم تــرضَ عَينِــي غيرَهــا مِــنْ مَنْظَــرٍ ... ولــذا تَــرى قلــبي بهــا مُتعَلِّــقا

---

(١) اليلمق: القباء، فارسي معرب. متن اللغة.

ومعلوم أن للمسجد الأموي ثلاث مآذن، الشمالية منها تُسمّى مئذنة العروس.

٦٢- للهِ أيـــامٌ تَقَضَّـــتْ لِيْ بِهـــا ... مـــازلتُ نحـــوَ ظِلالِهـــا مُتَشَـــوِّقا

٦٣- حَيَّـــا الحَيـــا تِلْـــكَ الرُّبُـــوعَ فإنّهـــا ... أرضٌ تكـــادُ بفَضْلِهـــا أَنْ تَنْطِقـــا

٦٤- هـــيَ مَنْشَـــئي لا حـــاجِرٌ وطُوَيلِـــعٌ ... ومحـــلُّ أُنسـي لا الغُوَيْـــرُ ولا النَّقـــا[1]

٦٥- لُـــذْ يـــا فـــؤادُ بِمَـــنْ بهـــا مِـــنْ مَعْشَـــرٍ ... إنْ ســـامَكَ الخَطْـــبُ المَهـــولُ فأقْلقـــا

❀ وقالَ قَدَّسَ ا للهُ سِرَّهُ العَزيزَ[2]: [من السريع]

١- يـــا حبَّـــذا جِلّـــقُ مِـــنْ بَلْـــدَةٍ ... اليُمْـــنُ للأَمْـــنِ بهـــا قَـــدْ تَـــلا

٢- والخَـــيرُ والخَـــيرُ غَـــدَا سِـــتْرُهُ الضْـــ ... ـــضَـــافي علـــى ســـكانِها مُسْـــبَلا

٣- لاسِـــيَّما والـــرَّوضُ مُستبشِـــرٌ ... حيـــثُ الرّبيـــعُ الطَّلْـــقُ قـــد أَقْبَـــلا

٤- واخْضَـــرَّ وَجْـــهُ الأرضِ حتّـــى لقـــد ... كـــادَ مِـــنَ الخُضْـــرَةِ أن يَجْهَـــلا

٥- لَمْ أَنْـــسَ بـــالنَّيْروزِ يومًـــا مَضَـــى ... بالمَرْجَـــةِ الفَيْحـــاءِ ذاتِ الكَـــلا

٦- وقَـــدْ أَتَـــى يختـــالُ عَـــرْفُ الصَّبَـــا ... عنـــهُ فُـــؤادي والحَشَـــا مـــا سَـــلا

٧- كَـــم نظَـــرَتْ عيـــني بهـــا أَهْيَفًـــا ... إذا رَنَـــا يَسْـــبي الرَّشـــا الأَكْحَـــلا

٨- يـــا سَـــفْحَةَ الـــوَادي سَـــقَاكِ الحَيَـــا ... كَـــمْ فِيْـــكِ مِـــنْ يـــومٍ لنـــا قَـــدْ خَـــلا

٩- حيـــثُ النَّســـيمُ الرَّطْـــبُ في النَهْـــرِ قَـــدْ ... خـــاضَ ومِنْـــهُ سَلْسَـــلَ السَّلْسَـــلا

١٠- بـــالنَّيْرَبَيْنِ القلـــبَ أودَعْتُـــهُ ... يَشـــمُّ مـــن تلـــكَ الرُّبـــا الشَّـــمْألا

١١- للهِ أيـــامٌ تَقَضَّـــتْ لَنـــا ... بظِلِّـــهِ أَعهدُهـــا أَولا

١٢- لطـــايفٌ منهـــا الهنـــا يُجْتَنَـــى ... عفـــائفٌ فيهـــا المُنَـــى يُجْتَـــلا

١٣- قـــد كَـــبَّرَ الشـــحرورُ في دَوْحِـــهِ ... لَمّـــا رأى البُلْبُـــلَ قـــد هَلَّـــلا

---

(١) حاجر وطويلع والغوير والنقا: مواضع في البادية من جزيرة العرب.

(٢) هذه القصيدة لم أجدها في ديوانه.

١٤- وقلَّدَ الأغصانَ زهرُ الرُّبا ... والجَدْوَلُ المُنسابُ قد خَلْخَلا

١٥- وانقضَّتِ الشَمْأَلُ لمَّا هفَتْ ... كأنَّها تَختَطِفُ الجَدْوَلا

١٦- والربوةُ الربوةُ كم لي بها ... مِنْ مجلسٍ للبَالِ قد بَلْبَلا

١٧- بمَهدِ عيسى القلبَ مَهَّدْتُهُ ... فاسْتَتْمَمَ الأفراحَ واسْتَكْمَلا

١٨- كمْ مَرَّ بالمُرَّانِ لي مجلسٌ ... أُنادمُ الصَّحْبَ بهِ الكُمَّلا

١٩- محاسِنٌ لو أنَّها فُصِّلَتْ ... كَلَّ لِسانُ المَرْءِ أنْ يُجْمِلا

٢٠- ما جلَّقٌ في الشَّامِ والشامُ في الـ ... ـأرضِ سِوى إنسانِ عينِ العُلا

٢١- تَكفَّلَ الرَّحْمنُ للمُصطَفى ... بأهْلِها مِن نَازلاتِ البَلا

٢٢- وجاءَ في الآثارِ ما لَفْظُهُ ... طُوبى لأهلِ الشامِ[1] فَاسْتَرْسَلا

❁ وقالَ روَّحَ اللهُ روحَهُ: [من الطويل]

١- وصَحْبٍ سَرَيْنا في الصَّباحِ بهِمْ عَلَى ... نَجَائبِ شوقٍ للرُّبا زائدِ الحدِّ

٢- نَخوضُ إلى أَوْجِ الخمائلِ لُجَّةً ... مِنَ النَّشْرِ بعدَ الطَّيِّ منشورةَ البُرْدِ

٣- وقد عطَفَتْ بالنَّيْرَبَيْنِ حديقَةٌ ... علينا فَمِنها نحنُ في جَنَّةِ الخُلْدِ

٤- وأَرْشَفَنَا الجِرْيالَ جَدْوَلُ مائِها ... وفيها لنا قد عُطِّرَتْ نَسمَةُ الوردِ

٥- وَهَبَّتْ صَبًا في قاسيونَ فحرَّكَتْ ... صبابَةَ قلبٍ قَلَّبَتْهُ يدُ البُعْدِ

٦- وشَطٌّ يَزيدٍ[2] زادَ قلبي تَوَلُّعًا ... بمَنْ شَطَّ عنِّي والأضالِعُ في وَقْدِ

---

(١) أخرج أحمد في المسند ٥/١٨٥، والترمذي (٣٩٥٤) والحاكم ٢/٢٢٩، وابن حبان ١٦/٢٩٣ بسند صحيح عن زيد بن ثابت: قال رسول الله ﷺ يوماً ونحن عنده: «طوبى للشام» قال: «إن ملائكة الرحمن لباسطةٌ أجنحتها عليه».

(٢) انظر الحاشية رقم (٤) صفحة ١٦٩.

٧- يُجَرِّدُ سَيْفًا في الحدائق مُصْلَتًا ... بهِ قَطَعَ الأحزانَ من داخلِ الكَبْدِ

٨- عَلَيْهِ لِهاتيكَ الذَّوائِبِ أَنَّةٌ ... كأنَّهُ صَبٌّ ريعَ بالهَجْرِ والصَّدِّ

٩- أسالَتْ دمُوعًا من عُيونٍ سَوَاهِرٍ ... على خَدِّ رَوْضٍ بالنَّدى فائحِ النَّدِّ

١٠- سقى اللهُ ذاكَ العهدَ ما كان في الرُّبا ... ألذُّ وأهنا منهُ يومَ اللِّقا عِندي

❁ وقالَ أسْكَنَهُ اللهُ الفِردَوسَ: [من الخفيف]

١- قُمْ بنا نَنْهَبُ الهَنَا بُرهةً مِنْ ... بينِ أَيْدي الأيامِ ذاتِ الشَّجاعهْ

٢- نحنُ في جِلَّقٍ وقدْ هَجَمَ الصيـ ... ـفُ على عَسْكَرِ الشتاءِ فَرَاعَهْ

٣- والأزاهيرُ في الحدائقِ تزهو ... هكذا هكَذا تروحُ أضَاعَهْ

٤- حبَّذا المَرْجَةُ الرقيقُ هَواها ... عُتِّقَتْ في حضورِ كُلِّ لَكاعَهْ

٥- حيثُ وافى النَّيْروزُ طلقَ المُحَيَّا ... باسمَ الثَّغْرِ قدْ أَمَاطَ قِناعَهْ

٦- وتهادَتْ نَسائمُ النَّيْربِ الغَضْـ ... ـضِ بها مِنْ جماعةٍ لِجَماعَهْ

❁ وقالَ رحِمهُ اللهُ تعالى يتشوَّقُ إليها من الروم: [من الخفيف]

١- حدِّثوني عنْ نَسْمَةِ الأسحارِ ... وغناءِ الطُّيورِ في الأشجارِ

٢- وصَبَا النَّيْرَبينِ والمَرْجَةِ الفيـ ... ـحاءِ لَمَّا تفوحُ بالأزهارِ

٣- وخريرِ المياهِ بينَ غُصونٍ ... خافِضاتِ الرُّؤوسِ بالأَثْمارِ

٤- وصِفُوا لِيْ دمشقَ إنِّي مَشُوقٌ ... لِجِماهَا وطِيْبِ تلكَ الدِّيارِ

٥- بلدٌ آمِنٌ وربٌّ جَوادٌ ... بِبلُوغِ الأوطانِ والأَوْطارِ

٦- وعَلَى ساكِنِيْ دِمشقَ سَلامٌ ... مِنْ طَريحٍ بالرُّومِ نَهبِ القِفارِ

❁ وَلِجنابِ طَوْدِ الشرفِ الشامخِ، وحِصْنِ السيادةِ الباذخِ، أُنموذجِ الدولةِ العَلَويةِ، وثَمَرةِ الدَّوحةِ النبويةِ، فَتَفَرَّعَ مِنْ شجرةِ مَجْدٍ وَسَنا، أصلُها ثابتٌ وفرعُها في السَّما، مَنْ سماءُ معاليهِ مكلَّلةٌ بزواهرِ المجدِ، وجيدُ الدَّهرِ مُطوَّقٌ منهُ بأبهى عِقْدٍ، منظومُ بابٍ وجدٍ، حتى عَبَقَتْ أرواحُ العُلا مِن غَلائلِهِ، وتعطَّرَتْ أردانُ النسائمِ من طِيْبِ شَمائلِهِ. [الخفيف]

خُلُقٌ كالنَّسيمِ لَو فاحَ يومًا	كانَ وردًا جميعُ نبتِ الفَلاءِ
وعُلومٌ تُكاثِرُ البَحْرَ مَوْجًا	وتُضاهي قَطْرَ السَّما في الصَّفاءِ

سيِّدُنا المرحومُ السيدُ **عبدُ الرحمنِ بنُ حمزةَ**[1]، سقاهُ اللهُ رحيقَ غُفرانِهِ، ونَزَّهَ عيونَ رجائهِ في رياضِ جنانِه، قوله[2]: [من البسيط]

١- حَيَّا دِمشقَ فكَمْ فيها لِذي وَطَرِ	مَنارَةٌ هِيَ مِلْءُ السَمْعِ والبَصَرِ
٢- فإنْ توخَّيْتَ مِنها طِيْبَ مُختَبَرٍ	وتَجْتَني عِنْدَهُ باكورةَ العُمُرِ
٣- فاعْمدْ إلى الفيجةِ الفَيْحاءِ مُرْتَشِفًا	بها زُلالَ مَعِينٍ رائقٍ خَضِرِ
٤- وانزِلْ بِبَسِّيمَةَ الزَّهراءِ مُنْتَشِقًا	نسيمَها اللَّدْنَ في الآصالِ والبُكَرِ
٥- واسلُكْ خَمائلَ وادي أَشْرفيَّتِها	بظِلٍّ مُشْتَبِكِ الأغصانِ والشَّجَرِ
٦- ثُمَّ الجُديدةَ الغَرَّاءَ فالْوِ بها	عِنانَ طَرْفِكَ وانزِلْ جانِبَ النَّهَرِ
٧- واقصُدْ رُبَا الهامةِ الغَنَّاءِ مُسْتمِعًا	شَدْوَ القِيانِ مِنَ الأطيارِ في السَّحَرِ
٨- واسرَحْ مَدى الطَّرْفِ مِنْ ألفافِ دُمَّرِها	بينَ الغِياضِ لَدى مُسْتَشرفٍ خَضِرِ

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن كمال الدين الحسيني ابن النقيب (١٠٤٨-١٠٨١ هـ) أديب دمشق في عصره، له الشعر الحسن والأخبار المستعذبة، كان من فضلاء النبلاء، له كتاب «الحدائق والغرف» وله ديوان شعر مطبوع. ووفاته في دمشق.

(٢) ديوان ابن النقيب ١٣٥ - ١٣٨.

٩- واصعَدْ ذُرا السَّفْحِ وانشُدْ فيه مُدَّكِرًا ... عُهودَ أُنسٍ مَضَتْ في سالفِ العُمرِ

١٠- يا ليلةَ السَّفْحِ هلاَّ عُدْتِ ثانيةً ... سَقى زمانَكِ هَطَّالٌ منَ المَطَرِ[1]

١١- وَقِفْ على دَيْرِ مُرَّانَ التي شَخَصَتْ ... آثارُهُ تَلْقَ فيهِ مَسْرَحَ النَّظَرِ

١٢- واقصرْ مدى الخَطْوِ واعبُرْ صالِحِيَّتَها ... تَرى القُصورَ بها تَسمو على الزَّهرِ

١٣- حيثُ الحدائقُ تُجْلَى مِنْ مَطَارِفِها ... عرائسُ السَّروِ في مَوْشِيَّةِ الحُبرِ

١٤- واذكرْ مَقالةَ مَنْ ظَلَّتْ خَواطِرُهُ ... تُرْبي على السِّحْرِ في أوصافِها الغُرَرِ

١٥- مذْ راحَ ينشدُ فيها والمُنى أممٌ ... (خَيِّمْ بِجِلِّقَ بينَ الكاسِ والوَتَرِ)[2]

١٦- ومَتِّعِ الطَّرْفَ في مَرْأى مَحاسِنِها ... بِرَوْضِ فِكرِكَ بينَ الرَّوضِ والزَّهرِ

١٧- وانظرْ إلى ذَهَبياتِ الأصيلِ بها ... واسمَعْ إلى نَغَماتِ الطَّيْرِ في السَّحَرِ

١٨- وعُدْ إلى الرَّبوةِ الغنَّاءِ تَلْقَ بها ... مَحاسِنًا تُجْتَلى في أحسنِ الصُّورِ

١٩- ظِلٌّ ظليلٌ وماءٌ راحَ مُطَّرِدًا ... بينَ الغُصونِ وطيرٌ جِدُّ مُسْتَجِرِ

٢٠- وعُجْ على نَيْرَبَيْها كَمْ بها فِتَنٌ ... مِنَ المَحاسنِ قد دَقَّتْ عَنِ الفِكَرِ

٢١- حيثُ النَّسيمُ تَمشَّى في جوانِبِها ... يَستعْطِفُ البانَةَ الغَنَّاءَ في البُكَرِ

٢٢- حيثُ الجداولُ من تحتِ الظّلال غَدَتْ ... تنسابُ ما بينَ مَيَّالٍ ومُنحَدِرِ

٢٣- واعطِفْ على المَرْجَةِ المَيْثاءِ تلقَ بها[3] ... داعٍ[4] إلى اللَّهوِ مِعْوانًا على الوَطَرِ

---

(١) في (أ) و (ج): هطالاً.

(٢) صدر بيت قاله أحمد بن محمد بن أبي الخليل مفرّج الأموي، وعجزه: في جنّةٍ هي ملء السمع والبصر. الإحاطة ٢١٣/١. وورد بها محرفاً: خيمٌ تَخلّقَ بين الكأس..

(٣) الميثاء: الرابية الطيبة.

(٤) داعٍ، كذا للوزن.

٢٤- مِـنْ كُـلِّ مُسْتَشْـرِفٍ ظَلَّـتْ أزاهِـرُهُ تَنْـدَى فتُهـدي لنـا مِـن نَشْـرِها العَطِـرِ

٢٥- وادٍ بــهِ للمُنـى أغصـانُ مُهْتَصِـرٍ تهدَّلَـتْ بفُنـونِ الزَّهْـرِ والثَّمـرِ

٢٦- حيَّـا الإلـهُ بِصَـوبِ الـوَدْقِ غُوطَتَـهُ وصانَهـا مِـن عُيـون الزَّهـرِ والبشَـرِ

۞ وقوله[1]: [من الطويل]

لِغَربـيِّ ذاكَ السَّـفحِ والموطـنِ الـذي شَـهِدْنا بـهِ الدَّيـرَ المُشـيَّدَ والصَّرْحـا

بِمُسْتَشـرِفٍ للغوطَتَـينِ ومَـا حَـوَتْ مِنَ الحُسْنِ مِمّا راحَ يُعجِزُنـا شَـرْحا

تـراءَتْ لَديْنـا مِنْـهُ جنَّـةُ عَبْقَـرٍ جرَتْ حولَها الأنهـارُ في سـائِرِ الأَنْحـا

۞ وله في الربوة[2]: [من الطويل]

١- وبَطْـنٍ مِـنَ الـوادي حَلَلْنـا مَقِيلَـهُ وفي ضِفَّتيـهِ العُشْـبُ يدعـوكَ للخِصْـبِ

٢- لمُسْتَشـرِفٍ زَرَّتْ فَـوارِزُ جَيْبِـهِ على جِسْمٍ مَيْثاءِ الـثَّرى نـاعِمِ القَضْـبِ

٣- بَـرُودُ مَـدَبِّ الظِـلِّ فَيْنـانُ أخضـرِ عَطِيْرُ شَمِيمِ الرِّيـحِ يُلهـي عـن الكَـرْبِ

٤- إذا اطَّـرِدَتْ أنهـارُهُ خِلْـتَ جنَّـةً بمَدْرَجَـةِ الأَرْواحِ قـامَتْ إلى اللَّعِـبِ

٥- أُتيْـحَ لَهـا مِنْهَـا حَبِيْـكُ سَلاسِـلٍ تُنـاطُ بـأَيدي الرِّيـحِ مِـنْ بـاردٍ عَـذْبِ

---

(١) ديوان ابن النقيب ٧١.

(٢) ديوان ابن النقيب ٢٥، وفيه: ورأيت بخطه ما مثاله: وكتبت على شجرة بالربوة، وهي دار النشاط، ومنزل الصبوة، وكنت قد أنخت إلى جانبها، فأفاءت علي، وقدم لي مستشرف مقيلها صورة الجنة إلى بين يدي، فقمت مرتاحاً، وجعلت الأوصاف للتمتع مفتاحاً، وارتجلت ما ترى..

❁ ولِجَنابِ تاجِ مَفْرِقِ السيادَةِ، وفَذْلَكَةِ دَفاتِرِ الفَخْرِ والسَّعادَةِ، نَيرِ الشرف الأعلى، وسُوْرَةِ بَهائـهِ التي على أَلْسُنِ المَفاخِرِ تُتْلَى، المرحومِ السيِّدِ **عبدِ الكريمِ بنِ حَمْزَةَ**[1] قولُهُ: [من الكامل]

١- والرَّوضُ وَشَّتْهُ الأزاهرُ تَستَبِي الـرْ ـرائِي ثُغورُ أقاحِهِ البَسَّامِ

٢- يَستوقِفُ المُجتازَ رَوْنَقُ حُسْنِهِ ونَضَارَةُ الرَّيْحانِ والنَّمامِ

٣- وجَداولُ الماءِ الزُّلالِ خِلالَهُ تَدعو بتَصْفيقٍ حليفَ أُوَامِ

٤- تَحكي السُّطورَ مِنَ اللُّجَينِ بقرطِسٍ مِنْ سُنْدُسٍ تَزهُو بحُسْنِ نِظامِ

٥- والطَّيرُ مِنْ طَرَبٍ غَدا مُتَفَرِّدًا في دَوْحِهِ بالشَّجْوِ والتَّرْنامِ

٦- فَسَقى الحَيا أبدًا دمشقَ ولا عَدَا الـ ـوَسمِيُّ أرْضًا في حُدودِ الشَّامِ

❁ وللمرحومِ الشَّيخِ صَادقِ الخَرَّاطِ[2]: [من مجزوء الكامل]

١- يا نَسْمَةَ الرَّوضِ الخَصيبِ بالنَّيْرَبِ الغَضِّ الرَّطيبِ

٢- حَيَّاكِ هَطَّالُ الحَيَا وحَماكِ مِنْ وَشْيِ المُريبِ

٣- وَرَعى الإلهُ مَهَبَّكِ الـزْ زاكي على عَرْفِ الجَنوبِ

٤- باللهِ بالعهدِ الذي ما صافَحَتْهُ يَدُ الكَذوبِ

---

(١) هو عبد الكريم بن محمد بن محمد كمال الدين الحسيني، المعروف بابن حمزة الحنفي الدمشقي، نقيب السادة الأشراف، ولد في دمشق ١٠٥١ هـ، حصل علماً وافراً على يد جملة من علماء الشام، منهم والده محدث دمشق، والشيخ نجم الدين الغزي، توفي في دمشق، ودفن في مرج الدحداح سنة ١١١٨ هـ. سلك الدرر ٧٥/٣.

(٢) صادق بن محمد بن حسين، الشهير بالخراط الحنفي الدمشقي، أديب فاضل، داهية، تولى نيابة محكمة الباب، لازم الشيخ عبد الغني النابلسي وتزوج ابنته، توفي سنة ١١٤٣ هـ، ودفن بتربة باب الصغير، وتوافق أنه هو وأستاذه وشيخه ووالد زوجته الشيخ عبد الغني انتقلا في شهر واحد، في سنة واحدة. سلك الدرر ٢١٩/٢، والقصيدة فيه.

٥- وبمَطْلَـــــعِ الأقمـــــــارِ في[1] فَلَـــكِ المَحاسِـــنِ والجُيـــوبِ
٦- وبمَجْمَـــعِ الشَـــمْلِ الـــذي أهْـــدى المَسَـــرَّةَ للكَئيـــبِ
٧- وبطيـــبِ مُصطَلَـــحِ اللّقـــا يـــا نَســـمةَ الـــرَّوضِ الخَصيـــبِ
٨- إنْ جـــزتِ رَوضَ الصالِحيـــ ـيَـــةِ في الشُّـــروقِ وفي الغُـــروبِ
٩- ورأيـــتِ غِـــزلانَ النّقـــا في ظِـــلِّ بانـــاتِ الكثيـــبِ
١٠- وسمعـــتِ أطيـــارَ الرُّبـــا تَشـــدُو بِحَـــيَّ علـــى الطَّـــروبِ
١١- ولَثِمْـــتِ مِـــنْ بَيْـــنِ الأزا هـــرِ وَجْنَـــةَ الـــوردِ النَّصيـــبي
١٢- فَتَنَشَّـــقي أرَجَ المُنَـــى مِـــنْ طيبِـــهِ الزَّاكـــي وطيـــبي
١٣- وإذا مَـــرَرْتِ علـــى اللّـــوى مِـــنْ سَـــفْحِ قَاسُـــونَ المَهيـــبِ
١٤- فاســـتصحبي نَشْـــرَ القَرَنْـــ ـفُـــلِ والخُـــزامَ مـــعَ الهُبـــوبِ
١٥- وخُذيـــهِ نَحـــوَ مَراتِـــعِ الـــ ـغِـــزلانِ والظَّـــبيِ الرَّبيـــبِ
١٦- وادي دمشـــقَ ســـقَى الحَيـــا أكنافَـــهُ أوفَـــى نَصيـــبِ

❁ وللمرحومِ السيدِ محمدٍ القُدسي[2]: [من مجزوء الكامل]

١- يـــا نَسْـــمةً نَسَـــمَتْ حَبيـــبي وتَمسَّـــكَتْ مِنْـــهُ بطيـــبِ

---

(١) في سلك الدرر: الأقمار من.

(٢) هو محمد بن علي بن محمد القدسي الدمشقي، المعروف بابن خصيب الشافعي (١٠١٢ - ١٠٨٢ هـ)، الحسيب الشريف الأديب، أخذ العلم فيها عن علمائها، ثم ارتحل إلى القاهرة وقرأ فيها، وأخذ علم القراءات والتفسير، وأجيز بالإفتاء والتدريس، ثم عاد لدمشق، ثم رحل إلى الروم، ولازم شيخ الإسلام يحيى بن زكريا، مات بدمشق، ودفن بمقبرة باب الصغير. خلاصة الأثر ٦٠/٤، نفحة الريحانة ٣٣٦/١، والقصيدة في نفحة الريحانة ٣٣٧/١.

٢- وَغَـــــدَا يُحَـــــرِّكُ لُطْفُهَـــــا أعطـــافَ بانـــاتِ الكَثِيْـــبِ

٣- تَمشـــي وتَســـحَبُ ذَيْلَهـــا قَبْـلَ العُيـونِ عَلَـى القُلُـوبِ

٤- إنْ جُـــزْتِ وادي جِلِّـــقٍ وَحَلَلْـتِ بـالرَّوضِ الرَّحيـبِ

٥- أو جُـــزْتِ أرضَ النَّيرَبَيْـــــنِ مـعَ الصَّبـاحِ أوِ المَغيـبِ

٦- ودخلْـتِ جامِعَهـا الشريـــفَ مقـامَ أربـابِ القُلـوبِ

٧- ورأيْـتِ بالشَّـرَفينِ مـا يدعـو المُحِـبَّ إلى الحبيـبِ

٨- وسمعْـتِ بُلْبُلَهـا يُنـا دينـا بِحَـيَّ عَلـى الطَّـروبِ

٩- ونظـرْتِ وَرْقاهـا تَجُـسُّ الـ ـعُـودَ بـالكفِّ الخَضيـبِ

١٠- فَـاقْرِي التحيَّـةَ أَهْلَـهُ عنّـي وبالتّذكـارِ نُوبـي

١١- واسـتنطِقيْ بِـالدُّفِ ثُمْـ ـمَ الجَنْـكِ أنـواعَ الضُّـروبِ

١٢- ثُـم الثُمـي الخَلْخـالَ في سُـوقِ الغُصـونِ مـعَ الكُعـوبِ[1]

١٣- فَسَـقَى دِمشـقَ ومـا حَـوَتْ مِـنْ أَنْهُـرٍ مِثْـلَ الضَّريـبِ[2]

١٤- فَلِبانيـاسَ ورَقْمِـهِ نَقْـشٌ علـى كَـفٍّ رَطِيْـبِ

١٥- وَبِـبَرْدِهِ بَـرَدى يُزيـ ـلُ لُجَيْنُـهُ صَـدأَ القُلـوبِ

١٦- قَنواتُهـا برَحِيقِهـا الـ ـمَختـومِ فِضـيٌّ الصَّبيـبِ

١٧- وَيَخـورُ ثَوْرَاهـا فَـيَرْ وي الحَـرْثَ مِـنْ تِلْـكَ الشُّـعوبِ

١٨- كَـمْ وَجْنَـةٍ مِـنْ عَقرَبـا فِيْهـا بَـدا أخفـى دَبيـبِ

---

(١) النفحة: شوق الغصون.

(٢) الضريب: اللبن، والتلج يريد تشبيهه به.

١١- وهَلْ أُمويُّ العِلْمِ والدِّينِ جامِعٌ شعائِرَهُ والذِّكْرُ فيهِ مُقامُ

١٢- وهل قاسِيونٌ قلبُهُ مُتفطِّرٌ وفيهِ الرِّجالُ الأربعونَ صيامُ

١٣- ألا ليتَ شِعْري هل أعودُ لِجلِّقٍ وهَل لِي بِوادِي النَّيْرَبينِ مُقامُ

١٤- وهل أرِدَنْ ماءَ الجزيرةِ وامِقًا بمَقْصَفِها والحظُّ فيهِ مَرامُ[1]

١٥- سلامٌ على تلكَ المَغاني وأهلِها وإنْ رِيشَ لي مِنْ نأيهنَّ سِهَامُ

١٦- لقدْ جُمِعَتْ فيها محاسِنُ أصبحَتْ لدرجِ فِخامِ الشَّامِ وهي خِتَامُ

١٧- بِلادٌ بها الحصباءُ دُرٌّ وتُرْبُها عَبيرٌ وأنفاسُ الشَّميمِ مُدامُ

١٨- وَغُرَّتُها أضْحَتْ بِبَهجةِ رَوْضِها[2] تُضيءُ وخلخالُ الغَديرِ لِزامُ

١٩- تناءَيْتُ عنها فالفؤادُ مُشَتَّتٌ وذُعْرُ الفيافي بيننا وَرُغامُ[3]

❁ وللمرحوم أمين جلبي المحبي[4]: [من الرجز]

١- سقَى دمشقَ مَوطِنَ الأوطارِ دَمعِي وصوبُ العارضِ الزَّخارِ

٢- حتّى يُرَوِّيا بها كُلَّ رُبًا تَصَوَّرَتْ في صُورَةِ الأَنْوارِ

٣- يسافِرُ الطَّرْفُ بها إلى مَدًى يُغْني بهِ الخَبْرُ عَنِ الأَخْبارِ

٤- وَباكَرَتْ نَيْرَبَها نُسَيْمَةٌ عابِقَةٌ في رَوْضِهِ المِعْطارِ

---

(١) خلاصة الأثر: الجزيرة رائعاً.. فيه مدام.

(٢) خلاصة الأثر: بجبهة روضها، وكلاهما بمعنى.

(٣) خلاصة الأثر: ووعر الفيافي.

(٤) محمد أمين بن فضل الله بن محب الله المحبّي، الحموي الأصل، الدمشقي (١٠٦١ - ١١١١ هـ)، مؤرخ، باحث، أديب، عني بتراجم أهل عصره، فألف «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» و «نفحة الريحانة ورشحة طِلى الحانة»، سافر إلى الآستانة وبروسة وأدرنة ومصر، وولي القضاء في القاهرة، وتوفي في دمشق، ودفن بتربة الذهبية في مرج الدحداح، قبالة قبر أبي شامة. سلك الدرر ٤/٨٦، والقصيدة بتمامها في نفحة الريحانة ٢/٢٢٢، وذيل النفحة ٢٧٢.

٥- مِـنْ قَبْـلِ أَنْ تَصْـدَى بأَنفـاسِ الـــوَرَى بليلَــــةُ الأذْيـــــال ِفي الأَسْــــحارِ

٦- فَنَبَّهَـــتْ أَطْفـــالَ نَبْـــتٍ نُوَّمًـــا ترضَــعُ ثَــدْيَ الدِّيمَــةِ المِــدْرارِ[1]

٧- وللريـــاضِ طيْـــبُ أَنفَـــاسٍ بِهـــا تُهـــدي الثَّنـــاءَ الجَـــمَّ للأَمْطـــارِ

٨- يَتْلُـــو خَطِيبُهـــا بِصَـــوتٍ شَـــاكِرٍ مِدْحَتَـــــهُ في مِنْـــبَرِ الأَشْـــجارِ

٩- وَيَنْـــثُرُ الزَّهْـــرُ فَيَنْظِـــمُ النَّـــدَى يـــا حُسْـــنَ ذاكَ النَّظْـــمِ والنِّثـــارِ

١٠- لَـــوى القَضيـــبَ ثُـــمَّ جِيْـــدًا غَنِمَـــتْ تَقْبِيْلَـــــهُ مَباسِـــــمُ الأَنْـــــوارِ

١١- والمـــــاءُ في خَرِيـــــرِه مُنْهَمِـــــكٌ والطَّـــيرُ عـــاكِفٌ علـــى التَّهْـــدارِ

١٢- إنْ رَدَّدَ اللَّحْـــنَ انْثَنَـــتْ غُصونُهـــا تَسْـــمَعُ مِنْـــهُ رَنَّـــةَ الأَوْتـــارِ[2]

١٣- وَرُبَّمـــا انْحنَـــتْ لِتَقْـــرا أَسْـــطُرًا في النَّهْـــرِ خَطَّهـــا النَّسِـــيمُ السَّـــاري

١٤- والنَّـــورُ قَـــدْ فَتَّـــحَ عَـــنْ أَكْمامِـــهِ وفَكَّـــكَ الـــــوردُ عـــن الأَزْرارِ

١٥- والرَّبـــوةُ الغَنَّـــاءُ حَيَّاهـــا الصَّبـــا فَنَفحـــتْ عـــن جَوْنَـــةِ العطَّـــارِ

١٦- أُعيـــذُ بالسَّـــبْعِ المَثـــاني دَوْحَهـــا علـــى احْتـــواءِ السَّـــبْعَةِ الأَنْهـــارِ[3]

١٧- ودَيْـــرُ مُـــرَّانَ القديـــمُ لا عَـــدَتْ سُـــحْبُ الحَيَـــا مـــا فيـــهِ مِـــنْ آثـــارِ

١٨- فيـــهِ حديْـــثُ البَبَّغَـــاءِ وعَهْـــدِهِ[4] حَلْـــيٌ لِجيـــدِ سَـــالِف الأعصَـــارِ

١٩- والمَرْجَـــةُ الفَيْحـــاءُ والـــوادي الـــذي مَنْظَـــرُهُ البَـــاهي جَـــلاَ الأبصـــارِ

٢٠- مَعـــاهِدٌ فيهـــا النَّدامـــى أَغْصُـــنٌ مُثْمِـــرَةٌ فَواكِـــهَ الأَسْـــمارِ

(١) النفحة: الديمة المعطار.

(٢) في (ب): تسمع منها.

(٣) السبعة الأنهار هي: يزيد، وثورا، وبردى، وبانياس، والقنوات، والقناية (قناية المزة)، والداراني.

(٤) انظر الحاشية (١) صفحة (٩١).

٢١- مِنْ كُلِّ وَضَّاحِ الجَبينِ مُسْفِرٍ   عَنْ طَلْعَةٍ تهزَأُ بالأقمارِ

٢٢- فالنّجمُ سارِ طالِبًا لِقيْتَهُ   لِذاكَ قَدْ لُقِّبَ بالسَّيّارِ

٢٣- وشَابَ حُزْنًا طَرْفُهُ وما رَأى   شَبيْهَهُ في الفَلَكِ الدَّوّارِ

٢٤- مُنَقَّبٌ بِالوَرْدِ مِنْ خَجْلَتِهِ   جُودًا وَمُرْتَدٍ حُلى الوَقارِ

٢٥- وكُلُّ مُخْتارِ المَعاني حُسْنُهُ   قَيْدُ النُّهى وَعُقْلَةُ الأفْكارِ

٢٦- تِلمِيذُهُ هاروتُ يَروي فَنَّهُ   عَنْ لَفْظِهِ عَنْ طَرْفِهِ السَّحّارِ

٢٧- خَطُّ الجَمالُ فَوقَ طِرْسِ خَدِّهِ   سَطْرًا بِرَأسِ القَلَمِ الغُباري[1]

٢٨- أَرى عَلَى وَجْنَتِهِ دائرَةً   حَرَّرَها الجَمَالُ بالبِرْكارِ

٢٩- فَالخالُ في كُرْسِيِّها قَدْ استَوى   كَمَرْكِزٍ لِذلِكَ المدارِ

٣٠- قَدْ كادَ مَوجُ رِدْفِهِ يُغرِقُه   لولا اعتلاقُ الخَصْرِ بالزِّنّارِ

منها:

٣١- وَلِيْ إلى الجَامِعِ شَوْقٌ والِهٌ   لا يفتُرُ الدَّهرَ عَنِ التِّذْكارِ

٣٢- للهِ أقوامٌ بِهِ أَعِزَّةٌ   مِنْ خُلَّصِ الأخيارِ والأَبْرارِ

٣٣- في جُنْحِ لَيْلاتِهِمُ أذكارُهُم   تَعْرِفُها بَلابِلُ الأسْحارِ

منها:

٣٤- لا زالَ رَيْحانُ تَحيّاتي لَهُمْ   يَرِفُّ في رَوْضِ الثَّنا المِعْطارِ

٣٥- واللُّطْفُ ما زالَ يُحَيِّي أَرْضَهُم   تَحِيَّةَ النَّسِيمِ للأزهارِ

---

(١) القلم الغباري: قلم ضئيل، وسمي بذلك لدقته، كأن النظر يضعف عن رؤيته لدقته، كما يضعف عن رؤية الشيء عند ثوران الغبار، وبالقلم الغباري تكتب بطائق الحمام، التي تحملها على أجنحتها. انظر صبح الأعشى ١٢٥/٣.

❁ وللسيد يوسف الحسيني[1] من قصيدة[2]: [من الكامل]

١- يـا نَسْـمَةَ الـرَّوضِ الأنيـقِ إذا سَـرَتْ ... يَعبَـقُ مِـنْ أذيالِهـا نَشْـرُ الصَّبـا

٢- مَـرَّتْ عَلَيْنـا سُـحْرةً فـأَذْكَرَتْ ... لِلصَّبِّ عَهْدًا قَدْ مَضَى شَرْخُ الصِّبا

٣- إنْ جُـزْتِ أَرْضَ جِلِّـقٍ ورَوْضَـهُ الـزْ ... زاهي الأنيـقِ الغَـضِّ حُلْـوِ المُجْتَنَى

٤- أوْ عُجْـتِ نحـوَ المَرْجَـةِ الخَضْـراءِ بَيْـ ... ـنَ الشَّـرَفَينِ نَحـوَ هـاتِيْكَ الرُّبـا

٥- حيْـثُ حكَـتْ خَضراؤُهـا زَبَرْجَـدًا ... وحَوْلَهـا الأزهـارُ تَحكـي أَنْجُمـا

٦- قـدْ مَـدَّتِ الأَنْهـارُ فيهـا جَـدْوَلاً ... تَخالُـهُ يَنْسـابُ صِـلاًّ أَرْقَمـا

٧- وَجِئْـتِ قاسِـونَ فَحَيِّـي أَهْلَـهُ ... وسـاكِنيهِ لَهُـمْ مِنِّـي الْـوَلا

٨- قَـومٌ بِكُـلِّ مِنْحَـةٍ وَرُتْبَـةٍ ... قَـدْ خَصَّهُـم رَبُّ السَّـمواتِ العُـلا

❁ وللمرحومِ الطالوي[3]: [من الطويل]

حِمَى الشَّـامِ جـادَ الغَيْـثُ مَـاحِلَ تُرْبِهِ ... مَغـاني الهَـوى فِيْهـا مغـاني أَحِبَّـتي

وبـاتَتْ بـأَعلى النَّـيْرَبَيْنِ مَـعَ الصَّبَـا ... تُطارِحُهـا ذِكْـرى عُهـودٍ بِرَبْـوَةِ

على نَهَرٍ حَصْبـاؤُهُ الشُّـهْبُ قَـدْ جَـرَى ... خِـلالَ سَـمًا رَوْضاتِهـا كـالمَجَرَّةِ

يُجـاوِبُ تَسْـجَاعَ الحَمـامِ خَريـرُهُ ... فَتُصغـي لَـهُ الوَرْقـاءُ مِـنْ فـوقِ أَيكَـةِ

---

(١) هو يوسف بن حسين الحسيني الحنفي الدمشقي، جمال الدين أبو المحاسن الفقيه، نزيل حلب ونقيب أشرافها، ولد بدمشق ١٠٧٣ هـ، ونشأ بها، وأخذ العلم عن أفاضلها، ارتحل إلى الروم وإلى حلب، ودرس بها، توفي بحلب سنة ١١٥٣ هـ. ذيل نفحة الريحانة ١٥٨، سلك الدرر ٣٠١/٤.

(٢) ذيل النفحة ١٦١، وقال: ومن درره التي حَلّى بها جيد الآداب، وبعثها بكراً لذوي الألباب قصيدته المقصورة التي عليها البلاغة مشهورة.

(٣) الطالوي: درويش بن محمد بن أحمد الطالوي الأرتُقي، أبو المعالي، أديب له شعر وترسل، من أهل دمشق، مولده بمحلة التعديل (قنوات)، ووفاته فيها، ودفن بباب الصغير، وقصيدته في ريحانة الألبا ٣٩.

❁ المرحومُ عبدُ الرحمنِ بنُ عبدِ الرزاق[1]: [من الخفيف]

١- نبَّهَتْ مُقْلَةَ الرِّياضِ نَسائِمْ | وأَثارَتْ عبيرَ تِلكَ الكَمائمْ
٢- وتَثَنَّتْ مَعاطِفُ الدَّوْحِ لَمَّا | قَلَّدتْها عَقْدَ الزُهورِ الغَمائمْ
٣- وشَدَتْ فَوْقَها سَواجِعُ وُرْقٍ | فأهاجَتْ بلَحْنِها كُلَّ هَائمْ
٤- ونُجومُ الغُصونِ تَزهو إذا ما | حَرَّكَتْ عِقْدَها أَيادي النَّعائمْ
٥- فَوْقَها العَنْدلِيْبُ قامَ خَطِيبًا | يَتَهادى ما بينَ خُضْرِ العَمائمْ
٦- وثُغورُ الأَقاحِ قَدْ بسمَتْ مُذْ | أَيْقظَ الطَّلُّ جَفْنَهُ وهو نائمْ
٧- وبها الجُلَّنارُ قامَ يُرينا | أَكؤُسًا زانَها عُقودُ التَّمائمْ
٨- وخَريرُ المياهِ غَنَّى فَخِلْنَا | حَولَهُ طائرَ المَسَرَّةِ حائمْ
٩- فَسَقَى جِلَّقَ الشآمِ سَحابٌ | كُلَّما سامَ نَيْرَبَ السَّفْحِ سائمْ
١٠- ورَعى عَهْدَها بِتِلكَ الرَّوابي | ما تغَنَّتْ على الغُصونِ حَمائمْ

❁ المرحومُ القاضي مُحبُّ الدينِ الحَمَويِّ[2] في الشامِ[3]: [من الطويل]

أتَيْنا فَسَلَّمْنا عليها عَشِيَّةً | فغَنَّى لنا فيها الحَمامُ وحَيَّانا
وأبْدَى لنا ثَغْرُ الأَقاحي تَبَسُّمًا | وأَحْسَنَ مَلْقانا وأكرمَ مَثْوانا

---

(١) هو عبد الرحمن بن إبراهيم بن أحمد الحنفي الدمشقي، المعروف بابن عبد الرزّاق، ولد سنة ١٠٧٥ هـ، ودأب في طلب العلم على مشايخ عدة، منهم عبد الغني النابلسي، وكان خطيب جامع السنانية، وله منظومة في الفرائض سماها «قلائد المنظوم في منتقى فرائض العلوم» وشرحها شرحاً وافياً، وله ديوان شعر وديوان خطب، توفي سنة ١١٣٨ هـ. ذيل نفحة الريحانة ٢٠٦، سلك الدرر ٢/٣٠٦، وقصيدته في ذيل النفحة ٢١٦ وسلك الدرر ٢/٣١٢.

(٢) القاضي محب الدين: محمد بن أبي بكر تقي الدين بن داود المحبي الحموي، جد والد محمد أمين المحبي صاحب خلاصة الأثر. نفحة الريحانة ٢/١٨٢.

(٣) ريحانة الألبا ٩٩.

وما هِيَ إلاّ جَنَّةٌ قَدْ تَزَخْرَفَتْ ألَمْ تَرَ فيها العَيْنُ حُورًا وَوِلْدانا
ومِنْ تحتِها الأنهارُ تجري وكُلُّهَا عُيونٌ إلى الرَّوضاتِ تُرسِلُ غُدْرَانا

❁ المرحوم المَقَّري في كتابهِ «عَرْفِ الطِيْبِ»[1]: [مجزوء الكامل]

١- أمَّا دِمَشْقُ فَحَضرَةٌ لعِبَتْ بألبابِ الخلائقْ
٢- هِيَ بَهْجَةُ الدُّنيا التي مِنْها بديعُ الحُسْنِ فائقْ
٣- للهِ مِنْها الصالِحيَّةُ فاخَرَتْ بِذَوي الحَقائقْ
٤- والغُوطةُ الغَنَّاءُ حَيَّتْ بالورودِ وبالشَّقائقْ
٥- والنَّهْرُ صَافٍ والنَّسيمُ اللَّدنُ للأشواق سائقْ
٦- والطَّيرُ في العيدان أبْدَتْ في الغِنَا أحْلى الطَّرائقْ
٧- ومَرَاوِدُ الأمْطارِ قَدْ كُحِلَتْ بها حِدَقُ الحدائقْ
٨- لا زالَ مَغْناها مَصُونًا آمِنًا كُلَّ البوائقْ

❁ وله: [من المجتث]

١- دمشقُ راقَتْ رَواءً وبهجةً وغَضَارَهْ
٢- فيها نَسيمٌ عَليلٌ صحَّتْ فوافَتْ بشارَهْ
٣- وغوطةٌ كَعروسٍ تَزْهَى بأعْجَبِ شارَهْ
٤- يا حُسْنَها مِنْ رياضٍ مِثْلَ النُّضارِ نَضارَهْ
٥- كالزَّهْرِ زَهْرًا وعَنْها عَرْفُ العَبيرِ عِبارَهْ

---

(١) لم أجد أبياته في نفح الطيب، وهي في سلافة العصر ٥٩٨، ولعل العبارة الصحيحة: المرحوم المقري صاحب كتاب: نفح الطيب.

٦- والجـــامعُ الفـــردُ منهـــا ... أعلـــى الإلـــهُ مَنَـــارَهْ

٧- وحـــاصِلُ القـــولِ فيهـــا ... لِمَـــنْ أرادَ اختصـــارَهْ

٨- تذكيرُهـــا مَـــنْ رَآهـــا ... عَدْنًـــا وحَســـبي بشـــارَهْ

٩- دامَـــتْ تَفُـــوقُ سِـــواها ... إنالـــةً وإنـــارَهْ

❁ وله: [من الخفيف]

قـالَ لِيْ: مـا تَقـولُ في الشَّـامِ خَـبِّرْ ... كُلَّمـا لاحَ بـارِقُ الحُسْـنِ شَـامَهْ

قلْـتُ: مـاذا أقـولُ في وصـفِ قُطْـرٍ ... هِـيَ في وَجْنَـةِ المَمـالِكِ شَـامَهْ

❁ وله: [من البسيط]

لَمْ أَنْسَ بالشَّامِ أُنْسًـا شِـمْتُ بارِقَـهُ ... جـادَتْ مَعـاهِدَهُ أَنْـواءُ نَيْسـانِ

لَهْفـي لِعَيْـشٍ قَضَيْنـا في مَعاهِدِهـا ... مـا بَيـنَ حُسْنٍ مـنَ الدُّنيـا وإحسـانِ(١)

❁ وله: [من الطويل]

تَزِيـدُ عَلـى مَـرِّ الزَّمـانِ طَـلاوَةً ... دمشقُ الذي(٢) وافَتْ بِحُسْنِ المَشارِبِ

لَهـا في أَقـاليمِ البِـلادِ مَشـارِقٌ ... مُنَزَّهَـةٌ أقمارُهـا عَـنْ مَغَـارِبِ

❁ وله: [من الكامل]

وإذا وصَفْـتَ مَحاسِـنَ الدُّنيـا فَـلا ... تَبْـدأْ بغَـيْرِ دِمشـقَ فيهـا أَوَّلا

بَلَـدٌ إذا أَرْسَـلْتَ طَرْفَـكَ نَحْـوَهُ ... لَمْ تَلْـقَ إلاَّ جَنَّـةً أوْ جَـدْوَلا

---

(١) هذا البيت ذكره المقري في نفح الطيب ٣٤٧/٧ منسوباً لإبراهيم بن علي الكفعمي.

(٢) كذا في الأصول: الذي.

ذا وَصْفُ بَعْضِ صِفاتِها وَهي التي تُعْيي البَليغَ وإنْ أجادَ وطَوَّلا

❁ وللمرحومِ ابنِ قضيبِ البانِ الحلبي[(١)]: [من الطويل]

سَقَى جِلّقًا صَوْبُ السَّحابِ المُزرَّدِ وباكَرَ مِنْ أفْنانِها كُلَّ مَعْهَدِ

وقَلَّدَ أجْيادَ الرُّبا في عِراصِها يَدُ الغَيْثِ عِقْدَيْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدِ

أَشِيمُ بُروقًا بالشآم مُثيرَةً عَقابيلَ شَوْقٍ بالفُؤادِ المُشَرَّدِ

❁ البدرُ بنُ حبيب[(٢)]: [من السريع]

١- عَرِّجْ إذا مَا شِمْتَ بَرْقَ الشَّآمْ وَحَيِّ أَهْلَ الحَيِّ واقْرا السَّلامْ

٢- وانْزِلْ بإقْليمِ جَزيلِ الحَيا بارَكَ فِيْهِ اللهُ رَبُّ الأَنامْ

٣- العِزُّ والنَّصْرُ لَدَيْهِ وَما لِعُرْوَةِ الإسلامِ عَنهُ انفِصامْ

٤- مِنْ أَوْلياءِ اللهِ كَمْ قَدْ حَوَى رُكْنًا بمَرْآهُ يَطيبُ المقامْ

٥- وهو مَقَرُّ الأنبياءِ الأُلى والأَصْفياءِ الأَتْقِياءِ الكِرامْ

٦- كَمْ مِنْ شَهيدٍ في حِماهُ وكَمْ مِنْ عالِمٍ فَرْدٍ وكَمْ مِنْ إمامْ

---

(١) هو عبد الله بن محمد حجازي بن عبد القادر الحلبي الحنفي، المعروف بابن قضيب البان، دأب في طليعة عمره، وحصل على علوم، وتفوق، وتصدر للتدريس، وولي نقابة الأشراف وأُعطي رتبة قضاء ديار بكر، وكان أديباً بليغاً، له تآليف منها «حل العقال»، توفي سنة ١٠٩٦، اجتمع عليه أهل بلده وقتلوه في قصة. نفحة الريحانة ٥٦٥/٢، خلاصة الأثر ٧٠/٣، والأبيات في نفحة الريحانة ٥٧٠/٢، وخلاصة الأثر ٧٨/٣، كتب بها إلى الأمير منجك.

(٢) هو بدر الدين الحسن بن حبيب الحلبي، ولد في دمشق، وانتقل إلى حلب، ثم إلى مصر، وتنقل في بلاد الشام. الدرر الكامنة ٢٩/٢، والأبيات في نفح الطيب ٦٩/١.

❁ وقال آخر[1]: [من الطويل]

١- سَقَى جِلَّقَ الفَيْحاءَ مَغْنَى النَّواسِمِ وجَادَ رُباها هَاطِلاتُ الغَمائمِ
٢- وَلا بَرِحَتْ تُهدِي إِلَيْها يَدُ الصَّبا نَسائمَ يُزْرِيْ نَشْرُها باللَّطائمِ[2]
٣- وَلا زالَ يَجْري في أَنِيقِ رياضِها جَداولُ تَنْسابُ انسيابَ الأَراقِمِ
٤- ودامَتْ عَلَى الأَغصانِ تهتِفُ بالضُّحى حَمائمُ يُشْجِي صَدْحُها قَلْبَ هائمِ
٥- وَحَيَّا الحَيَا تلكَ المَعاهِدَ مِنْ فَتًى يَرَى حِفْظَ عَهْدِ الودِّ ضَرْبَةَ لازمِ

❁ وقال آخر[3]: [من البسيط]

إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَعْدِلْ بِها بَلَدًا هَيْهاتَ ما الدُّرُّ والحَصْباءُ سِيَّان
تاهَتْ عَلَى الأَرْضِ ما نهرُ الأُبلَّةِ والـ ـوادي المُقدَّسِ أو ما شِعْبُ بَوَّان
ما حَلَّ فيها امرؤٌ إلاَّ وَعايَنَها جَنَّاتِ عَدْنٍ عَلَيها حُورُ رِضْوانِ

❁ السيد كبريت المدني[4]: [من الطويل]

ومَا الشَّامُ إلاَّ في البِلادِ كَشامَةٍ وأقمارُ واديه الشمام تَمامُ[5]

---

(١) الأبيات لمحمد بن علي بن أحمد، المعروف بالحريري وبالحرفوشي (نسبة لآل الحرفوش أمراء بعلبك)، العاملي الدمشقي، اللغوي النحوي الأديب، البارع الشاعر، توفي سنة ١٠٥٩ هـ. خلاصة الأثر ٤/٤٩، والأبيات فيه ٤/٥٢.

(٢) اللطائم: الطيب.

(٣) الأبيات للحسن بن مطهر بن محمد الحسني اليمني الجرموزي، الأديب النحوي الفقيه، له مؤلفات منها «شرح نهج البلاغة»، توفي بصنعاء ١١٠٠ هـ. نفحة الريحانة ٣/٣٩٠، والأبيات فيها صفحة ٤٠٩.

(٤) كبريت المدني: محمد بن عبد الله بن محمد الحسيني (١٠١٢ - ١٠٧٠ هـ)، أديب، مولده ووفاته بالمدينة، اشتغل بالعلوم النقلية والعقلية، ورحل إلى الروم ودمشق والقاهرة، له مؤلفات منها «رحلة الشتاء والصيف». نفحة الريحانة ٤/٣٥٥، والأبيات فيه ٣٦١.

(٥) النفحة: واديه الشميم.

فَحَيَّا مُحَيَّاها الإلهُ وزانَهُ ولا زالَ بَرْقُ الحُسْنِ فيه يُشامُ

❁ القيراطيُّ[1]: [من الكامل]

١- أَشْتاقُ في وَادِي دِمَشْقَ مَعْهَدًا كُلُّ الجَمَالِ إلى حِمَاهُ يُنْسَبُ

٢- ما فِيهِ إلاَّ رَوْضَةٌ أَوْ جَوْسَقٌ أو جَدْوَلٌ أَو بُلْبُلٌ أو رَبْرَبُ

٣- وكأَنَّ ذاكَ النَّهرَ فيهِ مِعْصَمٌ بِيَدِ النَّسيمِ مُنَقَّشٌ وَمُكَتَّبُ

٤- وَإذا تَكَسَّرَ ماؤُهُ أَبْصَرْتَهُ في الحالِ بينَ رِياضِهِ يتشعَّبُ

٥- وشَدَتْ عَلَى العِيدانِ وُرْقٌ أَطْرَبَتْ بِغنائِها مَنْ غابَ عنهُ المُطرِبُ

٦- فالوُرْقُ تَشدو والنسيمُ مُشَبِّبٌ والنَّهرُ يَسعى والجَداولُ تَشْرَبُ[2]

٧- وضِياعُها ضاعَ النَّسيمُ بِها فَكَمْ أَضحى لهُ مِنْ بَيْنِنا مُتَطَلِّبُ[3]

٨- وَحَلَتْ لِقلبي مِنْ عَساكِرِ جنَّةٍ[4] فِيها لأَرْبابِ الخَلاعَةِ مَلعَبُ

٩- وَلَكَمْ طَرِبْتُ عَلى السَّماعِ بِذِكْرِها[5] وَغَدا بِرَبْوَتِها اللِّسانُ يُشَبِّبُ

١٠- فمَتى أزورُ مَعالِمًا أبوابُها بِسماعِها كُتُبُ الكِرَامِ تَبَوَّبُ[6]

❁ وله: [من الطويل]

سَقى الجَنكَ مُنْهَلُّ الرَّبابِ فَشَوقُنا لِطِيبِ مَغَاني أَرْضِهِ ما لَهُ حَصْرُ

---

(١) القيراطي: إبراهيم بن عبد الله بن محمد، شاعر من أعيان القاهرة، جمع بين الفقه والأدب، توفي بمكة سنة ٧٨١ هـ، له ديوان شعر سماه «مطلع النيّرين». الدرر الكامنة ٣١/١، والأبيات في نفح الطيب ٣٩٧/٢.

(٢) في نفح الطيب: فالورق تنشد.. والنهر يسقي.

(٣) في نفح الطيب: من بين روض مطلب.

(٤) في الأصل: من عسال جبة، والمثبت من نفح الطيب.

(٥) نفح الطيب: ولكم رقَصت على السماع بجنكها.

(٦) نفح الطيب: بسماحها كُتب السماح تبوّب.

وَحَـيٍّ بِقُطْـرِ الشَّـامِ أَنهارَهـا الـتِي عَلى شَـهْدِها للدَّمـعِ مِـنْ مُقْلَتِي قَطْـرُ

❁ وله: [من الخفيف]

إنَّ لـلـرُّوحِ في دمشـقَ لَمـأْوىً ذَا قـرارٍ وذَا مَعـينٍ وَرَبْـوَهْ

وبِرَوْضاتِها بَسـاتينُ وَرْدٍ لِـيْ بأزرارِهـا صَبابَـةُ عُـرْوَهْ[1]

❁ ابن عُنَيْن[2]: [من الكامل]

فَسَقى دِمَشْـقَ وَوادِيَيْهـا والْحِمَـى[3] مُتَواصِـلُ الأَرْهـامِ[4] مُنْفَصِـمُ العُـرَى

حتَّى تَـرى وَجْـهَ الرِّيـاضِ بِعـارِضٍ أَحْـوى وفـودَ الـدَّوْحِ أَزْهَـرَ نَـيِّرَا

تِلْـكَ المَنـازِلُ لا ملاعِـبُ عَـالِجٍ[5] ورِمـالُ كاظِمَـةٍ ولا وادِي القُـرى

أَرْضٌ إذا مَـرَّتْ بِهـا رِيـحُ الصَّبـا حَمَلَـتْ عَلَـى الأَغْصـانِ مِسْكًا أذفَـرَا

❁ وله[6]: [من الطويل]

دمشـقُ فـي شَـوقٌ إليـكِ مُـبَرِّحٌ وَإِنْ لَـجَّ وَاشٍ أَوْ أَلَـحَّ عَـذولُ

---

(١) هو عروة بن حزام العذري، شاعر من متيمي العرب.

(٢) ابن عُنَين: محمد بن نصر الله الدمشقي الأنصاري، شرف الدين الزرعي الحوراني الدمشقي الأنصاري (٥٤٩ - ٦٣٠ هـ)، أعظم شعراء عصره، مولده ووفاته بدمشق، كـان هجّـاءً، قلّ مـن سلم مـن شرّه في دمشق، حتى السلطان صلاح الدين، ونفاه، فذهب إلى العراق وأذربيجان والهند، قال ابن النجار في تاريخه عنه: «هو من أملح أهل زمانه شعراً، وأحلاهم قولاً، ظريف العشرة، ضحوك السن، طيب الأخلاق»، والأبيات في ديوانه صفحة ٤، قالها يمدح الملك العادل، ويستأذنه في العودة إلى دمشق.

(٣) يريد بواديي دمشق: وادي بردى، حيث يجري بردى من منبعه إلى دمشق، والثاني الأرض المنخفضة من الغوطة، المعروفة بين أهل الغوطة بأرض الوادي، وأوله عند مقسم الأحد عشرية، وآخره في جسر الغيضة قرب قرية المنيحة. من حاشية الديوان.

(٤) الرِّهمة: بالكسر المطر الضعيف الدائم. وفي الديوان: متواصل الإرعاد. (٥) الديوان: لا أعقّةُ عالج.

(٦) الديوان ٦٩، قالها يحن إلى دمشق ويتشوق إليها، وهو في اليمن سنة ٥٨٧ هـ.

بِــلادٌ بِهـــا الحَصْبـــاءُ دُرٌّ وَتُرْبُهــــا عَبِـــيرٌ وأنفـــاسُ الشَّـــمالِ شَـــمُولُ

* عَرْقَلَةُ الدِّمشقيُّ[١]: [من الكامل]

والشَّـامُ شـامَةُ وَجْنَـةِ الدُّنيـا كَمـا إنســانُ مُقْلَتِهـا الغَضيضَـةِ جلِّـقُ

سِـيْما وقَـدْ رَقَـمَ الرَّبيـعُ لِرَبْعِهـا وشْيًا بِـهِ حـدقُ الحدائـقِ[٢] تُحْـدِقُ

في نَـيْرَبٍ ضَحِكَـتْ ثُغـورُ أَقاحِـهِ لَمَّـا بَكـاهُ العـارِضُ المُتـألِّقُ

* وله[٣]: [من البسيط]

١- مـا فَتَّـحَ النَّـوْرُ إلاَّ أَشْـرَقَ النُّـورُ فَمَـا انتِظـارُكَ[٤] والمَنْثـورُ مَنثـورُ

٢- ولِـلرَّبيعِ رُبـوعٌ كُلَّمـا ضَحِكَـتْ بَكـى على نَشَـواتِ الخَمْـرِ مَخمـورُ

٣- أَمَّـا دِمشـقُ فَجَنَّـاتٌ مُزَخْرَفَـةٌ[٥] لِلطَّـالِبِينَ، بِهـا الوِلْـدانُ والحُـورُ

٤- مـا لاحَ فيهـا عَلـى أغصانِهـا قَمَـرٌ[٦] إلاَّ وغَنَّـاهُ قُمْـرِيٌّ وشُـحْرورُ

٥- يـا حبَّـذا ودُروعُ المـاءِ تَنْسـجُها أنـامِلُ الرِّيـحِ إلاَّ أنَّهـا زُوْرُ[٧]

---

(١) عرقلة الكلبي: هو الشاعر حسان بن نمير، أبو الندى، شاعر من الندماء، من سكان دمشق (٤٨٦ - ٥٦٧ هـ)، والأبيات في الديوان صفحة ٦٨، في الربيع ووصف دمشق.

(٢) الديوان: الربيع ربوعها.. حدق البرايا.

(٣) الديوان ٤١.

(٤) الديوان: فما اشتغالك.

(٥) الديوان: فجنات معجّلة.

(٦) الديوان: ما صاح فيها.

(٧) الديوان: لولا أنها زور.

❁ التلعفري[1]: [من البسيط]

أحبابَنـا بِنَواحـي الغُوطَتـينِ سَـقَى ... رُبوعَكُـمْ وابِـلٌ مِـنْ دَمْعِـيَ الـذَّرِفِ

ولا تَعَـدَّاكَ يـا بانـاسُ مُنْهَمِـرٌ ... يَهمِيْ على القَصْرِ فالَمْيدانِ فالشَّرَفِ

مَلاعِبٌ كَمْ بهـا مِـنْ شـادِنٍ غَنِـجٍ ... حُلْوِ الشَّمائلِ مَعسولِ اللَّمى تَـرِفِ

❁ وله[2]: [من البسيط]

١- جَـادَتْكَ يـا شَـرَفَ الَميْـدانِ سـارِيةٌ ... وَلا تَعَـدَّاكَ هَـامِي الـوَدْقِ هَتَّـانُ

٢- وَدَبَّجَـتْ لـكِ يـا سَـطْرا سُـطورُ رُبًـا ... مِـنَ الرِّيـاضِ لَهـا بـالزَّهْرِ أَلـوانُ

٣- وفـاحَ يـا وادي الشَّـقْراءِ مِنْـكَ شـذىً ... يَضيـعُ حـينَ يَضُـوعُ الـوَرْدُ والبـانُ

٤- وراقَ مـاؤُكَ يـا ثَـوْرًا ولا بَرِحَـتْ ... تَميـلُ فَوْقَـكَ بالأَطيـارِ أَغْصـانُ

٥- ودامَ دَفْقُـكَ يـا بَانـاسُ مُتَّصِـلاً ... حتَّـى يُـرى كُـلُّ ظـامٍ وَهُـو رَيَّـانُ

٦- تِلْكَ الجِنانُ الـتي حَيْـثُ التَفَـتَّ تَـرَى ... قَصْـرًا مُنيفًـا بـهِ حُـورٌ وَوِلْـدانُ

٧- تَدعـوكَ فيهـا إلى اللَّـذاتِ أَرْبَعَـةٌ ... بَيْـعُ الحَيـاةِ بِها مـا فيـهِ خُسْـرانُ

٨- ظِـلٌّ ظَليـلٌ ومـاءٌ بـارِدٌ غَـدِقٌ ... وجَوْسَـقٌ مُشْـرِفٌ عـالٍ وبُسْـتانُ

---

(١) محمد بن يوسف بن مسعود الشيباني التلعفري - نسبته إلى تل أعفر -(٥٩٣ - ٦٧٥ هـ)، ولد وقرأ بالموصل، وأقام في دمشق، فكان من شعراء صاحبها الملك الأشرف موسى الأيوبي، وابتلي بالقمار، فطرده الأشرف إلى حلب، وقرر له رسوماً، فجعل يضيعها في القمار، ثم عاد إلى دمشق يستجدي بشعره ويقامر، ثم قصد حماة، وتوفي فيها، والأبيات في الديوان صفحة ٢٠٥.

(٢) الديوان: ١٩٦.

❁ وله[1]: [من البسيط]

١- يا بارِقَ الشَّامِ حَيِّ الأهلَ وَالبانا[2] — وانقُلْ حَديثَكَ عَنْ لُبْنى ولُبْنانا

٢- وَهاتِ ما حَمَلَتْ عِطْفاكَ مِنْ خَبَرٍ — فَإنَّ لي برُبا جَيْرُونَ جيْرَانا

٣- سَقَتْ لَيالِيَ بالأحبابِ سَارِيةٌ[3] — تُعِيدُ ظَامِئَ ذاكَ التُّرْبِ رَيَّانا

٤- ولا تَعدَّى الرُّبا مِنْ قاسيونَ حيَا — يُعِيدُ فَوقَ الصَّياصي مِنْهُ غُدْرَانا

٥- تِلكَ الرُّبوعُ التي لم تَأْلُ مُذْ عُمِرَتْ — في الأَرْضِ لِلَّهْوِ والأَوْطارِ أَوْطَانا

❁ سبع بن خلف الأسدي[4]: [من الرجز]

١- سَقَى دمشقَ الشَّامِ غَيْثٌ مُمْرِعٌ — مِنْ مُسْتَهَلِّ دِيَمَةٍ دَفَّاقِها

٢- مدينةٌ لَيْسَ يُضاهي حُسْنَها — في سائرِ الدُّنْيا ولا آفاقِها

٣- تَوَدُّ زَوْراءُ العِراقِ أنَّها — تُعْزَى إليها لا إلى عِرَاقِها

٤- فأرضُها مِثْلُ السَّماءِ بَهْجَةً — وزَهْرُها كالزَّهرِ في إشْراقِها

٥- نَسِيْمُ ريّا رَوْضِها مَتى سَرَى[5] — فَكَّ أخا الهُمومِ مِنْ وَثاقِها

٦- قَدْ رَبَعَ الرَّبيعُ في رُبوعِها — وَسِيقَتِ الدُّنيا إلى أسْواقِها

---

(١) الديوان ٢١٥.

(٢) في الديوان و (ب): حيٌّ الأثل.

(٣) الديوان: سقت لياليك.

(٤) في الأصل: سيفي خطأ، وهو سبع بن خلف بن محمد الأسدي الفقعسي أبو الوحش، ويقال وُحيش، شاعر مطبوع، من شعراء الخريدة (قسم الشام ١/٢٤٢)، وقد وردت الأبيات في رحلة ابن بطوطة ١/٣٠٢، وفي نفح الطيب ١/٦١ منسوبة لسبع، وهي في ديوان فتيان بن علي الشاغوري - نسبة إلى الشاغور أحد أحياء دمشق - (٥٣٣ - ٦١٥)، صفحة ٢٨٨ و ٦٢١، وهي في الخريدة لفتيان أيضاً (قسم الشام ١/٢٤٨).

(٥) في (ب): إذا سرى.

٧- لا تَســأَمُ العيــونُ والأنــوفُ مِــنْ رُؤْيَتِهــا يومًــا ولا اسْتِنْشــاقِها

❀ شمسُ الدِّينِ الأسديِّ[(١)]: [من الوافر]

إذا ذُكِــرَتْ بِقــاعُ الأرضِ يومًــا فقُــلْ سَــقْيا لِجِلِّــقَ ثُــمَّ رَعْيــا

وقُــلْ في وَصْفِهــا لا في سِــواها بِهــا مــا شِئْتَ مِــنْ دِيــنٍ ودُنْيــا

❀ وَلهُ يَذكُرُ مُنْتَزَهاتِها، وهيَ بديعةٌ كَما تَرى[(٢)]: [من الكامل]

١- لي نَحْــوَ رَبْعِــكِ دائِمًــا يــا جِلِّــقُ شَــوْقٌ أَكــادُ بِبَعْضِــهِ أَتَمَــزَّقُ[(٣)]

٢- وَهُمــولُ دَمْــعٍ مِــنْ جَــوىً بِأضــالِعي ذا مغْــرِقٌ طَــرْفي وَهَــذا مُحْــرِقُ

٣- أشْــتاقُ مِنــكِ مَنــازِلاً لَــمْ أَنْسَــها أنّــى وقلــبي في رُبوعِــكِ مُوْثَــقُ

٤- رَبْــعٌ بِــهِ خَلْقِــي تَكَــوَّنَ أَوَّلاً وبِــهِ عُرِفْــتُ بِكُــلِّ مــا أَتَخَلَّــقُ

٥- أَدمشــقُ لا بَعُــدَتْ دِيــارُكِ عَــنْ فَتــىً أبــدًا إليــكِ بِكُلِّــهِ يَتَشــوَّقُ

٦- أَنْفَقْــتُ في نَــاديكِ أَيَّــامَ الصِّبَــا حُبًّــا وذاكَ أَعَــزُّ شَــيْءٍ يُنْفَــقُ

٧- فــالأرْضُ في طُــولٍ وعَــرْضٍ دائمــاً لَــمْ تَحْــوِ مِثْلَــكِ غَربُهــا والمَشــرِقُ

٨- للهِ وادي النَّــيْرَبينِ وظِلِّــهِ لا الرَّقْمَتــانِ وحــاجِرٌ والأَبْــرَقُ[(٤)]

٩- وسَــقَى دِيــارَ الصَّالِحيــةِ وابــلٌ يهْمِــي علــى تِلْــكَ المَنازِلِ مُغْــدِقُ

---

(١) البيتان في نفح الطيب ٦٢/١، منسوبان لشمس الدين الأسدي الطيبي. انظر الحاشية التالية.

(٢) القصيدة في فوات الوفيات ٣٢٧/٣ لمحمد بن الحسن بن سباع الدمشقي، شمس الدين الصائغ العروضي (٦٤٥ - ٧٢٢)، كان له نظم ونثر، وشرح ملحة الإعراب، واختصر صحاح الجوهري، وله ديوان كبير في مجلدين كبيرين، وهذه القصيدة قالها وهو في مصر يتشوق إلى دمشق. الدرر الكامنة ٤١٩/٣، وفوات الوفيات ٣٢٦/٣.

(٣) فوات الوفيات: أكاد به جوىً أتمزق.

(٤) فوات الوفيات: لا الرقمتان ورامة.

١٠- والسَّـهْمُ لا افْـتَرَّتْ ثُغـورُ بُروقِـهِ إلاّ ودَمْـعُ سَـحابَةٍ يَـتَرقْرَقُ

١١- كَـمْ فيـهِ مِـنْ قَصْـرٍ مُنِيـفٍ مُشْـرِفٍ يَبْـدو بِـهِ قَمَـرٌ مُنِـيرٌ مُشْـرِقُ

١٢- وَسَـقاكِ يـا سَـطْرا وَمُقْـرَى صَيِّـبٌ لِرُعـودِهِ في الزَّجْـرِ هَطْـلٌ شَـيِّقُ[1]

١٣- وَحَبـاكِ يـا أطـلالَ جَوْسَـقَ واصـلاً أطْـرافَ جَدْيـا مُسْـتَهِلٌّ مُشْـفِقُ[2]

قوله: أطلالَ جَوْسَق وجَدْيا: هما من منتزهات الشام.

١٤- للهِ سـرحةُ ذلـكَ الـوَادي الـذي قلـبي يَهيـمُ بِـهِ وذاكَ الجَوْسَـقُ

١٥- والوادِيـانِ كِلاهُمـا الغَربـيُّ والشـ ـشَرقيُّ نُزْهَـةُ مَـنْ بِرِفْـقٍ يَرْمُـقُ

١٦- فَغِياضُـهُ ورِياضُـهُ بعيونِـهِ هـذا يَعـومُ بهـا وَهَـذا يَغْـرَقُ[3]

١٧- مِـنْ سُـكْرِ زِبديـنَ إلى جِسْـرينَ كَـم حيّـا الحيـا رَوْضٌ عَليـهِ رَوْنَـقُ[4]

١٨- أنّـى اتَّجَهْـتَ رأيْـتَ رَوْضًـا مـاؤُهُ مُتَسَلْسِـلٌ يَعْلـو عليـهِ جَوْسَـقُ

١٩- والربـوةُ الفَيْحـاءُ حتَّـى الهامـةُ الـ ـعَلْيـاءُ كَـمْ مِـنْ جَـدْوَلٍ يَتَدَفَّـقُ

٢٠- والقَصْـرُ والشَّـرَفانِ والمَيْـدانُ والشـ ـشَعْراءُ عِشْـقٌ لِلّـذي لا يَعْشَـقُ[5]

٢١- فلَكَـمْ حَـوَتْ تلـكَ المنـازِلُ صـورَةً فيهـا الجَمـالُ مُجَمَّـعٌ وَمُفَـرَّقُ

---

(١) مُقرى: قرية كانت غربي طاحونة الأشنان من أرض الصالحية، بجوار نهر ثورا، بمنطقة المزرعة اليوم. معجم دمشق. والبيت ليس في فوات الوفيات.

(٢) فوات الوفيات: وحباك يا أطلال جوبر واصلاً.. غيث مريع مستهل.

(٣) فوات الوفيات: كعيونه هذا يعوم به.

(٤) في الأصل: حتى الحمى روض.

(٥) فوات الوفيات: والقصر والشرفات والشقراء والميدان عشقاً.

❁ وللأديبِ مجدُ الدينِ الحَنَفي[1]، وهي أُختُها في النَمَطِ والقافيةِ والمَلاحَةِ والظَرافَةِ:

[من الطويل]

١- لَعَلَّ سَنَا بَرْقِ الحِمَى يَتَألَّقُ ... على النَّأي أَوْ طَيفًا لأَسْماءَ يَطْرُقُ

٢- فَلا نَارُها تَبْدُو لِمُرْتَقِبٍ وَلا ... وُعودُ الأَماني الكَوَاذبِ تَصْدُقُ

٣- لَعَلَّ الرِّياحَ الهُوجَ تُدني لِنازِحٍ[2] ... مِنَ الشَّامِ عَرْفًا كاللَّطيمةِ يَعْبَقُ

٤- دِيارٌ قَضَيْنا العَيْشَ فِيْها مُنَعَّمًا ... وأيامُنا تَحْنُو علينا وتُشْفِقُ

٥- سَحَبْنا بِها بردَ الشَّبابِ وشُربُنا ... لَدَيْنا كما شِئْنا لذيذٌ مُرَوَّقُ[3]

٦- مَواطِنُ فِيْها السَّهْمُ سَهْمي وَظِلُّهُ[4] ... تَخُبُّ مَطَايا اللَّهْوِ فِيْها وَتَعْنَقُ

٧- جَلا جانِبَيْهِ مَعْلَمٌ مُتَجَعِّدٌ[5] ... مِنَ الماءِ في أطلالِهِ يَتَدفَّقُ

٨- إذا الشَّمْسُ حَلَّتْ مَتْنَهُ فَهوَ مُذْهَبٌ ... وإنْ حَجَبَتْها دَوْحَةٌ فَهُوَ أَزْرَقُ

٩- وإنْ فَرَّجَ الأوراقَ جادَتْ بِنُورِها ... فَرَقْمٌ أَجادَتْهُ الأَكُفُّ مُنَمَّقُ

١٠- يُطِلُّ عَلَيْهِ قاسِيونُ كَأَنَّهُ ... غَمَامٌ مُعَلَّى أَو لَغَامٌ مُعلَّقُ[6]

١١- تُسافِرُ عَنْهُ الشَّمسُ قَبْلَ غُروبِها ... وتَزْحَفُ إجْلالاً لَهُ حِيْنَ تُشرِقُ[7]

---

(١) هو محمد بن أحمد بن عمر بن أبي شاكر، مجد الدين ابن الظهير الإربلي الحنفي الأديب، ولد بإربل سنة ٦٠٢ للهجرة، وهو من أعيان شيوخ الأدب، له ديوان في مجلدين، توفي بدمشق ٦٧٧ هـ، ودفن بمقابر الصوفية، وهذه القصيدة قالها يتشوق إلى دمشق. فوات الوفيات ٣/٣٠١، وفي الأصل: محيي الدين الحنفي.

(٢) فوات الوفيات: تهدي لنازح.

(٣) فوات الوفيات: شئنا مصفّى مُصفق.

(٤) فوات الوفيات: سهمي وكلنا.

(٥) فوات الوفيات: كلا جانبيه.

(٦) في الأصل: نعام، واللغام: الطيب.

(٧) فوات الوفيات: وترجف إجلالاً.

١٢- وتَصْفَرُّ مِنْ قَبْلِ الأَصيلِ كأنّها ... مُحِبٌّ مِنَ البَيْنِ المُشَتِّتِ مُشْفِقُ

١٣- وفي النَّيْرَبِ المَيْمونِ لِلُّبِّ سالِبٌ ... مِنَ المَنْظَرِ الزَّاهي ولِلطَّرْفِ مُومِقُ[1]

١٤- بَدائعُ مِنْ صُنْعِ القَديمِ ومُحْدَثٌ ... تَأَنَّقَ فِيْها المُحْدِثُ المُتَأَنِّقُ

١٥- رِياضٌ كَوَشْيِ للبُرودِ تَشُقُّها[2] ... جَداوِلُها فالنُّور بالماءِ يَشْرُقُ

١٦- فَمِنْ نَرْجِسٍ يخشى فِراقَ فَريقِهِ ... تَرَى الدَّمْعَ في أَجْفانِهِ يَترَقْرَقُ

١٧- ومِنْ كُلِّ رَيحانٍ مُقيمٍ وزائرٍ ... يُصافِحُ رَيَّاهُ الرِّياضَ فَيَعْبَقُ[3]

١٨- كأَنَّ قُدودَ السَّرْوِ فِيهِ مَوائِسًا ... قُدودَ عَذارى مَيْلُها مُتَرَفِّقُ[4]

١٩- إذا ما تَداعَتْ لِلشَّقائقِ صَدَّها[5] ... عُيونٌ مِنَ النَّوْرِ المُفَتَّحِ تَرْمُقُ

٢٠- وقَصْرٍ يَكِلُّ الطَّرْفُ عَنْهُ كَأَنَّهُ ... إلى النَّسْرِ نَسْرٌ في السَّماءِ مُعَلَّقُ

٢١- وَكَمْ جَدْوَلٍ جَارٍ يُطارِدُ جَدْوَلاً ... وَكَمْ جَوْسَقٍ عالٍ يُوازيهِ جَوْسَقُ

٢٢- وكَمْ بِرْكَةٍ فِيْها تُضاحِكُ بِرْكَةً ... وَكَمْ قَسْطَلٍ لِلماءِ فيهِ تَدَفُّقُ[6]

٢٣- وكَمْ مَنْزِلٍ يُغْشي العُيونَ كأَنَّما ... تَأَلَّقَ فيها بارِقٌ يَتَأَلَّقُ

٢٤- وفي الرَّبْوةِ الفَيْحاءِ لِلقَلْبِ جَاذِبٌ ... وللغينِ مَسْلاةٌ ولِلْعَيْنِ مَرْمَقُ[7]

٢٥- عَروسٌ جَلاها الدَّهرُ فَوْقَ مِنَصَّةٍ ... مِنَ الدَّهْرِ والأَبْصارُ تَرْمي وتَرْمُقُ

---

(١) فوات الوفيات: النيرب المرموق.. للطرف مونق.

(٢) فوات الوفيات: كوشي البرد تزهو بحسنها.

(٣) فوات الوفيات: يضاعف رياه.

(٤) فوات الوفيات: ميلها يترقرق.

(٥) فوات الوفيات: تداعت للتعانق.

(٦) فوات الوفيات: قسطل في الماء للماء يدفق.

(٧) غانت النفس غَيناً: غَثَتْ وخبثت وجاشت. معجم متن اللغة (غين - غثو). وفي (أ) و (ج): وللغبن، وفي فوات الوفيات: وللسمع إصمات وللعين.

٢٦- فَهامَ بها الوادي فَفاضَتْ عُيونُهُ فَكُلُّ قَرارٍ مِنْهُ بالدّمعِ يَشْرُقُ

٢٧- تكَفَّلَ مِنْ دونِ الجَداولِ شُرْبُها يَزيدُ يُصَفِّيها بِهِ ويُروّقُ[٨]

❁ البحتري[١] من قصيدة[٢]: [من البسيط]

١- العَيْشُ في ظِلِّ داريّا إذا بَرَدا والرَّاحُ تَمْزجُها بالماءِ مِنْ بَرَدى

٢- أَمَّا دمَشْقُ فقَدْ أَبْدَتْ مَحاسِنَها وقَدْ وَفى لكَ مُطريها بما وَعَدا[٤]

٣- إذا أَرَدْتَ مَلأْتَ العَيْنَ مِنْ بَلَدٍ مُسْتَحْسَنٍ وزَمانٍ يُشبِهُ البَلَدا

٤- تَمْشي السَّحابُ عَلى أجبالِها فِرَقًا ويُصبِحُ الماءُ في صحرائِها بَرَدا[٥]

٥- فلسْتَ تُبْصِرُ إلاّ واكِفًا خَضِلاً أَوْ يانِعًا خَضِرًا أو طائرًا غَرِدَا

❁ ابن المُشِدّ[٥]: [من البسيط]

كَأَنَّ جِلّقَ حَيّا اللهُ ساكِنَها أَهْدَتْ إلى الغَوْرِ مِنْ أَزْهارِها مَدَدا

فاسْتَرْسَلَ الجَوُّ منهلاً يَزيدُ على نَوْرا وَيَعْقِدُ مَحلولَ النّدى بَرَدى

---

(٨) فوات الوفيات: يزيد يصفيها لها ويصفق.

(١) البحتري: الوليد بن عُبيد الطائي (٢٠٦ - ٢٨٤ هـ)، الشاعر الكبير، يقال لشعره سلاسل الذهب.

(٢) الديوان ٢/٧٠٩، وانظر تاريخ ابن عساكر ٢/١٧١: وفي دخول المتوكّل دمشق يقول...

(٤) في الأصل: ومن لك منظرها، والمثبت من الديوان.

(٥) في الديوان: يمسي السحاب.. ويصبح النبت.

(٥) ابن المشد: علي بن عمر بن قزل التركماني، شاعر من أمراء التركمان، ظريف، طيب العشرة، كان مُشِدَّ الدولة (أي رفيقاً للوزير ينقل أوامره إلى رؤساء القرى في دفع الضرائب) بدمشق، ولد بمصر ٦٠٢ هـ، وتوفي بدمشق ٦٥٦ هـ. فوات الوفيات ٢/٦٣، والبيتان في ديوانه صفحة (٧٣) وهما في نفح الطيب ٢/٤٠٩.

❁ ابن تميم[1]: [من الكامل]

عَجَبًا لِمَيْدانِي دِمَشقَ وقَدْ غَدا ... كُلٌّ لَهُ شَرَفٌ إليهِ يَؤُولُ
والنَّهرُ بَيْنَهما لِغَيرِ جِنايةٍ ... سَيْفٌ عَلَى طُولِ المَدى مَسْلُولُ

❁ لسان الدين بن الخطيب[2]: [من الكامل]

بَلَدٌ تَحُفُّ بِهِ الرِّياضُ كَأَنَهُ ... وَجْهٌ جَميلٌ والرِّياضُ عِذارُهُ
وكَأَنَّما وَادِيْهِ مِعْصَمُ غَادَةٍ ... ومِنَ الجُسورِ المُحْكَماتِ سِوارُهُ

❁ وقال آخر[3]: [من الكامل]

بَرَزَتْ دمشقُ لِزائري أوطانِها ... مِنْ كُلِّ ناحيةٍ بوَجهٍ أزهَرِ
لَوْ أنَّ إنسانًا تَعمَّدَ أنْ يَرى ... مَغْنًى خَلا مِنْ نُزْهةٍ لم يَقْدِرِ

❁ وقال آخر: [من الوافر]

دمشقٌ لا يُقاسُ بِهَا سِوَاها ... ويَمتنِعُ القِياسُ مَعَ النُّصوصِ

---

(١) هو الأمير مجير الدين محمد بن يعقوب، المعروف بابن تميم الحموي الشاعر، من أمراء الجند، دمشقي، استوطن حماة، قال ابن العماد: «كان من العقلاء الفضلاء الكرماء وشعره في غاية الجودة»، توفي سنة ٦٨٤ هـ. انظر البداية والنهاية ٣٠٧/١٣، شذرات الذهب ٦٧٩/٧.

(٢) لسان الدين بن الخطيب: محمد بن عبد الله الغرناطي الأندلسي (٧١٣ - ٧٧٦ هـ)، الأديب الشاعر، والوزير النبيل، ولد ونشأ بغرناطة، ومات بفاس، كان يلقب بذي الوزارتين: القلم والسيف، ويقال له: ذو العُمْرين، لاشتغاله بالتصنيف في ليله، وبتدبير المملكة في نهاره، مؤلفاته نحو ستين كتاباً، منها «الإحاطة في تاريخ غرناطة»، والبيتان في الإحاطة ١١٥/١، ونفح الطيب ٦٢/١، وبه: وكأن لسان الدين بن الخطيب عناها [أي دمشق] بقوله المصيب.

(٣) البيتان في نفح الطيب ٣٩٦/٢ من غير عزو.

حَلاهــا راقَــتِ الأَبصـــارَ حُسْـــنًا علــى حُكْــمِ العُمــومِ أو الخُصــوصِ

بِســــاطُ زُمــــرُّدٍ نُـــثِرَتْ عَلَيْــــهِ مِــنَ اليــاقوتِ أنــواعُ الفُصـــوصِ

❁ وقال غيره: [من الخفيف]

إنْ تَكُـــنْ جَنَّـــةُ الخُلـــودِ بِـــأَرْضٍ فَدِمَشْـــقٌ ولا يكـــونُ سِـــواها

أَوْ تَكُـــنْ في السَّـــماءِ فهـــي عَلَيْهـــا قـــد أَمـــدَّتْ هَواءَهـــا وَهَواهـــا

بَلـــدٌ طيِّـــبٌ وربٌّ غَفـــورٌ فاغْتَنِمْهـــا عَشِـــيَّةً أوْ ضُحاهـــا[1]

❁ وقال غيره: [من الطويل]

أَلا إنَّ وادي الشَّـــامِ أصبـــحَ آيـــةً مَحاسِنُهُ مـا بَـينَ أَهـلِ النُّهَـى تُتْلَـى

وإنْ شَـرُفَتْ بـالنِّيلِ مصـرُ فلَـمْ تَـزَلْ دِمَشْـقُ لهـا بالغُوطَـةِ الشَّـرَفُ الأعلـى

❁ وقال غيره[2]: [من الكامل]

لِلّـــهِ مـــا أحْلـــى مَحاسِـــنَ جلِّـــقٍ وَجِهاتِهـا اللاَّتـــي تَـروقُ وتَعْـذُبُ

بـــيزيد ربوتِهـــا الفـــراتِ وجَنْكِهـــا يـا صـاحِ كَـمْ كُنَّـا نخـوضُ ونلعَـبُ

❁ وقال الآخر فيها[3]: [من البسيط]

أَنهارُهـــا فِضَّـــةٌ والمِسْـــكُ تُرْبَتُهـــا والخَـــزُّ رَوْضَتُهـــا والـــدُّرُّ حَصْبـــاءُ

---

(١) هو من قوله تعالى في سورة سبأ، الآية ١٥: ﴿بلدة طيبة ورب غفور﴾. وقوله في سورة النازعات الآية (٤٦) ﴿إلا عشية أو ضحاها﴾.

(٢) البيتان للبدر بن حبيب، نفح الطيب ٣٨٩/٢. وفي الأصول: فيزيد.

(٣) الأبيات لابن سفر المريني في مدح الأندلس. نفح الطيب ٢٠٩/١، ٢٢٧.

وَلِلهــواءِ بهــا لُطْــفٌ تَــروقُ بــهِ	مَـنْ لَـمْ يَـرِقَّ وتَبـدُو مِنْـهُ أَهـواءُ[1]
وكيــفَ لا تُبْهِـجُ الأبصـارَ رُؤْيَتُهـا	وكُـلُّ رَوْضٍ بِهـا في الوَشْـيِ صَنْعـاءُ

❁ وقد جمعَ الأميرُ أبو الفضلِ إسماعيلُ بنُ الأميرِ أبي العساكرِ سلطانُ بـن علـي بـنِ مُنْقِذٍ الكِناني[2] في قصيدةٍ لهُ طويلةٍ محاسنَ دمشقَ التي ذكرَها غيرُهُ [من الشعراء]، فأجمَلَها، فأتى بها مُستقصاةً وفصَّلها، فَشرَّفَها بما قال فيها وجَمَّلها، وقد أثبتُّ في هذهِ الرسالةِ ما اختَرْتُهُ منها، وهي[3]: [من الكامل]

١- يـا ذَائـدًا يُزجـي القـروم البُـزْلا	دَعْ عنكَ بغداذًا وخَـلِّ المَوْصِـلا[4]
٢- لا تُزْجِهـا لسِـوى دمشـقَ فإنَّـهُ	سيطيلُ حَـزًّا مَـنْ تَعـدَّى المِفْصَـلا
٣- بلـدٌ جَـلا صَـدَأَ الخَواطِـرِ فَـانْجَلَتْ[5]	كالمُرْهَفاتِ البِيـضِ وافَـتْ صَيْقَـلا
٤- عَوَّضْتُـهُ عَـنْ مَوْطِـني فوجَدْتُـهُ	أحلى وأعـذبَ في الفُـؤادِ وأَجْمَـلا
٥- لمْ أَلْتَمِـسْ فيـهِ لِجسـمي مَـنْزِلاً	حتّـى وَجـدْتُ لـهُ بقلـبي مَـنْزِلا
٦- ذُو رَبـوةٍ جـاءَ القُـرانُ بِذِكْرِهـا	ومسـاجدٍ بَركاتُهـا لَـنْ تُجْهَـلا

---

(١) نفح الطيب: لطفٌ يرقُّ به من لا يرقُّ.

(٢) هو الأمير شرف الدولة إسماعيل بن أبي العساكر سلطان، قال في الخريدة (قسم الشام) ٥٦٤/١: سمعت أنه كان شاباً فاضلاً، وسكن دمشق بعد أخذ شيزر من بني منقذ، توفي سنة ٥٦١ هـ، وانظر معجم الأدباء ٥٨٩/٢.

(٣) هذه المقدمة (وقد جمع الأمير...) والقصيدة في تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١٧٨/٢. وعدد أبياتها هناك (١٠٠) بيتٍ.

(٤) ابن عساكر:

يـا زائـراً يزجـي القـروم البـزلا	دع قصـد بغـداد وخـلِّ الموصـلا

وجاء في الحاشية: القروم: جمع قرم، وهو البعير. البُزل: جمع بزول وبازل، وهي الناقة أو الجمل في تاسع سنيه.

(٥) ابن عساكر: الخواطر فانثنت.

٧- ومــــدارسٍ لم تأْتِهـــا في مُشْـــكِلٍ إلا وجَـدْتَ فتًـى يَحُـلُّ المُشـكِلا

٨- مـــا أمَّهـــا مَـــرْءٌ يُكـــابِدُ حَـــيْرَةً وخَصاصَــةً إلا اهْتَــدى وتَمَــوَّلا

٩- [وبهـــا وُقُـــوفٌ لا يـــزالُ مُغِلُّهـــا يَسْتَنْقِذُ الأَسـرى ويُغـني العُيَّـلا]

١٠- وأَئمّــةٌ تُلْقــي الــدُّروسَ وسَــادَةٌ تشفي النُّفوسَ وَداؤُها قَـدْ أَعْضَـلا

١١- ومعاشــرٌ تخــذوا الصَّنــائِعَ مَكْسَــبا وأفـاضِلٌ حَفِظُـوا العُلـومَ تحَمُّــلا

١٢- وقُبـورُ قَـومٍ مَـنْ دعَـا في مَطْلَـبٍ مُتَعَسِّـرًا أضْحـى بِهـا مُتَسـهِّلا

١٣- مِـنْ صـالِحِينَ وتـابِعينَ وزُمـرةٍ شـهداءَ شـاهدَتِ النبـيَّ المُرْسَـلا

١٤- قَدَحُـوا بِزَنْـدِ هُـدًى تَطـايَرَ سَـقْطُهُ رُشـدًا فـأوْعَرَ في البِـلادِ وأسْـهلا

١٥- وَجَحـافِلٌ تُوفِـي علَـى عَـدَدِ الحَصَـى تَـذَرُ المُحَـرَّمَ بالسُّـيوفِ مُحَلَّـلا

١٦- وكـأنَّ جامِعَهـا البديـعَ بنـاؤُهُ مُلْكٌ يَمـيزُ مِـنَ المَسـاجِدِ جَحْفَـلا

١٧- ذو قُبَّـةٍ رُفِعَـتْ فَضَـاهتْ قُلَّـةً[1] وَمَنـابِرٍ بُنِيَـتْ فَحـاكَتْ مَعْقِـلا

١٨- تَبـدو الأهِلَّـةُ في أعالِيْهـا كمـا يَبـدو الهِـلالُ تَعالِيًـا وَتَهلُّـلا

١٩- ويُريـكَ سَـقْفًا بالرَّصـاصِ مُدَثَّـرًا يَعلـو جـدارًا بالرُّخـامِ مُزَمَّـلا

٢٠- قَـدْ أَلِّـفَ الأقـوامُ بَيْـنَ شُـكولِهِ فَغَـدا الرُّخـامُ بِذاتِـهِ مُتَشَـكِّلا

٢١- فكَأنّمـا مِحْرابُـهُ مِـنْ سُـنْدُسٍ أوْ لُؤْلُـؤٍ وَزُمُـرُّدٍ قَـدْ فُصِّـلا

٢٢- تُلـيَ القُـرانُ بِـهِ وراعَ بِحُسْـنِهِ فَهَـدى المُصيْـخَ وحَـيَّرَ المُتَـأمِّلا

٢٣- وتَـرَى صَبيحَـةَ كُـلِّ يَـومٍ زُمْـرَةً في السَّـبْعِ يَتلـونَ الكِتـابَ المُنْزَلا

٢٤- ولَـهُ مَصـابيحٌ لَهُـنَّ سَلاسِـلٌ تَحْكِـيْ الأَسِـنَّةَ والرِّمـاحَ الذُّبَّـلا

---

(١) شبّة قبة المسجد الأموي التي تُسمّى قبة النسر بالقلّة. والقلّة: رأس الجبل. وانظر الحاشية (١) صفحة ٧٦.

٢٥- تَبْدو القِبابُ بِصَحْنِهِ لكَ مِثْلَ ما | تبدو العَرائسُ بالحُليِّ لِتُجْتَلى
٢٦- وَعَلَتْ به فَوَّارةٌ[1] مِنْ فِضَّةٍ | سالَتْ فَظَنُّوها مَعينًا سَلْسَلا
٢٧- يحوي إذا مَتَعَ النهارُ[2] مَعاشِرًا | شَتَّى الخَلائقِ والطرائقِ والحِلا
٢٨- فإذا دَجا لَمْ يَحْوِ إلاّ خاضِعًا | مُتوكِّلاً أو خاشِعًا مُتَبَتِّلا
٢٩- أوْ خالِيًا مُتَفكِّرًا أوْ قارئًا | مُتبصِّرًا أوْ داعِيًا مُتَوسِّلا
٣٠- كُلُّ امْرِئٍ منهم تَراهُ بِمَعْزِلٍ | وَمَحلُّهُ يَعْلو السِّماكَ الأَعْزَلا
٣١- وإذا مَرَرْتَ على المَنازِلِ مُعْرِضًا | عنْها قضَى لكَ حُسْنُها أَنْ تُقبِلا
٣٢- إنْ كُنْتَ لا تَسْطيعُ أن تَتمثَّلَ الـ | ـفِرْدَوْسَ تَنظُرها[3] تَصِرْ مُتَمثِّلا
٣٣- وإذا عِنانُ اللَّحْظِ أَطْلَقَهُ الفَتى | لم يَلْقَ إلاّ جَنَّةً أوْ جَدْوَلا
٣٤- أو رَوْضَةً أو غَيْضَةً أو قُبَّةً | أو بِرْكَةً أو ربوةً أو هَيْكَلا
٣٥- أو وادِيًا أو نادِيًا أو مَلعَبًا | أو مَذْهَبًا أو مِجدلاً[4] أو مَوئِلا
٣٦- أو شارِعًا يَزهو بِرَبْعٍ قد غَدا | فيهِ الرُّخامُ مُجزَّعًا وَمُفَصَّلا
٣٧- وفواكِهٌ مُتَخالِفٌ أصْنافُها | مِمَّا يشوقُك مَطْعَمًا وتَأَمُّلا
٣٨- وإذا البَلابِلُ أسْمَعتْ تَرْجيعَها السْـ | ـسَالي تَراجَعَ وَجْدُهُ فَتبَلْبَلا
٣٩- وكأنَّ واديها قِرابٌ أخضرٌ | يَسْتَلُّ مِنْ بَردى حُسَامًا مُنْصَلا

---

(١) هي فوارة باب جيرون الباب الشرقي لجامع بني أمية ينزل عليه بدرج كثيرة، في حوض من رخام، وقبة خشب يعلو ماؤها نحو الرمح. معجم البلدان (جيرون).

(٢) الأصل: إذا منع النهار، والمثبت من تاريخ ابن عساكر.

(٣) المثبت من تاريخ ابن عساكر: فانظرها.

(٤) المجدل: كمنبر: القصر.

٤٠- والمَـرْجُ والمَيْـدانُ مَـأْهولانِ مِـنْ أُسْدِ الشَّـرى التَفُّـوا بِغِـزلانِ الفَـلا

٤١- مُتمـاثِلانِ وَكُـلُّ مِثْـلٍ مِنْهُمـا تلفيـهِ[1] مِـنْ بـاقي البَسـيطةِ أَمْثَـلا

٤٢- وكأنَّـهُ مِـنْ قَـومِ كِسْـرى إذْ غَـدَا بلباسِـهِمْ مُتَـأَزِّرًا مُتَسَـرْبلا

٤٣- وَعَـلا عليهـا قاسـيونُ كأنَّـهُ بسَـناهُ تَـاجٌ[2] بـالجَواهرِ كُلِّـلا

٤٤- قـدْ بَـرَّزُوا في المَـأْثُراتِ وأحْـرَزُوا قَصَـبَ المَفـاخِرِ وارْتَقَـوا دَرَجَ العُلـى

٤٥- ومَحَـا الإخـاءُ حقودَهُـمْ فكأنَّمـا[3] طَلَـلٌ عَفَـا بـينَ الدَّخُـولِ وَحَوْمَـلا

٤٦- كَلِفُـوا بتَجْديـدِ المَـوَدَّةِ والنَّـدى لَمَّـا رَأَوْا أَنَّ الجديـدَ إلى بلَـى

٤٧- فـتراكَضُوا خَيْـلَ السَّـماحِ بدَعْـوةٍ أضْحى دُخانُ العُودِ فيهـا القَسْطَلا[4]

٤٨- مِـنْ كُـلِّ فَـادٍ عِرْضَـهُ بِنُضـارِهِ يَـذَرُ المُؤَمِّـلَ راحَتَيْـهِ مُؤَمَّـلا[5]

٤٩- يُبـدِيْ نَـدًى يُغـني وحِلْمًـا راجحًـا وسَـجِيَّةً تُرضـى وقَـوْلاً فَيْصَـلا

٥٠- نِعْـمَ الجَليـسُ فَـإِنْ غَـدَا في خَلْـوَةٍ فكأنَّـهُ فِيْهـا يُجـالِسُ مَحْفَـلا

٥١- مَقَـتَ الرَّوافِـضَ والخَـوارجَ وانْثَنـى يَحبُـو القَرابـةَ والصحابـةَ بـالوَلا

٥٢- مُتَمَسِّـكًا بالسُّـنةِ البيضـاءِ قَـدْ أَضْحَـى لهـا مُتَقَيِّـلاً مُتَقَبِّـلا

٥٣- تَـاللهِ لَسْـتُ بـآمِنٍ في وَصْفِهـا خَطَـلاً ولـو أنّـي فَضَلْـتُ الأَخْطَـلا

٥٤- فابْسُطْ بِفَضْلِـكَ عُـذرَ خِلِّـكَ إنْ بَـدا زَلَـلٌ فـإنَّكَ لم تَـزَلْ مُتَفَضِّـلا

٥٥- وغَريـبُ وَصْفـي قـدْ أتـاكَ مُفَصَّـلا وسِـواهُ لا يـأْتيكَ إلاَّ مُجْمَـلا

---

(١) ابن عساكر: تلقاه من...

(٢) ابن عساكر: ببناه تاج.

(٣) ابن عساكر: حقودهم فكأنها.

(٤) القسطل: غبار الحرب.

(٥) ابن عساكر: راحتيه ممولا.

❁ وَلِجنابِ مَالكِ أعنَّةِ الفضْلِ الباذِخِ، وصاعدِ ذِرْوَةِ المَجْدِ الشَّامخِ، العلاَّمةِ الذي جعلَ الأدبَ لِكتابِ فَضْلِهِ عُنوانًا، فامتلأتِ المهارقُ مِنْ بَدائعِ فوائدِهِ بيانًا وإتقانًا، ديباجةُ الحقائقِ، ومفتاحُ العلومِ الذي فتحَ اللهُ بهِ كنوزَ الدقائقِ، حتّى أضْحتْ كلمةُ النَّورِ تَبْسُمُ في الأكمامِ، والنُّورُ تُمحى بهِ سطورُ الظلامِ، فَخَلَبَ الألبابَ بنظمِهِ ونثرِهِ، ومَلَكَ القُلوبَ بنَهْيِهِ وأمْرِهِ: [من الكامل]

بِمَناقِبٍ تُلِيَتْ لَنا آياتُها ... عنها يكادُ يبينُ نُطْقُ الأَخرسِ
ورياضِ طَبْعٍ بالفضائلِ أثْمَرَتْ ... وغَدتْ تُحدِّثُنا بطيبِ المَغْرِسِ[1]

الهُمامُ الذي سماءُ مَعاليهِ مُزيَّنةٌ بزواهرِ النجومِ، وصدرُ الزمانِ مُحَلّى مِنهُ بأبْهَى عِقْدٍ من الكمالِ منظومٍ، البدرُ المُشرقُ في أُفقِ الهُدى، والنورُ السّاطعُ في فَلَكِ الاهتدا، الحاوي قَصَبَ السَبْقِ في مَيْدانِ الإفادةِ، مولانا **الأستاذُ أحمدُ بنُ علي المَنيني**[2] بَلَّغَهُ اللهُ منَ الخيرِ ما أرادَهُ، قوله: [من الكامل]

١- كمْ ليلةٍ بالنَّيْرَبَيْنِ قطَعْتُها ... مِنْ بَعدِها لِي رَنَّةٌ وشهيقُ
٢- وبِدَيْرِ مُرَّانَ ونهرِ يزيدَ كمْ ... زادَ السُّرورُ وقد صفَا الراووقُ
٣- والربوةُ الغَنّاءُ كم فِيها مَضى ... عَيْشٌ بهِ وَجْهُ الزَّمانِ طَليقُ
٤- آهٍ على زَمنٍ مَضى في ظِلِّها ... عَجِلاً ووجْهُ شَبيبَتي مَوْموقُ
٥- حيثُ الزمانُ مُساعِدٌ وضميرُهُ ... كمِياهِها أبدًا تَراهُ يَروقُ

---

(١) البيتان لشهاب الدين الخفاجي، صاحب كتاب ريحانة الألبا. انظر كتابه هذا صفحة ٢٩.

(٢) أحمد بن علي بن عمر، شهاب الدين المنيني - نسبة إلى عين منين من قرى دمشق - (١٠٨٩ - ١١٧٢ هـ)، أديب، من علماء دمشق، نشأ وتوفي بها، وله شعر جيد، وله جملة كتب، منها «الفتح الوهبي في شرح تاريخ العتبي» و«الإعلام بفضائل الشام». سلك الدرر ١/١٥٣.

٦- والسَّبعةُ الأنهارُ تَخرِقُ دَوحَهَا فَيُشَقُّ بُردُ ظِلالِها المرتُوقُ
٧- يَجري بِها الماءُ النَّميرُ على حَصًى هيَ لُؤْلؤٌ قدْ نُضِّدَتْ وعَقيقُ
٨- قدْ ضمَّني مُذْ كنتُ طِفلاً حِجْرُها أيكونُ منّي بَعدَ ذاكَ عُقوقُ
٩- لا وَالذي عَلَقًا بَراني لم يَكُنْ في غيرِها لِلقلبِ قَطُّ علوقُ
١٠- يا ليتَ شِعْري هلْ تُبَلُّ بوقْفَةٍ منّي علَى وادي مَنِينَ عُروقُ
١١- وأعَلُّ مِنْها بالزُّلالِ يَسِيحُ في رَضْراضِ[٣] دُرٌّ زانَهُ التّنميقُ
١٢- وأرى بِعَيني رأسَ عينٍ ماؤُها يَشفي العَليلَ وما بِهِ تَرنيقُ
١٣- عينٌ غَدَتْ عينُ الحياةِ تَمُدُّها عَنْها تَضَاءَلَ للسُّلافِ رَحيقُ
١٤- هيَ مَعهدُ اللَّذّاتِ مع بيضِ الدُّمى كمْ كانَ لي عهدٌ بِهِنَّ وَثيقُ
١٥- فسقَى مَعاهِدَ قدْ مَضى شَرْخُ الصِّبا فيها لِهَطّالِ العِهادِ دُفوقُ
١٦- ما لِي طريقٌ لِلبَقا إنْ لمْ يَكُنْ لِرياضِها لي زَوْرَةٌ وطُروقُ
١٧- يا جَنَّةً فارَقْتُها مُذْ ذَا دَنا عَنها زمانٌ دَأْبُهُ التَّفريقُ



ولِجَنابِ مَنْ طَلَعَ بدرُ سَعْدِهِ مِنْ أُفقِ الكمالِ، وكَرَعَ مِنْ مَنْهَلِ الفَضْلِ ما هو أعذَبُ مِنْ سائغِ الزُّلالِ، حتى اتخذَ الأثيرَ مَقامًا، وغدا لأربابِ المَجدِ والبلاغةِ إمامًا، وهَطلتْ سحائبُ بَلاغتِهِ على حَدائقِ الآدابِ، وتَفجَّرتْ يَنابيعُ بَراعتِهِ على رياضِ الفَصاحةِ سائغَةَ الشرابِ، وغرَّدَتْ على أفنانِ الكَمالِ حَمائمُهُ، وهَبَّتْ على أدْواحِ الأَدبِ الناضرِ نَسائمُهُ: [الخفيف]

بَحرُ فَضْلٍ لو قِيسَ بالبَحْرِ كانَ الـ ـبَحرُ في جَنْبِهِ كَلَمْعِ السَّرابِ

(٣) الرضراض: انظر الصفحة (٧٧) الحاشية (٣).

وإذا قِيلَ خُلْقُهُ الرَّوضُ أضحَى الـرْ ـرَوضُ طَلْقًا بذلكَ الانْتِسابِ[1]

وَضّاحُ الجَبينِ والمُحَيَّا، إذا نَفثَ السِّحْرَ أدارَ على أفواهِ الأسْماعِ كؤوسَ الحُمَيَّا، بحرٌ يُنبتُ اللؤْلُؤَ والمَرْجانَ، بمعانٍ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إنسٌ قَبلَهُ ولا جانٌ، مولانا البارع **محمد سعيد بن السمّان**[2]، فَمِنْ عَذْبِ مَوْرِدِهِ الذي راقَ وصَفا، ما مَدَحَ بهِ دِمشقَ الشامَ دارَ الصَّفا، بقوله: [من الكامل]

١- شَوقٌ تَقطَّعُ دونَهُ الأعْلاقُ وهَوًى يُؤَجِّجُهُ نَوًى وفِرَاقُ

٢- وَهُطولُ دمعٍ كُلّما ذُكِرَ الحِمَى أسَفًا علَى تِلكَ الطُّلولِ يُراقُ

٣- كَمْ ليلةٍ كابَدْتُ في ظَلمائِها حُرَقًا تَضاءلَ عندَها الإحْرَاقُ

٤- أطْوي على بُرَحِ الأسَايا بَرْدَها بزَفيرِ قَلبٍ مِلْؤُهُ أشْواقُ

٥- مُتَعَلّلاً وَإنِ اسْتطالَ ظَلامُها أنْ سوفَ يَعقُبُ ما حوَتْ إشْراقُ

٦- حَدِّثْ ولا تَبْخَلْ أيا بَرْقَ الحِمَى لا زالَ يَبْسُمُ ثَغرُكَ البَرَّاقُ

٧- هَلْ جُزْتَ مُعتَنِيًا بِوادي جِلَّقٍ حَيَّا رُباها الوابِلُ المِغْداقُ

٨- وأتَيْتَ نَيْرَبَها الخَضيلَ مُهَيْمِنًا وَسَلكْتَ مِنْ قاسونَ ما يُشْتاقُ

٩- وعلَوْتَ سَفْحَ الصَّالِحيةِ رَيْثَما شامَتْ لُمُوعَ وَميضِكَ الآماقُ

١٠- وَنَهجْتَ رَبوتَها بحيثُ تَأرَّجَتْ مِنْكَ الرُّبا واسْتَأْنَسَ المُشْتاقُ

---

(١) البيتان لمحمد بن قاسم الحلبي، ريحانة الألبا ٤٥.

(٢) محمد سعيد، أو سعيد بن محمد بن أحمد السمان الدمشقي (١١١٨ - ١١٧٢ هـ)، كاتب مترسل، له شعر وعناية في التاريخ، له «الروض النافح فيما ورد على الفتح من المدائح» مجموع شعري، ونظم «المغني» في النحو، وباشر تأليف كتاب في تراجم شعراء عصره، فقام برحلة من أجله، فتوفي قبل إتمامه، وبقي مسودّات، فأثبته المرادي متفرقاً في كتابه سلك الدرر، له ديوان شعر سماه «منائح الفكر». سلك الدرر ٢/١٦١.

١١- وخَطَرْتَ تِيْهًا بالحَواكيرِ الَّتي ... بعَبيرِها تَسْتَروِحُ العُشَّاقُ

١٢- ونظَرْتَ مَرْجَتَها وفي أَدْواحِها ... رَقَّ النَّسيمُ الطَّيِّبُ الخَفَّاقُ

١٣- ومَرَرْتَ بالشَّرَفِ الرَّحيبِ المُنتَدى ... وتَطاوَلَتْ لِوَميضِكَ الأَعْناقُ

١٤- ورَسَفْتَ بالخَلْخالِ حَيْثُ مَقاسِمُ الـ ... ـأنهارِ يَجري ماؤُها الرَّقْراقُ

١٥- وعَبَرْتَ بالقَصْرَينِ جادَهُما النَّدى ... وسَقاهُما عَهْدُ الحَيا الدَّفاقُ

١٦- ووقَفْتَ بالمَيْطورِ وقْفَةَ مُشْفِقٍ ... قَلِقٍ ودمعُ شُؤونِهِ مُهْراقُ

١٧- ورأيْتَ مَسْرحَ غُوطَتَيْها يانِعًا ... ومِنَ العُيونِ تَحُفُّهُ الأَحْداقُ

١٨- واجْتَزْتَ بالوادي الخَصيبِ وقَدْ غَدا ... فيهِ لَكَ الإرْعادُ والإبْراقُ

١٩- ولَثِمْتَ جَبْهَتَها وفي أطْرافِها ... لَكَ لَذَّ مِنْ تِلْكَ الشَّذى استِنْشاقُ

٢٠- وحَظِيْتَ بالسَّهْمَينِ مِنْ رَبواتِها ... وعليكَ مُدَّ مِنَ الحُبورِ رُواقُ

٢١- ونزلْتَ بالسَّطْرا وحُزْتَ مِنَ الهَنا ... ما قَرَّ فيهِ فُؤادُكَ المِقْلاقُ

٢٢- وأخَذْتَ حظًّا مِن نَصيبِ زُهورِها الـ ... ـلاتي لأَدواحِ النِّدامِ رِفاقُ

٢٣- وسَبَرْتَ جامِعَها الذي أرجاؤُهُ ... فيها لأَربابِ الهُدَى إطْراقُ

٢٤- وسَمَوْتَ قُبَّةَ نَسْرِهِ مُتَأمِّلاً[1] ... ما أتْقَنَ الصُّنّاعُ والحُذّاقُ

٢٥- وشَقَقْتَ مِن أنْهارِها أرْدانَها ... وتَركْتَها تَنسابُ وهِيَ دِهاقُ

٢٦- وسَمِعْتَ بُلْبُلَها علَى أعْوادِهِ ... يَشْدو ويَنْشُرُ ما طَوَى إسحاقُ[2]

---

(١) قبة النسر: في المسجد الأموي، من الرصاص، سامية في الهواء، عظيمة الاستدارة، قد استقل بها هيكل عظيم هو غارب لها، يتصل من المحراب إلى الصحن، فإذا استقبلتها أبصرت منظراً هائلاً، يشبهه الناس بنسر طائر، كأن القبة رأسه، والغارب جؤجؤه، ونصف جدار البلاط عن يمين ونصف عن شمال جناحاه، ومن أية جهة استقبلت البلد ترى القبة في الهواء، منيفة على كل علو، كأنها معلقة في الجو. رحلة ابن جبير ٢١٣.

(٢) إسحاق الموصلي: من أشهر مغني العصر العباسي. انظر الحاشية (٤) صفحة ٢٠٩.

٢٧- وشَممْتَ أنفاسَ الأَصائلِ في الرُّبا | مِنْ دَيْرِ مُرَّانٍ إليكَ تُساقُ
٢٨- ورَكضْتَ ما بينَ الغُصونِ وجُلْتَ في | لَوَّانِها[1] وَصَفَتْ لكَ الآفاقُ
٢٩- ومشيتَ في الرَّوضِ الأريضِ وقدْ حَلا | فيهِ لكَ الإسْآدُ والإعناقُ[2]
٣٠- فَهيَ التي وأبيكَ عنْ أَوصافِها | ضاقَ النِّطاقُ وكيفَ ذاكَ يُطاقُ
٣١- بلدٌ إذا يَمَّمْتَها أَلْفَيْتَها | ثوبَ الجَمالِ أباحَها الخَلاَّقُ
٣٢- نهرٌ علَى الرَّضْراضِ سالَ لُجَيْنُهُ[3] | فَلِوَرْدِهِ تَتَشَوَّقُ الأرْماقُ
٣٣- وجداولٌ بِخَريرِها يُجلَى الصَّدَى | وحَمائمٌ قَدْ زانَها الأَطْواقُ
٣٤- تُبدي أنِينَ مُتَيَّمٍ في سَجْعِها | فَتَحُفُّها الأغصانُ وهي رِشاقُ
٣٥- لي حَنَّةٌ لِرَنينِها حيثُ اشْتكَتْ | أَلَمَ النَّوى واهْتاجَها التَّشْواقُ
٣٦- والزَّهْرُ كالزَّهْرِ اتَّساقًا في الرُّبا | قدْ شَقَّقتْ عَنْ نَشْرِهِ الأزياقُ[4]
٣٧- وعَليهِ جَرَّ ذُيولَهُ ريحُ الصَّبا | ولَهُ علَى صَفَحاتِهِ إطلاقُ
٣٨- سَقيًا لِعَهْدٍ في مَحانيْها انْقَضى | وقَضَتْ أمانيها بِهِ الأَرْفاقُ
٣٩- أَيَّانَ لا وَاشٍ هُناكَ مُرَوِّعٌ | وجَديدُ وَجْدي ما لَهُ إخْلاقٌ
٤٠- أرْعَى السُّهَا لا رَعْيَ مِنْ كحلَ السُّها | دُ جُفونَهُ وأراعَهُ الإشْفاقُ
٤١- وأُنادِمُ الوَرْقاءَ حيثُ يَضُمُّنا | ظِلُّ الرُّبَا وتُظِلُّنا الأَوراقُ

---

(١) اللَّوان: انظر الحاشية (٣) صفحة (١٤٤).

(٢) الإسآد والإعناق: ضربان من السير.

(٣) الزِّيق من القميص ما أحاط منه بالعنق، والزيق في النسائج عند العامة: الخط الدقيق المنسوج فيها مخالفاً لوانَها. محيط المحيط.

(٤) الرَّضْراض: الحصى، أو صغارها. القاموس.

٤٢- وأَبيْتُ والظّبْيُ الغَريرُ مُغازِلي بلواحظٍ هي للقلوبِ وِثاقُ
٤٣- وأصونُ سَمْعي عَنْ سِوى ألفاظِهِ حيثُ الوِصالُ تَعتُّبٌ وعِناقُ
٤٤- وأُجيلُ طَرْفي في أَسِرَّةِ وَجْهِهِ فَيُلِمُّ بي مِنْ حُسْنِهِ اسْتغراقُ
٤٥- وأُجيدُ في الجِيدِ الذي بَهَرَ النُّهى لَثْمًا بِهِ تتأكَّدُ الأَعْلاقُ
٤٦- لا أرعوي إلاّ لِقالَةِ مُذْنِفٍ مِثْلي يَرَى أنَّ السُّلُوَّ نِفاقُ
٤٧- وَبِيَ السَّراةُ الغُرُّ مَنْ نادَمْتُهُمْ فِيها وطابَتْ منهُمُ الأخْلاقُ
٤٨- فإذا ذَكَرْتُ لهُم أحاديثَ الهَوى طَرِبوا إلى تكْرارِها واشْتاقوا
٤٩- يَتعلّلونَ بِذِكْرِ مَنْ قَتَلَ الجَوى ولِمِثْلِ ذاكَ حديثُهُمْ يِنْساقُ
٥٠- أمّا شَمائِلُهُم فما نَفَسَ الصَّبا سَحَرًا وطِيبُ كَلامِهِم دِرْياقُ
٥١- مَلَؤوا مِنَ الأدَبِ الغَضيضِ جَوانِحًا ومِنَ الكَمالِ تَناهَلوا وتَساقوا
٥٢- أبدًا لهم منّي حَنينُ طَريدَةٍ ولِمُهْجَتي بِهَواهُمُ إغْراقُ
٥٣- لَهْفي وهَلْ يُجْدي التَّلَهُّفُ مَنْ قَضى نَحْبًا ولازَمَهُ نَوًى ومُحَاقُ
٥٤- يا لَيْتَ شِعْري والشُّعورُ مُزايِلي هَلْ مِنْ حُظوظِي تُفْتَحُ الأَغْلاقُ
٥٥- دَهَمَتْنِيَ النُّوَبُ التي لو صافَحَتْ بَدْرَ التَّمامِ لَفاتَهُ الإشْراقُ
- ورَمَتْنِيَ الأَوْصَابُ حتى شَفَّنِي مِنْها ضَنًى لَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَذَاقُ
- تَبًّا لِما أَبْدَيتَ يا زمَنَ العَنا هل فِيكَ يُرْجَى للكَمَالِ نَفاقُ
- ويَعُودُ في فَيْحاءِ جِلّقَ شَمْلُنا مُتَنَظِّمًا وتُساعِدُ الأرْزاقُ
- وتَمُنُّ مِنْ بَعْدِ التّنائي باللِّقا ويَلَذُّ مِنْ كَنْزِ المُنى الإنْفاقُ



۞ ولِجَنابِ مَنْ غرسَ أغصانَ اليَراعةِ في رياضِ الآداب، وأفاضَ عليها بحـرَ البلاغـةِ فأثمَرَتْ ما تُسْكِرُ بـه الألبـاب، الباسق في حدائـقِ الكمـالِ غُصْنًـا يـتَرَنّحُ بهبـوبِ نَسـائمِ الفضائلِ، السابق في مَيْدانِ الفَصاحةِ شَهْمًا تخفضُ لهُ رؤوسُ الأفاضلِ: [من الرَّمَل]

عــالِمٌ عَــذْبُ السَّـجايا ناسِـكٌ | كُلَّمـا ازدادَ تُقًّـى زادَ خُشـوعا
طـاهِرُ الشِّـيمَةِ عَـفُّ الذَّيْـلِ لا | يَزْدَهِيـهِ جـانِبُ الدُّنيـا مَريعـا[1]

عَذْبُ المَوارِدِ والمُحاضَرة، صعْبُ المَرامِ في المُساجَلةِ والمُناظَرة، أَوْلَى مَنْ تَتطرَّزُ الطُروسُ بِطَرْفِهِ، وتُقْرَأُ سُورةُ اللُّطْفِ مِنْ صُحُفِهِ، الأديبُ الذي فاقَ الأَوائلَ رِفْعةً وسُمْعَة، صديقي وشقيقُ رُوحي **محمّدُ بنُ عثمانَ، المعروفُ بابْنِ الشَّمْعَةِ**[2]، قولُهُ: [من البسيط]

١- حَيَّـا الحَيـا جِلَّقًـا دَارًا بهـا وَطَـري | وجـادَ أَرْبُعَهـا سَـحٌّ مِـنَ المَطَـرِ
٢- دارًا بهـا جَمْـعُ لَذّاتِـي ومُرْتَبَعِـي | زمـان أُنْسـي غَـدَا صفـوًا مِـنَ الغِـيَرِ
٣- أَيـامَ أرتَـعُ في زَهْـوِ الشَّـبابِ وقَـدْ | صَفا لِيَ الوقْـتُ مِنْ هَـمٍّ ومِنْ كَـدَرِ
٤- في ظِـلِّ رَوضٍ يُبـاهِي حُسْـنُهُ إرَمًـا | هامـاتُ أَدْواحِـهِ كُلِّلْـنَ بـالزَّهَرِ
٥- والرِّيـحُ تَجْـري رُخـاءً فَـوقَ جَدْوَلِـهِ | تَحْكي دِلاصَ[3] لُيـوثٍ مِـنْ بَـنِي مُضَـرِ
٦- كَـمْ بِـتُّ فيـهِ قَريـرَ العـينِ مُرْتَشِـفًا | ثُغـورَ غِيْـدٍ تُضـاهي بَهْجَـةَ القَمَـرِ
٧- بِيْضِ الطُّلى مائسـاتِ القَـدِّ مِـنْ هَيَـفٍ | سُودِ الحواجـبِ والأَلْحـاظِ والطُّـرَرِ

(١) البيتان لأبي المعالي الطالوي، درويش بن محمد بن أحمد، من قصيدة مطلعها :

شـام بـرق الشـام بـالروم جزوعـا | فانـبرت أجفانـه تـذري الدموعـا

(٢) لم أجد له ترجمة في المصادر التي بين يدي، وانظر استئناساً ترجمة أبيه في سلك الدرر ١٧٧/٣، المتوفى سنة ١١٢٦ هـ.

(٣) الدلاص: الدروع الملساء. انظر اللسان.

٨- مِـنْ كُـلِّ هَيفـاء مـا أَرْخَـتْ ذَوائِبَهـا ... إلاّ وضَلَّـتْ بهـا الرُّكْبـانُ في السَّـفرِ

٩- تَعْطـو بجيـدٍ كَجيـدِ الرِّيـمِ مُلْتفِتـا ... ويَخجَلُ الرّاحُ مِنْ جرِيالهـا الخَصِـرِ

١٠- تَخطـو بقَـدٍّ كغُصْـنِ البَـانِ مَيْلَتُـهُ ... لكنّما القَلبُ مِنْهـا قُـدَّ مِـنْ حَجَـرِ

١١- والنَّرْجِسُ الغَضُّ غَضَّ الطَّرفَ مِنْ خَجَلٍ ... والبـانُ مـالَ علـى أَغصانِـهِ الخُضـرِ

١٢- والسّـنْبُلُ الأَهْيَـفُ الزّاهـي بِزُرْقَتِـهِ ... كَوَشْيِ خُـودٍ على كَـفٍّ كَما الـدُّرَرِ

١٣- وحَبّـذا الـوَرْدُ لّمـا قـامَ مُزدَهيًـا ... علـى النُّهـودِ يُبـاهِي نَشْرَهُ العَطِـرِ

١٤- وحَبّـذا الّلعْلَـعُ المَيْسِـي بِرَوْنَقِـهِ ... وتاجـهِ المُـزْدَري تِيجـانَ ذِي السُّـرَرِ

١٥- والسّوسَـنُ الغَـضُّ كـم أَبْـدى مَلاحَتَـهُ ... والأُقْحـوانُ كَثَغـرِ الرِّيـمِ ذِي الخَفَـرِ

١٦- والياسَـمِينُ عَـلا فَـوقَ البَنفْسَـجِ والـْ ... رَيحـانُ يَزهُـو بِتـاجٍ أَسْـودٍ عَطِـرِ

١٧- والعندلِيـبُ يُغَنّـي والبلابِـلُ في ... أَلْحانِهـا تَـزدَري بالنّـايِ والوَتَـرِ

١٨- فيـا بِرُوحـي دِمشـق الشـام مِـنْ بَلَـدٍ ... عن وَصْفِها صَاحِ كَلَّتْ أَلْسُنُ البَشَرِ

١٩- أَحْبِبْ بهـا جَنَّـةَ الدّنيـا الـتي جَمَعَـتْ ... مِـنْ كُـلِّ مُنْـتَزَهٍ مُسْـتَكْمِلِ الصّـوَرِ

٢٠- فَدَيْـرُ مُـرّانَ يَعلـو فَـوقَ رَبْوَتِهـا ... دار السُّعودِ الـتي حـارَتْ بِها فِكَـري

٢١- والنّيرَبُ السّـاميُ الزّاهـي الـذيَ انْبَسَـطتْ ... بِـهِ الجَـداولُ في الآصـالِ والبُكَـرِ

٢٢- مِنْ كُـلّ جَـدْولِ كالخَلْخـالِ مِـنْ وَرِقٍ ... أضْحَـى يَـدُورُ بِسُوقِ البانِ والشَّـجَرِ

٢٣- وحبّـذا المَرْجَـةُ الفَيْحـا وجَبْهَتُهـا ... مـن شـامها يَغْتَـدي مُسْـتوقِف النّظَـرِ

٢٤- والصّالِحِيـةُ جَنّـاتٌ مُزَخْرَفَـةٌ ... مِنْ كُـلّ قَصْـرٍ ورَوْضٍ مُدْهِشِ البَصَـرِ

٢٥- يَحْـوي زُهـورًا وأنهَـارًا مُدَفَّقَـةً ... جَـرَّتْ عَلَيهـا ذُيُـولاً نَسْـمَةُ السَّـحَرِ

٢٦- فهـذِهِ جَنّـةُ الدّنيـا وزينَتُهـا ... فـلا شَـبيهَ لَهـا في البَـدْوِ والحَضَـرِ



❁ ولِجَنابِ غُرّةِ دُهْمِ الليالي، رَضيعِ دُرِّ المَجْدِ والمَعالي، مَنْ نَشأ في حِجْـرِ السـيادةِ، وبَسَقَ في حدائقِ العِزّ والسّعادةِ: [من البسيط]

حتّى امْتَطَى صَهَواتِ المَجْدِ سـاميةً ... تَختـالُ في حُلَـلِ الأَوْضـاحِ والغُـرَرِ
يلقـاكَ طَلْـقَ المُحَيّـا وَهُـوَ مُبْتسِـمٌ ... بِمَنْطِقٍ وِرْدُهُ أَحْلـى مِـنَ الصَّـدرِ
أقلامُـهُ السُّمْرُ في بِيْـضِ الطُّـروسِ إذا ... مَشَتْ أَرَتْـكَ فَعالَ البِيْضِ والسُّمُرِ[1]

بَدْرٌ أشرقَ في فَلَكِ المَكارِمِ، بَلْ رَوضَةُ فَخارٍ جادَ رُباها هاطِلاتُ الغَمائمِ، بَلْ دَوحَةٌ في هِضابِ المَعالي غَرْسُها، وإذا ذُكِرَتِ البَلاغَـةُ في سُـوقِ الفضـائلِ فهـو قُسُّـها، إلى بَراعَـةٍ تسجُدُ لها أقلامُ البيانِ في محاريبِ الطُّروسِ، وتترنّحُ لها أغصانُ الفَصاحةِ في حدائقِ النُّفوسِ، شَمامةُ العَربِ التي ضاعَ نَشْرُها، ورَيْحانَةُ الأدبِ التي فـاحَ عِطْرُهـا، إنسـانُ عَيْـنِ الزمـانِ، مولانا الأوحَدُ **أحمدُ بنُ الحُسَينِ بنِ كِيوانَ**[2]، قولُهُ[3]: [من الكامل]

١- ولِجلِّـقَ الفَيْحـاءِ مِـنْ بَلَـدٍ ... مِسْـكيّةِ الأَرْواحِ والنَّشْـرِ
٢- هـيَ وَجْنَـةُ الدُّنيـا وَرَوْنَقُهـا ... وجَبِينُهـا الزّاهـي بِـلا نُكْـرِ
٣- هـيَ جَنّـةٌ في الأَرضِ واحِـدَةٌ ... أنْهارُهـا مِـنْ تحتِهـا تَجْـري
٤- قـدْ صَـحَّ مُعتَـلُّ النسـيمِ بِهـا ... فأَمـالَ ناشِـقَهُ مِـنَ السُّـكْرِ[4]

---

(١) الأبيات لدرويش بن محمد الطالوي، أبو المعالي. ريحانة الألبا ٧١، قالها محاوراً لشيخ الإسلام عماد الدين الحنفي الشامي، وفي الريحانة: سيمت أرتك فعال.

(٢) أحمد بن حسين باشا بن مصطفى بن كيوان الكيواني - نسبة إلى كيوان بن عبد الله، أحد كبراء أجناد الشام، كان في الأصل مملوكاً، ومعنى كيوان: زحل -، شاعر من أهل دمشق، مولده ووفاته فيها، أقام سنين في مصر يقرأ على علمائها، كما قرأ على علماء دمشق، وكان فيه سوداوية، تنفره من معاشرة الناس، توفي سنة ١١٧٣ هـ. سلك الدرر ١/١١٣.

(٣) الديوان، صفحة ٤٥.

(٤) الديوان: فأعلّ ناشقه.

٥- وصَفَتْ ضَمائِرُ مائِها فَبَدا … ما قَدْ طَواهُ ونمّ بالسِّرِّ

٦- يَنْسابُ في أَرضٍ قَدْ افترَشَتْ … بالزَّعْفَرانِ وعَنْبَرِ الشَّحْرِ[1]

٧- فكأنَّما ذابَ اللُّجَيْنُ بها … فجَرَى على أرضٍ مِنَ التِّبْرِ

٨- لا زالَ خَفّاقُ النَّسيمِ بها[2] … يُحيي مَواتَ الهَمِّ إذْ يَسْري

❁ وقوله[3]: [من الطويل]

١- فُؤادٌ إلى تِلكَ الرِّحابِ جَمُوحُ … وطَرْفٌ إلى ذاكَ الجَنابِ طَمُوحُ

٢- دمشقُ فلا زالَتْ تُحَيّا رُبوعها … ويَهْمي على تِلكَ السُّفوحِ سَفُوحُ

٣- فكَمْ مَرتَعٍ للغِيْدِ فيها ومَنْزَهٍ … ورَبْعٍ خَصيبٍ للوُفودِ فَسيحُ

٤- مَنازِلُ شِيْدَتْ للمَكارِمِ والنَّدى … فتَغدو السَّواري دُونَها وتَروحُ

٥- على كُلِّ غُصنٍ ساجِعٌ مِنْ حَمامِها … لإحياءِ أمواتِ الهمومِ مَسيحُ

٦- وفي كُلِّ وَجْهٍ رَونَقٌ مِنْ مِلاحِها … يُريكَ جميلَ الصَّبْرِ وهو قَبيحُ

٧- وفي كُلِّ نادٍ مُمْتِعٌ بحَديثِهِ … وشادٍ مُجيدٌ أو أَغَنُّ مَليحُ

٨- إذا القَطْرُ حَيّا أرْضَها وبقاعَها[4] … تَبسَّمَ زَهْرٌ أو تَنفَّسَ شِيحُ

٩- ويُلْهيكَ عَنْ رَشْفِ اللّمى مِنْ مِياهِها … زُلالٌ على مِثلِ الجُمانِ يَسيحُ

١٠- ويَشتاقُ لِلخُلدِ المُصيخِ إذا انْبَرى … سُحيرًا حَمامُ الغُوطتينِ يَنوحُ

١١- وإنْ سَحَبَتْ فيها الشَّمالُ ذُيولَها … تَضَوَّعَ مِسْكٌ في الرياضِ يَفوحُ

---

(١) في (أ): عنبر الشجر.

(٢) الديوان: خفاق صفصاف.

(٣) الديوان، صفحة ٦٤.

(٤) الديوان: حيّا روضها أو بقاعها.

١٢- سَـقتْها الغَـوادي مـا أَرَقَّ نَسِـيمَها وأنْـدى ومُعتَـلُّ النّسـيمِ صَحيـحُ[١]



❁ ولِنُخْبَةِ ذَوي الآداب، المُرتَدي مِنَ البَلاغَةِ أزهَى جِلباب، رَوضِ الفَصاحَة الغَـضِّ النّاضِرِ، وعِطرِ نورِهِ بل نَجْمِ البَراعَةِ الزاهِرِ، الفـاضِلِ الـذي هَبّـتْ صَبـا الكمـالِ بِنَفَحاتِـهِ، واحتَسَتْ أفواهُ الأسْماعِ سُلافَةَ كَلماتِهِ: [من الكامل]

الفــاضِلُ الحَــبْرُ اللّبيــبُ اللَّوذَعِيْـــ ـــيُ الأَلْمَعــيُّ الكَوكَــبُ الوَقّــادُ

إنْ حَــلَّ نَظْمًــا فــالبَديهيْ حــاضِرٌ أمْ ضَــمَّ نَــثْرًا فــالحريري بــادِي[٢]

مَنْ نُوِّرَتْ حَدائقُ الشامِ بِغَوادي شَمائِلِهِ، وتحلّى مِعْصَمُها بِسـوارِ فَضائِلِـهِ، صديقُنـا الأديبُ **مُصْطفى أسْعدُ اللّقيميُّ الدّمياطيُّ**[٣]، قولُه: [من الكامل]

١- قَسَـمًا سَـما حُسْـنًا بِصِـدْقِ المُقسِـمِ بِـالرَّبْوَةِ الفَيْحـا بِعِـزِّ المُقْسِـمِ

٢- الشـامُ يزهُـو بالمَشـاهِدِ حُسْـنُها فَلَهـا بِسـامي الحُسْنِ فَضْلُ تَقَـدُّمِ

٣- فغِياضُهـا قـد وُشِّـحَتْ بِـأزاهِرٍ ورياضُهـا أهـدَتْ لطيـفَ تَنَسُّـمِ

٤- وبِدَوْحِهـا وُرْقُ الحَمـامِ صَـوادِحٌ بِبَديـعِ أَلحـانٍ وحُسْـنِ تَرَنُّـمِ

٥- فَبِمائِهـا ورياضِهـا وهَوائِهـا وقِيانِهـا للصَّـبِّ حُسْـنُ تَنعُّـمِ

---

(١) الديوان: وأنضى ومعتل.

(٢) البديهي هو علي بن محمد أبو الحسن، شاعر بغدادي، كان سريع البديهة في نظمه، فنسب إليها، توفي سنة ٣٨٠ هـ. الحريري هو القاسم بن علي أبو محمد البصري (٤٤٦ - ٥١٦ هـ) الأديب، صاحب المقامات.

(٣) تقدمت ترجمته في صفحة ٣١.

❁ وقوله: [من الوافر]

دمشــقُ الشــامِ في وَصْـفٍ تَســامَتْ ... فكَـمْ تَحْـوي رُباهـا مِـنْ مَحاسِـنْ
بهــا الأزهـــارُ دانيـــةٌ قِطافــا ... كـذا الأنهـارُ مـاءٌ غـيرُ آسِـنْ

❁ وقوله: [من الطويل]

وأضْنى الجَوى قلْبي بِتَذكارِ مَعْهَدٍ ... بِوادِي دِمشقِ الشامِ عَذبِ المَوارِدِ
شَهِدْتُ بسَفحِ السّفحِ مِنه مَشاهِدًا ... نَعِمْتُ بها أنْعِمْ بِتِلكَ المَشاهِدِ

❁ وقوله: [من الوافر]

ألا زِدْني وُلُوعًا بامْتِداحِكْ ... مَحاسِنَ جِلّقٍ وَقتَ اصْطِباحِكْ
وَزِدْ بالنَّيْرَبَيْنِ وُلُوعَ قلبي ... ورَبْوتِها فيا حُسْنَ اقتِراحِكْ



❁ ولأخي المذكورِ السيدِ **محمد السعيدِ الدّمياطي**، من مُزدَوِجةٍ مَنْسوجَةٍ على مِنوالِ اللّطافةِ، مُزَرْكشةٍ بأنامِلِ الظّرافَةِ:

١- سَقى دِمَشقَ الشامَ صَوبُ عَهْدِ ... وحَيّها تحِيّةً مِنْ عِندي
واشرحْ بِصَدري لاعِجاتِ وَجْدِي ... وما أُقاسِي مِنْ جَفًا وبُعْدِ
لَواعِجًا في القلبِ ذات وَقْدِ

٢- فكَمْ بها مِنْ نُزْهَةٍ وفُرْجَهْ ... ورَوضَةٍ بالوَردِ ذاتِ بَهجَهْ
وللعروسِ بالمَقامِ لَهْجَهْ ... تختالُ كالمُرّانِ حولَ المَرْجَةْ
بالزّعفَرانِ خلقت والنّدِّ

٣- وا لَهَفي لِرَنّةِ الخَلْخالِ   ومرشَفي مِنْ رائقِ السّلْسالِ

أو مِنْ نَصيبٍ لذّ كالجِريالِ   والشّرفِ الأعلى الرّفيعِ العالي

وارتقى مِنْ ذاكَ أوجَ مَجدِ

٤- كمْ أطرَبَتْ بِدُفِّها والجَنْكِ   وجبهةٍ ضَوءَ الهِلالِ تحكي

ومُقْسِمٍ أَضْحى قَسيمَ نُسْكي   ورَبْوةٍ بالزَّهرِ ذاتِ الحُبُكِ

كأَنَّها الفِرْدوسُ دارُ الخُلْدِ

٥- فهذِهِ الشَّقراءُ والمَيْدانُ   قد رَتعَتْ في دَوحِها الغِزلانُ

مِنْ كُلِّ ظَبْيٍ طَرْفُهُ الفَتّانُ   عليهِ دَمْعي سَفْحُهُ هَتّانُ

يزيدُ مِنهُ لاعِجٌ مِنْ وَجْدي

٦- وقاسيونَ إنْ سَطا وصَالا   مُفَوِّقًا مِنْ سَهْمِهِ نِصالا

بالنَّيْرَبَيْنِ أرْتَجي اتّصالا   كعاشِقٍ قدِ ابْتغَى وِصالا

مِنْ وَجْنَةِ المَعشوقِ لَثْم الخَدِّ

٧- مَنشوقُ عَرْفُ نَشرِها المَنْشورِ   وما ازدَهى في بَهْجَةِ المَنثورِ

وما جَرى في السّبعةِ النُّهورِ   تَحكي لِشاذِرْوانَ وَصْفَ الحُورِ

مِنْ كُلِّ عِطْفٍ مائسٍ وَقَدِّ

٨- والصّالِحيةُ حَلّها ابْنُ العربي   العارفُ القُطْبُ الرّفيعُ النّسَبِ

مَقامُهُ بالحَقِّ كَنزُ الطَّلَبِ   فكَمْ لهُ كرامةٌ بها حُبي

لا يُستطاعُ حَصْرُها بالعَدِّ





عن كتاب «غوطة دمشق» تأليف صفوح خير

ذِكْرُ قاسيونَ المُبارَكِ[1]

الذي عَظَّمَهُ ربُنا تعالى وتبارَكَ، بأنْ جَعَلَهُ مَرقدَ الأنبياء، ومَوْطِنَ الأولياءِ والأصْفياء، ومَعدِنَ العُبّادِ، ومَجْمَعَ الصُّلَحاءِ والزُّهادِ، وهو جَبَلٌ عالي الذُّرَى، شامخٌ في الهَوا. [الطويل]

يَــزُرُّ عليــهِ الجَــوُّ جَيْــبَ غَمامــه ... ويُلبِسُـها مِنْ رَونَـقِ الأَنجُـمِ الزُّهْـرِ[2]

وفَضائلُهُ ثابتةٌ في كُتبِ الأخبارِ، مُدوّنةٌ عندَ رُواةِ الحديثِ والآثارِ، يَدُلُّكَ على ذلـك قولُهُ وسأَلَهُ رجلٌ عن الآثاراتِ[3] بدِمشقَ، فقالَ: «بها جَبَلٌ يُقالُ له قاسيونُ، فيهِ قَتَـلَ ابـنُ آدمَ أخاهُ، وفي أسْفلهِ في الغَرْبِ وُلِدَ إبْراهيمُ عليه السلامُ، وفيهِ آوى اللهُ عيســى بـنَ مَرَيـمَ عليهِ السلامُ وأُمَّهُ مِنَ اليهودِ، [وما من عبد أتى معقل روح الله، فاغتسل وصلى ودعـا، لم يردَّه اللهُ خائبًا]»، فقال لهُ رجلٌ: يا رسولَ اللهِ، صِفْهُ لَنا، قالَ: «هو بالغُوطَةِ، مدينةٌ يُقالُ لها دِمشقُ، وأَزيدكُمْ [إنه] جبل كَلَّمَهُ اللهُ، وفيهِ وُلِدَ أبي إبْراهيمُ الخليـلُ، فَمَنْ أتـى ذلـكَ المَوْضِعَ فلا يعجَز في الدعاءِ»[4].

---

(١) قاسيون: جبل في السلسلة الأولى الدنيا لهضبة القلمون، يشرف على مدينة دمشق من الشمال الغربي، ترتفع أعلى قممه إلى ١١٥٣ متراً عن سطح البحر، والقسم الأدنى من هذا السفح يشكل جزءاً مـن غوطـة دمشـق، ويُروى من نهر يزيد. المعجم الجغرافي ٤/٥٠٣.

(٢) البيت من غير عزو في خلاصة الأثر ٢/٢١٧.

(٣) في فضائل الشام للربعي: عن الأمارات.

(٤) رواه الربعي في فضائل الشام ٥٦، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه، قال الشـيخ نـاصر الديـن رحمـه الله في تخريجه، صفحة ١٠١: حديث منكر.

❁ وعن ابنِ عباسٍ رضي اللهُ تعالى عنهُ قال: مَوضِعُ الدَّمِ في جَبَلِ قاسيونَ مَوضِعٌ شَرِيفٌ، كانَ يَحيى بنُ زَكريا وأُمُّهُ فيه أربعينَ عامًا، وصلّى فيهِ عيسى بنُ مريمَ والحواريونَ، فَمَنْ أتى ذلكَ المَوْضِعَ فلا يُقصِّرْ عن الصلاةِ والدّعاءِ فيهِ؛ فإنّهُ مَوضِعُ الحَوائجِ[1].

❁ وعن الزُّهْرِيِّ أنهُ قالَ: لو يعلمونَ الناسُ ما في مَغارَةِ الدَّمِ مِنَ الفَضْلِ لَمَا هَنَأَ لهم طَعامٌ ولا شَرابٌ إلاّ فيها[2].

❁ قال بعضُهُم: [من البسيط]

مَغارَةُ الدَّمِ في قاسونَ مُشرِقَةٌ ... نورًا بِها لِذَوي الحاجاتِ مِيقاتُ
فانْزِلْ بِسَوحِ حِماها داعيًا أبدًا ... عَسى تُوافي مِنَ المَولى إجاباتُ

والأخبارُ في قاسيونَ وفضائِلِهِ كثيرةٌ، والأقوالُ في شَرَفِهِ غَزيرةٌ، تركْناها خَوفَ الإطالةِ، مُقتَصِرينَ على ما تَداوَلَتْهُ الشُّعَراءُ، وذكرَتْهُ البُلَغاءُ، فمِنْ ذلكَ قولُ الأُستاذِ رَحِمهُ اللهُ تعالى: [من الخفيف]

١- إنّما قاسيونُ في الشّامِ نُورُ ... ولهُ بَهجةٌ وفيهِ سُرورُ
٢- جَبَلٌ مُشرِقٌ بأرواحِ قَومٍ ... في ذُراهُ لهم هُناكَ قُبورُ
٣- كمْ وَلِيٍّ بَلْ كمْ نَبيٍّ لهُ في ... سَفحِهِ الرَّحْبِ رَونَقٌ وحُضورُ
٤- إنَّ في صالِحيّةِ الشامِ سِرًّا ... ليسَ يَدْريهِ غيرُ مَنْ فيهِ نُورُ
٥- عَذْبُ ماءٍ جَرى وطِيبُ هَواءٍ ... يَنفَحُ المِسْكَ ليسَ فيهِ كُدورُ
٦- جَنّةٌ صالحيةُ الشامِ لكنْ ... ليسَ فيها وِلْدانُها والحُورُ
٧- قاسيونُ المُباركُ الجبلُ الصا ... لحُ يَسْمو بفَضْلِهِ مَنْ يَزورُ

---

(١) رواه الربعي في فضائل الشام ٦٦، عن مكحول عن ابن عباس، وفيه: موضع ابن آدم في جبل قاسيون.

(٢) ذكره الربعي في فضائل الشام ٦٧ بصيغة: ورُوي.. وفيه: لو يعلم الناس.. لما هنأهم.

٨- تــــتراءَى بــــهِ البــــلادُ جَميعًــــا والبســــاتينُ ثَــــمَّ والمَيْطــــورُ

٩- ليــــسَ تَخلــــو رياضُــــهُ أنْ يُغنّــــي بُلْبُــــلٌ فيــــه غَــــرَّدَ الشُّــــحْرورُ

١٠- والنســــيمُ الرّطيــــبُ في كُــــلِّ وَقْــــتٍ مِــــنْ رُبــــا النَّــــيْرَبينِ فيــــهِ يَــــدورُ

❀ وقال: [من الكامل]

١- جــاءَ النّســيمُ بــأَطْيَبِ النّفَحــاتِ مِــنْ قاســيونَ ومَــنزِلِ السّــاداتِ

٢- يــا مَعْهَــدًا بالسّــفحِ مِــنْ ذاكَ اللِّــوى لا زِلْــتَ مَــأْوى الخَــيرِ والبَرَكــاتِ

٣- كَــمْ مِــنْ وَلِيٍّ فِيــكَ واراهُ الــثّرى بَــلْ مِــنْ نَــبيٍّ في ذُرَى الهَضَبــاتِ

٤- يــا حبَّــذا الكَهْــفُ الرّفيــعُ وحَبّــذا تلــكَ المَغــارةُ مَنْجَــحُ الدّعَــواتِ

٥- سُقِيَتْ دِمشقُ أَجَشَّ مُنبَعِـثَ الحَيـا[1] أبَــدًا علــى الآصــالِ والغَــدَواتِ

٦- وحَبَــا الإلــهُ مَنــازِلاً نُسِــبَتْ لهــا مِــنْ رَونَــقِ الإقبَــالِ جُــلَّ هِبــاتِ

٧- بَــرَدَ الــزُّلالُ وفــاضَ مِــنْ باناسِــها فغَــدا يَزيــدُ تَدَفُّــقَ القَنَــواتِ

٨- وتراسَــلَتْ أطْيارُهــا سَــحَرًا علــى سَــرْدِ الغُصــونِ بــأَطيَبِ النَّغَمــاتِ

٩- تُسْــقَى بمَعْلــولِ النّســيمِ رياضُهــا فتظَــلُّ تَثْــني مِعْطَــفَ الشّــجَراتِ

١٠- وَلَكَــمْ بهــا مِــنْ جَنّــةٍ قَــدْ زُخْرِفَــتْ بصُنــوفِ أزهــارٍ وحُسْــنِ نَبــاتِ

١١- هــيَ مَجْمَــعُ الأبْــدالِ والقُطْــبِ الــذي هــوَ صَفــوَةُ الأخيــارِ والسّــاداتِ

١٢- بَلَــدٌ علــى البُلْــدانِ قَــدْ فــاقَتْ كَمــا فــاقَ الضيــاءُ بهــا علــى الظُّلمــاتِ

١٣- لَــو قِيــسَ بالمِقيــاسِ[2] نَيْرَبُهــا رَمَــى مِصْــرًا بِــذاكَ السَّــهمِ في الجَبَهــاتِ

---

(١) الأجش: الغليظ الصوت من الرعد.

(٢) المقياس: آلة في جزيرة الروضة بمصر يقاس بواسطتها ماء النيل، فإذا بلغ ستة عشر ذراعاً فقد وفا النيل، وعمّ الخير أرض مصر. انظر المواعظ والاعتبار للمقريزي ٣/٥٨٨.

١٤- تَعْلُـو علـى ذاتِ العِمـادِ بِبَهْجَـةٍ ... مـا إنْ تَراهـا في سِـوَى الجَنّـاتِ

١٥- واهًـا لِعَيـشٍ بـانَ لي في ظِلِّهـا ... جَـمِّ التَّطَـرُّبِ وافـرِ النُّزُهـاتِ

١٦- سَـقيًا لهـا مِـنْ فُرْصَـةٍ فُزْنـا بِهـا ... والدّهـرُ عنّـا في قُيـودِ سِـناتِ

❁ وقال: [من الطويل]

١- ولَيلتُنـا بالقاسـيونِ المُبـارَكِ ... علـى دَيْـرِ مُـرّانٍ رَفيـعِ الأَرائـكِ

٢- وقـدْ هَجَـمَ الليـلُ البَهيـمُ كفـارسٍ ... يُواقِـعُ هامـاتِ النّهـارِ المُعـارِكِ

٣- وخَيلُ الصَّبـا في حَلبَـةِ الأُفـقِ رُكَّـضٌ ... تُثـيرُ عَجـاجَ النّشـرِ بَـينَ المَسـالِكِ

٤- وقـد أَعلنَـتْ تلـكَ الشّـحاريرُ في الرُّبـا ... بِمُطـربِ صـوتٍ مُوقِـفٍ كُـلَّ سـالِكِ

٥- جُلـوسٌ علـى أعلـى شَـريفِ شُـرَافَةٍ ... بـه وجَـواري المـاءِ ذاتِ التّشـابُكِ

٦- نُقـابِلُ في تِلـكَ الخَمـائلِ عَسْـكَرًا ... لـهُ بالصَّبـا خَفْـقٌ كَخَفْـقِ السّـنابكِ

٧- وعَيْـنُ النّـدى تَبْكـي على الزَّهْـرِ بُكْـرَةً ... فَيَفْـتَرُّ مِنهـا بـالثُّغورِ الضَّواحِـكِ

ودَيْرُ مُرّانَ[1]: في سفحِ جبلِ قاسيونَ، بالقُربِ مِن الرّبوةِ، مُطِلٌّ على غُوطَـةِ دمشـقَ وبساتِينِها وأنهارِها، وهو دَيرٌ قديمٌ، إلاّ أنّ الدّهرَ مَحَا صُورَةَ رَسْمِهِ، و لم يُبْقِ مِنْ مَحاسِـنِهِ

---

(١) دير مران: قال أبو الفرج في الأغاني: دير على تلعةٍ، مشرفة عالية، تحتها مروج ومياه حسنة. وقال ابن فضـل الله العمري في مسالك الأمصار: بناؤه بالجص الأبيض، وأكثر فرشه بالبلاط الملون، وكـان في هيكلـه صـورة عجيبـة دقيقة، وأشجاره متراكمة، وماؤه يتدفق. وقال ياقوت: تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة. وذكـره الشيخ محمد أحمد دهمان، قال: دير مران محلة كانت عامرة، آهلة بالسكان، ومحلها اليوم في السفح الواقع أسـفل قبة السيار وأعلى بستان الدواسة، يطل منها الإنسان على الربوة وحدائقها. قال: ولا نعلم الوقت الذي اندثر فيـه هذا الدير، ولعل ذلك كان في أواخر القرن الخامس الهجري. انظر جبـل قاسـيون، تـأليف الشـيخ محمـد أحمـد دهمان، صفحة ٧.

غيرُ اسمِهِ، وقدْ تَداوَلَتْ ذِكْرَهُ البُلَغاءُ، وحَسْبُكَ مِنْ وَصْفِهِ ما حَكاهُ الثعالِبيُّ عَنِ البَبّغاءِ[1]، فمِمّنْ قالَ فيه المرحومُ الأستاذُ: [من الخفيف]

١- يا صباحًا بِدَيْرِ مُرّانَ راقَا   هِجْتَ مِنا القُلوبَ والأحْداقا
٢- ومشَتْ نَسْمَةٌ تَؤُمُّكَ حتّى   رَفَعَتْ بالعَبيرِ فيكَ رَواقا
٣- وأَتَينا إليكَ نَقطَعُ أَرْضًا   مَلأَتْنا إلى اللّقا أشْواقا
٤- وسَمِعْنا الطيورَ تَصْدَحُ زَهْوًا   حيثُ سَكْرانُ طِيبِها ما أَفَاقَا
٥- وصَبا قاسيونَ تَنْفَحُ فينا   سَكَبَتْ مِن هُبوبِها رَقْرَاقا
٦- فَجَلسْنا في مَجلِسٍ مُسْتَطابٍ   فيهِ كأسُ السُّرورِ كانَ دِهاقَا
٧- ونَظَرْنا مِن رَبْوةِ الشامِ مَرأىً   قلْبُنا لم يَزلْ لَهُ مُشْتاقا

❁ المرحومُ **شهابُ الدينِ العمادي**[2]: [من الطويل]

أَيا دَيْرَ مُرَّانٍ سَقاكَ غَمامُ   تَروحُ وتَغدو غِبّهنَّ سَلامُ
وحَيّاكَ مِنْ دَيرٍ وحَيّا مَعَاهِدًا   بِمَغناكَ ما ناحَ الزمانَ حَمَامُ
وَقَفْتُ على رَسْمٍ بِهِ راحَ دارِسًا   وقدْ فاحَ مِنْ نَشْرِ الرِّياضِ خُزامُ

---

(١) الببغاء: عبد الواحد بن نصر أبو الفرج، شاعر مشهور، وكاتب مترسل، توفي سنة ٣٩٨ هـ. انظر ترجمته وقصته بدير مران في يتيمة الدهر ٢٩٣/١.

(٢) شهاب الدين عبد الرحمن بن محمد العمادي الحنفي (١٠٠٧ - ١٠٧٨ هـ)، فاضل من أهل دمشق، له نظم حسن، ورسائل وتعليقات في الفقه والتفسير، ولي قضاء الركب الشامي، وحج، وسافر إلى الروم، أعطي فتيا الشام، ثم عزل عنها، فأقام بداره لا يخالط أحداً، شاكيا حتى مات، ودفن بمقبرة الباب الصغير. خلاصة الأثر ٢٣١/٢، نفحة الريحانة ٩٤/٢، والأبيات في النفحة.

❁ الخليعُ الشاعرُ[1]: [من البسيط]

يـا دَيْـرَ مُـرّانَ لا عرّيـتَ مِـنْ سَـكَنٍ　　قـد هِجْـتَ لي شَـجَنًا يـا دَيْـرَ مُرّانـا
يـا حبّـذا قـاطِنٌ بـالدَّيْرِ مَـنْ كانـا　　سَـقيًا ورَعْيًـا لُمُـرّانٍ وسـاكِنِهِ

ومِنْ تحتِهِ الحَواكيرُ، وهي حدائقُ في ذَيْلِ الجَبَـلِ ذواتُ أفنـان، بـل رَوْضـاتٌ لكنّهـا جنان، أزهارٌ تَفوحُ على خَريرِ أنهارِها، وأطيارٌ ثَمِلَتْ مِنْ كُؤوسِ أزهارِهـا، فـإنّ حُكَمـاءَ اليونانِ اختاروا زَرْعَ الرّياحينِ والأزهارِ في سَفحٍ قاسيونَ لحكمـةٍ، وهـي أنّـهُ يَقِيهـا البَردَ كونها في ذُراهُ، وأنّ النّسيمَ إذا مَرَّ بها تَحْمِلُ مِـنْ عَرْفِهـا إلى مَـنْ تحتَهـا مِـنْ أهـلِ المدينـةِ، وشُربُها مِنْ نهرِ يَزيدَ، مِنْها ما هو مُتّصِلٌ بأَرضِهـا تَشـرَبُ مِنْـهُ يـومَ عَدّانِهـا[2]، ومِنْهـا مـا يَسقي رِياضَها بواسِطةِ الدُّولابِ، وفي ذلكَ يقولُ الأستاذُ: [من الطويل]

١- وحـاكُورةٍ تَحكـي سَـماءَ زَبَرْجَـدٍ　　كَواكِبُهـا حَـبُّ الجُمـانِ المُنَضَّـدِ
٢- أَتَينـا إليهـا في الصّبـاحِ نَؤُمُّهـا　　فَبَشَّـتْ بوجْـهٍ مِـنْ خَمائلِهـا نَـدِي
٣- وقـد عَطَّـرَتْ أَرجاءَهـا نَفْحـةُ الصَّبـا　　بـأَلْطَفِ هَبّـاتٍ وطِيْـبِ تَـرَدُّدِ
٤- ومِـنْ حَولِنـا مـاءُ الجَـداوِلِ رائـقٌ　　كَصَفْحَـةِ سَيْفٍ في الرِّيـاضِ مُجَـرَّدِ
٥- ومَـدَّ علينـا الـدَّوحُ وارِفَ ظِلِّـهِ　　وكـانَ بِسـاطُ الرَّوضِ فيهِـنَّ أَحْمَـدِي
٦- فَلِلّـهِ ذاكَ اليـومُ مـا كـانَ في البَهـا　　أَلَـذُّ وأَهْنَـا منْـهُ لِلْمُغـرَمِ الصَّـدِي

---

(١) الخليع الشاعر: هو الحسين بن الضحاك، شاعر من ندماء الخلفاء، وشعره رقيق، والأبيات في الأغاني ١/١٩٣، ومعجم البلدان (دير مران)، والروض المعطار ٢٥٠.

(٢) العَدَّان: عَدَّنَ الأرض: بمعنى وضع السماد فيها لزيادة خصبها، والعدان في مفهوم فلاحي الغوطة: هو كمية من المياه، توزع لري البساتين بشكل دوري لكل بستان، خلال ساعات محددة له، ويشرف على التوزيع شخص يرتضيه الفلاحون لهذا الأمر ويسمونه (رأس عدان).

❁ وقالَ آخرُ في ذلكَ: [من الكامل]

١- وجَـرَتْ جَداولُهـا شَـبيهَ الفِضَّــةِ الـــ ـبَيْضـا فَخِلْـتُ الـدُّرَّ مِـنْ حَصْبائِهـا

٢- وتَوَشَّـــحَتْ أَفْنانُهـــا بِخَمـــائلٍ كَتَوَشُّــحِ الحَسْـنا بوَشْـيِ رِدائِهـا

٣- دُولابُهـا فَلَــكٌ يَـدورُ عُيونَــهُ الـــ ـلأبْراجُ تُشرِقُ مِنْ كَواكِـبِ مائِهـا

٤- أبَــدًا يَنُـــوحُ ودَمْعُــهُ مُتَبَــدِّدٌ فكأنَّــهُ الخَنْســاءُ عِنْـدَ بُكائِهـا

٥- رَقَصَـــتْ دَلالاً قُضْبُهـــا لِمآلِهـا قـدْ صَفَّقَـتْ طَرَبًـا أكُـفُّ رَخائِهـا

٦- وتَخـالُ صـافي المـاءِ تحْـتَ ظِلالِهـا خُـودًا عليهـا ضَـمُّ جيـبِ قِبائِهـا

٧- والظـلُّ فَـوقَ النّهـرِ عـارِضُ وَجْنَـةٍ يسـتوقِفُ الأبْصـارَ حُسْـنُ نَقائِهـا

والدّواليبُ في تِلـكَ الحَواكيرِ تَئِـنُّ على خَريرِ أنهارِها، وتَحِنُّ لِمُفارَقةِ مَغْرسِ أشجارِها، وتُبَدِّدُ دُموعَها بين تلكَ الحدائقِ، فتتناثَرُ كالدُّرِّ تحْتَ هـاتيكَ السُّرادِقِ، وفيها يقولُ الشاعِرُ(1): [من الطويل]

وذاتِ حَنِـينٍ لا تَــزالُ مُطيفَــةً تَئِـنُّ وتَبْكـي بـالدّموعِ السَّـواكِبِ

كـأنَّ أَلِيفًـا بـانَ عنْهـا فـأصْبَحَتْ بمَرْبَعِــهِ كـالصَّبِّ بَيْـنَ الحَبـائبِ

إذا ابْتسَـمَتْ فيهـا الرِّيـاضُ شَـماتَةً تَرُعْهـا بأمْثـالِ القِسِـيِّ القَواضِـبِ(2)

فكَـمْ رَقَصَـتْ أغْصانُهـا فَرَمَـتْ لَهـا نِثـارًا كمـا بَـدَّدْتَ حِلـيَ الكَواعِـبِ

---

(1) هو أبو الحسن بن سعيد. نفح الطيب ٢/٢٨٨.

(2) في نفح الطيب: بأمثال السيوف.

❀ وقالَ الآخرُ[1]: [من الطويل]

وباكِيـةٍ والـرَّوضُ يَضْحَـكُ كُلَّمـا ... أَلَحَّـتْ عليـهِ بـالدّموعِ السَّـواجمِ

يَرُوقُـكَ مِنْهـا إنْ تَـأَمَّلْتَ نَحْوَهـا ... زَئِـيرُ أُسُـودٍ والتِفـاتُ أَراقِـمِ

تخلّـصُ مِـن مـاءِ الغَديـرِ سَـبائكًا ... فَتنْبِتُهـا في الـرَّوضِ مِثْـلَ الدَّراهِـمِ

❀ ابن الأَبَّار[2]: [من الكامل]

١- لِلّـهِ دولابٌ يَـدورُ كأنّـهُ[3] ... فَلَـكٌ ولكـنْ مـا ارتقـاهُ كَوكَـبُ

٢- هـامَتْ بـهِ الأحْـداقُ لَمّـا نـادَمَتْ ... منْـهُ الحدائـقُ سـاقِيًا لا يَشـرَبُ

٣- نَصَبَتْـهُ فـوقَ النّهـرِ أيْـدٍ قَـدَّرَتْ ... تَرْويحَـهُ الأرواحَ سـاعةَ يُنْصَـبُ

٤- فكأنّـهُ وهـو الطّليـقُ مُقَيَّـدٌ ... وكأنّـهُ وهـو الحَبيـسُ مُسَـيَّبُ

٥- للمـاءِ فيـهِ تَصَعُّـدٌ وتَحَـدُّرٌ ... كـالمُزْنِ يَسْتَسْـقي البِحَـارَ ويَسْـكُبُ

❀ وقالَ آخرُ[4]: [من الطويل]

ومَحْنِيَّةِ الأضْلاعِ تَحْنُو على الثَّرَى ... وتَسْـقي نَبـاتَ الـتُّرْبِ درَّ الـتَّرائبِ

تُعَـدُّ مِـنَ الأفْـلاكِ أنَّ مِياهَهـا ... رُجـومٌ لِرَجْـمِ المَحْـلِ ذاتُ ذَوائـبِ

---

(١) هو أبو جعفر بن وضاح، قالها في دولاب. نفح الطيب ٦٠١/٣.

(٢) ابن الأبار: أحمد بن محمد الخولاني الأندلسي، من شعراء المعتضد صاحب إشبيلية، مولده ووفاته فيها سنة ٤٣٣ هـ، كان شاعراً فاضلاً عارفاً بالأدب، وهو غير ابن الأبار المؤرخ، والأبيات في ديوانه صفحة ٦١، وانظر نفح الطيب ٢٨٧/٢.

(٣) الديوان: لهجاً بدولابٍ ترقّى نهره.

(٤) الأبيات لمحمد بن الحسين بن سعيد أبو عبد الله. المغرب ١٦٩/٢، نفح الطيب ٢٨٧/٢.

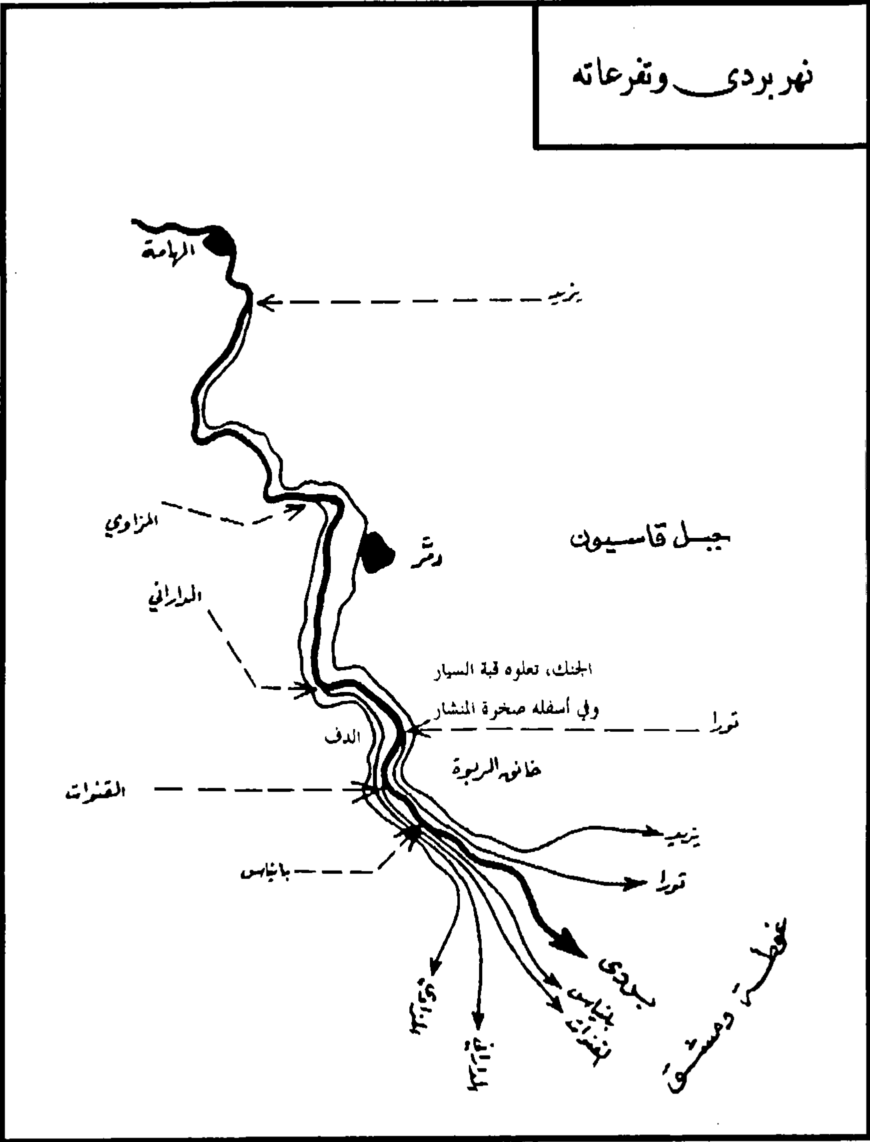
وأَعْجَبُها رَقْصُ الغُصونِ ذَوابِلاً   فدَارَتْ بأمْثالِ السّيوفِ القَواضِبِ
وتَحْسَبُها والرَّوضُ ساقٍ وقَيْنَة   فمَا بَرِحَا ما بَيْنَ شادٍ وشارِبِ

ومُطِلٌّ على هذه الجَنّاتِ والأنْهارِ قُبَّةُ السَّيّارِ[1]، وهي قُبّةٌ مُحْكَمَةُ البِناءِ، مُحاذِيَةٌ لِعَقَبَةِ دُمَّرَ، الفاصلةِ بين قَيْسُونَ وبينَ الرَّبْوةِ، وفيها يقولُ الأستاذ: [من الوافر]

١- أَتَيْنا قُبَّةَ السَّيّارِ يومًا   معَ الأصْحابِ نَرْكُضُ في الصّباحِ
٢- وقدْ كانَ المَسِيرُ على رِياضٍ   مُعَطَّرَةٍ بأنفاسِ الرِّياحِ
٣- فَغَنَّتْ ساجِعاتُ الدَّوحِ فِينا   مُهَيْنِمَةً بأَلْسِنَةٍ فِصَاحِ
٤- فَيَا لَكِ قُبَّةً رُفِعَتْ وطارَتْ   على نَسْرِ السّماءِ بِلا جَناحِ
٥- تَبُثُّ بِها النَّسائمُ عَرْفَ زَهْرٍ   مِنَ الوادي وهاتِيكَ النَّواحِي



(١) قبة السيار: قبة لا تزال عند الطرف الغربي لجبل قاسيون المطلّ على خانق الربوة، فوق دير مرّان والمنشار، جدد بناءَها الأمير سيار الشجاعي، نائب دمشق، سنة ٦٩٠ هـ. ولعلّها قبة المرصد الذي أقامه الخليفة المأمون خلال السنوات ٢١٥-٢١٨ هـ.



عن كتاب «غوطة دمشق» تأليف صفوح خير

ذِكْرُ الصّالِحِيةِ ومَحاسِنِها[1]
وذِكْرُ رِياضِها وما قِيلَ فيها مِنَ الشعرِ والنّثرِ

وهي مَدينةٌ مُمْتَدَّةٌ في سَفْحِ جَبَلِ قاسِيونَ، تُشرِفُ على دِمشقَ وغُوطتِها، ذاتُ بُيوتٍ أنيقةٍ، ومدارسَ ورُبَطٍ وأسواقٍ، وبها البساتينُ الأَنِيقةُ[2]، تتسلسلُ جَداوِلُها، وتَتَرنّحُ أغْصانُها، وتُغَرّدُ أطيارُها، وفي أكثرِ بَساتِينِها العمائرُ الضّخمةُ، والجَواسِقُ العاليةُ، والقُصورُ البَديعةُ البِناءِ، بالبِرَكِ المُمْتدّةِ، تتقابلُ بها الأواوينُ والمَجالِسُ، وتَحُفُّ بِها الأدْواحُ المُطَرّزةُ بالسّرْوِ المُلْتفِّ. [من الكامل]

والسَّرْوُ يَحْكي الماجناتِ تَهَيّأتْ ... لِوُلُوجِ ماءِ قَرارَةٍ مُنْسابِ

لاثَتْ غَلائِلَها على هاماتِها ... تَحْكِي بِهِنَّ قلانِسَ الأعْرابِ[3]

---

(١) الصالحية: هو حي كبير، يقع في الشمال الغربي من مدينة دمشق، على سفح قاسيون، عندما هاجر المقادسة ـ خلال الحروب الصليبية ـ من جماعيل في فلسطين ـ ردّها الله ـ إلى دمشق سنة ٥٥١ هـ نزلوا بمسجد أبي صالح قرب باب شرقي، فاستوخموا مناخ تلك المنطقة، وانتقلوا إلى سفح جبل قاسيون، فقال الناس: الصالحية الصالحية، نسبة إلى مسجد أبي صالح.

وقيل: نسبة إلى صلاح من نزلها من المقادسة. (القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ١/٦٦)، الذين ابتنوا في سفح الجبل بيوتاً لسكناهم، ثم توسعت لتصبح مدينة مستقلة بعد عام ٥٥١ هـ. قال الشيخ دهمان في مقدمة القلائد الجوهرية: واعتبرت الصالحية مدينة مستقلة، فابن بطوطة الذي زارها سنة ٧٢٦ هـ قال عنها: هي مدينة عظيمة، لها سوق، لا نظير لحسنها. ويصفها القلقشندي فيقول: الصالحية مدينة ممتدة في سفح الجبل، تشرف على دمشق وضواحيها، ذات بيوت ومدارس ورُبط وأسواق، ولكل من دمشق والصالحية البساتين الأنيقة، بتسلسل جداولها وتغني دوحاتها، والبحيرات الممتدة، والحور الممشوقة القد، والرياحين المتأرجة الطيب، والفواكه الجنية والثمرات الشهية، والأشياء البديعة التي تغني شهرتها عن الوصف، ويقوم الإيجاز فيها مقام الإطناب. صبح الأعشى ٤/٩٤.

(٢) كلمة (الأنيقة) ليست في (ب).

(٣) البيتان لابن النقيب. الديوان، صفحة ٥٠.

والرّياحينُ العَطِرَةُ، والفَواكِهُ الجَنِيَّةُ، والثَمَراتُ الشّهِيةُ التي يقومُ الإيجازُ في وَصْفِها مَقامَ الإِطْناب. [الطويل]

مَحاسِنُ يُبْديها العِيانُ كما تَرَى ... وإنْ نَحْنُ حدَّثْنا بها دفعَ العَقْلُ[1]

ونهرُ يَزيدَ: يخترقُ تلكَ الرياضِ الأَريضَةِ، والأزاهِرُ تَرْمُقُهُ مِنْ أجْفانٍ مَريضةٍ. [البسيط]

أجْرَى يَزيدُ إليها مِنْ سَلاسِلِهِ ... نَهْرًا تَمشّى على جَرْعاءَ مَيْثاءِ

مُوَكَّلٌ بالمَساحي في جَداوِلِها ... حتى يَدُلَّ عليها حَيَّةَ الماءِ[2]

قدْ أَحْدَقَتْ بها البساتينُ إحْداقَ الهالةِ بالقَمَرِ، وضَمَّتْها ضَمَّ الكِمامِ بالزّهَرِ، وحَدائقُ تَغْشى أزْهارَها الأحْداق، فهي كَمَا قِيل عيانُها للخَبَرِ عَنها مِصْداق، وأيُّ مِصْداق!: [الكامل]

كمْ مَنزلٍ في نَهْرِها آلَى السُّرُو ... رُ بأنّهُ في غَيْرِهِ لا يَنْزِلُ

وكأنّما تِلكَ القُصورُ عَرائِسٌ ... والرّوضُ حَليٌ فهي فيهِ تَرْفُلُ

غَنّتْ قِيانُ الوُرْقِ في أرجائِها ... هَزَجًا يَقِلُّ لهُ الثقيلُ الأولُ[3]

وقدِ اعتَنَتِ الشعراءُ بِوَصْفِ رِياضِها البَهيجَةِ، وتغَنّتْ بذِكرِ مُنتَزَهاتِها الأَريجَةِ، فمِنْ ذلكَ الأستاذُ بقولِهِ: [من الكامل]

والصّالِحيةُ يا لَهَا مِنْ مَنْزِلٍ ... فيها قبورُ الصّالِحينَ أُلي التُّقى

وبِها القُصُورُ العالِياتُ تَزَخْرَفَتْ ... مِثْلَ النُّجومِ زَهَتْ بِكُلِّ مَنِ ارْتَقى

---

(١) البيت لأبي الفتح البستي. الديوان ٢٧٩.

(٢) البيتان لابن المعتز. الديوان ٢/٢٠٨، ٢٠٩، وفيه: أجرى الفرات.

(٣) الأبيات للقاضي التنوخي علي بن محمد بن داوود. يتيمة الدهر ٢/٣٩٩، معاهد التنصيص ٢/١٤، وفي اليتيمة: حلي خودٍ ترفل.

تسْمُو علـى أطـرافِ جِلّـقَ بَهجـةً وَطَـلاوةً فيهـا السُّـرورُ تَحَقّقـا
كـمْ نُزهـةٍ للعَـينِ فيهـا قَـدْ زَهَـتْ وسَرَتْ على طَرَفِ الهُمـومِ فَأَطْرَقـا

❀ وقالَ: [من الخفيف]

جِلّـقُ الشـامِ جَنَّـةُ الخُلْـدِ تَجْـري بالسَّـواقِي مِـنْ تَحْتِهـا الأنْهَـارُ
شـاهِدي صالِحيّـةٌ هـيَ فِيهـا وهـيَ أيضًـا للصّـالِحينَ قَـرارُ

❀ المرحومُ السّيدُ عبدُ الرحمنِ بْنُ حَمزةَ[1]: [من الطويل]

سقى اللهُ عَهْدَ الصّالِحيـةِ والصَّـرْحِ وحَيّا زَمانًـا مَـرَّ في جـانِبِ السَّـفْحِ
مَواطِـنُ أَتْـرابٍ ومَرْبَـعُ صَبْـوَةٍ[2] ومَرْتَـعُ غِـزلانٍ مُخَصَّـرَةِ الكَشْـحِ
خِـلالَ قُصـورٍ شـاهِقاتٍ تَنـاظَرَتْ مَناظِرُهـا تَدْعـو المَشُـوقَ إلى الفَتْـحِ

❀ المرحومُ مَنْجكُ[3]: [من الوافر]

نَزَلْنـا الصّالِحيّـةَ في العَشَـايا فأَغْنانَـا الضِّيـاءُ عَـنِ الضِّيـاءِ
وأبْـوابُ القُصُـورِ لَهـا صَرِيـرٌ أَلَـذُّ لِمَسْـمَعِي مِـنْ صَـوتِ نـايِ

❀ آخرُ[4]: [من الطويل]

تَـأَمَّلْ لِحُسْـنِ الصّالِحيـةِ إذْ بَـدَتْ مَنَاظِرُهـا مِثْـلَ النُّجـومِ تَـلالا

---

(١) ديوان ابن النقيب، صفحة ٧٢.

(٢) الديوان: مواطن إطراب ومربع.

(٣) الأمير منجك بن عبد الله، أمير داهية جبار، استقر حاجباً بدمشق، وولي الوزارة بمصر سنة ٧٤٨ هـ، أخباره كثيرة، وله شعر حسن. الديوان، صفحة ١٢٣.

(٤) البيتان لعلي بن موسى بن سعيد المغربي، قالها في الجزيرة الصالحية بمصر، وهي الشهيرة الآن بالروضة. الوافي بالوفيات ٢٢/٢٥٦، فوات الوفيات ٣/١٠٥، نفح الطيب ٢/٢٦٩.

وللطَّلْعَـةِ الغَـرّاءِ كـالبَدْرِ طالِعًـا[1] تَفَجَّـرَ صَـدْرُ المـاءِ مِنْـهُ هِـلالا

❁ آخرُ فيها[2]: [من البسيط]

والمـاءُ يَجْـري بِسـاحاتِ القُصـورِ بهـا قـدْ حَـفَّ جَدْوَلَهـا آسٌ ورَيْحـانُ

ونَهرُهـا العَـذْبُ يَحكـي في تَسَلْسُـلِهِ سُـيوفَ هِنـدٍ لَهـا في الجَـوِّ لَمْعـانُ

❁ وقالَ الآخرُ[3]: [من الكامل]

وإذا نَظَـرْتَ الصّالِحِيَـةَ خِلْتَهـا[4] مِـنْ جَنَّـةِ الفِـرْدَوسِ حِـينَ تَخيَّـلُ

❁ المَرحومُ السيدُ إبْراهيمُ بنُ حَمزةَ: [من المجتث]

الشّـامُ دارُ قَـرارٍ لَـدى النُّفُـوسِ الزَّكِيَّـهْ

بَـلْ جَنَّـةُ الخُلْـدِ أَضْحَـتْ عُنوانُهـا الصّالِحِيَّـهْ

❁ الأُستاذُ: [من المجتث]

دِمَشْـقُ دارُ سُـرورٍ رياضُهـا سُنْدُسِـيَّهْ

كَجَنَّـةِ الخُلْـدِ أَضْحَـتْ عُنوانُهـا الصّالِحِيَّـهْ

---

(١) في مصادر الخبر: وللقلعة الغراء كالبدر.

(٢) البيتان ليحيى القرطبي من القصيدة المشهورة التي مطلعها :

لكـل شـيء إذا مـا تم نقصـان فـلا يغـر بطيـب العيـش إنسـان

يرثي فيها الأندلس. انظر ريحانة الألبا ١٨٣، ولم أجد البيتين في ديوان أبي البقاء الرندي.

(٣) البيت للقاضي التنوخي علي بن محمد. انظر يتيمة الدهر ٣٩٩/٢، معاهد التنصيص ١٤/٢.

(٤) في مصدري الخبر: وإذا نظرت إلى الأبلة خلتها.

❁ وقالَ: [من المجتث]

ذاتُ العِمـــادِ دِمَشـــقُ ... أخبارُهـــا مَروِيّـــهْ
بِـــذا أَتانَـــا كِتـــابٌ ... عُنوانُـــهُ الصّالِحِيـــهْ

❁ ابنُ عبدِ الرّزّاق: [من المجتث]

دارُ النّعيـــمِ دِمشـــقُ ... ذاتُ الرّيـــاضِ الزّكِيّـــهْ
تَزهُـــو كَجَنّـــةِ خُلْـــدٍ ... عُنوانُهـــا الصّالِحِيـــهْ

❁ السيدُ إبْراهيمُ بنُ حَمْزَة: [من المجتث]

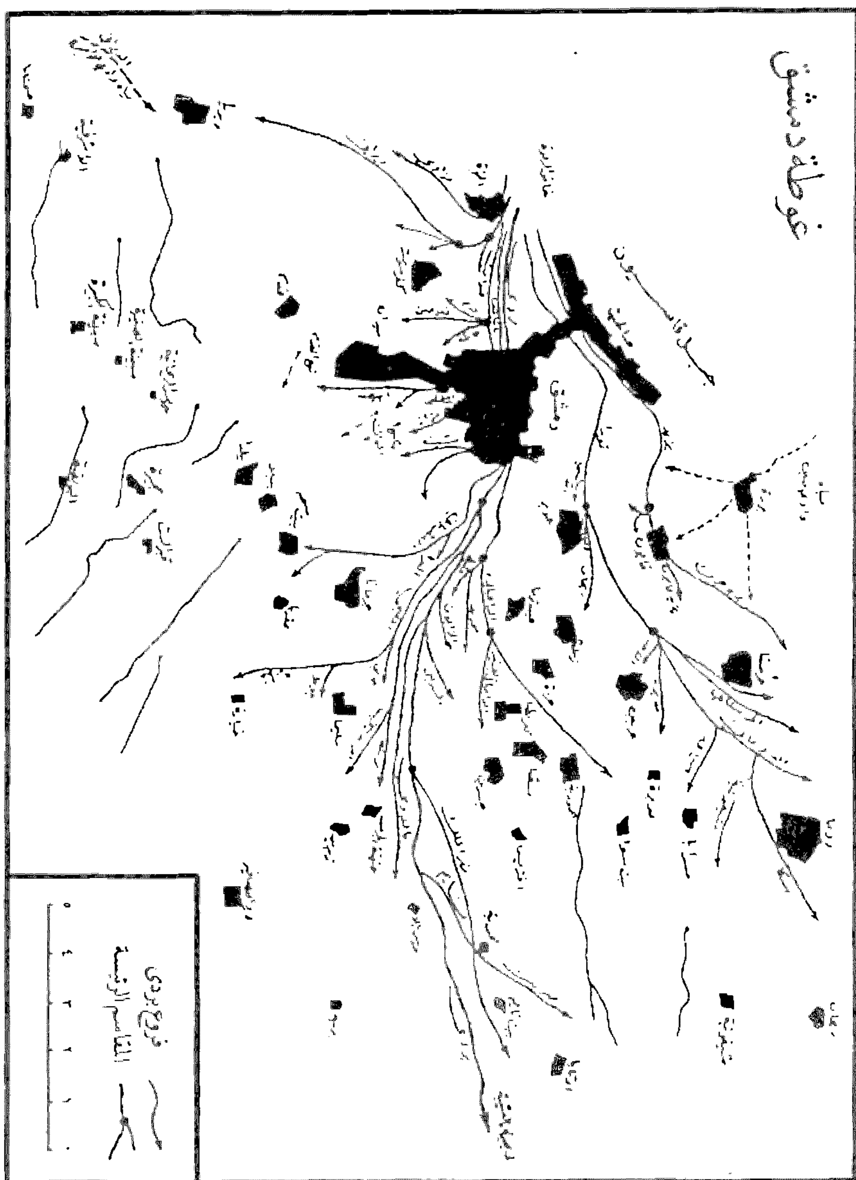
دِمشـــقُ مَوطِـــنُ أُنْـــسٍ ... يَهْـــوِي إلَيهـــا العَلِيـــلُ
حَكَـــتْ لِجَنّـــةِ خُلْـــدٍ ... لَهـــا النُّفـــوسُ تَمِيـــلُ
والصّالِحِيـــةُ فيهـــا ... مِنْهـــا عَلَيْهـــا دَلِيـــلُ

ومَحَاسِنُها كثيرةٌ لا تُعَدّ، والأقوالُ فِيها غَزِيرَةُ العَدِّ، فَلْنُمْسِكْ عنانَ اليَراعَةِ، ونَكْتفي بِقولِ الشاعِرِ ذي البَراعَةِ[1]: [من مجزوء الكامل]

تِلْـــكَ المَنـــازِلُ والمَـــلا ... عِـــبُ لا أَرَاهـــا اللهُ مَحْـــلا
حيـثُ الْتَفَـتَّ وَجَـدْتَ مـا ... ءً سَـائحًا وسَـكَنْتَ ظِـلاّ



(١) البيتان لأبي فراس. الديوان يصف منازل بمنبج. الديوان ٢١٤.



عن كتاب «غوطة دمشق» تأليف صفوح خير

فصل

قَدْ عَنَّ لِيَ أنْ أذكُرَ ما قِيلَ في الأزاهِرِ، مِمّا تَرَكَ الأولُ للآخِرِ:

١ـ الرّيحان:

قالَ ابنُ عبدِ رَبِّه[1]: [من الوافر]

وريْحانٍ يَميسُ على غُصونٍ ... يَطِيبُ بِشَمِّهِ شُرْبُ الكُؤوسِ
كَسُودانٍ لَبِسْنَ ثِيابَ خُضْرٍ ... وقَدْ شَطَحُوا مَكاشِيفَ الرُّؤوسِ[2]

❁ وقالَ آخرُ[3]: [من الكامل]

رَوْضٌ يَرُوضُ هُمومَ قَلْبي حُسْنُهُ ... فيهِ لِكأسِ الأُنْسِ أيُّ مَسَاغِ
وإذا مَضَتْ قُضْبانُ رَيحانٍ بِهِ[4] ... حَيَّتْ بِمِثْلِ سَلاسِلِ الأَصْداغِ

❁ وفي الحَديثِ: «مَنْ عَرَضَ بِرَيْحانٍ فلا يَرُدُّهُ، فَإنّهُ خَفيفُ الحَمْلِ، طَيِّبُ الرِّيحِ»[5]، يَعْني بالرّيحانِ كُلَّ ذِي رائحَةٍ ذَكِيةٍ مِنَ الأزْهارِ.

---

(١) ابن عبد ربه: أحمد بن محمد (٢٤٦ - ٣٢٨ هـ)، الأديب الإمام الشاعر، صاحب العقد الفريد.

(٢) البيتان في نزهة الأنام ١٥٨ لابن عبد ربه، ولم أجدهما في ديوانه، وفي نهاية الأرب ٢٥٤/١١، وفي المستطرف ١٢٣/٣ من غير عزو.

(٣) البيتان لأبي الفضل الميكالي، عبيد الله بن أحمد. يتيمة الدهر ٤٢٨/٤، فوات الوفيات ٤٣٢/٤.

(٤) في مصدري الخبر: وإذا بدت قضبان.

(٥) أخرجه مسلم (٢٢٥٣)، وأبو داود في السنن (٤١٧٢).

❁ قالَ أَبُقراطُ: يَنبَغي للمُعْتني بِمَصالحِ بَدَنِهِ أنْ لا يُضَيِّعَ حَظَّهُ مِنَ الاسْتِمتاعِ بِرَوائحِ الأزْهارِ والرَّياحِينِ، فإنَّها تُقَوِّي الرُّوحَ وتُنعِشُ الحَرارَةَ الغريزيّةَ، التي بِها قِوامُ الحياةِ، والعَليلُ أَحْوَجُ إليها مِنَ الصّحيحِ، لأنّهُ قدْ عَجِزَ عَنِ الأخْذِ مِنَ المَطاعِمِ والمَشارِبِ، فَهِي تَنُوبُ عَنْ بعضِ فِعْلِها في التّقويَةِ.

❁ وسَأَلَ أَبْرويزُ بعضَ نُدَمائِهِ عن رَوائحِ الرّياحين، فقالَ: النّرْجسُ كرائِحةِ الشبابِ، والوَرْدُ كرائِحةِ الأحْبابِ، ورائِحةُ الرّيحانِ كرائِحةِ الأولادِ، ورائحةُ المَنثورِ كرائحةِ الأصدقاءِ.

وإنّما خَصَّ هؤلاءِ بالرَّيحانِ، لأنّ اللهَ سُبْحانَهُ وتعَالى أنْبَتَهُ نباتًا حَسَنًا، غَضًّا طَرِيًّا، سَرِيعَ الزّوالِ، ولا يُتَمَتَّعُ بِهِ كَغَيْرِهِ، واللهُ أعلمُ.

٢ـ الآسُ[(١)]:

ابنُ طَباطبا[(٢)]: [من البسيط]

الآسُ فَرْدٌ بَدِيعٌ في مَحَاسِنِهِ ... ما مِثْلُهُ في مَعانيهِ بِمَوجودِ

يَبْدو بِأغْصانِهِ خُضْرٍ مُلَيَّنَةٍ[(٣)] ... كَأَلْسُنِ الطّيرِ تُشْوَى في السَّفافيدِ

---

(١) الآس: سيد الرياحين، ويعظم حتى يصير شجراً، ويثمر ثمراً قدر الحمص، وهو ثلاثة أنواع: أخضر وهو المشهور، وأصفر وهو ما فسد من ورق الأول، وأزرق ويسمى الخسرواني، وبعض ورقه طويل محدد، وبعضه مدور. حاشية كتاب ابن وكيع التنيسي.

(٢) ابن طباطبا: محمد بن أحمد الحسني العلوي، أبو الحسن (٠٠ - ٣٢٢ هـ)، شاعر كبير وعالم بالأدب، مولده ووفاته بأصبهان، وأكثر شعره في الغزل والوصف، والبيتان في الديوان ٤٥، ونزهة الأنام ١٥٤.

(٣) في الديوان، ونزهة الأنام: بأغصانه خضراء تلبسه.

❁ وقالَ آخرُ[1]: [من الطويل]

خَلِيلَــيَّ مــا لِــلآسِ يَعبُــقُ نَشْــرُهُ   إذا شَــمَّ أنفــاسَ الرِّيــاحِ الهَواجِــرِ
حَكَــى لَونُــهُ أصْــداغَ رِيْــمٍ مُعَــذَّرٍ   وصُورَتُـــهُ آذانَ خَيْـــلٍ نَوافِـــرِ

❁ أخرَجَ ابْنُ السُّنِّيِّ عنِ ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللهُ عنهما، قالَ: أُهْبِطَ آدمُ عليــهِ السـلامُ مِنَ الجَنَّةِ بِسيِّدِ رَياحينِ الجَنَّةِ الآسِ.

❁ وأخرَجَ ابنُ أبي حَاتَمٍ عنِ ابنِ عَبّاسٍ: أوّلُ شَيءٍ غَرَسَ نُوحٌ عليــهِ السـلامُ الآسَ، فهو سيّدُ الرّياحينِ، لوُجُودِهِ في كُلِّ وَقتٍ وحِينٍ.

٣- الخَيْرِيُّ[2]:

قالَ ابنُ الرّوميِّ[3]: [من المنسرح]

خِـــيْرِيُّ وَرْدٍ أتــــاكَ في طَبَــــقٍ[4]   قــدْ مَــلأَ الخَــافِقَينِ مِـــنْ عَبَقِـــهْ
قــدْ خَلَــعَ العاشِــقونَ مــا صَنَــعَ الــ   ـهجــرُ بِــألْوانِهم علــى ورقِـــهْ

٤- المَنْثورُ[5]:

قالَ الأستاذُ: [من الكامل]

وأَصــابعُ المَنْثــورِ عَضَّتْهـــا الصَّبـــا   لَمّـــا غَـــدا دُونَ الأزاهِـــرِ يَعْبَـــقُ

---

(١) البيتان لابن وكيع التنيسي. انظر ابن وكيع التنيسي شاعر الزهر والخمر، صفحة ٦٣.

(٢) الخيْريّ: هو المنثور الأصفر. موسوعة علوم الطبيعة ٥١٧/٢، نبات له زهر، ويقال للخُزامى: خيْريّ البرّ، لأنه أزكى نبات البادية. المعجم الوسيط.

(٣) ديوان ابن الرومي ١٧١٤/٤.

(٤) في الأصل: طبقه، والمثبت من الديوان.

(٥) المنثور: نبات ذو رائحة ذكية، واحدته منثورة. المعجم الوسيط ٩٠٧/٢، ويغلب عليه اللون الأصفر.

فـاصْفَرَّ مِـنْ هـذا البَهـارُ مُقَهْقِهًـا   والآسُ في دَمْـعِ النّـدى مُغْـرَورِقُ

❀ الإسعردي[1]: [من الكامل]

مُـذْ عـايَنَ المَنثُـورُ طَـرْفَ النَّرْجِسِ الـ   ـمُـزْوَرِّ قـالَ وقَولُـهُ لا يُدْفَـعُ
فَتِّـحْ عُيونَـكَ في سِـواي فإنّـهُ   عِنـدِي قِبالَـةَ كُـلِّ عَـينٍ إصْبَـعُ

❀ قالَ الفاضلُ مُصطفَى اللُّقَيمي في «رحلتِهِ»[2]: وأمّا المَنْثور، فَلِواءُ عَرْفِـهِ مَنشـور، وهو أنواعٌ عَديدةٌ، ذو صِفـاتٍ حَسَنَةٍ حَميـدةْ، فأرْفَعُها الذَّهَبيُّ الأصْفـرُ اللـونِ، الحَسَـنُ العَـرْفِ في الكـونِ، لأنّـهُ ضـاعَ عَرْفُـهُ وفَـاحَ، في الغُـدُوِّ وفي الـرّواحِ، وأوْسَـطُها الخَمْـريُّ والبَنَفْسَجيُّ والأكْحَلْ، فلا يَفُوحُ عَرْفُـهُ إلاّ في الليـلِ الأليَـلْ، ولـهُ عِطْرِيّـةٌ غَرِيبـةٌ، ورائحَـةٌ عَجيبةٌ، يُشابهُ القَرَنْفُلَ المُصَعَّدَ بماءِ الوَرْدْ، كأنّما بَينَهُما مُواصَلَـةٌ وعَهْـدْ، وأدْناهـا الأبْيَـضُ الأشْهَبُ، فَهُوَ لِعدَمِ عَرْفِهِ عَنهُ يُرْغَبُ، وأنشَدَ عَرْقَلَةُ الدِّمَشقيُّ الشاعِرُ المَشـهورُ، بـين يَـدَيْ شَمسِ الدّولَةِ، حينَ أُحْضِرَ لهُ المَنْثُورُ: [السريع]

قَـدْ أقبَـلَ المَنثُـورُ يـا سـيّدي   كـالدُّرِّ واليـاقوتِ في نَظْمِـهِ
نسـيمُ أنفاسِـكَ مِـنْ عِطْـرِهِ   ورأسُ مَـنْ عَـاداكَ مِثْـلُ اسْـمِهِ[3]

---

(١) هو محمد بن يعقوب، مجير الدين بن تميم الإسعردي، سكن حماه، وكان جندياً محتشماً، شجاعاً، مطبوعاً كريم الأخلاق، توفي سنة ٦٨٤، والبيتان في فوات الوفيات ٦٢/٤.

(٢) ألف في رحلته إلى القدس كتاباً سماه: «موانح الأنس في الرحلة لوادي القدس». سلك الدرر ١٨٠/٣. وأشار الزركلي رحمه الله في أعلامه ٢٢٩/٧ إلى أن الكتاب ما زال مخطوطاً.

(٣) البيتان لعرقلة الكلبي. الديوان، صفحة ٩٤، والبيت الثاني فيه :

ثنـاك لا زال كأنفاسِـهِ   ومُـخُّ مـن يشـنوك مثـل اسمِـهِ

٥ـ السَّوسَنُ[١]:

❁ قالَ الشاعِرُ[٢]: [من البسيط]

وسَوسَــــنٍ راقَ مَــــرْآهُ ومَخْــــبَرُهُ   وَجَــلَّ في أَعْيُــنِ النُّظَّــارِ مَنْظَــرُهُ

كأنّــهُ أكْــؤسُ البِلّــورِ قَــدْ صُبِغَــتْ   مُسَدَّســاتٍ[٣] تَعَــالَى اللهُ مُظْهِــرُهُ

❁ أبو نُواس[٤]: [من البسيط]

سَــقْياً لِــرَوْضٍ إذا مــا نِمْــتُ نَبَّهَــني   بَعْــدَ الهُجُــوعِ بِــهِ ضَــرْبُ النَّواقِيــسِ

كــأنَّ سَوسَــنَهُ في كُــلِّ شــارِقَةٍ   علــى المَيــادِينِ أذنــابُ الطَّواوِيــسِ

❁ وقالَ آخرُ في جميعِ ألوانِهِ[٥]: [من الطويل]

بَــدَا سَوسَــنُ الــرَّوضِ المُدبَّــجِ أزرَقــا   وأصفَــرَ يَعلُــو طُولُــهُ فَــوقَ مُبْيَــضِّ

كــأنَّ الرُّبــا أرْخَــتْ ذُيــولَ غَلائِــلٍ   مُصَبَّغَــةٍ والبَعْــضُ أطولُ مِنْ بَعْــضِ[٦]

---

(١) السوسن: جنس زهر من الفصيلة السوسنية، وأجناسه كثيرة، وأطيبه الأبيض، واحدته سوسنة. الوسيط.

(٢) البيتان للوزير أبي عامر بن مَسْلَمة. جذوة المقتبس صفحة ٦١، ونفح الطيب ٥٤٤/٣.

(٣) في مصادري الخبر: قد صنعت مسدسات.

(٤) كذا في الأصل، والبيتان للأحيطل، ولعلّ أصل الوهم هو ما نقله المؤلف من كتاب الأمالي ٢٦٤/١: وأنشدني أبو المَيّاس قال: أنشدني الأحيطل لنفسه، فصحف أبو المياس لأبي نواس، وأسقط اسم صاحب البيتين. والبيتان في الأغاني ١٣٤/١٠ (أخبار علية بنت المهدي) ينسبان لإسماعيل بن يسار أو لإسحاق الموصلي.

(٥) ينسب البيتان لسيف الدولة يتيمة الدهر ٥٣/١، وهما في ديوان ابن الرومي ١٤١٩/٤.

(٦) رواية البيتين في اليتيمة وديوان ابن الرومي:

يطرزهــا قــوس الغمــام بــأصفرٍ   على أحمرٍ في أخضرٍ تحت مبيضِّ

كأذيــال خــودٍ أقبلــت في غلائــلٍ   مصبغة والبعض أقصر من بعضِ

ورواية البيت الأول في ديوان ابن الرومي:

يطرزهــا قــوس السمــاء بــأحمرٍ   على أخضرٍ في أصفرٍ وسط مبيضِّ

❁ قالَ اللُّقَيْمِيُّ: وأمّا السَّوْسَنُ فبفَتحِ السِّينِ، لكنَّ الضَّمَّ أحْسَنُ، هـو زينَـةُ الرِّيـاضِ والفَرَاديسِ، المُشَبَّهُ بأذنابِ الطّواويسِ، وقدْ أنشدَ ابنُ المُعتزّ[1]، حِينَ تَمـايَلَ غُصْنُهُ واهْتَزّ:

[من البسيط]

يـا رُبَّ سَوسَـنَةٍ قَبَّلْتُهـا كَلَفًـا ... وما لَها غَـيْرُ نَشْرِ المِسْكِ مِنْ رِيقِ[2]

مُصْفَـرَّةُ الوَجْـهِ[3] مُبْيَـضٌّ جَوانِبُهـا ... كأنّهـا عاشِـقٌ في حِجْـرِ مَعْشُـوقِ

٦ـ الخَشْخَاشُ[4]:

❁ قالَ الشاعرُ: [من الطويل]

ولمّا بَـدَا الخَشـخاشُ في الرَّوْضِ مُزْهِرًا ... وقـدْ نَظَـرَتْ شَـزْرًا إليـهِ الحَدائـقُ

حَكَـى قَلْعَـةً أبْراجُهـا مُسْـتدِيرَةٌ ... مُشَـرَّفَةٌ دارَتْ عليهـا الصَّنـاجِقُ[5]

❁ وقالَ آخرُ: [من الوافر]

أرَى الخَشْـخاشَ كالنُّدَمـاءِ لَكِـنْ ... أتَـتْ أقْدَاحُهُـمْ فَـوقَ الـرُّؤُوسِ

وقـالوا قـدْ طَرِبْنـا إذْ شَـرِبْنا ... إلى أنْ قـدْ رَقَصْنـا بِـالكُؤُوسِ

---

(١) ابن المعتز: الخليفة العباسي عبد الله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل أبو العباس (٢٤٧ - ٢٩٦ هـ) الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة. ولم أجد البيتين في ديوان ابن المعتز، وهما في ديوان ابن هذيل القرطبي صفحة: ١٠٨، وجعلهما محقق الكتاب في القسم الصحيح النسبة إلى ابن هذيل، وفي نزهة الأنام صفحة ١٤٥ منسوبان لابن المطرزي.

(٢) ديوان ابن هذيل: المسك منشوق.

(٣) الديوان: مصفرّة الوسط.

(٤) الخشخاش: نبات تزييني، له أنواع كثيرة وألوان متعددة، ويُزهِر مدى فصول السنة. انظر موسوعة علوم الطبيعة ١/٣٦٠.

(٥) البيتان وردا في سلك الدرر ٢/١٠٨ من غير عزو.

❁ وقالَ آخرُ: [من الوافر]

وَخَشْــخاشٍ زَهــا بِــالزَّهْرِ لَمّــا ... تَبَــدَّى مِنــهُ في رَوضٍ أرِيْــضِ
كــأقْدَاحٍ مِــنَ اليــاقوتِ حُمْــرٍ ... وأقْــدَاحٍ مِــنَ الألْمَــاسِ بِيْــضِ
وأقْــدَاحٍ لَهَــا ضِلْــعٌ بَيَــاضٌ ... وضِلْــعٌ أحْمَــرٌ كَــدَمِ المَرِيــضِ
وإلاّ كالعَمَــــــائمِ في رُؤُوسٍ ... مُصَبَّغَــــةٍ طَويــــلٍ في عَرِيــــضِ

٧ـ الحَوْذَانُ[١]:

قالَ الشاعرُ[٢]: [من الطويل]

رِيــاضٌ تَــرَدَّتْ بالرِّيــاضِ مَجُــودَةً ... بِكُــلِّ جَديــدِ المــاءِ عَــذْبِ المَــوارِدِ
كأنَّ جَنَى الحَـوْذانِ في رَونَـقِ الضُّحَى ... دَنانِــيرُ تِــبْرٍ مِــنْ تَــوامٍ وفَــارِدِ

٨ـ حَلَقَةُ المَحبُوبِ:

هو زَهْرٌ بَدِيعُ المَنْظَرِ، عَجيبُ الشكلِ والتّكْوينِ، كامِلُ الظَّرْفِ والنَّمَطِ، وأظُنُّهُ مِنْ خُصوصيّاتِ رِياضِ جِلّقِ الشّامِ، واللهُ أعلَمُ.

❁ قالَ يصِفُ شَكْلَهُ المرحومُ السيدُ عبدُ الرّحمنِ بنُ حَمزَةَ[٣]: [من الطويل]

وزَهْــرٍ كأمْثــالِ الشُّــنُوفِ لَطَافَــةً[٤] ... تَدَاخَلَ مِــنْ أجْزائِـهِ البَعْـضُ في البَعْـضِ
لقـدْ أحْكَمَـتْ إبْرازَهــا المُــزْنُ خِلْقَـةً ... لَدَيْنــا وأعْطَتْــهُ أمانًــا مِــنَ النَّقْــضِ

---

(١) الحوذان: نبات عشبي، من ذوات الفلقتين، منه أنواع تُزرع لزهرها، وأخرى تنبت بريةً. المعجم الوسيط.
(٢) البيتان للبحتري. الديوان ١/٦٢٤.
(٣) ديوان ابن النقيب، صفحة ١٩٠.
(٤) الشنوف: ما يعلق في الأذن من أقراط.

❁ وقالَ المرحومُ الأستاذُ، وقدْ أجَادَ: [من الخفيف]

١- رُبَّ زَهْــرٍ بَيْــنَ الرِّيــاضِ رَأَيْنــا ... هُ يُسَــمَّى بِحَلْقَــةِ المَحْبُــوبِ

٢- بَعضُــهُ أبْيَــضٌ كَأَقْمَــاعِ عَــاجٍ ... نافِحــاتٌ فِيهــا بَقِيَّــةُ طِيْــبِ

٣- والَّــذي مِنْــهُ أحْمَــرٌ كَعقِيــقٍ ... سَــالَ فيــهِ النَّــدى مِــنَ الأُنْبُــوبِ

٤- ثُــمَّ نَــوعٌ يَحكِــي البَنفْسَــجَ لونًــا ... فَــوقَ غُصــنٍ زُمُــرُّدِيٍّ رَطِيْــبِ

٥- كَكُــؤوسِ البِلَّــورِ قَــدْ صَبَغَتْهــا ... خَمْرَةُ الــرَّاحِ فَــوقَ كَــفٍّ خَضِيــبِ

٩- عُرْفُ الديكِ[١]:

قالَ فيهِ الأديبُ الكاملُ، مَنْ فاقَ بِآدابِهِ الغَضَّةِ على الأواخِرِ والأوائلِ، الأريبُ النَّجيبُ، عليُّ بنُ محمدِ بنِ الشَّمْعَةِ: [من الوافر]

وعُرْفُ الدِّيكِ وَسْطَ الرَّوضِ أضحى ... يَمِيــسُ بِحُسْــنِهِ البَــاهي العَجيــبِ

تَجُــرُّ ذُيولَهــا الأرواحُ فيــهِ ... فَيَحْكــي شَــكلُهُ قُــرْطَ الحَبيــبِ

١٠- الياسَمِينُ[٢]:

❁ قالَ بَعضُهم[٣]: [المنسرح]

اُنظُــرْ إلى خَيمَــةٍ وقَــدْ نُصِبَــتْ ... خَضْــراءَ عِنــدَ الصَّبــاحِ مُبْيَضَّــهْ

---

(١) عرف الديك: عشبة تزيينية حملية الملمس، يغلب عليها اللون الأحمر، وازهرارها يستمر من حزيران إلى آب. انظر موسوعة علوم الطبيعة ١٨٢/٢، وهذه الفقرة (عرف الديك مع الشعر) ليست في (ج).

(٢) الياسمين: نوع من النبت، طيب الرائحة، جميل المنظر، من فصيلة الزيتونيات، تزيد أنواعه عن المئة، أكثرها بري، يكثر منه اللون الأبيض فالأصفر فالأحمر، وكله فواح العَرف العطري. انظر موسوعة علوم الطبيعة ٦٠٢/٢.

(٣) البيتان لابن قرناص، ذكرهما المحبي في نفحة الريحانة ٤١/٢.

كأنّهـــا قُبَّـــةٌ لِراهِبَـــةٍ وقَـدْ كَسَـتْها صُلْبـانَ مِـنْ فِضّـهْ

❁ وقالَ الآخرُ[1]: [من الطويل]

وأدْواحَ خِلْناهَـا سَـماءَ زَبَرْجَـدٍ[2] لَهـا أَنْجُـمٌ زُهْـرٌ مِـنَ الزَّهَـرِ الغَـضِّ

تَناوَلَهـا الجَـاني مِـنَ الأرْضِ قـاعِدًا ولَمْ أرَ مَنْ يَجْـنِي السّماءَ مِـنَ الأرْضِ

❁ وقالَ آخرُ[3] في الأصْفَرِ مِنهُ: [من المنسرح]

كأنّمـا الياسَـمِينُ حِـينَ بَـدَا أصْفَـرُهُ في جَوانِـبِ الكُثُـبِ

عَسـاكِرُ الـرّومِ نـازَلَتْ بَلَـدًا وَكُـلُّ صُلْبانِهـا مِـنَ الذَّهَـبِ

❁ وفي الحَديثِ: «إنَّ قارئَ القُرآنِ يُؤتى بِياسَمِينِ الجَنّةِ في قَبْرِهِ»[4].

❁ قالَ اللُّقَيميُّ: هو زَيْنُ الرّياضِ، والمَوْسُومُ في الوَجْهِ بالبَياضِ، وفيهِ خَواصٌّ إذا وُضِعَ في الكُتُبِ لَمْ يَقْرَبْها أرَضَةٌ، وإنْ كانَتْ فِيها كالجُملَةِ المُعْتَرِضَةِ.

❁ وقدْ أنْشَدَ الصّاحِبُ بنُ عَبّادٍ[5]، فأحْسَنَ في التّشبيهِ وأجَادَ: [من البسيط]

وياسَـمينٍ علـى قُضْـبٍ مُنَعَّمَـةٍ قَـدْ قَدَّرَتْـهُ يَـدُ الخَـلّاقِ مقـدورا

مـا خِلْـتُ مِـنْ قَبْلِـهِ سُـبْحانَ خالِقِـهِ قُضْـبَ الزُّمُـرُّدِ أنْ يَحْمِلْـنَ كـافُورا

---

(١) ذكرهما النويري في نهاية الأرب ٢٣٨/١١ منسوبين لأحمد بن عبد الرحمن القرطبي، وفي نزهة الأنام ١٣٧ نسبا إلى الزُّغاري.

(٢) في مصدري الشعر: ولَفّاءَ خلناها.

(٣) في نزهة الأنام ١٣٧ نسبا للعلاء بن آيبك الدمشقي.

(٤) هو جزء من حديث طويل رواه البزار في مسنده (٩٩/٧) عن خالد بن معدان عن معاذ بن جبل، قال البزار: وابن معدان لم يسمع من معاذ.

(٥) هو إسماعيل بن عباد أبو القاسم (٣٢٦ - ٣٨٥ هـ)، الأديب الشاعر الوزير، لقب بالصاحب لصحبته مؤيد الدولة في صباه، كان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وأدباً وتدبيراً وجودة رأي، وشعره فيه رقة وعذوبة، ولم أجد البيتين في ديوانه، وهو مما فات جامعه.

١١- النِّسْرِينُ[١]:

هو زَيْنُ البُستانِ، وفيهِ مِنَ الذَّهَبِ والفِضَّةِ لَونـانِ، يَعْبَـقُ نَشْـرُهُ بَـينَ الأزْهـارِ، لكِـنْ عَزيزُ الوُجودِ في جَميعِ الأمْصارِ.

❁ قالَ الأستاذُ فيهِ، وقدْ أجادَ التَّشبيهَ: [من الطويل]

أَبَـانَ لـكَ النِّسْـرينُ إذْ خِلْـتَ أنَّـهُ ... أَكُـفُّ سُـقاةٍ حَمَلَـتْ أَكْؤُسًـا صُفْـرا

مَداهِـنَ عـاجٍ حَشْـوُها التِّبْرُ إذْ عَلَـتْ ... رُؤوسَ زُنـوجٍ أُلبِسَـتْ حُلَـلاً خُضْـرا[٢]

❁ وقالَ: [من الوافر]

ونِسْـرينٍ مِـنَ الـوَرْدِ ابْيضَاضًـا ... يُرينـا غَـارَ في روضٍ وأنجـدْ

سَـبائكَ فِضَّـةٍ بَيضـاءَ أضْحَـتْ ... مُرَكَّبَـةً علـى قُضُـبٍ زَبَرْجَـدْ

١٢- الفاغِيَّة[٣]:

قالَ اللُّقيميُّ: وأمّا الفاغِيّةْ، المُفَضّلَـةُ على الرّيـاحِينِ الزّاهِيـةْ، فَقَـدْ ثَبَـتَ لَهـا عَليهـم السَّلْطَنَةُ، وأُقِيمَ على ذلكَ الدّلائلُ المُبَرْهنةُ، فقدْ رَوَى البَيْهَقـيُّ[٤]، عـنِ ابْـنِ عُمَـرَ، مَرْفُوعًـا للحَضرَةِ السّامِيةِ: «سيِّدُ رَياحينِ الدّنيا والآخرةِ: الفاغيَّةُ».

---

(١) النِّسرين: ورد أبيض عطري، قوي الرائحة، واحدته نسرينة. المعجم الوسيط.

(٢) البيتان ذكرهما البدري في نزهة الأنام ١٢٠ - ١٢١ قائلاً: ومن رقيق شعر ذي الوزارتين.

(٣) الفاغية: نَور الحِنّاء خاصة، وهو (تمر الحِنّا) في لغة العامة، ونَورُ كل نبت ذي رائحة طيبة، والرائحة الطيبة، وفغى جسمَه: طيّبه بالفاغية. المعجم الوسيط.

(٤) رواه البيهقي في شعب الإيمان ٥/١٣١. عن عبد الله بن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ أنه قال: «سيد إدام الدنيا والآخرة اللحم، وسيد ريحان أهل الجنة الفاغية».

وتُسَمّى أيْضًا بالتّمْرِ حِنّا، لأنّ شَجَرَتَها حَنَّتْ على آدَمَ حينَ أُخرِجَ مِـنَ الجَنّـةِ، ولَمّـا انْ زَهَتْ برَوضِها الخَصيبِ، أنشدَ فيها الشاعِرُ المُصيبُ: [من البسيط]

كأنّمـا دَوْحَـةُ الحِنّـاءِ إذْ فَتّحَـتْ أنْوارَهـا وبَـدَتْ في عَـينِ مُرْتَقِـبِ

عَـروسُ حُسْـنٍ تَجَلَّـتْ في غَلائِلِهـا خضراءُ قـدْ حُلِّيَـتْ بِـاللّؤْلُؤِ الرَّطِـبِ

❀ وقالَ: [من البسيط]

رَأيْـتُ في السَّـمْرَةِ الحِنّـاءِ ذَا عَجَـبٍ قَـدْ جـاءَ في طِيْبِهـا أنْفـاسُ خَمّـارِ

إنْ مَـرَّتِ الرِّيـحُ بَـينَ الـدَّوحِ تَحْسَـبُها مِـنْ طِيـبِ نَكْهَتِهـا مَـرّتْ بعَطّـارِ

١٣ـ الأرْغُوانُ[١]:

قالَ الأستاذُ في وصفِ النّارنجِ: [من الوافر]

وَصِبْـغُ الأرغُـوانِ عليـهِ بـادٍ كأمْثـالِ الدّوائِـرِ يـا رَفِيقِـي

أوِ الخَـدِّ المُـوَرَّدِ مِـنْ حَيـاءٍ خِـلالَ عِـذارِهِ النَّضْـرِ الأرِيـقِ[٢]

١٤ـ العَنْبَرْبوي:

ومعناهُ: رائِحةُ العَنبَرِ، وهوَ زَهْرٌ عَظِيمُ المَنظَرِ، شَميمُ الرّائِحةِ، يكونُ ألوانًا عديدةً.

قالَ المَرحومُ السيدُ عبدُ الرّحمنِ بن حَمزَةَ فيهِ[٣]: [من الطويل]

---

(١) الأرغوان: نوع من النبت العشبي، بري وزراعي، من فصيلة الأنبوبيات، مركبة الزهر، وأشهر أنواعه الذي يتخذ للزينة، أوراقه مستطيلة لونها إلى خضار، وله عَرف طيب فواح، والأكثر من ألوانه الأزرق والأحمر. انظر موسوعة العلوم الطبيعية ١/٥٥.

(٢) ذكرهما المرادي في سلك الدرر ٣/٣٢ (ضمن ترجمة عبد السلام الكاملي)، منسوبين إلى الشيخ عبد الغني النابلسي.

(٣) ديوان ابن النقيب ١٥٥.

وذِي قامَةٍ في الزّهــرِ تَنْــدَى غَضـارَةً بَدَا فـاخِتِيَّ اللّـونِ مِنْ عَنبَرِ الشّحرِ[1]

لـهُ جُمَـمٌ زُغْـبٌ تفلّـكَ حَولَهـا مِنَ الزّهْـرِ إفْرِيـزٌ كأجربـةِ العِطْـرِ[2]

تكـوّنُ لُطْفًـا فَـوقَ زَرٍّ زَبَرْجَـدٍ تَكَتّبُ في الألْمـاسِ سَطْرًا على سَطْرِ

❁ ولَهُ في الأبْيضِ مِنْهُ[3]: [من الطويل]

وذِي هالَـةٍ في الزَّهـرِ أبْيَـضَ نـاصِعٍ تكـوّنُ للنّاشـي مِـنَ العَنـبَرِ الـوَرْدِ

يَروقُـكَ هُـدّابٌ بـهِ رَاحَ أشْـيَبا تَدَنَّـرَ في زَرٍّ كبـارِزَةِ النّهْـدِ[4]

أحـاطَتْ بِـهِ لـلزَّهرِ في زِيٍّ دَارَةٍ ظُروفٌ مِـنَ الكافُورِ مَبْثُوثَـةُ الشَّهْدِ[5]

١٥- شقائِقُ النُّعمان[6]:

قالَ بَعضُهم[7]: [السريع]

انظُـرْ إلى الـزَّرْعِ وخَاماتِـهِ يَحكِي وقـدْ هَبّتْ عَليـهِ الرِّيـاحُ

كَتِيبَـةً خَضـرَاءَ مَهْزومَـةً شَـقائِقُ النُّعْمـانِ فِيهـا جِـراحُ

---

(١) الفاختة: واحدة الفواخت، ضرب من الحمام المطوّق، والشحر: مكان مشهور بالعنبر.

(٢) في الأصول: تفكك حولها.. كما حونة العطر، والمثبت من الديوان.

(٣) ديوان ابن النقيب ١٠٤.

(٤) في الديوان: تدثر في زر.

(٥) في الديوان: مبثوثة الند.

(٦) شقائق النعمان: نبت بري جميل المنظر، يروق العين والقلب، يعلو من ١٥ - ٣٠ سم، حملي البشرة، أحمر قـانٍ أو ليلكي اللون. موسوعة علوم الطبيعة ٣١/٢.

(٧) البيتان للقاضي عياض بن موسى في زروعٍ بينها شقائق النعمان. خريدة القصر (شعراء المغرب) ٥٠٣، وهما في المطرب صفحة ٩٠، وفي سلك الدرر ١٠٧/٢.

❁ وقالَ آخرُ[1]: [من الكامل]

جَـامٌ تَكـوَّنَ مِـنْ عَقيـقٍ أحْمَـرٍ ... مُلِئَـتْ دَوَائِـرُهُ بِمِسْـكٍ أذْفَـرِ

خَـرَطَ الرّبيـعُ قَوَامَـهُ فأقامَـهُ[2] ... بَـينَ الرّيـاضِ علـى قَضِيـبٍ أخْضَـرِ

❁ قالَ بعضُهم فيهِ: وإنْ لمْ يَكُنْ لـهُ في العَرْفِ زَكـا، فقـدْ حـاكَى في الحُسْنِ ابْـنَ ذُكا[3]، فَكَمْ تَرَنّمَ شاعِرٌ بِذِكْرِهِ، ورَفَعَ لهُ في مَوكِبِ الأزهارِ رايَةَ نَصْرِهِ.

❁ ولقدْ أحسَنَ مَنْ قالَ، وشَبَّهَهُ بالوَجْنَةِ والخالِ[4]: [من البسيط]

حَمْراءُ مِـنْ صَنْعَـةِ البـاري وقُدْرَتِـهِ ... مَصْقولَـةٌ لمْ يَنَلْهـا قَـطُّ صَقّـالُ[5]

كأنّمـا وَجْنـاتٌ أرْبَـعٌ جُمِعَـتْ ... وكـلُّ واحِـدةٍ في وَسْـطِها خَـالُ[6]

١٦- الجُلّنار[7]:

❁ ابنُ عبدِ الظاهرِ[8]: [من المنسرح]

كأنّمـا الجُلّنـارُ حـينَ بَـدا ... مُفَتّحًـا في زَبَرْجَـدِ القُضُـبِ

---

(١) البيتان في المحب والمحبوب ٣/٨٥ - ٨٦، ومحاضرات الأدباء ٤/٤٨٥، وحدائق الأنوار ٢٤٥، منسوبان لأبي العلاء الصروي، وفي سلك الدرر ٢/١٠٧ نسبا للشريف الرضي.

(٢) في الأصول، وسلك الدرر: خلط الربيع، والمثبت من مصادر الخبر.

(٣) ذُكا: اسم الشمس، ويقال للصبح ابن ذُكاء؛ لأنه من ضوئها. اللسان.

(٤) البيتان لكشاجم. الديوان، صفحة ٤٠٠.

(٥) الديوان: من صبغة الباري بقدرته.

(٦) الديوان: كأنها وجنات.. في صحنها خال.

(٧) الجلنار: هو زهر الرمان. المعجم الوسيط.

(٨) عبد الله بن عبد الظاهر الجزامي السعدي (٦٢٠ - ٦٩٢ هـ)، قاض أديب مؤرخ، من أهل مصر مولداً ووفاة، وله شعر حسن. فوات الوفيات ١/٢١٢.

كُـــوزُ عَقيـــقٍ مُشــرِفٌ حَسَـــنٌ ... قَـــدْ أوْدَعُـــوهُ بُـــرادَةَ الذّهَـــبِ

❀ قالَ بعضُهم فيهِ: هو المُشَبَّهُ بِهِ خُدودُ القِيانِ، ووَجَناتُ وُجوهِ الحِسانِ، وقدْ أنْشَدَ ابنُ خَلُوفٍ، إذْ هُوَ بالحُبِّ مَشْغوفٌ[1]: [من الوافر]

أرَانــا الــوَرْدَ في حُمْــرِ الخُــدودِ ... وقــدْ حَمَلَتْــهُ بانــاتُ القُــدودِ

ولاحَ الجُلّنـــــارُ بوَجْنَتَيْـــــهِ ... فَبَشَّـــرَنا بِرُمَّـــانِ النُّهـــودِ

١٧ـ السُّنْبُلُ[2]:

المرحومُ السيدُ عبدُ الرحمنِ بنُ حَمزةَ[3]: [الخفيف]

أَصبَــحَ السُّــنبلُ الجَـــنِيُّ لَدَينـــا ... فَـوقَ سُـوقٍ فيهـا النَّـدَى يَـتَرَدَّدْ

كَشُـنُوفٍ لَطُفْـنَ مِـنْ لاجَـوَرْدٍ ... عُلِّقَــتْ في مَــراوِدٍ مِــنْ زَبَرْجَــدْ[4]

❀ ولَهُ[5]: [السريع]

وسُــنْبلٍ وَافَــى علــى سُــوقِهِ ... غِــبَّ الحَيَــا في زُرْقَــةٍ لا تُحَــدّ[6]

---

(١) ابن خلوف: أحمد بن محمد بن عبد الرحمن، شهاب الدين الخلوف (٨٢٩ـ٨٩٩هـ) شاعر تونسي، أصله من فاس، له ديوان شعر مطبوع، ويغلب على شعره الرقة، ويكثر الوصف، والبيتان في ديوانه، صفحة ٢٨٨.

(٢) السنبل: ويسمى الناردين: نبت عطري طيب الرائحة، منه الأزرق والحدائقي، يستخرج من جذوره عطر من أجود أنواع الطيب. انظر موسوعة العلوم الطبيعية ٢/٥٣٦.

(٣) ديوان ابن النقيب ١٠٥.

(٤) لاجورد: معرب لازورد، من الأحجار الكريمة، لونها أزرق (المعجم الذهبي) وشنوف: ما يعلق في الأذن من أقراط، والمراود: جمع مرود، وهو القرط.

(٥) ديوان ابن النقيب ١٠٥.

(٦) غب الحيا: بعد المطر.

مَكْفُوفَةُ الحافَاتِ زَهَراتُهُ مَدْرُوبَةُ الأوراقِ في كُلِّ يَدْ
كأنّما تَعْقِيفُ أطْرافِهَا مَحاجِنٌ صِيغَتْ مِنَ اللاّجَوَرْدْ[1]

❁ ولَهُ[2]: [من السريع]

يا حُسْنَهُ مِنْ سُنبُلٍ ناصِعٍ يَبْدو لَنَا في قائِمٍ أخْضَرِ
كأنّما مِنْ حَولِ زَهْرَاتِهِ زَرَافِنٌ صِيغَتْ مِنَ العَنْبَرِ[3]

١٨- الزَّنبقُ[4]:

❁ صاحبُ المَخا[5]: [المنسرح]

انظُرْ إلى الزَّنبَقِ الأنِيقِ وقَدْ أبْدعَ في شَكلِهِ وفي نَمَطِهْ
يَحكي قنادِيلَ فِضَّةٍ غُرِسَتْ شُموسُ تِبْرٍ تُضِيءُ في وَسَطِهْ

❁ حَيْدَرُ الرّوميُّ[6]: [من الوافر]

وزَنبَقِ مَجْلِسٍ بَينَ النّدامى كشَيْخٍ حازَ لُطفًا في وَقارِ
يُريكَ إذا تَلا ﴿إنّا فَتَحْنا﴾[7] عَمودَ الفَجْرِ في ضَوءِ النّهارِ

---

(١) في (ج): محاجز.

(٢) ديوان ابن النقيب، صفحة ١٥٦.

(٣) زرافن وزرافين: حلقة الباب، وزرفن صدغيه: جعلهما حلقاً.

(٤) الزنبق: نبات له زهر، طيب الرائحة، طويل كالحربة، يغلب عليه الأبيض والخمري، الواحدة زنبقة. المعجم الوسيط.

(٥) هو الحسن بن مطهر بن محمد الحسني اليمني الجرموزي (١٠٤٤ - ١١٠٠ هـ)، أديب شاعر، من مؤلفاته «شرح نهج البلاغة»، اتصل بالمتوكل على الله إسماعيل، وتنقل في الولايات، توفي بصنعاء، والبيتان في نفحة الريحانة ٣/٣٩٦.

(٦) حيدر بن محمد الرومي، من شعراء نفحة الريحانة ٣/٥٤٤، وفيها البيتان.

(٧) سورة الفتح الآية: (١).

❃ وقال الأستاذُ: [السريع]

كأنّما الزّنبَقُ في الرَّوضِ مُذْ ... جُزَّ مِنَ الزَّهْوِ على السَّاقِ هَبْ

عَليهِ قدْ عُلِّقَ مِنْ فِضَّةٍ ... ماسُورةٌ فِيها حِجابُ الذَّهَبْ

❃ ولَهُ: [من الطويل]

وزَنبَقِ رَوضٍ مُذْ تَبَدَّى خِلْتُهُ ... وقدْ مالَ يَزْهو بالصَّبا المُتَرَدِّدِ

صُحُونَ لُجَينٍ أُودِعَتْ حَبَّ عَسْجَدٍ ... مُرَكَّبةً مِنْ فَوقِ قُضبِ زَبَرْجَدِ

❃ ولَهُ: [من الوافر]

وقامَةِ زَنبَقٍ كالرُّمْحِ قامَتْ ... لِتَغْزُوَ زَهْرَ هاتِيكَ الجِنانِ

لِساعِدِها الزَّبَرْجَدِ كَفُّ دُرٍّ ... تُقَبِّلُهُ النَّسائمُ باللِّسانِ

❃ شيخُنا مُحمدُ بنُ الشَّمعةِ: [من الوافر]

وزَنبقِ رَوضَةٍ قدْ حَازَ حُسْنًا ... حَكَى في شَكْلِهِ لَمَّا يَمِيسُ

زُنُودَ زَبَرْجَدٍ حَمَلَتْ كُؤوسًا ... مِنَ البِلَّورِ دَاخِلُها شُمُوسُ

١٩ـ النَّرْجِسُ[١]:

المأمونُ[٢]: [من الطويل]

وياقُوتَةٍ صَفْراءَ في رَأْسِ دُرَّةٍ ... مُرَكَّبَةٍ في قَائِمٍ مِنْ زَبَرْجَدِ

---

(١) النرجس: نبت من الرياحين، وهو أنواع كثيرة، تُزرع لجمال زهرها وطيب رائحتها، وزهرته تُشَبَّه بها الأعين، واحدته نرجسة. المعجم الوسيط.

(٢) كذا في الأصل، وفي نزهة الأنام ١٢٩: المأمون أمير المؤمنين، والبيتان في حدائق الأنوار ١٩٣، ونسبهما محققه إلى المأموني عبد السلام بن الحسين، من شعراء اليتيمة، والبيت الأول في محاضرات الأدباء ٤/٤٧٨ من غير عزو.

كـأنَّ جُمـانَ الطَّـلِّ في جَنَباتِهـا بَقِيَّـةُ دَمـعٍ فَـوقَ خَـدٍّ مُـوَرَّدِ

❀ وقدْ تَداوَلَتْ ذِكْرَ مَحاسِنِهِ الناسُ، وأحسَنُ ما قِيلَ فيهِ قولُ أبي نُوَاسٍ[1]: [من الوافر]

تَـأَمَّلْ في رِيـاضِ الأرضِ وانْظُـرْ[2] إلَـى آثـارِ مـا صَنَـعَ المَلِيـكُ
عُيـونٌ مِـنْ لُجَيْـنٍ شـاخِصاتٌ بِـأَحْدَاقٍ كَمَـا الذَّهَـبُ السَّـبِيكُ[3]
علَـى قُضُـبِ الزَّبَرْجَـدِ شـاهِداتٌ بِـأَنَّ اللهَ لَيـسَ لَـهُ شَـرِيكُ

❀ وقدْ وَرَدَ في الخَبرِ عن سيِّدِ البَشـرِ: «شُـمُّوا النَّرْجِسَ، فإنّ في القلْبِ حَبَّةً مِنَ الجُنونِ والجُذَامِ والبَرَصِ، لا يَقطَعُها إلاّ شَمُّ النَّرْجِسِ»[4].

❀ ورُوِيَ عنْ أبُقراطَ: أنّ النّرجِسَ غِذاءٌ للرُّوحِ والعقلِ[5].

❀ ورُوِيَ عنِ الحَسَنِ بنِ سَهْلٍ: أنّ مَنْ أدْمَنَ شَمَّهُ في الشتاءِ أَمِنَ البرسامَ في الصَّيفِ[6].

فهُو عُيونُ الرِّياضِ الناظِرَةُ، وزَهَرَاتُها الناضِرَةُ، به يُوصَـفُ تَضعِيفُ الأجْفـانِ، وهـو المُبَشِّرُ بِمَقْدَمِ طيبِ الزمانِ.

---

(١) كذا في الأصل، ولم أجدها في ديوانه، والأبيات في المحب والمحبوب ٣/١٧٥، ومحاضرات الأدباء ٤/٤٦٦، منسوبة لإسحاق بن محارب القمي.

(٢) المحب والمحبوب: تأمل من خلال الشك وانظر، والمحاضرات: تأمل في ربيع الأرض.

(٣) في مصدري الشعر: كأن حداقها ذهب سبيك.

(٤) ذكره الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب ٢/٣٥٤، عن علي بن أبي طالب ﷺ، وذكره البدري في نزهة الأنام (١٢٢)، رواية عن «أسنى المطالب في مناقب علي بن أبي طالب» للحافظ شمس الدين الجزري، وقال: حديث مسلسل بالقضاة إلى القاضي شريح، كما ذكره العجلوني في كشف الخفا (١٥٦١): شموا النرجس.. وقال: رواه الطبراني، قال السيوطي في مقاماته الريحانية: حديث راويه غير مُعلّ ولا مفلس.

(٥) في نزهة الأنام (١٢٢): قال أبقراط: كل شيء يغذو الجسم، والنرجس يغذو العقل. وانظر محاضرات الراغب ٤/٣٧٦

(٦) وفيات الأعيان ٢/١٢٣، والخبر في نزهة الأنام ١٢٢ من غير عزو. والبِرسام: علّة يُهذَى فيها. القاموس.

❁ وقالَ كِسْرَى: النّرجِسُ ياقوتٌ أصْفَرُ، بَينَ دُرٍّ أبْيَضٍ، على زُمُرُّدٍ أخْضَرٍ، فَنَظمهُ القائلُ:

وياقُوتةٍ صَفْراءَ في رَأسِ دُرَّةٍ[1]

وقدْ أَثْبَتَ أهلُ المَشرِقِ أنّ النّرجِسَ هو البَهارُ[2]، فقالَ ابنُ عامِرٍ[3]: [من الكامل]

أنـا نَرْجِـسٌ حَقًّـا بَهَـرْتُ عُقولَهُـم ... ببَدِيـعِ تَرْكِيبِـي فَقِيـلَ بَهـارُ

٢٠- المُضْعَفُ:

وَهوَ نَوعٌ مِنَ النّرجِسِ، لكنّهُ أعْطَرُ رَائِحَـةً مِنـهُ، وأبْهَـجُ مَنظَـرًا، وأكْـثَرُ نَفعًـا، قـالَ الشاعِرُ[4]: [من البسيط]

ونَرجِسُ الرّوضِ قَـدْ حَيّـا بِمُضْعَفِـهِ ... في أصْفَـرٍ فـاقِعٍ مـعْ أبْيَـضٍ يَقَـقِ[5]

كأنّـهُ وهْـوَ في قُضْـبٍ مُنَعَّمَـةٍ ... يُلْقِـي النّسيمُ علَيهـا نَفْـسَ مُعْتَبِـقِ[6]

أمْشـاطُ دُرٍّ مِـنَ الإبْرِيـزِ في جُمَـمٍ ... جَعْـدٍ فمـا بَـينَ مَجْمـوعٍ ومُفـتَرِقِ

---

(١) محاضرات الأدباء ٤/٤٧٧ - ٤٧٨، وفيه: وقيل بالفارسية.. وتتمة الشطر وردت ص ١١٨.

(٢) البَهار: انظر الحاشية (١) صفحة ١٢٧.

(٣) كذا في الأصول، والبيت لأبي مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري الأندلسي، مخاطباً المنصور بن أبي عامر، على لسان ابنته بهار العامرية. انظر الذخيرة لابن بسام ٤/٣٢، ونفح الطيب ١/٥٣١، ٤/٦٦.

(٤) الأبيات لابن النقيب. الديوان ٢٢٥، وذكرها صاحب نفحة الريحانة ٢/٤٥، وقال: ومما يُستبدع ويُستظرف قوله في تشبيه المضعف.

(٥) أبيض يقق: شديد البياض.

(٦) المثبت في النفحة: نفس مُعتنق.

٢١- الوَرْدُ[١]:

قالَ المَرحومُ السيدُ عبدُ الرّحمنِ بنُ حَمزةَ[٢]: [من البسيط]

وأقبلَ الوَردُ مِنْ بُرْعُومِهِ خَجِلاً[٣] يُبدِي لنا فَوقَ رَيّا نَشْرِهِ العبقِ

دَراهِمًا مِنْ يَواقِيتٍ على قُضُبٍ تَراكَمَتْ تحتَ دِينارٍ على طَبَقِ

وقدْ أحاطَتْ لِرَقصِ الدّسْتَبندِ بها[٤] مِنَ الزّبَرجَدِ حِيتانٌ مِنَ الوَرَقِ

❁ قالَ الأمينُ في «نَفْحَتِهِ»[٥]: إنّ البُرعُومَ، والبُرعُمَ، والبُرعُمَةُ، [والبُرعُومة]، بضَمِّهِنَّ زهرةُ الشجَرةِ قَبلَ أنْ تَنفَتِحَ، ورقص الدَّستبندِ مَعرُوفٌ لِلعَجَمِ، يأخُذُ بَعضُهُم بيَدِ بَعضٍ، ويُقالُ لهُ الفَنْزَجُ، بالفاءِ المَفتُوحَةِ[٦]، ولقدْ أتَى بأبْدَعِ ما يُسْتَعْذَبُ ويُستَغْرَبُ، وقالَ: [المنسرح]

قدْ فَتحَ الوردُ جُنْبُذًا بَهِجًا[٧] يَكادُ مِنهُ الدّينارُ يَنْسَبِكُ

عَقِيقُ أورَاقِها على ذَهَبٍ يَحْمِلُهُ مِنْ زَبَرْجَدٍ سَمَكُ

❁ قالَ في كتابِ «ازدِهاءِ الأزهارِ» للشّقاقي[٨]: لمْ أسْمَعْ في زرِّ الوردِ الأخضَرِ الحاوي للزّهرِ الأحمَرِ، أبْدَعَ مِنْ هذا التشبيهِ، وهوَ مِنْ بدائِعِ التشبيهاتِ، ورَوائِعِ التوجيهاتِ، التي يَطرَبُ عليها الأدِيبُ، ويَهتزُّ لها الأريبُ.

---

(١) الورد: جُنيبة من الفصيلة الوردية، تُزرع لزهرها، وهي أنواع وأصناف، ومن أشهرها الورد الدمشقي أو البلدي، يُستقطَر منه ماء الورد والدهن المسمى عطر الورد. المعجم الوسيط.

(٢) ديوان ابن النقيب ٢٢٥.

(٣) الديوان: برعومه عجلاً.

(٤) سيشرح المؤلف كلمة الدستبند بعد أسطر.

(٥) نفحة الريحانة ٢/٤٣.

(٦) في الأصل، وفي أصل النفحة: الفنزج، والتصويب من المعرب ٢٣، وشفاء الغليل ١٦٨. حاشية النفحة.

(٧) الجنبذ: كالجلنار، من الرمان. القاموس.

(٨) المثبت في النفحة: «ازدهار الأزهار» للشقاشقي.

❀ وقالَ آخرُ: [من البسيط]

انظُـرْ إلى الـوَرْدِ مـا أحلَـى شَـمائِلَهُ سُبحانَ خالِقِـهِ مِـنْ يـابِسِ الحَطَـبِ
كأنّـه وَجْنَـةُ المَحبـوبِ نَقَّطَهـا كَـفُّ المُحِـبِّ بِدِينـارٍ مِـنَ الذَّهَـبِ

❀ وقالَ آخرُ: [من الكامل]

فكأنّمـا الـوَرْدُ الجَنِـيُّ إذا بَـدَا مِـنْ رِيحِـهِ يَزهُـو بخَـدٍّ عَسْـجَدِ
أصْـدافُ يـاقوتٍ لِطـافٌ نُضِّـدَتْ مِـنْ حَـولِ دِينـارٍ بكَـفِّ زَبَرْجَـدِ

❀ ابنُ طَباطبا[1]: [من البسيط]

أمَا تَرَى الوَرْدَ يَحكـي خَجْلَةً ظَهَرَتْ في صَحْنِ خَدٍّ مِنَ المَعشُوقِ مَنعُـوتِ
كأنّـهُ فَـوقَ سـاقٍ مِـنْ زَبَرْجَـدَةٍ نَـثْرٌ مِـنَ التِّـبْرِ في أقـدَاحِ يـاقوتِ

❀ ابنُ طاهرٍ[2]: [من البسيط]

أمَـا تَـرَى شَـجَراتِ الـوَرْدِ مُظْهِـرَةً لنـا بَدائـعَ قَـدْ رُكِّبْـنَ في قُضُـبِ
أوراقُهـا حُمُـرٌ أوْسَـاطُها جَمَـمٌ صُفْرٌ ومِنْ حَولِها خُضْرٌ مِنَ الشُّطُبِ[3]

❀ الخُوَارِزْمِي[4]: [من البسيط]

أمَـا تَـرَى الـوَرْدَ يَدعُـو لِلـوُرودِ علـى عِـذارِ صَافِيَـةٍ في لَونِهـا صَهَـبُ[5]

---

(١) في التذكرة الفخرية ٢٧٥ البيتان نسبا للبحتري، و لم أجدهما في ديوانه.

(٢) ابن طاهر: محمد بن أحمد أبو عبد الرحمن القيسي (٠٠ - ٤٨٠ هـ)، أمير أندلسي، شاعر، أديب، كان يُشَبَّه في أدبه بالصاحب بن عباد.

(٣) البيتان في المحب والمحبوب والمشموم ٨٩/٣، وفيه: أوساطها حُمم. وانظر تخريجهما فيه.

(٤) البيتان في نهاية الأرب ١٨٩/١١، وفيه: وقال ابن طاهر، ويروى لابن بسام.

(٥) في نهاية الأرب: للورود إلى خمرٍ معتّقةٍ في لونها.

تَـــرَى مَداهِـــنَ يـــاقُوتٍ مُرَكَّبَـــةً   علــى الزُّمُــرُّدِ في أوسَــاطِها ذَهَــبُ[1]

❁ قالَ في «الفِردَوسِ»[2]، بِسَندٍ عنْ أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللهُ تعالَى عنهُ، قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنّ اللهَ عزَّ وَجَلَّ خَلَقَ الوَردَ مِنْ بَهَائِهِ، وجعلَه مِنْ ريحِ أنبيائِهِ، فَمَنْ أرادَ أنْ ينْظُرَ في بهاءِ اللهِ، ويَشُمَّ روائِحَ أنبيائِهِ[3]، فَلْيَنظُرْ إلى الوَردِ الأحمَرِ ويَشُمَّهُ».

❁ وفي رِوايةٍ عنِ الحَسَنِ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «إنّ الـوَردَ سيِّدُ رَيـاحينِ الجَنَّةِ بعدَ الآسِ».

❁ قالَ ابنُ نُباتَة[4] فيهِ: فَكّكَتْ أزرارَهُ مِنْ أجيادِ القُضُبِ النَّسيم، وخَرَجَتْ أكُفُّهُ مِنْ أكْمَامِهِ تأخذُ البَيْعَةَ على الأزهارِ بالتقديم. انتهى.

وأمّا **الوَردُ الأصفَرُ:** فهوَ زِينَةُ الرياضِ النّواضِرْ، فاقِعٌ لَونُهُ، يَسُرُّ النّواظِرْ.

❁ قالَ ابنُ عُنَين[5]: [من الكامل]

شَـــجَراتُ وَردٍ أصفَـــرٍ بَعَثَـــتْ   في كُـــلِّ قَلْـــبِ مُتَيَّـــمٍ طَرَبـــا

---

(١) في نهاية الأرب:

مداهـــن مـــن يواقيـــت مركبـــة   علـى الزبرجـد في أجوافهـا ذهـب

(٢) الفردوس بمأثور الخطاب ١/١٧١، والحديث لا يصح. انظر كشف الخفا (٧٩٨) تحت قوله: إن الورد خلق.

(٣) الأصل: وجعل له من روائح. والمثبت من الفردوس.

(٤) ابن نباتة: محمد بن محمد الفارقي المصري (٦٨٦ - ٧٦٨ هـ)، شاعر عصره، وأحد الكُتّاب المترسلين العلماء بالأدب.

(٥) ابن عُنين: محمد بن نصر الله بن عنين الدمشقي الأنصاري (٥٤٩ - ٦٣٠ هـ)، أعظم شعراء عصره، مولده ووفاته بدمشق، غلب الهجاء على شعره، وكان وافر الحرمة عند الملوك، والبيتان في نهاية الأرب ١١/١٩٤ منسوبان للطغرائي، ولم أجدهما في ديوان ابن عنين.

يــا مَــنْ رَأى مِــنْ قَبلِهــا شَــجَرًا أَسْــقى اللُّجَيْــنَ[1] فــأَنْبَتَ الذَّهَبــا

وأمّا **الوَردُ الأبْيضُ**: فهوَ نَديمُ الظُّرَفاء، لكنْ لهُ في طُولِ العَهدِ وَفاء، قالَ فيهِ السَّرِّيُّ الرَّفّاءُ[2]: [من الطويل]

بَـدَا أبْيَـضُ الـوَردِ الجَنِـيِّ كأنّمـا تَنَشَّـمَ لِلنّاشـي بِمِسْـكٍ وكَـافُورِ
كـأنّ اصفِـرارًا مِنْـهُ وَسْـطَ بَياضِـهِ بُـرادَةُ تِـبْرٍ في مَداهِـنِ بِلّـورِ

❁ الوَأْواءُ الدِّمَشقِيُّ[3]: [من مجزوء الرجز]

يــا حُسْـنَها مِـنْ وَردَةٍ بَيضـاءَ جـاءَتْ بـالعَجَبْ
كَجَـامِ بِلّـورٍ بِـهِ قُراضَـةٌ مِـنَ الذَّهَـبْ

❁ خَطِيبُ النَّيرَبَيْنِ[4]: [من الوافر]

وَوَرْدًا أبْيضًـا قَـدْ زادَ حُسْـنًا فَعِنـدَ الضِّـدِّ للخَجَـلِ احْمِـرارُ
يُمثِّلُـهُ النَّدِيـمُ إذا رَآهُ مَداهِـنَ فِضَّـةٍ فيهـا نُضَـارُ

---

(١) في نهاية الأرب: من ذا رأى.. سُقي اللجين.

(٢) السري الرفاء: السري بن أحمد الكندي (٠٠ - ٣٦٦ هـ)، شاعر أديب، من أهل الموصل، وشعره يمتاز بعذوبة ألفاظه، والافتتان في التشبيهات والأوصاف. والبيتان في ديوانه صفحة ١٤٢، وانظر نهاية الأرب ١١/١٩٣.

(٣) الوأواء الدمشقي: محمد بن أحمد الغساني الدمشقي (٠٠ - ٣٨٥ هـ)، شاعر مطبوع، حلو الألفاظ، في معانيه رقة. والبيتان في الديوان ٢٦١.

(٤) هو عبد الوهاب بن أحمد بن سحنون، الحكيم البارع الخطيب، له شعر وأدب وفضائل، من فضلاء الحنفية، عاش ٧٥ سنة، وتوفي سنة ٦٩٤، والبيتان في فوات الوفيات ٢/٤١٩، والمثبت فيه: وورد أبيض.. فعند الضّدّ.

٢٢ـ القَرَنْفُلُ:

❁ قالَ الشاعرُ[(١)]: [من البسيط]

حَكَى القَرَنْفُلُ مُحْمَرًّا على قُضُبٍ	خُضْرٍ لها صَارَ بالتّفضِيلِ مَنعُوتا
كفًّا على مِعْصَمٍ نَقْشٌ بِهِ خَضِرٌ	غَدا لهُ كافِرُ العُذَّالِ مَبهُوتا
أبْدَتْهُ خَودٌ وقدْ ضَمَّتْ أناملُها	كأسًا تَسعّرُ لُطفًا صِيغَ ياقُوتا

❁ ابنُ خَلّوفٍ[(٢)]: [من البسيط]

ولِلقَرَنْفُلِ راحاتٌ مُخَضَّبَةٌ	على مَعاصِمَ خُضرٍ فِتنَةُ الرّائي
كأنجُمٍ مِنْ عَقيقٍ في ذُرَا فَلَكٍ	مِنَ الزُّجاجِ أرَتْ أشْطانَ لألاءِ

❁ وقال الأستاذُ في الأبيضِ مِنهُ[(٣)]: [من الكامل]

هيّا بِنا فالطّيرُ صاحَ مُغَرِّدًا	ما إنْ يُقاسُ لَدَى الوَرَى بِمُغَرِّدِ
والرّوضُ مَدَّ مِنَ القَرَنْفُلِ لِلنّدى	كاساتِ دُرٍّ في زُنودِ زَبَرْجَدِ

❁ ولهُ في الأبيضِ المُشرب بِحُمْرَةٍ[(٤)]: [من الوافر]

وزَهْرِ قَرَنْفُلٍ في الرّوضِ يَحكِي	قُصورَ دَمٍ على صَفَحاتِ ماءِ
رأى وَجَناتِ مَنْ أهْوَى فأغْضَى	فَبَانَ بِوَجْهِهِ أثَرُ الحَياءِ

---

(١) الأبيات لمحمد بن أبي اللطف المقدسي. نفحة الريحانة ٢/٥٠، وانظر خلاصة الأثر ٢/٣٩٤.

(٢) ديوان ابن خلوف ٧٩، والبيتان في نفحة الريحانة ٢ /٥١، وخلاصة الأثر ٢ /٣٩٥.

(٣) البيتان للشيخ عبد الغني النابلسي. نفحة الريحانة ٢/٥٣، وخلاصة الأثر ٢/٣٩٥.

(٤) البيتان للشيخ عبد الغني النابلسي. نفحة الريحانة ٢/٥٣، وخلاصة الأثر ٢/٣٩٦.

٢٣ـ الأَقاحِي[١]:

هُوَ الأُقحُوانُ، وعِندَ أهلِ مِصْرَ هوَ البَابُونَجُ، ولهُ عِندَهُم خُصوصِيةٌ، يَزعُمونَ أنّ مَنْ قَطَعَهُ بالذّهَبِ يومَ تاسِعِ عَشَرَ الحَمَلِ، فلا يعدَمُ الذّهبَ بَقِيةَ عامِهِ، وا للهُ أعلَمُ.

أنشدَ فيهِ بَعضُ[٢] أهلِ الأدبِ، لّما ابتسَمَ ثَغرُهُ الحالِي الشّنَبِ[٣]: [من الطويل]

وللأُقحُوانِ الغَضِّ ثَغْرٌ مُفَلَّجٌ ... يَعَضُّ بِأطرَافِ الثّنايَا على تِبْرِ

❁ وقالَ ظافرُ الحدّادُ[٤]: [من البسيط]

والأُقحُوانَةُ تَحكِي ثَغْرَ غانِيَةٍ ... تَبَسَّمَتْ فِيهِ مِنْ عُجْبٍ ومِنْ عَجَبِ

كَشمْسةٍ مِنْ لُجَينٍ في زَبَرْجَدَةٍ ... قدْ شُرِّفَتْ تحتَ مِسْمارٍ مِنَ الذّهَبِ[٥]

❁ وقالَ آخرُ: [من الطويل]

وقدْ لاحَ زَهْرُ الأُقحُوانِ كأنّهُ ... تَمِيسُ بِهِ خُضْرٌ رِقاقٌ مِنَ القُضبِ

رُؤوسُ مَسامِيرٍ مِنَ التِّبْرِ رَصّعَتْ ... دَوائِرَها الصُّيّاغُ بِاللُّؤلُؤِ الرَّطِبِ

---

(١) الأقاحي أو الأقحوان: نَبت زهره أصفر أو أبيض، ورقه مؤلّل كأسنان المنشار، ومن أصنافه البابونج. المعجم الوسيط.

(٢) من هنا، وحتى الصفحة ١٣٠ ليس في (ج).

(٣) البيت لمصطفى بن عبد القادر بن بهاء الدين العمري. انظر سلك الدرر ٤/٢١٧.

(٤) ظافر بن القاسم الجذامي، أبو نصر الحداد، شاعر من أهل الإسكندرية، توفي سنة ٥٢٩ هـ، والأبيات في ديوانه صفحة ١٩، من قصيدة قالها يذكر ما مضى من زمانه بثغر الإسكندرية.

(٥) في الديوان: قد أشرقت تحت.

٢٤ـ البَهارُ[١]:

هو أنْضَرُ أنواعِ الأزهارِ، قالَ الشاعِرُ[٢]: [من الطويل]

تَنَبَّهْ فَقَدْ شَقَّ البَهارُ مُغَلِّسًا[٣] كَمائِمَهُ عن نورِهِ الخَضِلِ النَّدِي

مَداهِنُ تِبْرٍ في أنامِلِ فِضَّةٍ على أذرُعٍ مَخرُوطَةٍ مِنْ زَبَرْجَدِ

❁ وقالَ آخرُ: [من الكامل]

انظُرْ إلى حُسْنِ البَهارِ وغُنْجِهِ يَرْنُو إليكَ بِمُقْلَتَيْ وَسْنانِ

فكأنّها هِيَ رَاحَةٌ مِنْ فِضَّةٍ قَدْ ضُمِّنَتْ كأسًا مِنَ العِقْيانِ

٢٥ـ البَانُ[٤]:

البانْ، رَوْحٌ ورَيْحانْ، زَاهِي المَنْظَرِ، شَمِيْمُ المَخْبَرِ، قالَ ابنُ الوَرديِّ[٥] في مَدْحِهِ، لمّا تَعَطَّرَ بزاكِي نَفْحِهِ[٦]: [من الوافر]

تَجادَلْنا: أمَاءُ الزَّهْرِ أذكَى أمِ الخَلّافُ أمْ وَرْدُ القِطافِ[٧]

---

(١) البهار: كل شيء حسَن منير، وجنس زهر من المركّبات الأنبوبية الزهر، طيب الريح، ينبت أيام الربيع، ويقال له العرار. المعجم الوسيط.

(٢) البيتان لأحمد بن برد الأندلسي في النرجس، وهو البهار عند الأندلسيين. فوات الوفيات ٣٥٠/٧، نهاية الأرب ٢٨٥/١١، الذخيرة ٢/١: ٤٨، نفح الطيب ٢٩٣/٣، ٥٤٦.

(٣) جاء في حاشية نهاية الأرب: مغلساً تحريف، صوابه مقلصاً.

(٤) البان: ضرب من الشجر، سَبطُ القوام، ليّن، ورقه كورق الصفصاف، وتُشبّه به الحِسان في الطول واللين. الوسيط ٧٧/١.

(٥) البيتان في ديوانه ٢٤٤.

(٦) ابن الوردي عمر بن مظفر زين الدين المعري الكندي (٦٩١ - ٧٤٩ هـ) الشاعر، الأديب، المؤرخ، النحوي. فوات الوفيات ١١٦/٢، وبغية الوعاة ٣٦٥،.

(٧) الخلاف: شجر الصفصاف.

وعُقبَى ذَلِكَ الجَدَلِ اصْطَلَحْنا ... وقدْ وَقَعَ الوِفاقُ على الخِلافِ

❁ وقالَ آخرُ[1]: [من الطويل]

تَبسَّمَ زَهْرُ البانِ عَنْ طِيبِ نَشْرِهِ[2] ... وأقْبَلَ في حُسْنٍ يَجِلُّ عَنِ الوَصْفِ
هَلُمّوا إليهِ بَينَ قَصْفٍ ولَذَّةٍ ... فإنَّ غُصونَ البانِ تَصْلُحُ لِلقَصْفِ[3]

❁ وقالَ آخرُ: [من السريع]

لِبُلْبُلِ البانِ غِنا رائِقٌ ... يَميلُ بالخاشِعِ والنّاسِكِ
قالَتْ لهُ البانَاتُ أطْرَبْتَنا ... فقالَ ذا مِنْ طِيْبِ أنفاسِكِ

٢٦- اللَّعْلَعُ[4]:

❁ قالَ الأستاذُ: [من السريع]

لَمّا بَدا اللَّعْلَعُ في رَوضَةٍ ... يَميسُ بالقامَةِ مِثْلَ الرَّداحْ[5]
جَاءَ شَقيقٌ عارِضًا رُمْحَهُ ... إنّ بَنِي عَمِّكَ فِيهِمْ رِماحْ[6]

---

(١) البيتان للشاب الظريف. الديوان ٥٤.

(٢) الديوان: زهر اللوز عن طيب وصفه.

(٣) الديوان: هلمّ إليه.. غصون الزهر.

(٤) اللعلع: نوع شجر حجازي.

(٥) الرداح: الثقيلة الأوراك.

(٦) البيت (جاء شقيق..) لحجل بن نضلة. انظر البيان والتبيين ٣/٣٤٠، وشرح الحماسة للمرزوقي ٢/٥٨٠.

٢٧- البُلْسانُ[١]:

❀ الأستاذُ[٢]: [من الطويل]

وأشجارِ بُلْسانٍ بها لَعِبَ الصَّبا ... فَبَهْجَتُها بَينَ الحَدائِقِ مُفرِطَهْ

كأنّ بَياضَ الزّهرِ فوقَ غُصونِها ... كُفوفُ لُجَيْنٍ بالنُّضارِ مُنَقَّطَهْ

٢٨- اللَّيْلَكُ[٣]:

❀ الأستاذُ: [من المجتث]

قُمْ يا نَديمي لِرَوْضٍ ... شَذاهُ عَطَّرَ ذَيْلَكْ

فاللَّيْلَكُ الغَضُّ وافَى ... بِنَشْرِهِ يَنْطَوي لَكْ

لَيْلٌ بِهِ طابَ حتّى ... قدْ أشْبَهَ اللَّيْلُ لَيْلَكْ

٢٩- البَنَفْسَجُ[٤]:

❀ قالَ الفاضِلُ اللُّقَيْمِيُّ: وأمّا البَنَفْسَجُ فهوَ اللّطيفُ الذّاتِ، الشّريفُ الحُسْنِ والصّفاتِ، بهِ تَعَطَّرَتِ الجُيوبْ، وبِهِ يُشَبَّهُ عِذارُ المَحبُوبْ، المُحاكِي لِزُرْقِ اليَواقِيتِ، وأوائلِ النارِ في أطْرافِ الكِبْرِيتِ.

---

(١) البُلسان: شجر له زهر أبيض صغير بهيئة العناقيد، وهو من الفصيلة البخورية، ويُستخرج من بعض أنواعه دهن عطر الرائحة. المعجم الوسيط.

(٢) البيتان لعبد الغني النابلسي. نفحة الريحانة ٢/ ١٥٠.

(٣) الليلك: جنس نباتات برية وتزيينية، أنواعه عديدة وأزهاره قصيرة، وأشهر ألوانه الأزرق. موسوعة علوم الطبيعة ٢/٤٣٧.

(٤) البنفسج: جنس أعشاب صغير، برية وتزيينية، ألوانها عديدة أشهرها البنفسجي والأبيض، يستخرج منها بالتقطير عطر شيق، مستحب الرائحة. موسوعة العلوم الطبيعية ١/١٦٩.

❁ ويَكفِيهِ ما وَرَدَ عن سَيِّدِ وَلَدِ عَدنانَ: «أنَّ دَهْنَهُ سَيِّدُ الأدْهان»[1].

❁ فللّهِ دَرُّ القائلِ فيهِ، وقدْ أجَادَ، بلْ أحْسَنَ في التّشبيهِ[2]: [من البسيط]

ولا جَوْرَدِيَّـــةٍ تَزهُـــو بزُرقَتِها	بَـينَ الرِّيـاضِ علـى حُمـرِ اليَواقِيـتِ[3]
كأنّهـا فَـوقَ قامَـاتٍ ضَعُفْـنَ بهـا	أوائـلُ النّـارِ في أطْـرافِ كِـبْريتِ[4]

٣٠- النّيلُوفَرُ[5]:

❁ قالَ ابنُ الأثِيرِ في «عَجَائِبِهِ»: يُسَمَّى حَبَّ العَرُوسِ[6].

❁ قالَ الخَفَاجيُّ[7]: هِيَ صَدَفَةٌ لِدُرِّ السَّحابِ، وحُقَّةٌ لِجَوْهَرِ النّدَى المُـذابِ، كأنّهـا بَوْتَقَةٌ أذابَ بِها الجَوُّ نُضَارَهُ، أوْ كأسٌ في يَدِ مُصْطَبِـحٍ يُـداوي بِهـا خُمـارَهُ، أو مُقْلَـةُ صَـبٍّ كَئيبٍ، قدْ فَاجَأَهُ على الغَفْلَةِ الرَّقيبُ، بعدَ ما امتلأَتْ بدَمْعِ الهَوى، وتردَّدَ فيهـا الدَّمـعُ مِـنْ حَيْرَةِ النَّوى، وقدْ طَغَا عليها[8] الماءُ الزلالُ، فبلَغَ حافَتَيْها وسَالَ.

---

(١) حديث ذكره الشيرازي في كتاب الألقاب عن أنس، ولهذا الحديث طرق كثيرة كلُّها معلولـة. قـال ابـن القيـم في «التنقيح» عنه: حديث باطل موضوع. انظر فيض القدير ٤/١١٩.

(٢) البيتان في ديوان ابن المعتز ٢/١٦٨، وانظر تخريجهما في المحب والمحبوب ١/١١٤، ٣/٨٧.

(٣) الديوان: ولازوردية أوفت.. على زرق اليواقيت.

(٤) الديوان: طاقات ضعفن.

(٥) النيلوفر: جنس نباتات مائية، فيه أنواع تنبت في الأنهار، وأنواع تزرع في الأحواض لورقها وزهرها، ومن أنواعـه زهر (اللوتس) أي عرائس النيل. المعجم الوسيط.
وهنا ينتهي السقط من نسخة (ج) وكان ابتداؤه صفحة ١٢٦.

(٦) هو كتاب تحفة العجائب وطرفة الغرائب، لابن الأثير عز الدين الجزري. كشف الظنون ٣٦٩، ولم أجد قوله في المصادر الـتي بـين يدي، وفي نهاية الأرب ١١/٢١٩، قال ابن التلميذ: النيلوفر اسم فارسي، معناه النيلي الأجنحة، وحبه يسمى حب العروس.

(٧) ريحانة الألبا ٤٠.

(٨) ريحانة الألبا: طفا عليها الماء.

❁ وقد أنشدَ مَن ارْتاحَ لِنَشْقِهِ، وهاجَتْ بِهِ بلابِلُ عِشْقِهِ[1]: [من الكامل]

يرتـاحُ للنَّيْلوفَـرِ القلـبُ الـذي لا يَسـتفيقُ مـنَ الغَـرامِ وَجَهْـدِهِ
والـوَرْدُ أصبـحَ في الروائِـحِ عَبْـدَهُ والـنرجِسُ المِسْـكِيُّ خـادِمَ عَبْـدِهِ

❁ المرحوم الطالوي: [من الوافر]

وَنَوْفَـرَةٍ كَعَيْـنِ الصَّـبِّ شَـكْرَى تَجُـمُّ الدَّمْـعَ خَشْـيَةَ أَنْ يُراقـا
ذكـرْتُ لَهـا النَّـوى يومًـا ففَـاضَتْ وصـارَتْ كُلُّهَـا للدَّمْـعِ مَاقـا[2]

❁ وقال آخر: [من البسيط]

ونَـاظِرٍ نَحْـوَ عَيْـنِ الشَّمْسِ يَرْقُبُهَـا حتَّـى إذا غَربَـتْ أَغضَـى بِتَنْكِيْـسِ
كأنَّـهُ ودُروعُ المـاءِ تَشْـمَلُهُ تَحـتَ الشُّعَاعِ أَكـاليلُ الطَّواويـسِ[3]

❁ وقال آخر: [من الطويل]

وَنَيْلُوفَـرٍ يَحكـي لَنـا المِسْـكَ طِيْبُـهُ تَـراهُ علـى اللَّـذَّاتِ أَفْضَـلَ مُسْـعِدِ
تَرَكَّـبَ كالكاسـاتِ في ذَهَبِيَّـةٍ عَلَى قُضُـبٍ مُخْضَـرَّةٍ مـنْ زَبَرْجَـدِ
وفي وَسَـطٍ مِنْـهُ اِصْفِـرارٌ يَزِيْنُـهُ كَيَاقُوتـةٍ زَرقـاءَ في رأسِ عَسْـجَدِ[4]

---

(١) البيتان لابن الرومي. الديوان ٢/٨٠٦.

(٢) ريحانة الألبا ٤٠، وقال الخفاجي: وشكرى بشين معجمة: ممتلئة، وهي من قصيدة للمتنبي ٣/٣٩، أولها :

نظـرت إليهـم والعـين شـكرى فصـارت كلهـا للدمـع ماقـا

(٣) هما في نهاية الأرب ١١/٢٢٥ من غير عزو.

(٤) الأبيات لأبي بكر الصولي. زهر الآداب وثمر الألباب ٢/٢٣٦.

٣١- الآذَرْيونُ[١]:

قال ابنُ المُعْتَزِّ[٢]: [من مجزوء الرجز]

سَــقْيًا لِرَوْضــاتٍ لَنَــا مِــنْ كُــلِّ نَــوْرٍ حَالِيــهْ
عُيــــونُ آذَرْيُونِهــــا للشَــمْسِ فِيْهــا كالِيَــهْ
مَداهِــنٌ مِــنْ ذَهَــبٍ فِيْهــا بقايَــا غَالِيَــهْ

❁ وقال آخَرُ: [من الطويل]

وحَــوّلَ آذَرْيُونــةٌ فَــوْقَ أُذْنِــهِ كَكَــأْسِ عَقيــقٍ في قَرارَتِــهِ مِسْــكُ[٣]

❁ الصَنَوْبَريُّ[٤]: [من مجزوء الرجز]

كَــأَنَّ آذَرْيُونَهَــا مِــنْ فَــوْقِ تِلْــكَ القُضُــبِ
خِيــامُ مِسْــكٍ فَوْقَهــا سُــرَادِقٌ مِــنْ ذَهَــبِ

والآذَرْيونُ: نَوْرٌ أَصفَرُ، مُعَرَّبٌ أَزَرْكُون، أَيْ لَـونُ النّـارِ، والعَـرَبُ كـانَتْ[٥] تَجعلُهُ خَلْفَ آذانِها تَيَمُّنًا.

---

(١) الآذريون: جنس نباتات عشبية، من فصيلة المركبات، أنبوبية الزهر، أزهاره حملية الملمس، شعاعية جميلة الصفار الزاهي. موسوعة علوم الطبيعة ١/٣٥.

(٢) الأبيات ليست في ديوان ابن المعتز، وإنما جاءت في الملحق ٢/٤٨٣، وهي في المحب والمحبوب ٣/١٢١ منسوبة لابن المعتز، ونفحة الريحانة ٢/٤٢.

(٣) المحب والمحبوب ٣/١٢٠، وفيه: وحُمِّل آذريونة، وقال محققه: هو لابن المعتز في ديوانه ٢٤٠، و لم أجده في ديوانه الذي بين يدي، والبيت في نفحة الريحانة ٢/٤١، وفيه: وضمير (حول) يرجع إلى المحبوب.

(٤) الصنوبري: أحمد بن محمد الحلبي الأنطاكي، شاعر جيد الشعر، اقتصر في أكثر شعره على وصف الرياض والأزهار، والبيتان في ديوانه، صفحة ٣٩٦.

(٥) كذا في الأصل، وفي النفحة، وفي شفاء الغليل: والفرس كانت.

وأصلُه أن أَزْدَشيرَ بنَ بَابَكْ كان يومًا بقَصْرِهِ، فرآهُ، فَأَعْجَبَهُ، ونَزَلَ لأَخْذِهِ، فَسَقَطَ قَصْرُهُ، فَتَيَمَّنَ بِهِ.

وهُوَ نَوْرٌ خَرِيفيٌّ يُمَدُّ وَيُقْصَرُ، قالهُ الشِّهابيُّ في «شِفاءِ الغَليلِ»[1].

❁ وقالَ غَيْرُهُ: هُوَ وَرْدٌ مُدَوَّرٌ، لهُ أوراقٌ حُمْرٌ، في وَسَطِهِ سَوادٌ، لهُ نُتوءٌ وارتفاعٌ، فَيُشَبَّهُ بِكَأْسِ عَقيقٍ، وقد يكونُ أصْفَرَ.

❁ وعليهِ قولُ الآخرِ[2]: وأذَريونُ كأنَّهُنَّ مَداهِنُ عَسْجَدٍ، على سواعدِ زَبَرْجد. انتهى[3].

وَيَلْحَقُ بالآذَرْيون:

٣٢- الكِرِكيْشُ[4]:

وهوَ زَهْرٌ مَعروفٌ.

❁ قالَ الشاعرُ: [من الكامل]

انظرْ إلى الكِرِكِيشِ وَهُوَ مُحَدِّقٌ ... كالتِّبْرِ مُحتَاطٍ عليهِ يدارُ
فكأنَّهُ فَمُ شَادِنٍ مُتبسِّمٍ ... مِنْ فَوقِ رَأسِ لِسانِهِ دِينارُ

٣٣- المَرْزَنْجُوش:

مَرْزَنْجُوشُ ومَرْدَقُوشُ: هو الزَّعْفَرانُ[5]، أوْ نَبْتٌ آخَرُ طَيِّبُ الرّائِحَةِ، ولَيسَ في كَلامِ العَرَبِ مَرْدَقُوشٌ بِمَعَنى نَبْتٍ، وسَمَّوهُ مَرْزَنْجُوش.

---

(١) شفاء الغليل ١٢.

(٢) هو قول عبد الرحمن بن النقيب، في مقامته الربيعية. نفحة الريحانة ٢/٣٧.

(٣) نقل كلامه من: والآذريون: نور.. إلى هنا من نفحة الريحانة ٢/٤١، ٤٢.

(٤) الكركيش: هو البابونج العطر. موسوعة علوم الطبيعة ٢/٣٦٣.

(٥) الزعفران: نبات بصلي، من الفصيلة السوسنية، منه أنواع برية، ونوع صبغي طبي مشهور. المعجم الوسيط.

❁ قالَ الجَوهريُّ[1]: أظُنُّهُ مُعَرَّبًا.

❁ وقالَ ابنُ البِيطارِ[2]: يقالُ: مَرْزَجُوشُ ومَرْدَقُوشُ، وهو فارِسيٌّ مُعَرَّبٌ، واسْمُهُ بالعَربيّةِ: السَّمْسَقُ والعَبْهَرُ[3].

❁ قالَ بَعضُهم في تَشْبيهِهِ[4]: كأنّما مَفرُوقُهُ آذانُ خُرَّدْ، ومَجمُوعُهُ صَرْحٌ مِنَ الزُّمُرُّدِ مُمَرَّد.

❁ قالَ الشاعِرُ[5]: [من البسيط]

وَمَرْزَجُوشٍ كأنّ القَطْرَ شَنّفَهُ دُرًّا كمَا شُنِّفَتْ آذانُ أبْكارِ
إذا أتَتْهُ هُبوبُ الرّيحِ جاذِبَةً كأنّهُ مائلٌ مُصْغٍ لأسْرَارِ

٣٤ـ وأمّا أزْهارُها التي لا يُعْلَمُ لَها أسما، فهي - لَعَمْري - عَدَدُ قَطْرِ السّما، والّتي تَرَكَّبَتْ مِنَ العُجْمَةِ كَثِيرَةٌ جَمَّةٌ تَرَكْتُها خَوفَ الغَلَطِ، وأنْ يُقصِّرَ بيَ العَجْزُ عنِ التّشْبيهِ والنّمَطِ، فاكْتفَيْنا مِنَ الأزهارِ بِباقَةْ، ولِنَحْبِسَ عِنانَ اليَراعَةِ على حَسَبِ الطّاقَة.



(١) الصحاح ٣/١٠١٩، وشفاء الغليل ٢٠٧.

(٢) مفردات ابن البيطار ٤/١٤٤.

(٣) العبهر: الياسمين والنرجس. المعجم الوسيط.

(٤) القول لعبد الرحمن بن النقيب. نفحة الريحانة ٢/٣٧ في المقامة الربيعية.

(٥) البيتان في محاضرات الأدباء ٤/٤٩٢، منسوبان لأبي الوفاء محمد بن عبد العزيز الهذلي، وهما في حدائق الأنوار ٢٧٤.

[عود على ذكر الشام وفضائلها
ومحاسن رياضها ومنتزهاتها]

١- أرَاضِي السَّهمَين[١]:

هي رِياضٌ، يالَها مِنْ رِياضٍ، وحدائِقُ تَرْنُو إلَيكَ أزاهِرُها مِنْ عُيونٍ مِرَاضٍ، تساهَمَتْ طِيبَ الهَوا، ومَلَكَتِ القلوبَ بمَنظَرِها الباهِرِ دُونَ السّوا، تَنْسابُ فِيها أنهارٌ كالزُّلالِ، وأعذَبُ مِنْ لِقاءِ المَعشوقِ بَعدَ اليأسِ والمِطالِ، تقلّدَتْ أجْيادُ أغْصَانِها بيَواقِيتِ الثّمارِ، بَعدَمَا تَتَوّجَتْ رُؤُوسُها بِجَواهِرِ الأزهارِ. يا لَها مِنْ رِياضٍ لَو رآها السّامِعُ، لَطابَتْ مِنهُ العُيونُ والمَسَامِعُ. [من البسيط]

وَمَا تَنَاهَيْتُ في بَثّي مَحَاسِنَها إلاّ وأكْثَرُ مِمّا قُلْتُ مَا أَدَعُ[٢]

❁ وما أحْسَنَ قولَ القِيراطِيِّ: دِمشقُ سَمَا سَهمُها على قَوسِ الكواكِبِ، وأقبَلَتْ منْ كتائِبِ زُهورِها في مَواكِبِ، وتَحَرّكَ عُودُها حتّى غَنّتْ عليهِ منَ الوُرْقِ قِيانٌ، وطَفَحَ يَزيدُها فقُلْتُ وهذا مِمّا يُعْجِبُ أبا سُفيانَ: [من الطويل]

---

(١) السهمان: من منتزهات الغوطة، متصل بأرض الصالحية، بين ثورى ويزيد، قال البدري في نزهة الأنام، صفحة ٣١٧: وهو درب ما بين دور وقصور وفاكهة وزهور، ومياه تجري بهدير كالبحور.
فالسهمان هما: السهم الأدنى: موضع يمتد من ساحة الجسر الأبيض إلى المدرسة الشلبية البرانية شرقاً، فوق نهر ثورى، انتشر فيها العمران، ثم درس.
السهم الأعلى: شمالي النهر الأدنى، جنوبي نهر يزيد بين جادة ابن المقدم غرباً، والمدرسة الحاجبية شرقاً. وقد درس أيضاً.

(٢) البيت ذكره الصفدي في نصرة الثائر، صفحة ٦٣، من غير عزو.

دِمشــقُ وَوادِيهـــا مَسِـــيرٌ لِســـائِرٍ   فَقِــفْ بمَغـانِي جَنْكِهــا مُتَرَنِّمَــا
بِقـــاعٌ إذا قَــوْسُ الربـــابِ بِسَـــهْمِهِ   رَماهـا غَـدَتْ بِالوَشْيِ بُــرْدًا مُسَــهَّمَا

❁ وقالَ[1]: [من الطويل]

دِمشــقُ بِوادِيهـــا رِيَــاضٌ نَواضِـــرٌ[2]   بِهـا يَنجَلِي عـنْ قَلْــبِ ناظِرِهــا الهَــمُّ
على نَفسِهِ فَلْيَبْكِ مَـنْ ضـاعَ عُمْــرُهُ   ولَيــسَ لَـهُ فيهـا نَصِيـبٌ ولا سَـــهمُ

قولُهُ: نَصيبٌ ولا سَهمُ: يَعني أراضِي نَصيب والسَّهْمَيْنِ الأعْلى والأدْنَـى، وهـذا مِـنَ التّوجيهِ الحَسَنِ.

٢- [أراضي نصيب]:

وأراضِي نصيبٌ هي بِالقُربِ مِنْ أراضي الصّالِحيَّةِ، بل مَعـدُودةٌ مِـنْ جَنّاتِهـا البَهيّـةِ، كلُّها رِياضٌ وجِنان، تَجَلّتْ في رَفْرَفٍ خُضْرٍ وعَبْقَرِيٌّ حِسان، أزهارٌ تَنْفَحُ بِهَبَّاتِها، وأطيارٌ تَصْدَحُ بِلُغاتِها. [من الخفيف]

كَــمْ غَدِيــرٍ يَنْســابُ فيهــا لُجَيْنًــا   أَعْشَـــبَ الـــرّوضُ مِنْـــهُ بالعِقْيــانِ
وإذا وُرْقُهــــا تَغَنّـــــتْ سُـــــحَيْرًا   فَـوقَ غُصْــنٍ أغْنَــتْ عَـنِ العِيــدانِ[3]

(١) البيتان للأمير منجك. الديوان ١٢٨، وقال البيت الثاني مضمناً بيت ابن الفارض. الديوان ١٤٣.

(٢) الديوان: دمشق بها أضحى رياض نوادر.

(٣) البيتان للأمير منجك، يمدح قرية عربيل (عربين). الديوان ٦٩.

٣- أراضِي النّيْرَبَيْنِ[١]:

أراضي النيربين، التي طارَ صِيتُها في المَشْرِقَيْنِ والمَغْرِبَيْنِ، وتَداوَلَ ذِكْرَ مَحاسِنِها جَهابِذَةُ الشّعرَاءِ وهامُوا في وَصفِها، حتى مَلَؤُوا أصْدافَ الأسْماعِ مِنْ قَطْرِ بَلاغَتِهِم دُرَرًا وليسَتْ تحضُرُني عِبارَةٌ تقومُ بحُقوقِ وَصفِها، وتَخدِمُ معانيَ بَديعِ ظَرْفِها، لكنَّ سَرْدَ الأقاويلِ، يُوَضِّحُ لَكَ السّبيلَ، فَمِنْ ذلكَ قَولُ البَدرِ الذّهَبيِّ[٢]: [من الكامل]

أرَأيْتَ وادي النّيرَبَينِ ومَاؤُهُ ... يُبْدِي لِناظِرِكَ العَجيبَ الأعْجَبَا
يَتكَسَّرُ الماءُ الزُّلالُ على الحَصى ... فإذا غَدا بَينَ الرّياضِ تَشَعّبا

❀ وقالَ آخرُ: [من الطويل]

رَعَى اللهُ وادي النّيرَبينِ فإنّني ... قَطَعْتُ بِهِ يَومًا لَذِيذًا مِنَ العُمْرِ
دَرَى أنّني قدْ جئتُهُ مُتَنَزّهًا ... فَمَدَّ لِملقايَ بِساطًا مِنَ الزَّهْرِ[٣]
وأخْدَمَني الماءَ القَراحَ فَحَيْثُما الْـ ... ـتفَتُّ رأيتُ الماءَ في خِدْمَتي يَجْري

---

(١) النيرب: محلة كانت آهلة بالسكان، تلي الربوة من جهة دمشق، على سفح قاسيون، ويقال أيضاً: النيربان: أي النيرب الأعلى وهو البساتين الواقعة بين ثورى ويزيد، والنيرب الأسفل وهو البساتين الواقعة بين ثورى وبردى، مما يلي الربوة من مدخل دمشق الغربي. انظر مخطط الصالحية لدهمان.
ويصف ياقوت (النيرب) فيقول: قرية مشهورة بدمشق، على نصف فرسخ، وسط البساتين، أنزه مكان رأيته. انظر القلائد الجوهرية ١/١٥، وكلمة النيرب مشتقة في الآرامية (نَرْبا) وتعني الوادي.

(٢) هو يوسف بن لؤلؤ الذهبي، بدر الدين الدمشقي الشاعر، توفي سنة ٦٨٠ هـ، والبيتان في ديوانه صفحة ١٣، ووفيات الأعيان ٤/٣٧٨.

(٣) في (أ): فمدّ للقائي.

محمدُ بنُ زَينِ العابدِينَ الجَوهَريِّ مِنْ قَصِيدةٍ[1]: [من الكامل]

١- باكِرْ لأرْضِ النّيرَبين ومَاسِها ... وانْظُرْ إلى الأزهارِ في أجْنَاسِها

٢- ما بَينَ زَنْبَقِها الأنِيقِ وَوَرْدِها ... وبَديعِ نَرْجِسِها الغَضِيضِ وآسِها

٣- وتَرَنُّمِ الأطْيارِ فَوقَ غُصونِها ... تَروِي لَطِيفَ اللَّحنِ عَنْ عَبَّاسِها[2]

٤- جَمَعَتْ مَعانِي اللُّطْفِ في ألْحانِها ... وبَيانِ مَنطِقِها وحُسنِ جناسِها

٥- فَتَرَى الغُصونَ لِمَا بِهَا مِنْ نَشْوةٍ[3] ... تَهْوِي إليكَ مِنَ السُّرورِ برَأسِها

٦- طَافَ الغَديرُ بِها فَأثْمَرَ فَرعُها ... وغَدَا يُخَبِّرُنا بِطِيبِ غِراسِها[4]

٧- فانْهَضْ نَدِيمِي نَصْطَبِحْ في ظِلِّها ... وَدَعِ المَناصِبَ في الزَّمانِ لِناسِها[5]

الأستاذُ: [من الكامل]

١- يا مَجْلِسًا بالنّيرَبَينِ أنِيسا ... حَرَّكْتَ وَجْدًا كامِنًا ودَسِيسا[6]

٢- واسْتَوْقَفَتْ أنْواعُ حُسْنِكَ مُقْلَتِي ... فَزَجَرْتُ نَحْوكَ لِلسُّرورِ العِيْسا

٣- وتَرَكْتُ أطْلالِي بِجِلِّقَ رَغْبَةً ... عَنْها إلَيكَ لِكَونِكَ المَأْنُوسا

٤- سِيَّما وقَدْ وَرَدَ الرَّبِيعُ بِوَردِهِ ... فَسَبَى نَواظِرَ واسْتَرَقَّ نُفُوسا

---

(١) محمد بن زين العابدين الجوهري، نسبة إلى صناعة آبائه، ولم يكن يتعاطاها، له شعر رائق. انظر نفحة الريحانة ٣٨٨/١، والأبيات بها، وسلافة العصر ٣٩٥.

(٢) جاء في حاشية النفحة: لعله يعني العباس بن الأحنف، الشاعر الغزل، المتوفى سنة ١٩٢ هـ، وفي سلافة العصر: عن ميّاسها.

(٣) في الأصل: من نشوة، والمثبت من النفحة.

(٤) في النفحة، وسلافة العصر: بأصل غراسها.

(٥) في سلافة العصر: واترك تباريح الهموم لناسها.

(٦) كذا في (أ) و (ب)، ولعلّها: ورسيسا.

٥- ومَعاطِفُ النارنجِ يَعطِفُ زَهرُها ... بنَوافِجِ المِسْكِ الفَتيقِ مُرُوسا

٦- وَجداوِلُ الأنهارِ تركُضُ حَولَنا ... فَرَحًا فكانَ سُرورُنا مَحسُوسا

٧- ومَشَى النَّسِيمُ مُجَرِّرًا أذْيالَهُ ... فأدارَ مِنهُ على الغُصُونِ كُؤُوسا

❀ ولهُ: [من الكامل]

١- وعَشِيَّةٍ بالنَّيرَبينِ تَرُوقُ ... تُزجي الهَنا لِقُلوبِنا وَتَسُوقُ

٢- وَقَفَتْ نَواظِرُنا تُصافِحُ صَفْوَها ... ولَهُ طُلوعٌ بَينَنا وشُرُوقُ

٣- وعَواطِرُ النَّسَماتِ قَبَّلَتِ الرُّبا ... بفَمٍ على المِسكِ الفَتيقِ يَفُوقُ

٤- والطيرُ يَخطُبُ فوقَ مِنبَرِ غُصْنِهِ ... ولَهُ علينا في السَّماعِ حُقُوقُ

٥- والجَوُّ قدْ رَقَّتْ حَواشِي بُرْدِهِ ... والرَّوضُ يَنْفَحُ مِسْكَهُ المَحْقُوقُ[1]

٦- في مَجْلِسٍ مَشَتِ الجَداولُ حَولَهُ ... ولِقلبِها بَينَ الرِّياضِ خُفُوقُ

❀ ولهُ: [من الخفيف]

١- ورِياضٍ بالنَّيرَبينِ أنِيقَهْ ... تَتَثَنَّى بِها الغُصونُ الرَّشِيقَهْ

٢- وبِها نَسمَةُ الصَّباحِ تَمَشَّتْ ... غَضَّةً رَطبَةَ الهُبوبِ رَقِيقَهْ

٣- أسْكَرَتْنا بطِيبِها فانْتَشَيْنا ... وأزاحَتْ عنِ الفُؤادِ حَرِيقَهْ

٤- وجَرَتْ حَولَنا جَداوِلُ ماءٍ ... ذاتُ ثَغْرٍ قدْ أرْشَفَ الدَّوحَ رِيقَهْ

٥- وعلى عُودِها البَلابِلُ غَنَّتِ ... فأبانَتْ مِنَ الغَرامِ طَرِيقَهْ

٦- وأهاجَتْ صَبابَةً واشْتِياقًا ... ولَنا أذْكَرَتْ عُهُودًا وَثِيقَهْ

---

(١) في (ب): مسكة المحتوق.

❁ ولهُ: [من الخفيف]

وصَبـــــاحٍ بالنّــــيرَبينِ سَـــــعيدِ ... فيـــهِ ضَـــجَّ الحَمَـــامُ بِـــالتّغرِيدِ

يَتمَشّـــى بِـــهِ رَطِيـــبُ نَسِـــيمٍ ... شــاقَني بِـــالهُبوبِ والـــتّرديدِ

وجَـــرَى في الرّيــاضِ جَــدْوَلُ مــاءٍ ... كَصَقيـــلٍ مِـــنَ السُّـــيوفِ حَديـــدِ

❁ ولهُ: [من الخفيف]

يـا سَقَى اللهُ سَفحَةَ النَّـيْرَبِ الغَضْـ ... ـضِ وحَـيَّ الإلـهُ خَـيرَ الأراضِـي

كـمْ مَضَـتْ لِـي بِهـا لَيـالِيَ أُنـسٍ ... بَـينَ تِلـكَ الرُّبـا وتِلـكَ الرّيـاضِ

والأزاهِـيرُ قـدْ بَـدَتْ في سَـماءِ الـدْ ... دَوحِ مِثْـلَ النُّجـومِ ذاتِ انْقِضـاضِ

والنّسِـيمُ الرّطِيـبُ يَنْـثُرُ نَشْـرًا ... قــدْ تَمَشّــى بذَيلِـهِ الفَضْفَـاضِ

❁ ولهُ: [من الخفيف]

رُبَّ يَـــومٍ بِالنّـــيرَبِ الفَوقـــانِي ... قــدْ خَطفنــاهُ مــنْ كُفــوفِ الزَّمــانِ

وجَلَسْـــنا علـــى اخْضِـــرارِ بســـاطٍ ... طَرَّزَتْــــهُ شَــــقائِقُ النُّعمــــانِ

يـــا سَـقَى اللهُ ذَلـكَ اليَـومَ مـنْ يَـو ... مٍ إلَينـــا أهْـــدَى نَعِيـــمَ الجِنـــانِ

❁ وقال المرحومُ مَنْجَكُ(1): [من البسيط]

قَصْـرُ الأمـيرِ بِـوادِي النّـيرَبينِ سَـقَى ... رُبـاكَ عَنّـي مـنَ الوَسْـمِيِّ مِـدْرَارُ(2)

حَيـثُ الخَمـائِلُ أفْـلاكٌ بِهـا طَلَعَـتْ ... زَهـرٌ مـنَ الزّهـرِ والنُّدْمـانُ أقْمـارُ

---

(1) الديوان، صفحة ٧٩، وفي (أ) و (ب): المرحوم منجك، دون (وقال).

(2) الديوان: رياك عني.

حَيـثُ الرِّيــاضُ تُغنِّينِــي حَمَائِمُهــا بـالدُّفِّ وَالجَنْـكِ والمَيْطُـورُ لِـي جـارُ

٤- أراضِي المَيْطُور[١]:

مُحاذِيَةٌ لِهذِهِ الجنان، لكنّهـمْ في المَحاسِنِ فَرَسَا رِهـان، بَـلْ هِـي صِيغَـةُ مُنتَهَـى الجُمـوع، واللّفظُ المُركّبُ منْ رَقيقِ المَحبّةِ والوُلُوعِ، جَمَعَتِ المَحاسِنَ جَمْعَ تَصْحيحٍ، فنالَتْ في المَدائِحِ مَقـامَ التّرْجيحِ، انْتَصَبَتْ في حَدائِقِها أعلامُ الأغْصَانِ، وارتفَعتْ فوقَ عَساكِرِ أزهارِها سُرادِقاتُ الأفنانِ، وامتدّتْ ظِلالُها على ذائِبِ اللُّجَيْنِ، ونادَى مُفرَدُها: لا تَطْلُبوا أثَرًا بَعْدَ عينٍ[٢]. [من البسيط]

رِياضُهـا نَصَبَـتْ أعلامَهـا وغَـدا[٣] ذَيـلُ الصّبـا بَـينَ مَرفـوعٍ ومَجـرورِ

قـدْ جُمِّعَتْ جَمْعَ تَصْحيـحٍ جَوانِبُهـا والمـاءُ يُجْمَـعُ فِيهـا جَمْـعَ تَكْسِـيرِ

فـالنّهرُ مـا بَـينَ مَصـرُوفٍ ومُمْتَنِـعٍ[٤] والظّـلُّ مـا بَـينَ مَمـدُودٍ ومَقصُـورِ

تَوَشَّحَتْ بالأزاهِرِ أغصانُها المُلد، التي تُشَوِّقُ رَائِيها لِجَنةِ الخُلد، وقـدْ أجـادَ الأدِيـبُ الحِلِّيُّ بِقولِهِ[٥]: [من الكامل]

إنْ جُـزْتَ بِـالمَيطُورِ مُبْتَهِجًـا بِـهِ ونَظَـرْتَ بـاطِنَ دَوحِـهِ المَمْطُـورِ[٦]

---

(١) الميطور: قرية درست كانت بسفح قاسيون من أرض الصالحية، على نهر يزيد، (ركن الدين اليوم) وكانت تمتد من الضفة الجنوبية لنهر يزيد بين بستان بصارو وجسر النحاس، وبين القابون ومشفى ابن النفيس. اخترقها شارع ابن النفيس.

(٢) الأبيات التالية لصفي الدين الحلي، عبد العزيز بن سرايا (٦٧٧ - ٧٥٠ هـ)، شاعر عصره، ولد ونشأ في الحلة (بين الكوفة وبغداد). الديوان صفحة ٢٤٨/١، يمدح الملك الصالح شمس الدين أبا المكارم، ويصف نزوله بمدينة الصور.

(٣) الديوان: في روضة نُصبت أغصانها وغدا.

(٤) الديوان: والماء ما بين مصروف.

(٥) الديوان ١٠٢٨/٢.

(٦) الديوان: ونظرت ناضر.

وأَرَاكَ بِالآصَالِ خَفْقَ هَوائِهِ الـ ـمَمْدُودِ تَحريكَ الهَوَى المَقْصُورِ
سَلْ بانَهُ المَنصُوبَ أيْنَ حَدِيثُهُ الـ ـمَرفُوعُ عَنْ ذَيلِ الصَّبَا المَجْرورِ

٥- أراضِي سَطْرَا[1]:

أراضي سطرا، هي مَحْسُوبَةٌ مِنْ مُنتَزَهاتِها الغَرّا، رياضُها حَلّتْ في مَنْظَرِ النّاظِرِ، وتاهَتْ بوَشْيِها على كُلِّ رَوضٍ ناضِرٍ، تَخفُقُ أَلْوِيَةُ الأفْنانِ في هِضابِها، وتَلعَبُ خُيولُ النّسيمِ في مَيادِينِ شِعابِها، أعلامُ رَوضاتِها مَرفُوعَةٌ، وثِمارُها لا مَقطوعَةٌ ولا مَمنُوعَةٌ. [الكامل]

انظُرْ إلى الأشجارِ تَلْقَ رُؤوسَها شابَتْ وطِفْلُ ثِمارِها ما أَدْرَكا
وعَبيرُها قدْ ضَاعَ مِنْ أكمامِها وغَدا بأذيالِ الصَّبَا مُتَمَسِّكا[2]

تَشُقُّها جَداولُ وأنهار، تَجْري بَينَ نَفْحِ أزاهِرٍ وغِناءِ أطيار. [من البسيط]

وفاحَ لِلْوَرْدِ نَشرٌ مِنْ كَمائِمِهِ والنهرُ كالصِّلِّ في الأدْواحِ يَنسَحِبُ
غَنّى الهَزارُ على أغْصَانِهِ طَرَبًا حتّى تَرَاقَصَتِ الأفْنانُ والقُضُبُ

وقد اعتَنَتِ الشُّعَراءُ بِذِكرِها، لِمَا أهْدَتْهُم مِنْ طِيبِ نَشْرِها، فقالَ ابنُ خَطِيبِ دَاريّا[3]: [من الطويل]

---

(١) ورد ذكرها كثيراً في الشعر، وهي قرية كانت متنزهاً من متنزهات دمشق، قال الشيخ محمد أحمد دهمان: إنها كانت في الطريق المقابل لباب جامع القصب (مسجد الأقصاب في حي العمارة)، ويعرف هذا الطريق اليوم (بجادة عاصم)، ويخترقه شارع بغداد، ثم يقابله بالجهة الشمالية جادة الخطيب اليوم وحي القصور. انظر غوطة دمشق، لمحمد كرد علي، صفحة ٢١٣.

(٢) البيتان لمحمد بن محمد بن تمرداش شهاب الدين. فوات الوفيات ٢٨٢/٣، وفيه: انظر إلى الأزهار تلق.

(٣) ابن خطيب داريا: محمد بن أحمد بن سليمان الأنصاري الخزرجي، الدمشقي المولد، البيساني الوفاة (٧٤٥ - ٨١٠ هـ)، أديب، جيد الشعر، كان شاعر دمشق في عصره.

سَـألتُكُما إنْ جئتُمـا الشـامَ بُكْـرَةً وَعايَنتُمـا الشَّـقْرَاءَ والغُوطـةَ الخَضْـرا
قِفَـا واقْـرَأا مِنّـي كِتابًـا كَتَبْتُــهُ بِدَمْعِي لَكُم مُقرى ولا تَنْسَيا سَطْرا[1]

❁ وقالَ آخرُ[2]: [من السريع]

قـالوا أمَـا في جِلّـقٍ نُزْهَـةٌ[3] تُنسِيكَ مـا أنـتَ بـهِ مُغـرى
يـا عَـاذِلِي دُونَـكَ مِـنْ لَحْظِـهِ سَـهْمًا ومِـنْ عَارِضِـهِ سَـطْرا

❁ ومنَ التّوجِيهِ الحَسَنِ قولُ الإسْعِرديّ[4] في بَعضِ مُنْتزَهاتِ الشامِ: [من الطويل]

وريـمٌ جـلا لِـي خَمْـرَةً مـزَّةً جَلَـتْ[5] هُمومِي وقد عـايَنْتُ في خَـدِّهِ سَطْرا[6]
وربوتُـهُ الشـقراءُ ناعِمَـةٌ غَـدَتْ ويـا حُسْنَها مِـنْ بَـرزَةٍ لَيْتَهـا عَـذَرا

قولُهُ (بِدَمعِي لَكُم مُقْري)[7]: أرادَ بـهِ أراضِـي مُقْـري، بِضَـمّ المِيـمِ وسُـكونِ القـافِ وكَسرِ الراء، هِي رِياضٌ تُعادِلُها في الحُسْنِ بِـلا مِراء، أغصـانُ حَدائِقِهـا مُتناسِقَةٌ، وأفنـانُ

---

(١) البيتان في معاهد التنصيص ٤/١٠٥، وانظر ما سيقوله المؤلف بعد أسطر.

(٢) البيتان لشرف الدين الأنصاري. الديوان ٢٤٠، وهما في معاهد التنصيص ٤/١٠٤.

(٣) الديوان: قالوا لنا في جلق.

(٤) الإسعردي: محمد بن محمد بن عبد العزيز أبو بكر نور الدين (٦١٩-٦٥٦ هـ) شاعر فيه مجانة وظرف، اتصل بالملك الناصر ومدحه بقصائد، له ديوان شعر. والبيتان في معاهد التنصيص ٤/١٠٥.

(٥) الأصل: جاد لي، والمثبت من معاهد التنصيص.

(٦) هنا ينتهي المخطوط (ج)، وقد ضم إليه ورقتين، لا صلة لهما بالكتاب.

(٧) مُقري: بفتح الراء أو كسرها. قال البدري في نزهة الأنام ٢٧٣: هي من محاسن الأراضي الطيبة الفيحاء، وهي من القرى الدائرة، كانت من أرض الصالحية، على ضفة نهر ثورا الشمالي، شمال حي عين الكرش، كما في مخطط الصالحية لدهمان.

أدواحِها باسِقةٌ، تنافَحَتْ بنَوافِحِ العِطرِ أزهارُها، وتعارَضَتْ بغَرائِبِ التّغريـدِ أطيارُهـا. [من الخفيف]

١- كَجِنـــانِ الفِــردَوسِ ألـــوانُ وِلْـــدا   ن مِـــنَ النَّبْـــتِ في رُباهـــا تَجُـــولُ

٢- حَبَّـذا نَهْرُهــا الّـــذي المِسْــكُ والكــا   فُــورُ والشَّـــهدُ فيـــهِ والزَّنْجَبيـــلُ

٣- ولِمَوضُــوعِ حُسْــنِها في الحَواشـــي   مُلحَقـــاتٌ بَدَائِـــعٌ وفُصـــولُ

٤- ومَتـــى احْتـــاجَتِ الغَزالـــةُ في رأْ   دِ الضُّحَـى أنْ يُقـامَ فِيهـا دَلِيـلُ

٥- غـيرَ أنَّ المَجـالَ يُستَحسَـنُ الإجْـــ   ـمـالُ فِيـهِ ويَسْـمُجُ التّفْصِيـلُ[1]

قولُهُ (مزَّةٌ جَلَتْ): أرادَ قريةَ المِزَّةِ، وكذلكَ الرَّبوَةُ والشّقراءُ وبَرزَةَ، وسيأتِي الكلامُ عليها في مَحَلِّهِ إنْ شاءَ اللهُ تعالَى.

وقولُهُ (عَذرا)[2]: هي قَرْيةٌ مِنْ قُرى دِمَشقَ، واللهُ أعلمُ.

٦ـ أراضِي اللَّوّان[3]:

تَستوقِفُ النّاظِرَ بحُسنِ رِياضِها البَهيجَةِ، وتَسْحَرُ الألبابَ بِطيبِ أزَاهِرِها الأرِيجَةِ، ما بَينَ نَهرٍ دافِقٍ، وزَهرٍ عابِقٍ، وطَيرٍ بتوحِيدِ خَالِقِهِ ناطِقٍ. [من الكامل]

---

(١) الأبيات لأحمد صفي الدين بن صالح بن أبي الرجال، يصف صنعاء. نفحة الريحانة ٣/٤٨٨، وخلاصة الأثر ١/٢٢١.

(٢) عذرا: أو عدرا: قرية في شمال مرج غوطة دمشق، تتبع منطقة دوما، من محافظة ريف دمشق.

(٣) اللوان: بساتين تقع بين المزة وكفر سوسة، وكانت قرية دثرت ثم أعيد العمران إليها، وهي اليوم حي كبير يتبع كفرسوسة، يقول عنها البدري في نزهة الأنام: بها الدور الوسيعة الفناء، المليحة الأساس والبناء، وهي الجامعة بين حسن الأنواع والأجناس، مع الهواء الصحيح والاعتدال بالترجيح، ويتوصل منها إلى قرية (كفر سوسة). انظر نزهة الأنام للبدري، صفحة ٢١٢، وفيها يجري نهر الميلقون، وهو فرع من الداراني. الريف السوري ٢/١٢٥.

ـــــــرِيـقٍ يَسـبِيكَ وَشْـيُ بُرودِهـا حتّـى تُشَـبِّهَها سَـبائِبَ عَبقَـرِ
يَجـري النّسـيمُ خِلالَهـا وكأنّمـا غُمِسَـتْ فُضـولُ رِدائِـهِ في عَنْـبَرِ[1]

وثِمارٌ ألَذُّ مِنْ مُسامَرَةِ الأحبابِ، وأشْهَى مِنْ بُرْدِ الشّبابِ، تؤتي أُكُلَهَا كلَّ حِينٍ، وتُوَسِّعُ بمحاسِنِها مَجالَ المادِحينَ. [من الرجز]

١- فكَـمْ هَـزَارٍ في رُباهَـا صَدَحـا وبَـثّ لِـلأدْواحِ فِيهـا مُلَحـا
٢- وكَـمْ تَغَنّـى سَـحَرًا بُلْبُلُهـا وَهَيَّـجَ النّفـسَ وقـدْ بَلبَلَهـا
٣- وهَيْنَـمَ الشُّحْرُورُ في أشْـجارِها وغنّـتِ الـوُرْقُ علـى أوْتارِهـا
٤- وغَـرَّدَ القُمْـرِيُّ فَفَـاضَ النَّهْـرُ وهَبَّـتِ النَّكْبَـا فَفَـاحَ الزَّهْـرُ
٥- ونَشَـرَتْ أيـدِي الصَّبـا دارهِمـا فَعمَّـتِ الرّيـاضَ والمَعَالِمـا
٦- وعازِفـاتُ الجَنْـكِ فَـوقَ العُـودِ تُهيِّـجُ الأشـجانَ بـالتَّغريدِ
٧- يـا صـاحِ قِـفْ وانْظُـرْ بَدِيـعَ الصُّنْـعِ وليـسَ مَـرْأَى العَينِ مِثْـلَ السَّـمْعِ

٧- وأمّا الجَبْهَةُ[2]:

فهي مِنَ المَرْجَةِ الخَضْرا، ومُنتَزَهاتِها الحَسَنَةِ الغرَّا، كذلكَ صَدرُ البَازِ، لا حَقيقةً بلْ مَجاز، هي رِياضٌ يَفصِلُ النّهرُ بَينَها وبَينَ وَادِي كِيوان، وأرَاضِي الخَلخالِ[3] مُحاذِيةٌ

(١) البيتان للسري الرفاء. الديوان، صفحة ١٠٩، وفيه: حتى تسب لها سبائب.

(٢) الجبهة: من متنزهات دمشق، على حافة بردى غربي المدينة. غوطة دمشق صفحة ٥٣، يعلوها نهر القنوات وبانياس، وفيها حمام النزهة، وهي جزء من المرجة الخضراء، يقول البدري: ومن محاسن الشام مرجتها، وهي من المحاسن التي لا تُدرك، وبعضهم يشبهها (بصدر الباز). نزهة الأنام ٧٤، وصدر الباز هو نهاية هذه المرجة، عند حدود ساحة الأمويين اليوم. ويعرف هذا المنتزه باسم البهجة.

(٣) الخلخال: من متنزهات دمشق، غربي المدينة، بنيت في مكانها الثكنة الحميدية، فهي محل جامعة دمشق وما حولها الآن. انظر غوطة دمشق، صفحة ١٥٣.

لأراضِي اللَّوَّان، وقد سَمُّوا المَرْجَةَ بأسماء تَشرَحُ الصُّدور، وتَبْعثُ للنّفوسِ وارداتِ البَسْطِ والسُّرور، وهي المَيدانُ الأخْضَرُ[1] ووادي الشّقرا[2]، والجَبهةُ، وصَدرُ الباز، والمَرجةُ الخَضرا، ورِياضُ الشَّرَفَين[3]، فهي حدائِقُ تُطِلُّ على المَرجَةِ مِنَ الطَّرَفَين، وكُلُّها رَوضاتٌ وبَساتِين، وأدواحٌ كأمثالِ الحُورِ العِين، وجَداوِلُ تَخترِقُ تِلكَ الحَدائِقَ، تَجْري بَينَ فُرشٍ مِنَ الزَّهْرِ ونَمارِق.

وقدْ أكثرَ الشُّعَراءُ في الجَبْهةِ مِنَ التّوجيهِ، كَقَولِ ابنِ نُباتَةَ الأديبِ النَّبيهِ[4]: [من الرجز]

يـا حبَّـذا يَومـي بِـوادِي جِلَّـقِ ... ونُزْهَتِـي مَـعَ الغَـزالِ الحـالي

مِـنْ أوّلِ الجَبْهـةِ قـدْ قَبَّلتُـهُ ... مُرتَشِـفًا لآخِـرِ الخَلْخـالِ

❁ وكَقَولِ ابنِ سَعيدٍ المَغربيِّ[5]: [من الرمل]

إنَّ لِلجَبهَـةِ في قلبِـي هـوًى ... لمْ يَكُـنْ عِنـدي لِلوَجـهِ الجَميـلِ

يَرقُـصُ المـاءُ بهـا مِـنْ طَـرَبٍ ... ويَميـلُ الغُصـنُ لِلظِّـلِّ الظَّليـلِ

وتَـوَدُّ الشّـمسُ لَـوْ بـاتَتْ بِهـا ... فَلِـذا تَصْفَـرُّ أوقـاتَ الرَّحِيـلِ[6]

---

(١) الميدان الأخضر: تقع في المرجة (ساحة الشهداء)، وقد سميت المرجة باسم المكان كله، وهو المرجة الخضراء، في موقع معرض دمشق الدولي، قبل انتقاله إلى مدينة المعارض، وهي التي تعرف بين الناس (بمرجة الحشيش) إشارة إلى خضرتها، وصدر الباز هو نهايتها.

(٢) وادي الشقرا: بساتين مطلة على المرج الأخضر. غوطة دمشق ٥٠.

(٣) الشرفان: موضعان كانا في دمشق، يفصل بينهما نهر بردى، وهما:
أ ـ الشرف الأدنى (القبلي): محلة كانت تشمل شارع النصر وجامع تنكز ومباني جامعة دمشق ومشافيها.
ب ـ الشرف الأعلى (الشمالي): محلة كانت في سفح قاسيون بين سوق صاروجا وصدر الباز، والطرف الجنوبي لشارعي أبي رمانة والمالكي. معجم دمشق.

(٤) ديوان ابن نباتة المصري ٤١٩.

(٥) ابن سعيد: علي بن موسى، مؤرخ أندلسي، من الشعراء العلماء بالأدب، توفي بدمشق قريباً من سنة ٦٨٥، والأبيات في فوات الوفيات ٣/١٠٥، معاهد التنصيص ٣/٧٧.

(٦) فوات الوفيات: أوقات الأصيل.

ـ وأمّا القَصْرُ والخَلخالُ والفِيجَةُ الخَضراءُ ذاتُ السَّلسال:

٨ـ فالقَصرُ هوَ الأبْلَقُ[١] الّذي طارَ صِيتُهُ في الأقطارِ، وامْتلأتْ مِنْ مَحاسِنهِ الدّفاتِرُ والأسْفارُ، واعْتَرَفتْ لهُ مُشَيَّداتُ القُصورِ، بالإنخفاضِ والقُصورِ، وشَهِدَتْ لهُ ساميات البُروجِ، بالاِعتِلاءِ والعُروجِ، أطلّتْ شَبابيكُهُ على تِلكَ الأرجاءِ المُؤنَّقَةِ، والجَداولِ المُتدفّقةِ، ابْتسَمَتْ ثنَايا شُرافاتِهِ، وارتَسَمتْ بالحُسنِ حَنايا غُرافاتِهِ، وأشرَفَ على المَرجَةِ وأقطارِها، فَحيَّتهُ مِنْ طِيبِ أزهارِها، وقدْ تلاعَبَتِ الشُّعَراءُ في ذِكرِهِ، كقولِ عبدِ اللّطيفِ المِنقاري[٢]:

[من الطويل]

وهلْ شَرَفُ الأعلى مُطِلٌّ وقَصْرُهُ[٣] ... على المَرجَةِ الخَضراءِ فيهِ كِرامُ
وغُرَّتُها أضْحَتْ بِبَهجَةِ رَوضِها[٤] ... تُضِيءُ فَخَلْخالُ الغَديرِ لِزامُ

❁ وقالَ آخرُ مِنْ رُباعِيتِهِ[٥]: [من الطويل]

وقَصرٍ على الشقراءِ قدْ فاضَ نَهرُهُ
وفاقَ على فَخْرِ الكَواكِبِ فَخرُهُ
[وقد شاع ما بين البرية شكره]
هوَ الأبْلَقُ الفَرْدُ الّذي شاعَ ذِكْرُهُ[٦] ... يَعِزُّ على مَنْ رَامَهُ ويَطُولُ

---

(١) القصر الأبلق: يقع مكان التكية السليمانية اليوم، التي بُنيت على أنقاضه وفي مكانه، بعد أن هدمه تيمورلنك، وقد وصفه ابن فضل الله العمري بأنه يشتمل على قاعات ملوكية، مفروشة بالرخام الملون البديع الحسن، المؤزر بالرخام، المفصّل بالصدف، والفص المذهب.. إلخ.. انظر غوطة دمشق لكرد علي، صفحة ٢٢٧.

(٢) تقدم التعريف به صفحة (٤٧)، والبيتان من قصيدة أرسلها من ديار بكر، يتشوق إلى دمشق، ويذكر متنزهاتها. نفحة الريحانة ١/١٦٥، ١٦٦، خلاصة الأثر ٣/٢٢، ٢٣.

(٣) نفحة الريحانة: مطلٌّ وقعره.

(٤) نفحة الريحانة: أضحت بجبهة، وهما بمعنى واحد.

(٥) الأبيات لصفي الدين الحلي عند نزوله بدمشق، مُسمّطاً لقصيدة السموأل. الديوان ١/٨١، نفح الطيب ٢/٣٩٨.

(٦) الأبلق: حصن السموأل بتيماء.

❁ وقالَ التَّلَعْفَرِيّ[1]: [من البسيط]

ولا تَعــدَّاكَ يــا بانَــاسُ مُنْهَمِــرٌ يَهْمِي على القَصْرِ فالَميدان فالشَّرَفِ
مَلاعِبٌ كَمْ بِهـا مِـنْ شادِنٍ غَنِجٍ حُلْوِ الشّمائِلِ مَعْسولِ اللّمَى تَـرِفِ

❁ وقالَ آخرُ: [من الكامل]

قَصْرٌ زَهَـا فَـرَوَى عَلِيـلُ نَسِيـمِهِ خَـبَرَ الشِّـفا لِحَدائِـقِ الأزهـارِ
صَدَحَـتْ بَلابِلُـهُ علـى أغصانِـهِ تُمْلِـي حَديـثَ العُـودِ والمِزمـارِ
أنْعِـمْ بِقَصـرٍ يَسـتَطِيلُ إلى السُّـها فـاحَ الشَّـذا مِـنْ عَرْفِـهِ المِعْطـارِ
مَـنْ أمَّـهُ يَلقَـى لَديـهِ مُسَـطَّرًا كَـنْزَ الصَّفـا ومَشـارِقَ الأنـوارِ

وقالَ آخرُ[2]: [من الكامل]

قَصْـرٌ بِمَدْرَجَـةِ النَّسـيمِ تَحَدَّثَـتْ فيـهِ الرّيـاضُ بِسِـرِّها الَمسـتورِ
خَفَضَ الخَوَرْنَـقَ والسَّـديرَ سُـمُوُّهُ[3] وثَنـى قُصـورَ الـرُّومِ ذاتَ قُصـورِ
لاثَ الغَمـامُ عِمامَـةً مِسْـكِيّةً وأقـامَ في رَوضٍ مِـنَ الكـافُورِ

٩ـ الأمْجَدِية[4]:

وقريبٌ منه الأمجدية تَحُفُّها رِياضٌ عَنْبَرِية، وقدْ أحاطَتْ بِها الأدواحُ والزّهر، إحاطةَ الهالَةِ بالقَمر، وفيها يقولُ الأستاذُ: [من الخفيف]

نَحْـنُ بِالأمْجَدِيّـةِ الزّهـراءِ وعلينـا سَـحَّتْ سَـحابَةُ مـاءِ

---

(١) الديوان، صفحة ٢٠٥.

(٢) الأبيات لعلي بن ظافر، قالها في قصر بظاهر الإسكندرية لبني خليف. نفح الطيب ٢٥٨/٣.

(٣) نفح الطيب: خفض الخورنقُ والسديرُ سموَّه.

(٤) الأمجدية: بساتين تقع جنوب منطقة الشرف الأعلى. انظر مخطط الصالحية لدهمان.

وَدَواعِـي السُّـرورِ قـدْ حَمَلَتنـا ... نحـوَ قَصـرٍ في مَرْجَـةٍ خَضْـراءِ
وَنَسِـيمُ الصَّبـا يُشَـبِّبُ لَمّـا ... رَقَـصَ الغُصْـنُ مِـنْ غِنـا الوَرْقـاءِ
وجَـرى المـاءُ في الجَـداولِ عَذْبًـا ... رائِقًـا دَقَّ في عُيـونِ الرّائـي

١٠ـ ورِياضُ الخَلْخالِ[1]:

هيَ قِبْلَةُ الشَّرَفِ، المُزَيَّنَةُ بالقُصورِ والغُرَفِ، تُضِيءُ أزاهِرُها كالنُّجومِ، لكنّها في أجْيادِ النَّجْمِ كالدُّرِّ المَنْظُومِ، يَضوعُ نَشْرُها بَينَ الحدائقِ، لما يَهبُّ عَليها مِعْطارُ النّسيمِ الرّائِقِ، تَخَلْخَلَتْ سُوقُ أشجارِها بِلُجَيْنِ الأمْواه، وغَرَّدَ طَيرُها إذْ كانَ مَعَ رَكْبِ النّسائِمِ هَواه[2]. [من البسيط]

كأنّها مِنْ جِنانِ الخُلْدِ قـدْ كَمُلَتْ ... حُسْنًا وحَسْبُكَ مِنْ حَسْناء غَنّـاءِ[3]
وصَـوتُ بُلبلِها الرَّاقـي ذُرَا غُصـنٍ ... في حلّةٍ مِـنْ دِمَقْسِ الرّيشِ دَكْنـاءِ
كَقَرْعِ نـاقُوسِ دَيْرِيٍّ على شَـرَفٍ[4] ... مُسَـبِّحٍ في سَـوادِ اللّيـلِ دَعّـاءِ
وقـامَ عنْهـا لِسـانُ الزَّهْـرِ يُنْشِـدُنا ... لِلَهْـوِ: كَـمْ أرجٌ مـا بَـينَ أرجـاءِ

١١ـ الفِيجَةُ الخَضْراءُ:

والفيجة الخضرا، هيَ المَرْجَةُ ذاتُ السُّرَى، سَلْوَةُ الغَريبِ عَن أوطانِهِ، والعاشِقِ عَنْ كَآبتِهِ وأحزانِهِ، مَحلُّها بَينَ الشَّرَفينِ الأدنَى والأعلى، اللّذينِ كُلٌّ مِنهُما نالَ بِحُسنِ رِياضِهِ القَدَحَ المُعلّى. [من الكامل]

---

(١) انظر الحاشية (٣) صفحة ١٤٥.

(٢) الأبيات لسيف الدين المشد، الديوان صفحة (٥١).

(٣) الديوان: حسناء لفّاء.

(٤) الديوان: كقرع ديريٍّ بناقوس.

ماشِئتَ مِنْ نَهْرٍ كَصَدْرِ عَقيلَةٍ شَقّتْ أنامِلُها عليهِ صِدارَها
ما بَينَ أشجارٍ تَميدُ كأنّها شُرّابُ جِرْيالٍ تُديرُ عُقارَها[1]

تَصَوَّبَتْ فِيها فُروعُ الأنهارِ والجَداوِلِ، وتَصاعَدَتْ أنفاسُ أزاهِرِها على نَغَماتِ الشَّحارير والعَنادِلِ، وماسَتْ قُضُبُها مَرَحا، وتَعانَقَتْ لِقُدومِ النّسائمِ فَرَحا، طالَما تَغنّتِ الشُّعراءُ بِمَدْحِ حُسْنِها، ونَظَّموا عُقودَ الدُّرِّ في فَنَنِها وغُصْنِها، فَمِنْ ذلكَ قولُ الأستاذِ: [من السريع]

يا حبَّذا المَرْجَةُ يا حبَّذا نَسيمُها الرَّطْبُ لِرُوحي غِذا
أنهارُها تَهْدُرُ في جَرْيِها وطَيرُها إنْ صاحَ فيها هَذَى
تَصْقُلُ أنفاسُ الصَّبا أرْضَها مِنْ بَعدِ ما تُلْقِي علَيها الشّذا

❁ وقولُهُ: [من الخفيف]

مَرْجَةُ الشامِ بَهْجَةُ الأبصارِ عَطَّرَتْها رَوائِحُ الأزْهارِ
يَتَمشّى بِها لَطِيفُ نَسِيمٍ صافَحَتْ كَفُّهُ يَدَ الأنهارِ
فَهَلُمُّوا إلى فَسِيحِ رِحابٍ مِنْ حِماها مُفَكَّكِ الأزْرار
يَنْفَحُ الرّوضَ بالأزاهِرِ طِيبًا حَيثُ شَمْسُ الضُّحَى كَجَمْرَةِ نارِ

❁ وقولُهُ مِنْ أبياتٍ: [من البسيط]

للهِ يومٌ بأعلى ذِرْوَةِ الشَّرَفِ في مَرْجَةِ الشامِ ذاتِ العِزِّ والشَّرَفِ
في رَوضَةٍ نَشَرَتْ أيدي الرّبيعِ بِها رِداءَ نَشْرٍ بأيدي الرِّيحِ مُختَطَفِ
وحَوْلَنا الماءُ يَجْري في جَداوِلِهِ جَرْيَ اللُّجَيْنِ بهِ قَدْ جادَ ذو سَرَفِ

---

(١) البيتان هما لعبد الله بن سارّة الإشبيلي، يذكر فيهما غرناطة. خريدة القصر (المغرب) ٢/٣٢٦.

❁ صديقُنا الأديبُ مُصطفى اللُّقَيْمِيُّ: [من البسيط]

يـا حبَّـذا المَرْجـةُ الفَيحـا بـذِي شَـرَفِ وروَضُهـا الزاهِـرُ الزاهِـي البَهِـي البَهِـج
شَـفَا عَلِيـلَ الجَـوَى مَـرُّ النّسـيمِ بِهـا إذْ راحَ يَروِي الشَّذا عَـنْ عَرفِهـا الأرِجِ

❁ ولهُ: [من البسيط]

اِنْهَـضْ إلى المَرجـةِ الفَيحـاءِ مُبتهجًـا ونَـزِّهِ الطَّـرْفَ في أرجـاءِ دَوحَتِهـا
أمَـا بِهـا الرّوضَـةُ الغَنّـاءُ قـدْ جليـتْ جَلْـيَ المَليحـةِ في وَرْدِيٍّ حُلَّتِهـا

❁ ولِصديقِنا الفاضِلِ محمدِ بنِ عُثمانَ بنِ الشّمعَةِ: [من البسيط]

سِرْ بي إلى المَرجـةِ الخَضراءِ في زَمَـنٍ فيـهِ الرّبيـعُ أتَـى والزّهـرُ قـدْ نُـثِرا
واسْتَجْلِ طَرْفَـكَ في بـاهِي مَحاسِـنِها مـعْ شادِنٍ إنْ تَبَـدّى أخْجَـلَ القَمَـرا
فَكَـمْ بِهـا مِـنْ رُبًـا أزهارُهـا نَفَحَـتْ ومِـنْ غَديـرٍ حَكَـتْ حَصْباؤُهُ الـدُّرَرا

وسَيأتِي تَمامُ الكلامِ علَيها عِندَ ذِكْرِ الأوْدِيةِ إنْ شاءَ اللهُ تعالى[1].

١٢ـ التكيّة[2]:

وقريبٌ منها التّكيّةُ سَكَنُ أهلِ الطّريقِ، المُتّصلِ بِهمْ عنْ سيدِنا الصِّدِّيقِ، وهُمُ السادةُ المَوْلَويّة[3]، أصحابُ الطّريقةِ النّقْشَبَنْدِيّة. [من البسيط]

النـاسُ نَبْـتٌ وأرْبـابُ القُلـوبِ لَهُـم رَوضٌ وأهـلُ الحديـثِ المـاءُ والزَّهْـرُ[4]

---

(١) انظر صفحة: ٢٢٧.

(٢) هي التكية السليمانية شيّدها في موضع القصر الأبلق السلطان العثماني سليمان القانوني سنة ٩٦٢هـ شرقي المرج الأخضر، بين نهري بانياس وبردى. وقد حوّلت إلى متحف دمشق الحربي سنة ١٩٥٩م.

(٣) المولوية طريقة صوفية تنسب لجلال الدين الرومي (٦٠٤-٦٧٢هـ) اتخذت الرقص والموسيقى طريق الوصول إلى الله.

(٤) البيت لأبي عبد الله الحميدي. نفح الطيب ٤/٣٣٧.

ومكانُهُمْ تُضْرَبُ فيهِ كُوساتُ الفَخارِ، وتُنفَخُ في حَضْرَتِهِ بُوقاتُ المَهابَةِ والوَقارِ، وعلَيهِمْ خِرْقَةُ الإذلالِ والخُضوعِ، مُرتدينَ[1] ثِيابَ الاسْتِكانةِ والخُشوعِ، كلُّهُم مِنَ الوَجْدِ أوّاهٌ، ولَيسَ في قُلوبِهِم إلاّ الله، ونَمَطُهُمْ في الذِّكْرِ يَجْذِبُ القُلوب، ويَشُوقُ المُحِبَّ إلى لِقاءِ المَحبوبِ، ولقدْ أحْسَنَ كُلَّ الإحسانِ، مَنْ وَصَفَهُم بهذا الشأْنِ، فقالَ: [من البسيط]

١- ما مِثْلُ جِلِّقَ في الدّنيا ورَبْوَتِها إنْ ضِقْتَ ذَرْعًا تَمشِي نحوَ مَرْجَتِها

وإنْ تَرُمْ تَغْتَنِمْ يا صاحِ نُزهَتَها عَرِّجْ على المَوْلَوِيَّةِ يَومَ فُرْجَتِها

تَرَى دَراوِيشَها[2] يَحنوا ويَنتَصِبُوا

٢- فَلَيْتَ شِعْري مَنْ هَذا الّذي بِسَكَعُوا[3] إلَيهِ حتّى أطاعُوهُ وقدْ خَضَعُوا

أقُولُ واللهُ أدْرَى بالّذي صَنَعُوا كأنَّ مَحبُوبَهُم وافاهُمُ رَكَعُوا

شَوقًا إلَيهِ وإجْلالاً لهُ وَثَبُوا

٣- بَادَرَهُمْ بِسَلامٍ مِنْ تَحِيَّتِهِ لَمّا رآهُمْ علَى مِنْهاجِ سُنَّتِهِ

ومُذْ سَقاهُم كُؤوسًا مِنْ مَحبَّتِهِ هامُوا بِهِ فاسْتَدارُوا عِنْدَ رُؤيَتِهِ

دَوْرَ الرَّحاةِ وقدْ هَيَّجْهُمُ الطَّرَبُ[4]

وأمّا التّكيةُ: فهيَ مَلاعِبُ آرامٍ وغِزْلانٍ، ومَسارِحُ حُورٍ وَوِلْدانٍ، مَثوَى الحُبورِ والمَسَرّاتِ، ومُنتدَى السُّرورِ واللّذّاتِ. [من الطويل]

مَنازِلُ أُنْسٍ للأوانِسِ حبّذا لَدَى الصَّبِّ هاتِيكَ الرُّبا والمَنازِلُ

---

(١) الأصل: مترِدين.

(٢) الدرويش واحد الدراويش وهم أصحاب الطرق الصوفية، أو هو فَعْليل من الدَّرْشَة أي اللجاجة، إن كان عربياً بمعنى الفقير الشحاذ. متن اللغة.

(٣) جاء في تكملة المعاجم العربية لدوزي ١٠٧/٦: سكع لفلان: حياه بإحناء رأسه.

(٤) سكنت الجيم في كلمة (هيجتم) للضرورة الشعرية.

تَجُولُ في حَدائِقِها كتائِبُ الأزهارِ، كأنّها وَشْيٌ تَطَرَّزَ بزاهِي الوَرْدِ والبَهارِ، وبانياسُ يَجُوسُ خِلالَها، وعلَيهِ قدْ مَدَّتِ الأدْواحُ ظِلالَها، ودُولابُها يَئِنُّ أنِينَ الثَّكْلى، ويَحِنُّ حَنينَ العِشارِ صادَفَتْ مَحَلاًّ. [من الطويل]

١- ودُولابُها يَبكِي بِدَمعٍ يسيل[1] فَيَضْحَكُ ثَغرُ الدَّوحِ إنْ أبْطَأ القَطْرُ

٢- حَكَى حَرْفَ نونٍ خَطَّهُ قَلَمُ الجَلا بِحُسْنِ اعوِجاجٍ يَستقِيمُ بهِ السَّطرُ

٣- ويَحكِي إذا حَقَّقْتَ رَونَقُ شَكْلِهِ هِلالاً ونَجمَ الرّوضِ أنْجُمُهُ الزُّهْرُ

٤- وقَوْسًا بِأطْرافِ السِّهامِ مُفوَّقًا ورامِيهِ بَدرُ التِّمِّ إذْ بَزَغَ البَدْرُ

٥- وكَمْ يَزدَهي قَصرٌ بِشاطِئِ نَهرِها على حُسنِ ذاكَ القَصرِ يُستَحْسَنُ القَصْرُ

١٣- غُوطةُ دِمشقَ[2]:

هيَ كُورَةٌ تَشتَمِلُ على عِدّةِ قُرى مُشتبكَةِ الأشجارِ، مُتدفّقَةِ الجَداوِلِ والأنهارِ، وهيَ إحدَى الجِنانِ الأربَعِ[3]، لكنّها في الحُسْنِ أزهَى وأبْدَع، مَفوفَةٌ[4] بالبَساتِينِ الزّاهِيَة، والرِّياضِ الّتي بأنواعِ الرّياحِينِ زاهِية، حتى زَهَتْ على سائِرِ الرِّياضِ، وسَلِمَ جَوهَرُ مِياهِها

---

(١) كذا في الأصول: سائل. ولو جعلت (مُسَيَّل) لكان أصوب.

(٢) غوطة دمشق: هي كل ما أحاط بدمشق من قرى شجراء، وكان من الأرض المطمئنة، التي تروى من بردى، وما اشتق منه من الجداول والأنهار الصغيرة. انظر غوطة دمشق، محمد كرد علي، صفحة ١٦، والريف السوري ٨/٢.
وهي أكبر وأخصب واحة عُرفت من أقدم العصور في هذا الشرق، وأدت إلى ظهور أقدم مدينة مأهولة في التاريخ، وهي دمشق.

(٣) جنان الدنيا أربع: غوطة دمشق، ونهر الأبلّة، وشعب بوّان، وصغد سمرقند. ربيع الأبرار ١٩٦/١ باب الشجر والنبات والفواكه والرياحين والبساتين والرياض في الجنة. وفيه قال أبو بكر الخوارزمي: قد رأيتها كلها، فكان فضل الغوطة على الثلاث كفضل الأربع على غيرهن. كأنها الجنة صوّرت على وجه الأرض.

(٤) الفُوف والفُوفة: ضرب من برود اليمن، وقطع القطن، شبه البساتين بالفوف من الثياب. انظر القاموس (فوف).

مِنْ شوائِبِ الأعراضِ، فغَدَتْ حدائِقُها مُلتَثَمَ شِفاهِ الأنْهارِ، وأدواحُها مُعتَرَكَ وُفودِ قبائِلِ الأطيارِ، وقدْ أحاطَ بأكْنافِها الما، إحاطَةَ المَراشِفِ باللّمى، والهالَةِ بالقمرِ، والكَمامةِ بالزّهْرِ.

قالَ المَرحومُ السيدُ عبدُ الرحمنِ بنِ حَمزةَ[1]: [من الكامل]

لَلْغُوطَةُ الغنّاءُ أشْرَفُ رَبْوةٍ ... أضْحى بها عَيْشُ النَّزيلِ رَغِيدا

فلَو أنَّ شَدَّادَ بْنَ عادٍ حلَّها ... ما شادَ في ذاتِ العِمادِ عَمُودا[2]

غنَّتْ بها للوُرْقِ كُلُّ مُرنَّةٍ ... تَدَعُ الخَلِيَّ بِشَجْوِها مَعْمُودا[3]

فكأنّما غنَّى الغَرِيضُ ومَعْبَدٌ ... فِيها الثَّقِيلَ وَردَّدا تَرديدا[4]

❀ وقالَ[5]: [من الطويل]

سَقَى اللهُ أيامًا بِغُوطةِ جِلَّقٍ ... إلى أرضِها المَيْثاءِ مَسْرَى تَفَرُّجي

إلى تلَعاتِ السَّفْحِ مِنْ قاسيونِها ... مَدارِجُ داريّ الصَّبا المُتأرِّجِ

---

(١) ديوان ابن النقيب ٩٦.

(٢) جاء في حاشية الديوان: يقال إنه عاد الأول، وليس بعاد قوم هود. وهود وقوم هود من ولد ذلك. كان ملكاً عظيماً، وله ابنان هما: شداد، وشديد، فهلك عاد، فبقيا، وملكا البلاد، وأخذاها عنوة، ثم هلك شداد، فبقي شديد، فملك وحده، ودانت له ملوك الأرض، فدعته نفسه إلى بناء مثل الجنة، عتواً على الله سبحانه وتعالى، فأمر بصنعة تلك المدينة، إرم ذات العماد، فجمع فيها جواهر الأرض، فلما فرغ الصنَعة منها، جعلوا عليها حصناً، وحول الحصن ألف قصر، ثم سار الملك إليها بجنوده ووزرائه، فلما كان منها على مسيرة يوم وليلة، بعث الله عز وجل عليه وعلى من معه صيحة من السماء، فأهلكتهم جميعاً، و لم يبق منهم أحد. هذا ملخص القصة كما وردت في المظان التأريخية، وفي التنزيل العزيز: ﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد ❀ إرم ذات العماد ❀ التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾. سورة الفجر.

(٣) المعمود: المعشوق.

(٤) الغريض: عبد الملك من مولدي البربر، من أشهر المغنين في صدر الإسلام، ومن أحذقهم في صناعة الغناء، لقب بالغريض لجماله، توفي سنة ٩٥هـ. ومعبد: انظر الحاشية (١) صفحة ٢٠٩، والثقيل: ضرب من الغناء.

(٥) ديوان ابن النقيب ٦٣.

إلى مَرْجِهـا المُوشّـي غِـبَّ سَـمائِهِ　　إلى رَوضِهـا الأحْـوى الأغَـنِّ المُدبَّـجِ

١٤ـ وأما جِسرُ الغيضةِ[١]:

فَهُوَ أُنْمُوذَجُ تِلكَ الجِنانِ المَوسُومَةِ بالجَمـالِ، وعُنـوانُ شَـرَفِها الثـابتِ في صَحـائِفِ هاتِيكَ الظِّلالِ، وغُرَّةُ مُنتزَهاتِها الناضِرَةِ، وجَبهَةُ أندِيَتِها العاطِرَةِ، أدواحٌ تَختالُ كالعرائسِ، وتَرْفُلُ مِنْ أزهارِها بزاهِي الملابِسِ. [من الطويل]

رِيـاضٌ حكَـى بَـرْدَ اليمَـانِيِّ وَشْـيُها　　وشـاطي غَديرٍ مِثْـلُ حاشِـيةِ الـبُرْدِ[٢]

والماءُ يَشُقُّ تِلكَ الحدائِقَ شرقًا وغربا، ويَرُودُ شِعابَها شِعبًا فشِعبا. [من البسيط]

فَحَيثُ مـا جلْتَ تَلْقَـى رَوضَـةً أُنُفًـا　　مِنها ومِسْـكًا على الأرجـاءِ مَنهُوبـا[٣]

❁ ولِبَعضِ الشعراءِ مُزدَوَجَةٌ في جِلّقَ ومُنتَزهاتِها، مِنها:

١- بـاكِرْ إلى جَزيـرةِ الجِسْـرِ الـتي　　تَختـالُ في أفْنانِهـا كالجَنَّـةِ

ولا تَمِـلْ عـنْ وَجهِهـا لِوِجْهَـةٍ　　صِـفْ حُسْـنَها لِمائِهـا والخُضْـرَةِ

وقِفْ بِشاطيها ولا تَعَدّي

٢- واجلِسْ مِنَ المَرجةِ جَنْبَ الشـاطي　　مِـنْ فُـرُشِ النّـورِ علَـى البِسـاطِ

فهِـيَ مِـنَ التّدْبيـجِ في أمْـراطِ　　عَرُوسَـةٌ تَختـالُ بـالأقْراطِ

ومِنْ لآلِي نُورِها في عِقْدِ

---

(١) جسر الغيضة: جسر كبير بين الحديثة وجسرين على بردى، والغيضة هي غيضة السلطان، وحورها كان لا يستطيع الإنسان أن يدخل فيه لانضمامه. حاشية المنجد.

(٢) البيت لسرور بن الحسين الحلبي، يصف منتزهات حلب. خلاصة الأثر ٢/٢٠٧.

(٣) البيت لابن النقيب. انظر ديوانه صفحة ٣٠.

إلى أنْ قالَ:

٣- بلَـــدٌ لَهــــا التّعظِيــــمُ والجَلالَــــهْ بَــدْرٌ أنــــارَتْ واسْــتدارتْ هالَــــهْ

أُنْمُـــوذَجُ الفِــــردَوسِ لا مَحالَـــــهْ فِيهـــا علَــى الجَنَّـــةِ أيُّ دالـــهْ[1]

تُذَكِّـرُ النّـاسَ نَعِيـمَ الخُلْــدِ

١٥- الرّبْوةُ[2]:

الربوةُ ذاتُ المِنشارِ[3]، والنَّسائمِ المُعَطّرةِ بِطِيبِ الأزهارِ، وأنهارُهـا السّبْعةُ الّـتي تَمشِـي بهِ مَشْيَ الكواكِبِ في الفَلَكِ الدّوّارِ، والمَقاسِمُ الّتي تَطرُدُ الأحزانَ بسَلسالِها، وتَروِي حَديثَ الشِّفاءِ عـنْ عَسَّالِها، وسُرادِقاتُ الجَنكِ والعُودِ، ونافِحاتُ الزّهـرِ الّـتي تُضاهِي شَـذا العَنبرِ والعُــودِ، وصادِحاتُ أطيارِها الّتي أُعْطِيَتْ مِنْ مَزامِيرِ آلِ داوُدِ، وقـدِ اعْتنـتِ الشّعراءُ في وَصْفِهـا، وتَرنّموا بذِكْرِ جَنْكِها ودَفِّها[4]، فَمِنْ ذلكَ قَولُ المَرحومِ السيدِ عبدِ الرحمنِ بنِ حَمزةَ[5]: [من الكامل]

---

(١) في الأصل: دلالة. وأثبت ما يناسب الوزن.

(٢) الربوة: وهي أول منفسح الوادي الغربي، الآخذ إلى دمشق، وفيها يخرج بردى مـن سـجنه الضيـق، ولذلـك يقـال لهـا: خـانق الربوة، وعنها قال ابن بطوطة: هي من أجمل مناظر الدنيا ومنتزهاتها، بها القصور المشيدة والبسـاتين البديعة، وقـال عنهـا ابـن جبير: هي من أبدع مناظر الدنيا حسناً وإشراقاً، وإتقان بناء، ومنها يشرف الإنسان على جميع البساتين الغربية مـن البلـد، ولا إشراف كإشرافها حسناً وجمالاً واتساع مسرح للأبصار، وتحتها الأنهار السبعة، تتسرب وتسيح في الطـرق، فتحـار الأبصـار في حسن اجتماعها وافتراقها، وشرف هذه الربـوة ومجمـوع حسـنها أعظـم مـن أن يحيـط بـه وصـف واصـف. انظـر «جبـل قاسيون» للشيخ محمد أحمد دهمان، صفحة ١٠. وانظر صفحة ٢٠٣ من كتابنا هذا.

(٣) المنشار: صخرة عند فم الربوة. كتب أحدُهم عليها: اذكريني دائماً.

(٤) الجَنْك والدف (بفتح الدال كذا لفظ أهل دمشق) متنزّهان من متنزهات دمشق غربي المدينة، نهاية وادي الربـوة، وأول وادي مكرم عندما ينقسم نهر بانياس، وسُمّيا بهذا لشبههما من آلتَي الطرب الجَنك وهو الطنبور، والدف. انظر الصفحة ١٥٨، وغوطة دمشق ٧٢، ٧٣.

(٥) ديوان ابن النقيب، صفحة ٢١٥.

لله رَبْـوةُ جلّـق مِـن رَوضـةٍ ... لِلغُوطَتـين بهـا المَحَـلُّ الأشْـرَفُ
في كُـلِّ مَوقِـعِ لَحظَـةٍ مِـنْ دَوحِهـا ... مُلَـحٌ عليهِـنَّ الفُـؤادُ يُرَفْـرِفُ
نَهـرٌ تَجعَّـدَ في رُبًـا يُزْهَـى بِهـا ... غُصـنٌ يَميـسُ عليـهِ طَـيرٌ يَهتِـفُ
فكـأنَّ ذا دِرْعٌ وذا وَشْـيٌ وذا ... قَـدٌّ وذا شـادٍ هُنـاكَ يُشَـنِّفُ

❁ وقالَ الشيخُ محمدُ بنُ الشمعةِ: [من البسيط]

بـاكِرْ إلى الرَّبـوةِ الغنّـاءِ مَـعْ رَشَـأٍ ... بِـهِ زَمـانُكَ يَصْفُـو واغْنَـمِ الفُرَصـا
فـالجُنكُ والـدفُّ مُـذْ حَفّـا جَوانِبَهـا ... غَنّى بِها الطّـيرُ والغُصنُ النّـدِي رَقَصا

❁ وقالَ آخرُ[1]: [من الطويل]

لِرَبْوَتِنـا وادٍ حَـوَى كُـلَّ بَهجـةٍ ... فعَيشُ الـوَرَى يَحلُـو لَدَيْـهِ ويَعـذُبُ
تَـرُوقُ لنـا الأنهـارُ مِنْ تَحْتِ جُنْكِـهِ ... فـلا عَجَـبٌ أنّـا نَخُـوضُ ونَلعَـبُ

❁ الصّلاحُ الصّفديّ[2]: [من السريع]

انهَـضْ إلى الرّبـوَةِ مُسْـتَمتِعًا ... تَجِـدْ مِـنَ اللّـذّاتِ مـا يَكفِـي
فالطّـيرُ قَـدْ غنّـى علـى عُـودِهِ ... في الـرّوضِ بَـينَ الجَنْـكِ والـدَّفِّ

❁ بَدْرُ الدينِ الحلبي: [من الكامل]

كمْ تَحْـتَ جَنْـكِ الرّبـوةِ الفيحـاءِ مِـنْ ... دفٍّ زَهَـتْ أزهارُهـا بِشُـنُوفِها
سَقيًا لَهـا مِـنْ رَبـوةٍ مَـنْ حَـلَّ فِيـ ... ـهـا أطرَبَتْـهُ بِجَنْكِهـا ودُفُوفِهـا

---

(١) البيتان لمحمد بن يوسف شمس الدين الخياط. الوافي بالوفيات ٥/٢٨٧.

(٢) أعيان العصر ٣/٦٩٤.

❁ الشّرفُ القوّاسُ: [من الكامل]

سِـرْ بـي إلى الـوادِي وقِـفْ مُتنزّهًـا ... فـالجُنْكُ غنّـتْ فوقَـهُ الأطيـارُ
لَـو لَـم يَكـنْ هـوَ جَنّـةُ المَـأوَى لَنـا ... مـا كـانَ تَجْـري تَحتـهُ الأنهـارُ

❁ ابنُ نُباتَةَ[1]: [من الكامل]

بـالجُنكِ مِـنْ مَغنَـى دِمشـقَ حَمـائِمٌ ... في دَفِّ أشـجارٍ تَشُـوقُ بلُطفِهـا
فـإذا أشـارَ لَهـا الشَّـجِيُّ بِطَرفِـهِ ... غنّـتْ علَيـهِ بِجُنكِهـا وبِدُفِّهـا

١٦- [دَفُّ الزَّعفَرانِ والجنك]:

وبِذَيلِ الجَبلِ الغَربيِّ مِنَ الرّبوةِ دَفُّ الزَّعفَـرانِ والجَبـلُ الشّـرقِيُّ رأسُهُ مِثْـلُ الجَنـكِ، ولِهذا قِيلَ فِيهما: الدّفُّ والجَنكُ، وا للهُ أعلمُ، وسيأتِي نُبذَةٌ مِـنَ الكـلامِ علـى الرّبـوةِ عِنـدَ ذِكْرِ الأودِيةِ إنْ شاءَ ا للهُ تعالى[2].



(١) ديوان ابن نباتة ٣٣٣.

(٢) انظر صفحة: ٢٠٣.

وأمّا أنهارُها الأصُولُ المشهورةُ، فأخبارُهـا في الدّواويـنِ مَسطُورَة، فَلنُوردْ شيئًا مِنها، ونَروِ حَديثَ التسلْسلِ عنها.

❁ قالَ بَعضُهم: [من البسيط]

شَوقِي يَزيدُ وقلبُ الصَّبِّ ما بَرَدا ... وبانَ ياسٌ مِنَ المَعشُوقِ حِينَ غَدا

ومَدمَعِي قنَواتٌ والعَذُولُ حكَى ... ثَوْرا يلُومُ الفتَى في عِشْقِهِ حَسَدا

علَى مُغنّيةٍ بالجَنكِ جاوَبَها ... شبَّابةٌ كمْ بِها مِنْ عاشِقٍ سَهِدَا

فالبَدْرُ جَبهَتُها والرِّدْفُ رَبوَتُها ... وخِلُّها ماتَ مِنْ خَلخالِها كَمَدا[1]

قولُه (مُغنّيةٌ): يَعنِي نَهرَ المزَّةِ، و(شَبابةٌ): نَهرَ الدّاراني.

❁ وقالَ الأستاذُ: [من الطويل]

١- على السّبعةِ الأنهارِ مِنْ جانِبِ الغربِي ... بِوادِي دِمشقَ الشامِ مُفْرجَةِ الكَرْبِ

٢- ومَوسِمُ آمالِ الفتَى ومُنَى المُنَى ... وعِيدُ التّهاني والتواصُلِ والقُربِ

٣- فنَهْرٌ لِداريّا تَسلْسَلَ ماؤُهُ ... زُلالاً فَما أشْهاهُ في لذَّةِ الشُّرْبِ

٤- ومِنْ دُونِهِ نَهرُ القَناةِ بِمِزَّةٍ ... صَفا جارِيًا في الصَّخْرِ مِنْ كَدَرِ التُّرْبِ

٥- ولِلقَنَواتِ الغُرِّ نَهْرٌ إذا جَرَى ... حَسِبْتَ حُسامًا مُطلَقَ الحَدِّ في الحَرْبِ

٦- وإلاّ حَسِبْتَ الصِّلَّ يَنسابُ في الرُّبا ... خِلالَ غُصونٍ رُكَّعٍ خَشْيَةَ الرَّبِّ

٧- لَقدْ فاضَ نَهرُ البانياسِ بمائِهِ ... كَما فاضَ دَمْعُ العَيْنِ مِنْ فُرقَةِ السِّرْبِ

٨- وفي وَسَطِ الوادي تَرَى بَردى لَهُ ... هنالِكَ صَوتٌ زادَ في الخَبْطِ والضَّرْبِ

٩- ومِنْ فَوقِهِ ثَوْرا جَرَى نَهرَ فِضَّةٍ ... بِدَرْبٍ صَفا مَجْراهُ ناهِيكَ مِنْ دَرْبِ

---

(١) الأبيات في نفح الطيب ٤١١/٢ من غير عزو.

١٠- ونَهــرُ يَزيــدٍ فَوقَــهُ زادَ رَونَقًــا | وليسَ لهُ في العُجمِ مثلٌ ولا العُـرْبِ
١١- سَقَى اللهُ وادي الشـامِ غَربيَّ جِلّـقٍ | وحيَّاهُ مِـنْ وادٍ قَضَيْتُ بِـهِ إرْبِـي

❁ ولَهُ يذكُرُ السّبعةَ الأصُولَ، وزادَ نهرَ عقربا الّذي يَقْسِمُهُ بـرَدى في آخرِ المَيْدانِ الأخْضرِ، قولُهُ: [من الخفيف]

١- نَبَّهتْنـا ذاتُ الجَنـاحِ عَشِـيَّةْ | في رُبـا قاسـيونَ والصَّالِحيـهْ
٢- وسَـرَتْ نَسْـمةُ الرِّيـاضِ علَينـا | فأثـارَتْ روائِحًـا عَنبريّـهْ
٣- يـا سَـقَى اللهُ سَـفْحَ قاسُـونَ لَمّـا | فيـهِ بِتْنـا بليلَـةٍ ألْيلِيّـهْ
٤- وعلَينـا لِلبَسـطِ مُـدَّ رُواقٌ | ولَنـا رُتبَـةُ الكمَـالِ عَلِيّـهْ
٥- وبـدَتْ خُضْـرَةُ الرُّبـا كبِسـاطٍ | مِـنْ حريـرٍ أطرافُـهُ سُندُسِـيهْ
٦- تـتَراءَى بُيـوتُ جِلّـقَ فِينـا | والبسـاتِينُ والرِّيـاضُ البَهيّـهْ
٧- شـامُنا شـامَةُ البِـلادِ وأمّـا | نَبْتُهـا فـالعَوارِضُ المِسْـكِيّهْ
٨- وثُغـورُ الميـاهِ تَبْسُـمُ مِنهـا | عـنْ شِـفاهٍ ذاتِ الـزُّلالِ شَـهِيّهْ
٩- بـانَ يـاسُ القِيـاسِ عـنْ قنَـواتٍ | صـارَ مِنهـا يَزيـدُ لَطْـفَ السَّـجيهْ
١٠- حيـثُ ثَـوْرًا بهـا يَخُـورُ وأضْحَـى | بَـردى بـارِدَ الرُّبـا المَحْمِيّـهْ
١١- وجَـرى عَقْرَبـا كَعقـربِ صُـدْغٍ | فَـوقَ أُخْـدُودِ مَرجَـةٍ مَلْويّـهْ
١٢- وقَنـاةٍ لِمَـزّةٍ كَقَنـاةٍ | بأنابيبِهـا جَـرتْ فِضّيّـهْ
١٣- رَقَّـمَ الرِّيـحُ صَفحـةَ الدّارانِـي | فَرأينـا زَخارِفًـا عَبْقَرِيّـهْ
١٤- وصَبـا الرَّبـوَةِ الّـذي بَـثّ فِينـا | عِندمـا جـاءَ نَفحَـةً عِطْرِيّـهْ
١٥- ونَعِمْنـا بِمـا شَـمَمْنا وطِبْنـا | نَحـنُ والصّحـبُ بِـالأُمورِ الرَّضِيّـهْ

❁ ولهُ: [من الخفيف]

١- إنّ طِيبَ الهَوى هَواءُ السَّواقي … فَهوَ كالرّوحِ دَبَّ في الأجْسادِ

٢- جاءَنا بالعَبيرِ مِنْ كُلِّ رَوضٍ … فيهِ طَلْقُ الشّذا بغيرِ قِيادِ

٣- وجَواري المِياهِ تَركُضُ فِيهِ … حَولَنا رَكْضَ صافِناتٍ جِيادِ

٤- أينَما كُنتَ مِنهُ تَسمَعُ صَوتًا … مُطرِبًا بالخَريرِ والتَّرْدادِ

٥- ظِلُّهُ لا يَزالُ فيهِ ظَلِيلاً … كُلَّ حِينٍ علَى أتَمِّ مُرادِ

٦- وطُيورُ الغُصونِ فيهِ تَغَنَّتْ … بلُحونٍ لَها على الأعوادِ

٧- هوَ غَربيُّ جِلَّقٍ وهوَ شَرْقٌ … لِشُموسِ العَطاءِ والإمدادِ

٨- وهوَ بابُ النّسيمِ في الشامِ مِنهُ … نَفَسٌ طَيِّبٌ لِجِسْمِ البِلادِ

٩- مُنعِشٌ بالهُبوبِ كُلَّ عَليلٍ … وبتَرْطِيبِهِ يُرَوِّي الصّادِي

١٠- حبّذا حبّذا مَجالِسُ أُنْسٍ … فيهِ كانتْ لَنا بأهْلِ الوِدادِ

١١- طابَ فِيها النّهارُ حُسْنًا وراقَتْ … نَغَماتُ الإنشاءِ والإنشادِ

١٢- رَبوةُ الشامِ قد حَوتْ مَهْدَ عِيسَى … مَهَّدَتْ بُسْطَنا أتَمَّ مِهادِ

١٣- وأرتْنا بِسَبعِ أنهارِ ماءٍ … سَبعَ أفلاكِ سِرٍّ سَبْعٍ شِدادِ

١٤- فيَزيدُ الجَوى ويكشِفُ نُورا الـ … ـقلبِ عَنْ كُلِّ لاعِجٍ مُسْتَفادِ

١٥- بَرَدى بَرَّدْتَ غَليلِيَ حتّى … بانَ ياسُ العَذُولِ والحُسّادِ

١٦- ثُمَّ داراني الرّقيبُ فسَالَتْ … قَنَواتٌ مِنَ المَعاني الجِيادِ

١٧- وجلَتْ مِزّةُ الهَوى بقَناةٍ … فغزَوْنا بِها قُلوبَ الأعادِي

١٨- يا رَعَى اللهُ ذلكَ العَهدَ مِنّا … وسَقاهُ بِصَوبِ كُلِّ عِهادِ

١٩- وحَمَى جِيرَةَ الحِمَى مِنْ رُباهُ ذلكَ الغَضُّ عَنْ أيادٍ عَوادِي

٢٠- لِيَدُومَ الهَنَا لأهلِ دِمَشقَ هَاهُنَا سالِمًا مِنَ الأنكادِ



وأمّا المَهْدُ:

فَفِي كِتابِ أبي الحَسَنِ الرَّبْعِيِّ في «فَضائلِ دِمشقَ»[1]، عنْ عليٍّ بنِ أبي طالِبٍ رَضِيَ ا للهُ تعالَى عنهُ، قالَ: سَمعتُ رسولَ ا للهِ ﷺ، وَسألهُ رَجُلٌ عنِ الأمـاراتِ بدِمَشقَ، فقالَ: «بها جَبلٌ يُقالُ لهُ قاسيونُ، فيهِ قَتلَ ابنُ آدمَ أخاهُ، وفي أسفلِهِ في الغَربِ وُلِدَ إبْراهِيمُ، وفيهِ آوى ا للهُ عِيسَى بنَ مَريمَ وأمَّهُ منَ اليهودِ، وما مِنْ عبدٍ أتى مَعقِلَ روح ا للهِ، فاغتسلَ وصلّى ودَعا، لَمْ يَرُدَّهُ ا للهُ خائِبًا... وفيهِ احترَسَ يَحيى بنُ زكريّا مِنْ هَدّار، رجلٍ مِنْ عادٍ... وقدِ احترَسَ فيهِ إلياسُ النّبيُّ منْ مَلِكِ قَومِهِ، وفيهِ صلّى إبراهيمُ ولُوطٌ[2] ومُوسَى وعِيسَى وأيّوبُ، فلا تَعجَزوا في الدعاءِ فيهِ».

❁ وعنْ كَعبِ الأحبارِ أنّهُ قالَ: هو مَوضِعُ الحاجاتِ والمَواهِبِ مِنَ ا للهِ تَعالَى، لا يَرُدُّ سائِلاً فيهِ[3].

❁ وعنِ ابنِ عَباسٍ في حديثٍ طويلٍ: «.. ومَنْ أرادَ أنْ يرَى ﴿وآويناهُما إلى رَبوةٍ ذاتِ قرارٍ ومَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠]، فَليأتِ النّيرَبَ الأعلَى بَينَ النّهرَينِ، وليصعدْ إلى الغارِ في جَبلِ

---

(١) فضائل الشام ودمشق، صفحة ٥٦، وقال الشيخ ناصر في تخريجه، صفحة ١٠١: قلت: حديث منكر.

(٢) كلمة (ولوط) ليست في كتاب الربعي المطبوع.

(٣) فضائل الشام، صفحة ٥٨.

قاسيونَ، وليُصلِّ فيهِ[1]، فإنّهُ بَيتُ عِيسَى وأمِّهِ، وهوَ كانَ مَعقِلَهُم منَ اليهودِ، ومَنْ أرادَ أنْ ينظُرَ إلى إرَمَ، فليأتِ نَهرًا في حَفْرِ[2] دِمشقَ، يُقال لهُ بَردى»[3]. انتهى.

❁ وفي المَهدِ يقولُ صديقُنا البارعُ مُصطفَى اللُّقَيْمِيُّ: [من الكامل]

يـا حبّـذا المَهـدُ الأنيـسُ فإنّـهُ ... سـامِي المَقـامِ سَـنًا وزاهِـي المَشـهَدِ

فَمَطـالِعُ الأنـوارِ مِـنْ آفاقِـهِ ... تَدعُـو السَّـراةَ إلَـى عَذِيـبِ المَـوْرِدِ

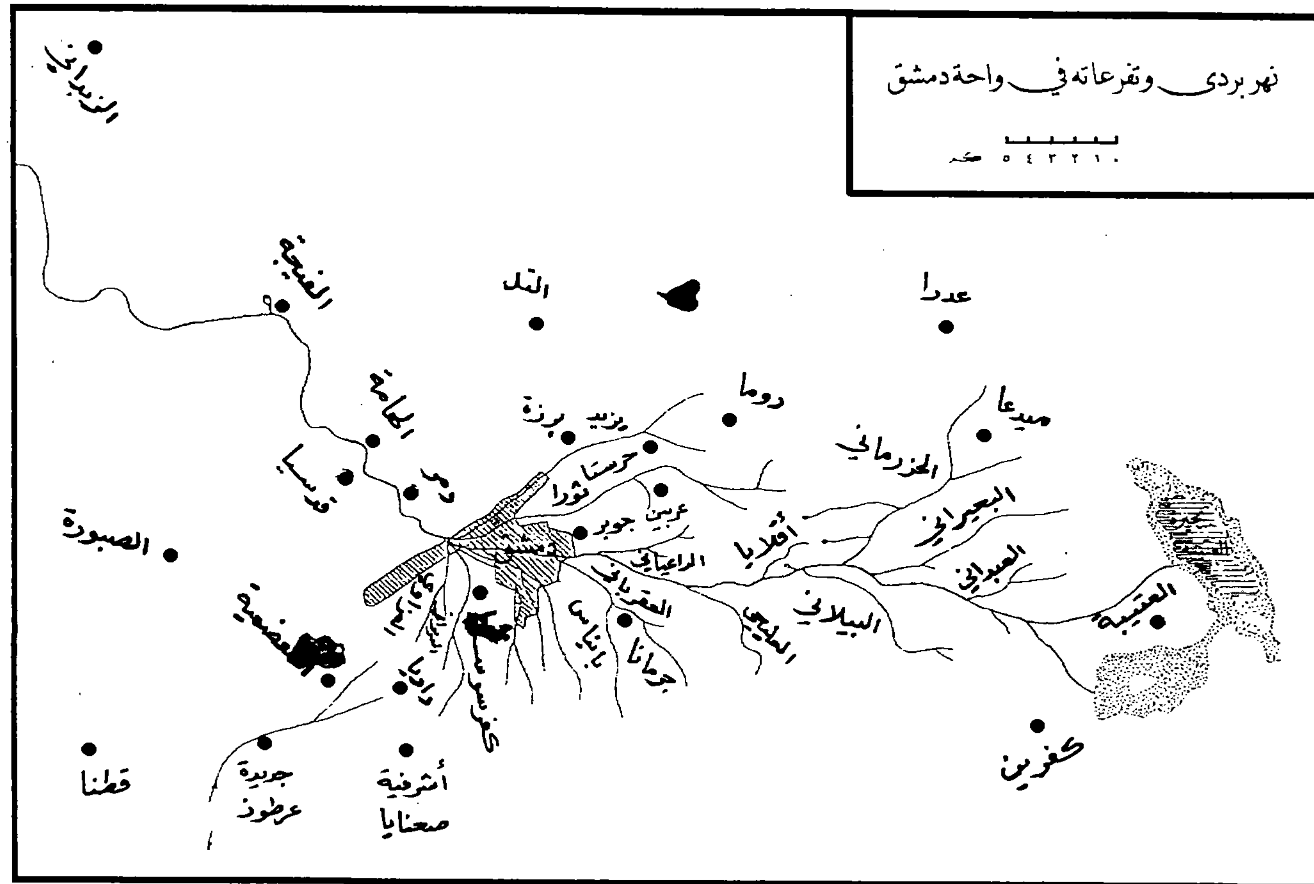
فـارفَعْ بـهِ كَـفَّ السُّـؤالِ مُرَجِّيًـا ... حُسـنَ القَبُـولِ وطِيـبِ نُجْـحِ المَقصَـدِ



(1) في (أ) و (ب): ويصعد إلى الغار.. ويصلي فيه.

(2) في فضائل الشام: في حصن.

(3) تقدم الحديث مع تخريجه صفحة ٢٢.


نهر بردى وتفرعاته في واحة دمشق
٠ ١ ٢ ٣ ٤ ٥ كم
الزبداني
الفيجة
التل
عدرا
الهامة
دوما
برزة
حرستا
ثورا
ميدعا
الجزرماني
البعيراني
عربين جوبر
أقلابا
الداعياني
دمشق
قدسيا
الصبورة
العقرباني
العتيبة
البيلاني
العباني
الطيبي
بانياس
جرمانا
المعضمية
داريا
كفرسوسة
كفرين
قطنا
جديدة عرطوز
أشرفية صحنايا

فصلٌ
في ذِكرِ الأنهارِ وتَقسيمِها
وَذِكرِ أصُولِها السّبعةِ وما ينقسِمُ مِنها

حَسبَ ما وقَفْنا عليهِ منْ أربابِهِ والتقَطناهُ منْ أفواهِ أهلِ القُرى والأراضي
وبا للهِ التوفيقُ

١ـ إعلَمْ أنّ أصلَ ماءِ دِمشقَ منْ **نهرِ بردَى**[1]، الخارجِ منْ صَدْعِ جبلٍ دُونَ قريةِ الزّبداني، منْ عَينِ التّوتِ، ثمّ يَنضمُّ لهُ **عَينُ الفِيجةِ**، الّتي تَخرجُ منْ جَبلٍ عِندَ قريةِ الفِيجَةِ، بصَوتٍ هائلٍ، ودَويٍّ عظيمٍ، فتَصُبُّ في نهرِ بردَى، حتّى يكونَ نهرًا طامِيًا، ثمّ يَنقسِمُ إلى سَبعةِ أقسامٍ، أنهارًا كِبارًا، بإتقانٍ مُحْكَمٍ، فيَختصُّ كلُّ نهرٍ مِنهُم بناحِيةٍ، ويتَكفّلُ سَقْيَ أراضِيها ورياضِها، فيكونُ الماءُ مُسلّطًا علَيها منْ جَميعِ جِهاتِها، وهذا منْ خُصوصِياتِ دِمشقَ، ولا يوجدُ هذا الإتقانُ والترتِيبُ في غيرِها، وا للهُ أعلمُ.

---

(١) نهر بردى: نهر دمشق، ينبع من سهل الزبداني، من السفوح الشرقية لجبال لبنان، ويصب في بحيرة (العتيبة) من غوطة دمشق، يبلغ طوله (٧٠) كم، وتقوم على مجراه أراضٍ زراعية خصبة وقرى عامرة، ويتفرع عند مداخل دمشق إلى سبعة أنهار فرعية، ويرفده نبع الفيجة، على بعد (٢٠) كم من دمشق، وسُمي «بردى» لبرودة مائه. انظر خطط دمشق لصلاح الدين المنجد صفحة ٢٣.

٢- فأوّلُ ما يُقسَمُ منْ بردَى نَهْرُ يَزيدَ[١]، عندَ قريةِ الهامةِ[٢]، وهِيَ أحدُ مُنتزَهاتِ دِمشقَ الأنيقةِ، ذاتِ الحدائِقِ الغَضّةِ الوَريقةِ، والرّياضِ الّتي تَستوقِفُ الناظِرَ، وتَشرَحُ الصدرَ والخاطِرَ، وأهلُ جلّقَ يَتخِذُونَها مُنتدَى أفراحِهِمْ، وتَرويحَ أرواحِهِمْ، سِيّما أيامَ المِشْمِشِ[٣] البلدِيِّ، فإنّها اختُصَّتْ بحُسنِهِ دُونَ سِواها منَ القُرَى والرّياضِ.

وفي نَهرِ يَزيدَ يقولُ الشاعِرُ[٤]: [من الكامل]

لِرياضِ جلّقَ تحتَ نَهرِ يَزيدِ ... قُمُصٌ تَزيدُ على بُرودِ يَزيدِ[٥]

عَبَثَ النّسيمُ بصَقلِها فتنفّسَتْ ... في وَجهِ دافِقِ نَهرِها المَوْرُودِ

فَتَقَطّبَتْ جَلَدًا أسِرّةُ وَجْهِهِ ... جَلَدَ المُصابِ بسَهمِ لَحظِ الغِيدِ

٣- ثمّ يَقْسِمُ نهرَ المِزّةِ[٦] قبلَ وُصولِهِ إلى قريةِ **دُمّرَ**[٧] بِنصْفِ فَرْسَخٍ.

---

(١) نهر يزيد: يتفرع من بردى، من الجهة اليسرى، على بعد ٤٠٠ م جنوب قرية الهامة، وبعد اجتيازه الربوة يجري في أراضي الصالحية (شمال الدواسة)، وهو أول بستان بعد خانق الربوة، وجنوب أراضي دير مران، ثم يخترق الضواحي الشمالية لدمشق، ماراً من المهاجرين والشركسية وركن الدين، ثم يتابع طريقه إلى القابون، وينقسم إلى قسمين: قسم لأراضي حرستا، وقسم لري أراضي القابون، وأخيراً ينتهي في مجرى سيلي جاف مؤلفاً بذلك حداً فاصلاً بين الأراضي المروية، والأراضي الجافة التي تسقيها (عين منين)، وطوله ١٦ كم. انظر خطط المنجد. وكتاب نهر يزيد من جمع وإعداد أحمد الفضل عيد.

(٢) الهامة: قرية على بعد ١٣ كم شمال غرب دمشق، تتبع ناحية قدسيا، وهي ذات بساتين كثيرة، مزروعة بالأشجار المثمرة، يخترقها بردى من وسطها، وهي الآن تتوسع عمرانياً في كل الاتجاهات. انظر المعجم الجغرافي ٥/٤٤٣.

(٣) أيام المشمس هي أواخر شهر أيار وشهر حزيران.

(٤) الأبيات لابن النقيب. الديوان، صفحة ١٠٢.

(٥) الديوان: على برود تزيد.

(٦) نهر المزة أو المزاوي: قناة المزة، وهو فرع من بردى، يسقي أراضي المزة وما يحيط بها، ينفصل عن بردى عند دمّر. المنجد.

(٧) دمر: قرية كبيرة، من ضواحي دمشق، وهي الآن حي من أحيائها، اشتهرت بجمال موقعها ونقاء هوائها، وتعدد أنهارها وجداولها، وامتازت بكثرة متنزهاتها، تبعد عن دمشق ٧ كم، وترتفع عن سطح البحر ٧٢٥م.

وفي دُمَّرَ يقولُ صديقُنا اللُّقَيمِيُّ: [من الطويل]

مَرَرْنــا صَباحًــا والرِّفــاقُ بِدُمَّــرٍ وزَهْرُ الرُّبـا مِـنْ عَرْفِـهِ الطِّيْـبَ يَنْفَـحُ
وأدواحُهـا تَزهُــو بِمَيْــلِ غُصونِهــا إذا مـا بهـا وُرْقُ الحَمــائِمِ تَصــدَحُ
فأشْـجَتْ فُــؤادِي المُسـتَهامَ لأنّهــا لِمَـتنِ غَرامِــي[1] بالصَّبابَــةِ تَشــرَحُ

وفي الحقيقةِ أنّ دُمَّرَ ورياضَها مَواسِمُ الهَنا، ومواطِنُ أهلِ الخلاعَةِ لِنَيلِ المُنَى، نَسِيمُها يَشفِي جوَى العليل، وحدائِقُها تَرُدُّ الطَّرْفَ وهو كَليل، وثِمارُها منْ ثِمارِ الجِنان، كأنْ قـدْ أهداها لأهلِ جِلِّقَ سيدُنا رضوان. [من البسيط]

حدائِــقٌ أحدَقَتْهــا للمُنَــى شَــجَرٌ خُضْـرٌ وأوديَــةٌ حُفَّــتْ بِرَوضــاتِ
وللمِيــاهِ ابتِســامٌ في جَداوِلِهــا كمـا تُشَـقُّ جُيــوبٌ فَـوقَ لَبَّـاتِ[2]

٤- ثم يَقْسِمُ نَهرَ الدّارانِي[3]، بعدَ قَطْعِهِ جسرَ دُمَّرَ وعِندَ هذا المَقْسَمِ تنقَسِمُ الهُموم، وتَطْرُدُ شياطِينَها لِمَا تتناثَرُ مِنهُ شُهْبُ النُّجوم، وهنالِكَ حَدائِـقُ تـأخُذُ بالأبْصار، وتَجلِبُ المَسرَّاتِ، وتُبْعِدُ الأكدار. [من الكامل]

حَيـثُ المِيــاهُ تَرقرَقَــتْ في جَـدْوَلٍ مِثْـلَ اللُّجَيْـنِ علَـى طِـرازٍ مُذَهَّــبِ
والريحُ تَرْكُـضُ في الرِّيــاضِ خُيولُهــا وتَظَــلُّ في زُمَــرٍ وحُسْــنِ تَشَــبُّبِ

---

(١) يشير إلى منظومة «غرامي صحيح» في ألقاب الحديث تأليف أحمد بن فرح الإشبيلي نزيل دمشق المتوفى سنة ٦٩٩، وتعرف بالقصيدة الغرامية لقوله في أولها:

غرامـي صحيـحٌ والرجـا فيـك معضـل وحزنـي ودمعـي مرسـلٌ ومسلسـل

وعليها عدة شروح. الرسالة المستطرفة ٢٨٣.

(٢) البيتان لذي الوزارتين محمد بن أحمد بن رحيم. خريدة القصر (المغرب) ٣/٤٠٥.

(٣) نهر داريا: أو الداراني، ينفصل عن بردى بالقرب من الشادروان، فيسقي أراضي المزة، وداريا: انظر خطط دمشق، لصلاح الدين المنجد، صفحة ٣٢.

٧- ثم يَقسِمُ **نَهرَ بانياسَ**[١]، عِندَ الدَّفِّ والجَنكِ، وهُنا نِهايةُ وادي الرّبوةِ، وأوّلُ وادي مَكرَمٍ الآتي ذِكرُهُ[٢].

❁ وفي نَهرِ بانياسَ يقولُ ابنُ فَضْلِ اللهِ: [من السريع]

إنْزِلْ ببانـاسَ فَفِـي نَهـرِهِ   سِرٌّ بـهِ تُجلَى عَرُوسُ السُّرورِ
واسْمَعْ حَديثَ المـاءِ في جَرْيِـهِ   فإنّـهُ يَشْفِي غَليلَ الصُّدورِ

❁ وفيهِ، وفي نَهرِ يَزيدَ يقولُ بَعضُهم[٣]: [من الطويل]

تَهدَّلَ مِنْ بانـاسَ شَطٌّ إلَى الفَلا[٤]   فأصْبَحَ كـالمفلوجِ سـالَ لُعابُـهُ
وفي تَلعـاتِ الصَّخرِ قـدْ شَقَّ نَهرَهُ   يَزيـدُ فصَـانَتْ ضِفّتيـهِ هِضَابُـهُ

وهذِهِ الأنهارُ مِنها أربعةٌ غَربيّةٌ؛ وهيَ نَهرُ دارَيا، ونَهرُ المِزّةِ، ونَهرُ القنَواتِ، ونهرُ بانياسَ، واثنانِ شَرقيانِ؛ وهُما نهرُ يزيدَ، ونهرُ ثَورا، وبرَدى مُمتَدٌّ بَينَهُم في وَسَطِ الوادي، يَجري بَينَ حدائِقَ ورَوْضاتٍ، حتّى ينفُذَ نُفوذَ السّهمِ منْ صَدْرِ الباز إلى المَيدانِ الأخْضَرِ. [من الطويل]

غِياضٌ يَفيضُ المـاءُ في عَرَصَاتِهـا   فَتزهُو جَمـالاً عِنـدَ ذاكَ وتُزهِـرُ
تَرَى بَـردى فيهـا يَجـولُ كأنّـهُ   وحَصْباءَهُ سَيفٌ صَقيلٌ مُجَوهَرُ[٥]

---

(١) بانياس: الفرع الثاني من بردى الداخل إلى وسط المدينة، يتفرع من بردى عند مخرج بردى من خانق الربوة متجهاً إلى دمشق، كان يروي بعض أحيائها.

(٢) انظر صفحة: ٢٠٥.

(٣) البيتان لابن النقيب. الديوان، صفحة ٥٣ و ٥٤.

(٤) جاء في هامش الديوان: الشط: جانب النهر، وجانب الوادي، والجمع شطوط، و لم يسمع من عربي شط بمعنى النهر، والشاعر يريد هنا بالشط النهر، وهو غير جائز. وقد استخدم هذا الشيخ عبد الغني النابلسي، انظر صفحة (٣٩).

(٥) البيتان لسيف الدين المشد الديوان صفحة (٨٠)، وهما في. نفح الطيب ٤٠٩/٢.

يَسيرُ وقد ضمَّتهُ قَناطِرُ قدِ انْعقَدتْ عليهِ، كأنّها عُيونُ الجآذِرِ تَرنُو إليهِ[1]. [من الكامل]

حيثُ القناطِرُ ألّفَتْ عَيْناتُها[2] ... وَاوَاتِ أصْداغٍ لُوِيْنَ كَدَالِ

أو حيثُ أشبَهتِ القِسِيَّ وقدْ رَمتْ[3] ... تَرمِي مَجارِيْها بِنَبْلِ زُلالِ

ما بينَ أزهارٍ رَوَتْ أغصانُها[4] ... خبَرًا عنِ الأسحارِ والآصالِ

[تفرعات نهر بردى]

١(٨) - ثُمّ يَقسِمُ في آخِرِ المَيدانِ الأخضَرِ **نَهرَ عَقْرَبا**[5]، وقدِ اختَصَّ بِسَقْيِ رِياضِ ورُبا، وقَرْيَتُهُ المُسمَّى بِها، وقدِ انفَصل يرسُمُها، والحدائقُ منْ طَرَفَيْهِ تَستَسقي جَدواه، فَتضحَكُ ثُغورُ الأزاهِرِ لِوُرودِهِ ولُقياه، وعليهِ مِنَ الأدواحِ ظِلٌّ مَمدود، وأطيارٌ تشهدُ بِوَحدانيةِ المَلكِ المَعبود[6]. [من الكامل]

نهرٌ يَهيمُ بِحُسنِهِ مَنْ لمْ يَهِمْ ... ويُجيدُ فيهِ الشِّعرَ مَنْ لمْ يَشْعُرِ

ما اصفرَّ وَجهُ الشّمسِ عندَ غُروبِها ... إلاّ لِفُرقَةِ حُسْنِ ذاكَ المَنظَرِ

---

(١) الأبيات لشهاب الدين ابن الخلوف. الديوان ٢١٧.

(٢) الديوان: ألفت وجناتها.

(٣) الديوان: وقد غدت.

(٤) في الأصل: لوت أغصانها، والمثبت من الديوان.

(٥) ورد ذكره في تاريخ ابن عساكر باسم (نهر المجدول) ويسمى اليوم (العقرباني)، نسبة إلى قرية (عقربا)، ينفصل عن بردى في المرجة (ساحة الشهداء)، ثم يمر بشمال قلعة دمشق، إلى (بين السورين)، ثم يماشي المدينة، فيصل إلى (باب السلامة: باب السلام)، ثم يمر بالصفوانية (الصوفانية بلغة العامة)، ثم يمضي فيسقي أراضي جرمانا وعقربا وبيت سحم. انظر خطط دمشق للمنجد، صفحة ٣٦.

(٦) البيتان لمحمد بن إدريس، المعروف بابن مرج الكُحل، من قصيدة قالها بنهر الغنداق في لوشة بالأندلس. المغرب ٣٧٣/٢، نفح الطيب ٥٢/٥.

٢(٩) - ثم يَقْسِمُ **نهرَ داعية**[١]، لَعَمْري إنّ مكانَ مَقسَمِهِ لِلمَسرّاتِ داعِيةٌ، كلُّهُ رِياضٌ وارِفةُ الظّلال، وأطيارٌ تَنفُثُ السِّحرَ الحلال، تتمتّعُ الأبصارُ بمَحاسِنِ بَدائِعِ حدائِقِها، وتَتعطّرُ النّفوسُ مِنْ وَردِها الزّاكي وشقائِقِها[٢]. [من المتقارب]

كأنّ الشُّعاعَ علَى مَتْنِهِ ... فِرِنْدٌ بصَفحةِ سَيفٍ نَدِي[٣]

وأشبَهَ إذْ درَّجَتْهُ الصَّبا ... بُرادَةَ تِبْرٍ علَى مِبْرَدِ

٣(١٠) - ثُمّ يَنحَدِرُ بردى إلى فَمِ الوادي الشرقي، وعلَيهِ مِنَ الأدواحِ مَواكِب، والعُيونُ تَرْمُقُهُ مِنْ كُلِّ جانب، فيقْسِمُ هنالِكَ **نَهرَ المَنيحي**[٤]، وهو نهرٌ طامي[٥]، عِصامِيُّ الثّروةِ لا عِظامي، يَجري بَينَ رياضِهِ كالهائِمِ المُستَهام، حتّى يُقْسَمَ عِدّةَ أقسام، وعِندَ مَقْسَمِهِ رياضٌ هيَ مِفتاحُ السرور، وكَنزُ المَسرَّةِ والحُبور، فازَ مَنْ تَعطّرَ بأرجِ عَبيرِها الفائِحِ، وشنّفَ مَسامِعَهُ بِنَغَماتِ طُيورِها الصّوادِحِ. [من البسيط]

ذو شاطِئٍ راقَ غِبَّ القَطْرِ فهوَ علَى ... نَهرِ الأُبُلَّةِ يُزْري أيَّ إزراءِ

---

(١) نهر داعية أو الداعياني: نسبة إلى قرية داعية الدائرة، وتقع في أراضي حمورية، ينفصل عن بردى في الصفوانية، فيسقي طرفاً من أراضي جوبر، ويتفرع منه ثلاثة أنهر أخرى:

١- الأول ينفصل عن الداعياني عند طاحونة العبد، ويسقي أراضي عين ترما وكفر بطنا.

٢- والثاني ينفصل عن الداعياني بالقرب من عين ترما، ويسقي أراضي سقبا وحمورية والأفتريس وبيت سوا.

٣- الثالث وينفصل عن الداعياني، بالقرب من عين ترما، فيسقي قسماً من أراضي كفربطنا وحسرين والمحمدية.

انظر خطط دمشق للمنجد، صفحة ٣٧.

(٢) البيتان التاليان لابن قلاقس الديوان صفحة ٤٠٢. معاهد التنصيص ٢/٩٥.

(٣) معاهد التنصيص: سيف صدي.

(٤) نهر المليحي أو المنيحي: ينفصل عن بردى بالقرب من طاحون (الأحد عشرية)، على بعد ٤٠٠ متر من باب شرقي، ويسقي أراضي المليحة، وبلاط، والخيارة، ودير بحدل.

(٥) طامي كذا للسجع.

كأَنَّـهُ عِنـدَ تَفريـكِ النَّسِـيمِ لَـهُ   فِرِنْـدُ سَـيفٍ نَضَتْـهُ كَـفُّ جَـلاَّءِ[1]

٤(١١) - ثم نهرُ الزَّبدِيني[2] بَعدمـا تَمـدُّهُ العُيـونُ، وتُخـرِجُ مِـنْ مَحاجِرِهـا دُرَّهـا المَكنُونَ، وهذا النهرُ مُخضَرُّ الأطرافِ، مُعْشَوشِبُ الضَّواحِـي والأكنـافِ، مُتَّصِـلٌ بِريـاضِ زَبدِينَ، وقدْ عَقدَ عَهدَ المُناسَبَةِ بَينَها وبينَ رَوضاتِ جِسرينَ، لِمَا بَينَهُما مِنَ الشَّبَه، وَوُجودِ الجنسيةِ بينَ تِلكَ الرياضِ الآشِبَة[3]: [من الرجز]

مِـنْ سَـكْرِ زَبديـنَ إلى جِسـرينَ كَـمْ   حيّـا الحيـا حيًّـا عليْـهِ رَوْنَـقُ[4]

أنّـى اتَّجَهْـتَ رأيْـتَ رَوضًـا مـاؤُهُ   مُتسلْسِـلٌ يَعلـو عليْـهِ جَوسَـقُ

٥(١٢) - نهرُ الوَسْطانيِّ:

اختَصَّ بِرياضٍ وقُرًى، وقـدِ التَزَمَ لأراضِيهـا بـالقِرى، كَـمِ انْشَـقَّ وَرْدُ رِياضِـهِ مِـنْ بُرعومِهِ، فخَضَعَتِ الأزاهرُ لِمَنشورِهِ ومَرسومِهِ، ونادى مُطَوَّقُها بِحَيَّ عَلَى الوُرودِ، لِحدائِقِ النَّرجِسِ ورَوضاتِ الوُرودِ[5]: [من البسيط]

كأنّمـا النّهـرُ مِـرآةٌ وقـدْ عَكَفَـتْ   عَلَيـهِ تَدْهَـشُ في حُسْـنٍ وَلألاءِ[6]

---

(١) البيتان لسيف الدين المشد، الديوان صفحة ٥٢، وفيه: كأنه عند تحريك.. سيف صقلته.

(٢) نهر الزبديني: نسبة إلى قرية (زبدين)، ينفصل عن بردى بالقرب مـن بسـتان القـوادري شـرق جسـر المطـير (مـن أراضي زبدين)، ويسقي أراضي الحديثة، و(حتيتة الجرش) وزبدين، وتفيض مياهه في الشتاء على (نهر الحاروش). انظر خطط دمشق للمنجد، صفحة ٣٧.

(٣) البيتان التاليان لمحمد بن الحسن بن سباع شمس الدين الصايغ العروضي، من قصيدة قالها وهـو بمصر، يتشوق إلى دمشق. فوات الوفيات ٣/٣٢٨.

(٤) في الأصل: حتى الحمى روض عليه رونق، والمثبت من فوات الوفيات.

(٥) البيتان التاليان لسيف الدين المشد صفحة (٥٢).

(٦) الديوان: من حسن.

كأنّـهُ حِـينَ يُهـدِي زُرقَـةً وصَفًـا[1] رَقـراقُ عَـينٍ بوجْـهِ الأرضِ شَـهْلاءِ

٦(١٣) - نهرُ الغَربيِّ:

وهذا صِنْوُهُ في المِيرَةِ، لكنّهُ صافي القلبِ والسّريرةِ، لا يَشُـوبُهُ كَـدَر، غـير مـا تُنَقّطُـهُ الأدواحُ مِنْ يَوانِعِ الزّهر، تَحُفُّهُ رياضٌ يا لها مِنْ رياض، وجَناتٌ سُمِّيتْ بالغِياضِ[2]. [البسيط]

وقـدْ جـرَى النهـرُ في أُخْـدُودِهِ عَجِـلاً كما جـرَى النـومُ في أجفـانِ وَطْفـاءِ[3]
يَنسـابُ كـالفَجْرِ في مَجْـرَى غَياهِبِـهِ وَيلتَـوي كَـالْتِوا رَقشـاءَ رَقطـاءِ

٧(١٤) - نهرُ دَرْمِينا[4]:

بِفَتحِ الدالِ وسُكونِ الراءِ وكَسرِ الميمِ، ذو عَوارِضَ عَنْبَرِيّةِ الأرجِ والشّـميمِ، يَتـدرّجُ بينَ نباتٍ وشَجر، قدْ تَتَوّجَتْ هاماتُ أفنانِها بتيجانِ الزّهْر. [البسيط]

والنهـرُ يَصْـدى بِهـاتِيكَ الظّـلال كَمـا تَصـدَى صَحِيفَـةُ حَـدِّ الصّـارِمِ الذّكَـرِ
والزّهـرُ يَفـرُشُ في شَـطّيهِ مـا رَقمَـتْ فيهِ السّـحائِبُ مِـنْ رَيـطٍ ومِـنْ حِـبَرِ[5]

---

(١) الديوان: يجري زرقة.

(٢) البيتان التاليان لشهاب الدين بن الخلوف. الديوان ٨٠.

(٣) الوطفاء: كثير شعر الحاجبين والعينين والأشعار مع استرخاء وطول. متن اللغة.

(٤) فرع من النهر الزبديني.

(٥) البيتان لابن النقيب. الديوان ١٣٤.

٨(١٥) - نهرُ الماصِيّةِ[١]:

نهرٌ جرَى فتَكسَّر، وصَفـا فلَمْ يتَغيّر، صـاحَبَ النّسـماتِ وحالفَهـا، وغنّتْ علَيـهِ الأطيارُ فخالفَها، وعلَيهِ أدواحٌ بَرَزَ إبْريزُها، وحَسُنَ تَطْريزُها. [الطويل]

ونهرٍ بِحُـبِّ الـدَّوحِ أصبـحَ مُغْرَمًـا ... يَـروحُ ويَغـدُو هائِمًـا بِوِصالِهـا

إذا بَعُـدَتْ عَنـهُ شَـكا بِخَرِيـرِهِ ... جَفاهـا وأضْحَـى قانِعًـا بِخَيالِهـا[٢]

٩(١٦) - نهرُ الحاجِبيّ:

نهرٌ يَهْوَى الظّلال، لكِنّهُ يَقنعُ منْ وَصْلِها بالخَيـال، عَـذبُ المَنـاهِلِ والمَشـارِبِ، لَـذّةُ الناظِرِ والشارِبِ. [الكامل]

والنّهـرُ قـد عَشِـقَ الغُصونَ فلَـمْ يَـزلْ ... أبَـدًا يُمَثّـلُ شَـخصَها في قَلبِـهِ

حتّـى إذا فَطِـنَ النّسـيمُ فَجاءَهـا ... عـنْ غَـيْرَةٍ وأمالَهـا عـنْ قُرْبِـهِ

١٠(١٧) - نهرُ البالانِي[٣]:

وهذا صِنْوُهُ في حُبِّ الخَمائِلِ، فلِهَـذا يَطْـرَبُ لِصَفيرِ البلابِـلِ، أطْرافُـهُ مُزَرْكَشـةٌ بالأزهـارِ، مُرَصّعةٌ بِجَواهِرِ الفواكِهِ والثّمارِ، تَرمُقُهُ العيونُ في مَسِيرِهِ، وهوَ لا يَفْتُرُ عنْ هَدْرِهِ وخَرِيرِهِ. [المنسرح]

---

(١) الماصية: جمعها مواصٍ، وهي فتحات توجد على ضفتي بردى، تؤخذ منه على شكل جداول صغيرة، وتفتح في أوقات محددة، وأشهرها: ماصية الأنصاري، والغربي، وماصية الشباك، وماصية الكريري التي تمر مياهها بالزينبية من حي القصاع.

(٢) البيتان لابن لؤلؤ. الديوان ٧٢.

(٣) نهر البالاني: ويسمى أيضاً البيلاني، ينفصل عن بردى بالقرب من قرية (بالا)، ويسقي أراضي بالا وحرستا القنطرة، وهو مما ينبع من قرارة بردى، ويتجمع من مصاصات المياه المجاورة. انظر خطط المنجد، صفحة ٣٨، وغوطة دمشق لكرد علي، صفحة ٩٦.

والنّهـرُ قـدْ جُـنَّ بـالغُصونِ هـوًى فَـراحَ في قَلبِـهِ يُمثِّلُهـا
فَغـارَ مِنـهُ النسـيمُ عاشِـقُها فَجـاءَ عـنْ وَصْلِـهِ يُميِّلُهـا[1]

١١(١٨) - نهرُ الزّابون[2]:

لَبِسَ منَ الأزاهِرِ حُلّة، وجَعلَ الحدائِقَ وَطنَهُ ومَحلّه، فلَمْ يُصْغِ عنْ حُبِّ الغُصونِ لِقولِ عاذِلٍ، ولَمْ يُجِبِ النسيمَ اللاحِي إلا بِدَمعٍ سائِلٍ، يَرتاحُ لِوُرودِ النسائِمِ، ويَطرَبُ لِسماعِ غِناءِ الحمائِمِ. [الوافر]

ونهـرٍ خـالَفَ الأهـواءَ حتّـى غَـدَتْ طَوْعًـا لـهُ في كُـلِّ أمْـرِ
إذا سَـرقَتْ حُلَـى الأغصـانِ ألقَـتْ إليـهِ بِهـا فيأخُذهـا ويَجْـري[3]

١٢(١٩) - نهرُ الملك[4]:

نهرُ الملك، كأنّهُ نَهرُ المَجرَّةِ في الفَلكِ، قدِ انعطَفتْ قُدودُ أشجارِهِ، وابتسَمَتْ ثُغورُ أزهارِهِ، وغنّاهُ طَيرُهُ فَهام، وشبَّبَ لهُ الريحَ فالْتوى مِثلَ الحُسام. [الكامل]

يـا حبّـذا النهـرُ الّـذي أمْواهُـهُ تَسْبي العُقـولَ بِحُسْـنِ مـا تُبدِيـهِ
هـوَ في الحدائِـقِ غَـيرَ أنّ عُيونَنـا إنْ لاحَظَتْـهُ تَـرَ الحدائِـقَ فيـهِ[5]

---

(١) البيتان لإسماعيل بن علي فخر الدين ابن عز القضاة. الوافي بالوفيات ١٦٧/٩.

(٢) نهر الزابون: ينبع من عين السويسي، فيسقي أراضي جسرين والمحمدية وحوش الأشعري. انظر خطط المنجد ٣٨، وغوطة دمشق ٩٦.

(٣) البيتان لمجير الدين ابن تميم (محمد بن يعقوب). فوات الوفيات ٥٨/٤، وفيه: غدا طوعاً. الوافي بالوفيات ٢٣٢/٥.

(٤) ذكره ابن عساكر، ينفصل عن بردى بالقرب من جسر الغيضة، وهذا الجسر يجمع بين قرى شمال الغوطة وجنوبها وجسر توما، فيسقي بعض أراضي جسرين والمحمدية والأفتريس. انظر خطط المنجد، صفحة ٣٨، غوطة دمشق لكرد علي، صفحة ٩٦.

(٥) البيتان لابن لؤلؤ. الديوان ٨٤.

١٣(٢٠) - نهرُ الشيداني[١]:

طَورًا يألَفُ الفَيافِي، وتارةً يتفيَّأُ منَ الأدواحِ بِظلٍّ ضـافي[٢]، وعلَيـهِ رياضٌ مُدَبَّجَـةٌ، بِنَشْرِ طِيبِ نَورها مُتأرِّجةٌ، مُتوَّجةٌ بالزّهرِ، مُمَنْطَقَةٌ بأنواعِ الدُّرَرِ. [الكامل]

والنّهـرُ خَـدٌّ بالشُّـعاعِ مُـوَرَّدٌ ... قـدْ دَبَّ فيـهِ عِـذارُ ظِـلِّ البـانِ

والمـاءُ في سُـوقِ الغُصـونِ خلاخِـلٌ ... مِـنْ فِضّـةٍ والزّهـرُ كالتِّيجـانِ[٣]

١٤(٢١) - نهرُ تلِّ الذّهبِ[٤]:

حدائِقُهُ كمْ بَسَطتْ مِنْها النّفوسُ مَعاطِفا، وتقلَّدَتْ مِـنْ زَخارِفِهـا قلائِـدًا ومَطارِفـا، يَسـرَحُ في ميـادِينِ أفنانِـهِ، ويَسـيْحُ علـى مُبـدِّدِ جَواهـرِهِ وعِقْيانِـهِ، وهُنـالِكَ سَـرحَةٌ تـأخُذُ بالألبابِ، وتفعلُ بالعُقولِ فِعلَ السُّلافَةِ في عَصرِ الشبابِ. [الكامل]

والنهـرُ لمَّـا أنْ زهَـا نَـثَرَتْ لَـهُ ... أغصانُـهُ دُرًّا فَـزادَ تفوّقـا

وأرادَ يَحمِيـهِ فجَـرَّدَ حولَـهُ ... مِـنْ كُـلِّ سـاقِيةٍ حُسـامًا مُرْهفَـا

---

(١) نهر الشيداني: ينفصل عن بردى بالقرب من بالا، ويسقي أراضي بالا وحرستا القنطرة.

(٢) كذا ضافي. وقد أثبت الياء لضرورة السجع.

(٣) البيتان للقاضي كمال الدين ابن النبيه. الديوان صفحة ٢٧٨، وهما في معاهد التنصيص ١٥٨/٢.

(٤) تجمع مائي لسبعة عيون من الماء، تصب في بردى عند طاحونة الذهب، ومن هناك تجري شرقاً حتى مقسم الغيلاني، ومن هذا المقسم يتفرع ما يسقي قرى حوش المتبن ودير سلمان والبلالية، ثم يجري حتى مقسم الحزرماني، الذي يتفرع إلى فرعين: الأول يسقي قرى حزرما وحوش الصالحية وميدعا، والثاني يمتد حتى مقسم البحيراني، والذي يتفرع بدوره إلى فرعين، الأول يسقي أراضي قرى البحارية والقاسمية.. إلخ..

ولمعرفة منبع ومجرى كل نهر من الأنهار الفرعية المذكورة، يرجع إلى كتاب الريف السوري لأحمد وصفي زكريا، الجزء الأول، صفحة ٣٣١ - ٣٣٢.

١٥(٢٢) - نهرُ بيتِ نايم[١]:

هوَ فِرقَةٌ مِنهُ، لكنْ أخذَ مُسلْسلَ الصّفاءِ عنهُ، ماؤُهُ طَبَرْزَد[٢]، يَـرويْ حديـثَ الشِّـفا عنِ المُبَرّد، يَألَفُ الرياضَ والصّحاري، وأكثرُ ما يسكنُ البَراري. [الطويل]

ونهرٍ إذا مـا الشـمسُ حــانَ غُروبُهـا   عليـهِ ولاحَـتْ في مَلابِسِـها الخُضْــرِ
رَأيْنـا الـذي أبْقَـتْ بِــهِ مــنْ شُـعاعِها   كأنّـا أرَقْنـا فيـهِ كأسًـا مــنَ الخَمْــرِ[٣]

١٦(٢٣) - نهرُ حَزْرَما[٤]:

هذا اختّصَّ بريٍّ قَريَتِهِ، وساهمَها سِهامَ جُعبَتِهِ، ينسابُ إليها كـالأَيّمِ[٥] في جَداولِـهِ، لكنّهُ يَضمّخُ بالعَبيرِ راحةَ مُتناولِهِ. [البسيط]

كأنّمـا النهـــرُ إذْ مَــرَّ النسـيمُ بِــهِ   والغَيمُ يَهمِـي وَضَـوءُ البَرقِ حـينَ بَـدا
رَشْقُ السّهامِ ولَمْـعُ البِيـضِ يـومَ وغًـى   خافَ الغديرُ سَطاها فاكْتسَى زَرَدا[٦]

١٧(٢٤) - نهرُ الغريفَةِ:

نهرٌ رقيقُ الحَواشي، يَجري إلى قَريَتِهِ والعيونُ لهُ كالغَواشي، جِيدُهُ مُعَطّلٌ مـنْ حِلـيِ الظلال، لكنَّ ماءَهُ سائغٌ عَذبٌ زُلال. [المنسرح]

انظـــرْ إلى النّهـــرِ في تَطَـــرُّدِهِ   وصَفـوُهُ قـدْ وَشـى علـى السَّـمَكِ

---

(١) يسقي أراضي قرية بيت نايم وحوش الصالحية.
(٢) الطبرزد: السُّكر المعروف بسُكّر النبات. معجم متن اللغة.
(٣) البيتان لابن لؤلؤ. الديوان صفحة ٤٧.
(٤) نهر حزرما: نسبة إلى قرية حزرما، ينفصل عن بردى، ويسقي أراضي حوش الصالحية. انظر خطط المنجد، صفحة ٣٨.
(٥) الأيم: الحية الأبيض اللطيف. القاموس.
(٦) البيتان لسيف الدين المشد، علي بن عمر بن قزل. الديوان صفحة ٧٩.

تَوهّـــمَ الريـــحُ صَيْـــدَهُ فَغـــدا ينسُـــجُ فـــوقَ الغَديـــرِ كالشَّـــبَكِ[1]

١٨(٢٥) - نهرُ المُتبِّنِ:

عَذْبُ المَشارِبِ والمَوارِدِ، يَجري إلى حَدائِقِهِ كالظَّبْيِ الشارِدِ، وعليهِ أدواحٌ تَقِيهِ حـرَّ الشمسِ، فيَرْوي ظَمأَ الوارِدِ ولَوْ باللّمْسِ، قـدِ افـترَشَ أزاهِـرَ تِلـكَ الرُّبـا، فَحلَّـتْ لِـوُرودِهِ رياضُها الحُبا. [الكامل]

النهـــرُ يَجـــري في الريـــاضِ وثَوْبُـــهُ بيَـــدِ النّســـيمِ مُفَـــرَّكٌ مَصْقـــولُ
والغُصـــنُ يُوقِظُـــهُ الصَّبـــا فيقـــومُ مِـــنْ خَبَـــلِ الرُّقـــادِ وفَرعُـــهُ مَهـــزولُ

١٩(٢٦) - نهرُ البلاليةِ:

فيهِ لِكأسِ الأُنسِ أيُّ مَساغٍ، قد حُبِيَ عارِضاهُ بِمثـلِ رَيحـانِ الأصْـداغِ، كأنّـهُ سِـنانٌ يَطْعنُ في صَدرِ البَيدا، لكِنّهُ مِن عُجْبِهِ يمشي رُويدًا رُويدا. [الخفيف]

وغَديـــرٍ رَقّـــتْ حَواشـــيهِ حتّـــى بـــانَ مِـــنْ قلبِـــهِ الّـــذي كـــانَ ســـاخا
وكـــأنّ الطُّيـــورَ إذْ وَرَدتْـــهُ مِـــنْ صَفـــا مائِـــهِ تَـــزُقُّ فِراخـــا[2]

٢٠(٢٧) - نهرُ العَبّادةِ:

هذا بَقيةُ مِمّا تَركَ بردى، جَعلوهُ لِهذهِ القريةِ مَدَداً، يَتَناوَبُهُ أهلُها حِصَصاً، فيَذوقـون مِنْ قِلّتِهِ غُصَصاً، يأْلَفُ السَّباسِبَ والمَهامِه، فيُصيبُ البعضَ مِنْها بِسهامِهِ[3]. [الطويل]

---

(١) البيتان لعمر بن مسعود بن عمر سراج الدين المحار. الدرر الكامنة ٣/٢٧٠، ريحانة الألبا ٥٨، نفحة الريحانة ١/٢٢٩.

(٢) البيتان لابن الرومي. الديوان ٢/٥٨٣.

(٣) البيتان التاليان لابن النقيب. الديوان، صفحة ٢٠٦.

إذا جَعَّـدَتْ أيْـدي النسـيمِ مُتونَـهُ   وقُمْتَ على الشَّطَّينِ في زي قـائِفِ[1]
حَسِبْتَ أساريرًا مِنَ الأُفـقِ عَبَّسَتْ   بِمِـرآةِ صـافِي مائِـهِ المُـترادِفِ[2]



ذِكرُ ما يَقْسِمُهُ المَنيحي منَ الأنهارِ، وكلُّهم يَجري تحتَ ظِلالِ الأدواحِ والأزهارِ [الكامل]

مِن كُلِّ جَدولِ كالحُسامِ إذا انْبَرى   في حُسْـنِ رَونَقِـهِ وصَفْـوِ صِقـالِ
ينسـابُ ذُعـرًا كالحُبـابِ إذا الْتَـوَى   كـالنّونِ أو كـاللاّمِ أو كـالدّالِ[3]

١(٢٨) - نهرُ الجامِعيّ:

تردَّى بالخَمائِلِ، وجَرى في ظِلّها بدمْعٍ سائِلٍ، رُقِّمَتْ بيانِعِ الأزاهِرِ جَنَباتُهُ، فَفـاحَتْ بالعَبيرِ نفَحاتُهُ، والطيرُ فوقَ ذلكَ الطِّرازِ المُعْلَمِ، كأنّهم دَقّوا بَينَهُم عِطْرَ مَنْشِمِ[4]. [الخفيف]

نَهَـرٌ دافِـقٌ وجَـوٌّ فَتيـقُ   زَهَـرٌ فـائِقٌ وظِـلٌّ ظَليـلُ
لستُ أنسَى ارْتِعاشَ شُحرورِ غُصنٍ   طَرَبًـا والقَضِيـبُ مِنـهُ يَميـلُ[5]

---

(١) الديوان: أيدي الرياح متونها.. وفي الأصل: رقمت على الشطين.

(٢) الديوان: مائها المترادف.

(٣) البيتان لشهاب الدين ابن الخلوف. الديوان ٢١٦، وفيه: كالحباب وينثني.

(٤) مَنشِم: امرأة عطّارة من همدان، كانوا إذا تطيبوا من ريحها اشتدّت الحرب، فصارت مثلاً للشر. قال زهير بن أبي سلمى:

تداركتمـا عبسـاً وذبيـان بعدمـا   تفـانوا ودقّـوا بينهـم عطـر منشِـمِ

(٥) البيتان لأحمد بن صالح بن أبي الرجال، من قصيدة في وصف روضة صنعاء. خلاصة الأثر ٢٢٠/١، نفحة الريحانة ٤٨٦/٣.

٢(٢٩) - نهرُ البيرَةِ:

كتبَ الزّهرُ على طُروسِ حدائقِهِ صُحُفًا مِنَ التوحيدِ، ونَطقَ الطيرُ بجلالِ القُدرَةِ بما أبداهُ منَ التّغريدِ، فهَوتِ الأدواحُ للسّجودِ، لّما نادَى لِسانُ النّسائِمِ: «ما عَبدناكَ حَقَّ عِبادَتِكَ»[1] يا مَعبودُ، فهامَ النّهرُ هُيامَ مَنْ ادّكَرَ، وجَرَى دَمعُهُ على خُدودِ رياضِهِ وانْحدَرَ. [الكامل]

المـاءُ يَدفُـقُ مِـنْ خِـلالِ رياضِـهِ مِثْـلَ الفُهُـومِ تُفيدُهـا الألفـاظُ
والرّيـحُ يَهـدرُ والمِيـاهُ تَخِـرُّ مـعْ إصْغائِنـا فكأنّهـا وُعّـاظُ

٣(٣٠) - نهرُ المَزّازِ[2]:

نهر المزّاز، قدْ أحرَزَ السَّبقَ في مَيادينِ رياضـهِ أيَّ إحـراز، يمشـي وعلَيـهِ سُرادِقاتُ الشّجرِ، مُطَرَّزَةً بأنواعِ وَشْيِ الزّهرِ. [الكامل]

والنهـرُ قـدْ رَقّـتْ غُلالَـةُ صَفْـوِهِ وعلَيـهِ مِـنْ صِبْـغِ الأصِيـلِ طِـرازُ
تـترقْرَقُ الأمـواجُ فيـهِ كأنّهـا عُكَـنُ الخُصُـورِ تَهُزُّهـا الأعْجـازُ[3]

---

(١) روى الطبراني في المعجم الكبير ١٨٤/١٣، والأوسط ٤٤/٤ (٣٥٦٨) عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «ما في السموات والأرض موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم أو ملك راكع أو ملك ساجد، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعاً: سبحانك، ما عبدناك حق عبادتك، إلا أنا لم نشرك بك شيئاً».

(٢) المزّاز: والصحيح المصّاص، من المصّ، وهو المكان الذي ينقسم فيه ماء النهر إلى فروع عديدة، يفصل بينها بحجارة ضخمة، ليوزع كل (مزاز) إلى أصحاب الحقوق فيه. الريف السوري ٣٢/٢.

(٣) البيتان لعبد الله بن سارّة الإشبيلي. خريدة القصر (المغرب) ٣٣١/٢، نفح الطيب (ابن صارة) ٤٩٩/١، ٦٠٠/٣.

٤(٣١) - نهرُ الشّقّ:

نهر الشقّ، هوَ في صَفائِهِ كمَحلولِ الطّلْقِ، تَخالُ الدُّرَّ مِنْ حَصبائِهِ، وتُفْقَدُ فيهِ الشمسُ لِصَفائِهِ، رَقصَتْ دَلالاً قُضبُ أشجارِهِ، وضاعَ نَشرُ أطيبِ أزهارِهِ، قدْ تَوشَّحَتْ أدواحُ رياضِهِ بالثّمَرِ، كتَوشُّحِ الحسناءِ بقلائِدِ الدُّرَرِ. [البسيط]

انظُرْ إلى النّهرِ والأدواحُ تَرمُقُهُ ... مِنْ جانِبيهِ بأجفانٍ لَها حَدَقُ
رَأتْهُ سَيفًا علَيهِ للصَّبا شُطَبٌ ... فقابَلَتْهُ بأحداقٍ لَها أرَقُ[1]

٥(٣٢) - نهرُ السُّلطاني:

تَخالُ صافيَ مائِهِ تحتَ الظلالِ، ذَوْبَ لُجَينٍ لَعِبَتْ بهِ كَفُّ الشَّمالِ، يُغْنيكَ عَذبُ مائِهِ عنْ رَشفِ اللّمَى، ويُلهيكَ بَرْدُ رُضابِهِ عنْ ظَلْمِ الدُّمَى، ونغَماتُ أطيارِهِ أطرَبُ مِنْ تَرنُّمِ زنامٍ[2] بِمزْمارِهِ، والمَوْصِليِّ[3] بِضَربِ أوتارِهِ. [الكامل]

والجَدولُ الفِضّيُّ يَضحَكُ ماؤُهُ ... فكأنّهُ في العَينِ صَفْحُ مُهنّدِ
وإذا تَجَعَّدَ بالنّسيمِ حَسِبْتَهُ ... لَمّا تَراهُ مُشبَّهًا لِلمِبْرَدِ[4]

---

(١) البيتان لابن سعيد. نفح الطيب ٢/٣٤٧.

(٢) زنام الزامر اسمه محمد بن قيس، قال له المتوكّل: تأهّب للخروج معنا. قال: الناي في كفّي، والريح في فمي. انظر نزهة الألباب لابن الأثير ١/٣٤٥.

(٣) والموصلي هو إسحاق، انظر الحاشية (٤) صفحة ٢٠٩.

(٤) البيتان لبعض الأندلسيين يصف حديقة. نفح الطيب ١/٥٣٢.

٦(٣٣) نهرُ الزُّلَف[١]:

نهر الزلف، نهرٌ تَطرَّزَ بالظَّرْف، تَسلْسلَ ماؤُهُ زُلالاً، فاتَّخذَ الشجرَ ظِلالاً، حتّى صَفا مِنَ الأكدارِ، وجرَى على شَفا جُرُفٍ هارٍ، فانْهارَ في حدائِقَ تَبْسُمُ فِيها ثُغورُ الأزهارِ، كعاشِقٍ فَقدَ مَنْ يَهواهُ، وقدْ أضَرَّ بِهِ شَجْوُهُ وهَواهُ. [الكامل]

والنهرُ يَشْكو وَجْدَهُ بِخَريرِهِ ... والغُصنُ مَعشوقٌ لَهُ مَوموقُ

والريحُ تَسْحَبُ ذَيلَها مِنْ فوقِهِ ... وتَظلُّ تَصْقُلُ خَدَّهُ فَيروقُ[٢]

٧(٣٤) - نهرُ الخِيارةِ[٣]:

نهر الخيارة، قدْ جرَى بينَ أدواحِهِ في مَوكِبِ الإمارَة، يَرفَضُّ عنْ نُثارِ الدُّرِّ والجُمان، تحتَ ازدهاراتِ الشجرِ وأعلامِ الأفنانِ، تارةً يَتجرَّدُ مِنْ غِمْدِ رياضِهِ، وآونَةً يَنسابُ بينَ مُروجِهِ وغِياضِهِ. [الكامل]

يا حُسْنَهُ مِنْ جَدولٍ مُتدفّقٍ ... يُلهي بِرَونَقِ حُسْنِهِ مَنْ أبْصَرا

ما زِلْتُ أُنْذِرُهُ عُيونًا حَولَهُ ... حتّى هوَى مِنْ شاهِقٍ فتَكسَّرا

---

(١) نهر الزُّلَف: هو الحياض الممتلئة، ومعناه ساعات الليل الآخذة من النهار، وساعات النهار الآخذة من الليل، وهذا الاصطلاح مازال معمولاً به في السقيا في كل قرية. انظر غوطة دمشق لكرد علي، صفحة ٩٥.

(٢) البيتان لأحمد الكيواني. انظر ديوانه، صفحة ٤٧.

(٣) قد مرَّ ذكر أن هذه الأنهار هي من فروع المليحي. والخيارة (وتُسمى خيارة نوفل) مزرعة في غوطة دمشق الشرقية، تتبع قرية بلاط ناحية المليحة، تبعد عن دمشق ١٠ كم. المعجم الجغرافي.

٨(٣٥) - نهرُ الشَّبْعا[١]:

يَجري بَين رياضٍ وَورُود، كأنّها خُرَّدٌ تَزدانُ بمَحاسِنِ العُيونِ والخُدودِ، وقدْ نَظَمتْ في نُحورِها مِنَ اللآلِئِ عُقوداً، لمّا كَساها الرّبيعُ منْ خُيوطِ وَدْقِهِ بُروداً، ومَواكِبُ الأطيارِ مُهَينِمَةٌ على تِلكَ الأعلامِ، والمَنْهلُ العَذْبُ كَثيرُ الزّحامِ. [الكامل]

والنهــرُ مَكسُــوٌّ غُلالَــةَ فِضَّــةٍ　　فـإذا جـرَى سَـيْلاً فَثَـوْبُ نُضـارِ
وإذا اسـتقامَ رأيـتَ صَفحـةَ مُنْصُـلٍ　　وإذا اسـتدارَ رأيـتَ عِطْـفَ سَـوارِ[٢]

٩(٣٦) - نهرُ البلاطِ[٣]:

كأنّهُ مِعْصَمُ خُودٍ حَسْنا، قدْ طرَّزَتْهُ بالوَشْيِ فازدادَ حُسْنا، صَفا ماؤُهُ وتَحَـدَّر، يـرفُّ على بِساطِ الزُّمُرُّدِ كما سِيمَ الحُسامُ المُجَوهَر[٤]. [الطويل]

ومُطَّـرِدِ الأمـواجِ يَصقُـلُ مَتنَـهُ　　صَبًـا أعلَنَـتْ لِلعَـينِ مـا في ضَمـيرِهِ
جَريـحٌ بـأطرافِ الحَصـى كلَّمـا جـرَى　　علَيهـا شَـكا أوجاعَـهُ بِخَريـرِهِ[٥]

---

(١) قد مرَّ ذكر أن هذه الأنهار هي من فروع المليحي. وشبعا قريـة تقـع في الجنوبي الشـرقي للغوطـة الشـرقية، تتبـع ناحية المليحة. المعجم الجغرافي.

(٢) البيتان في نفح الطيب ٤٩٩/١، وهما في التشبيهات من أشعار أهل الأندلس ٦٧ لمحمد بن الحسين الطاري.

(٣) قد مرَّ ذكر أن هذه الأنهار هي من فروع المليحي.

(٤) كذا الأصل، ويقيني أن نقصاً واقعاً لنقصٍ في السجع لم يعودنا المؤلف على مثله.

(٥) البيتان لابن حمديس. الديوان ١٨٦، وفي نفح الطيب ٤٩٩/١.

١٠(٣٧) - نهرُ كُلَيْبا:

بِضمِّ الكافِ وفَتحِ الّلام، إذا مرَّتْ بهِ الرّيحُ ألْبستْهُ منَ الزّردياتِ لام[١]، طَوْرًا كالألِفِ في الاستواءِ، وآونَةً كالصِّلِّ في الالتواءِ، يَروي كلَّ قلبٍ صادٍ، ويَرفُلُ منَ الأزاهرِ في ثَوبٍ فِرْصادٍ[٢]. [البسيط]

تَشُوقُني ألِفاتُ الرّوضِ مائِلَةً ... منَ النسيمِ سُكارَى وهيَ دالاتِي

حُسْنٌ لِكلِّ راءٍ وزَيْن، ما شِينَ مَنظَرُهُ الباهي بِذَمٍّ ولا مَيْن. [البسيط]

والنهرُ طِرْسٌ تَخُطُّ الريحُ أسْطُرَهُ ... والقَطْرُ يَتبَعُ ما خَطَّتْ بإعْجامِ

حيثُ النّسيمُ يَجُرُّ الذّيلَ مِنْ طَرَبٍ ... والزّهرُ يَرقُصُ مِنْ عُجْبٍ بأكْمامِ[٣]

١١(٣٨) - نهرُ عَينِ ترما[٤]:

يَجري بَينَ مُروجٍ مُطرَّزةٍ بالأنوارِ، مُتَنسِّمَةِ الأنْجادِ والأغْوارِ، ومَجامِرُ الزَّهْرِ مُعطّرةٌ أردِيَةَ النسائِمِ، تَنفَحُ الطِّيبَ منْ أردانِ تلكَ الكَمائِمِ، وخُطباءُ الطُّيورِ فوقَ مَنابرِ الأغصانِ، تَروي أحاديثَ السُّرورِ بِبَدِيعِ الألحانِ. [الطويل]

مَرَرْنا بِشاطي النهرِ بينَ حدائِقٍ ... بها حَدَقُ الأزهارِ تَسْتوقِفُ الحَدَقْ

وقدْ نسَجتْ كَفُّ النسيمِ مُفاضَةً ... عليهِ وما غَيرُ الحَبابِ لَها حَلَقْ[٥]

---

(١) لام: مسهلة الهمز. واللأمة: أداة الحرب كلّها.

(٢) الفِرصاد: هو التوت أو حمله، أو أحمره، وصبغ أحمر. القاموس.

(٣) البيتان لابن نباتة المصري. الديوان ٤٤٢.

(٤) الأنهر التي سيمر ذكرها بأسماء قرى الغوطة هي امتداد لبردى من الفرع الداعياني. وعين ترماء (ترما): قرية في غوطة دمشق الشرقية تتبع ناحية كفربطنا، وهي شرق دمشق على بعد ٧ كم. المعجم الجغرافي.

(٥) البيتان لأبي القاسم بن العطار الإشبيلي، وهما في الخريدة ٥٢٤/٣، (قسم المغرب والأندلس) ونفح الطيب ٦٥١/١.

١٢(٣٩) - نهرُ كَفَر بَطْنا[1]:

حولهُ رياضٌ يَسبيكَ مَنظرُها، ويَزدَهيكَ مَخبرُهـا، كأنّمـا فُرِشَـتْ صَفحتُـهُ بـالدُّرَرِ، وقُدَّتْ أدواحُ حدائِقِهِ على قَدَرٍ[2]. [المنسرح]

كأنّمـــا النّهـــرُ صَفحَـــةٌ كُتِبَـــتْ	أسْـــطُرُها والنســـيمُ يُنْشِـــئُها[3]
لّمـا أبـانَتْ عـنْ حُسْـنِ مَنظرِهـا[4]	مـالَتْ علَيهـا الغُصـونُ تَقرَؤُهـا

١٣(٤٠) - نهرُ جِسرينَ[5]:

قدِ التَحفَ منْ خَمائِلهِ بِبرودِ ظِلٍّ ظَليـلٍ، واشْتَملَ منهـا بِـرداءٍ مِـنَ الأزاهِـرِ جميـلٍ، يَجُولُ بينَ رياضِهِ وحدائِقهِ، كأنّهُ الإسكندَرُ تحتَ سُرادِقِهِ. [مجزوء الكامل]

والنهـــرُ يَفصِـــلُ بـــينَ رَو	ضِ الزَّهْـرِ في الشَّـطَّينِ فَصْـلا
كَبِســاطِ وَشْــيٍ جَــرَّدَتْ	أيــدي القُيــونِ علَيــه نَصْــلا[6]

---

(١) كفربطنا: ناحية في غوطة دمشق الشرقية، قديمة، عمرت منذ العهد السرياني، وتسميتها سريانية تعني الجنين، تضم سبع قرى ومزرعتين، تقع على الطرف الأيمن لنهر الداعياني وعلى مقربة من قرية جسرين وإلى الشرق من مدينة دمشق بمسافة ٦ كم. المعجم الجغرافي.

(٢) البيتان التاليان لابن سعيد المغربي، قالهما في نهر غرناطة شنّيل. انظر كتابه المغرب في حلى المغرب ١٠٣/٢.

(٣) المغرب: والنسيم منشئها.

(٤) المغرب: حسن منظره.

(٥) جسرين قرية تقع في القسم الشرقي من الغوطة، على الحافة اليسرى لنهر بردى تبعد ١ كم شرق بلدة كفربطنا. المعجم الجغرافي.

(٦) البيتان لأبي فراس، يصف منازل بمنبج. الديوان ٢٣٥.

١٤(٤١) - نهرُ حَمُّوريا[١]:

تَضُمُّهُ رياضٌ لَمْ يَجُلْ في مِثلِها ناظر، ولَمْ يَدعْ حُسنُها حَظًّا للخُدودِ النّواضِر، غُصونٌ تَثنيها الرياحُ فتَميل، ومِياهٌ بِصَفائِها تَشْفِي العليل. [الكامل]

والنهرُ مَصقولُ الحُسامِ متَى يَرِدْ ... دِرعَ الغَديرِ مُصفقًّا فيهِ صَدَرْ

يجري علَى الحَصْباءِ وهيَ جَواهِر ... مُتكسِّرًا مِنْ فَوقِها مَهما عَثَرْ[٢]

١٥(٤٢) - نهرُ سَقْبا[٣]:

تَحْوِيهِ رياضٌ تَضمَّختْ بِعَرْفِ الكمائِم، كمْ وَهَا شَنَفُ نورِها لمّا جَمّشتها أيدي النسائِمِ ! تَغنّتْ وُرْقُهُ علَى أفنانِها، فالتقَطتْ حَبَّ القلوبِ بطيبِ ألحانِها. [مجزوء الكامل]

فالنّهرُ منها ذو صَفا ... والزّهرُ مُفترُّ المَباسِمْ

والغُصنُ يَثنِي عِطفَهُ ... طَرَبًا لِتَغريدِ الحمائِمْ[٤]

١٦(٤٣) - نهرُ الأفْتريس[٥]:

نهر الأفتريس، يفعلُ بالألبابِ فِعلَ الخَندريسِ، فِضّيُّ المَنظرِ، شَهْديُّ المَخبرِ، كمْ ضاعَ عَبيرُ أشجارِهِ مِنْ أكمامِها ! وذاعَ سِرُّ رياحينِ رياضِهِ بِوَشْي نَمامِها! [الكامل]

---

(١) حموريا (حمورة) قرية تتبع ناحية كفربطنا، تقع في القسم الشرقي من الغوطة على بعد ٦,٥ كم شرقي مدينة دمشق، إعمارها قديم يعود إلى العهد الروماني. المعجم الجغرافي.

(٢) البيتان لابن زمرك الأندلسي. الديوان صفحة ٤١٠.

(٣) سقبا: قرية تتبع ناحية كفربطنا تقع شرقي دمشق بمسافة ٥كم، فيها ضريح عبد الله بن سلام رضي الله عنه. المعجم الجغرافي.

(٤) البيتان للمقري، ذكرهما في كتابه نفح الطيب ٤١٨/٢.

(٥) أفْتريس قرية في غوطة دمشق الشرقية تتبع ناحية كفربطنا، تقع شرق دمشق بمسافة ٧كم. المعجم الجغرافي.

والنهـــرُ بـــينَ مُـــزَرَّدٍ ومُـــدرَّعٍ   والزهـــرُ بـــينَ مُدَرْهَـــمٍ ومُدَنَّـــرِ
حَصْبـــاؤُهُ مِـــنْ جَوهـــرٍ ونَســـيمُهُ   مِـــنْ عَنـــبَرٍ ومِياهُـــهُ مـــنْ سُـــكَّرِ[1]

١٧(٤٤) ـ نهرُ بيتِ سَوى[2]:

نهرُ بيتِ سَوى، فاقَ برياضهِ علَى السِّوا، أشجارُهُ بالزهرِ مُكلَّلةٌ، لكنَّ أجيادَهـا مـنْ عِقْدِ الثمارِ مُعطَّلةٌ، ورَياحينُهُ بَدويّةُ الطباع، تَهوَى الطُّلولَ والبِقاع[3]. [الوافر]

ونهـــرٍ للرِّيـــاحِ علَيـــهِ دِرْعٌ   يُذَهّـــبُ بـــالغُروبِ وبالشُّـــروقِ
إذا اصْفـرَّتْ عليـهِ الشـمسُ صَبَّـتْ   علـى أمواجِـهِ مـاءَ الخَلـوقِ[4]



---

(١) البيتان لشهاب الدين بن خلوف. الديوان ١٠٦، وفيه بيت بينهما، وروايته:

في روضـة لـولا شـذا أنوارهـا   قلنـا لآلٍ في بسـاط أخضـر
حصباؤهـا مـن جوهـرٍ ونسـيمُها   مـن عنـبرٍ ومياهها مـن سـكّر

(٢) بيت سوى: قرية في غوطة دمشق الشرقية تتبع ناحية كفربطنا، قديمة عمرت منذ العهد اليوناني. تبعد عن دمشق ٧ كم. المعجم الجغرافي.

(٣) في (أ): الطلول واليفاع.

(٤) البيتان لمحمد بن عبد الله السلامي. يتيمة الدهر ٢/٤٨١.

[تقسيم نهر الداراني]

قدِ انتَهتْ مِنْ بَرَدَى أقسامُهُ، ولاحَتْ مِنَ الداراني بُنودُهُ وأعلامُهُ، يُقْسَمُ أنهارًا عشرَة، وكُلُّها كِرامٌ برَرَة، يَنسابُ بينَ رياضٍ وخمائِل، وأطيارٍ صَدْحُها كعَزْفِ القِيانِ بالجَلاجل. [الكامل]

والطيرُ تَسجَعُ في الغُصونِ كأنّها ... نَقْرُ القِيانِ حنَتْ علَى العِيدانِ
والماءُ مُطَّرِدُ المَسِيلِ عُبابُهُ ... كسلاسِلٍ مِنْ فِضّةٍ وجُمانِ[1]

١(٤٥) - نهر العَرا:

نهر العرا، وكلُّ الصّيدِ في جَوفِ الفَرا[2]، رَحْبُ الأكنافِ، مُتناسِقُ النُعوتِ والأوصافِ، لا يَأْلَفُ غيرَ الرياضِ، ولا يَأوي لِغيرِ ظِلالِ الحدائِقِ والغِياضِ. [الوافر]

ونهرٍ دارَ نَرْجِسُهُ علَيْهِ ... وَرقَّ نَسيمُهُ فصَفا وراقا
تَراهُ إذا حَلَلْتَ بِهِ لِوِرْدٍ ... كأنّ عليهِ مِنْ حَدَقٍ نِطاقا

٢(٤٦) - نهرُ الذّيبِ[3]:

نهر الذّيب، مُنتدَى غزالٍ وظَبْيٍ ربيب، ظِلُّهُ فَسيحٌ، وطَيرُهُ فَصيحٌ، وماؤُهُ أصفَى مِنْ دَمعةِ المَهجورِ، وأعذبُ منْ بَردِ رضابِ الحُورِ، وحدائِقُهُ مُضَمَّخَةٌ بالعَبيرِ، مُعطَّرَةٌ بنفائِحِ الوردِ النّضيرِ. [الطويل]

ألا حبّذا نهرٌ إذا ما لَحَظْتَهُ ... أبَى أنْ يَرُدَّ اللّحظَ عنْ حُبِّهِ الأُنْسُ

---

(١) البيتان لعبد الله بن أحمد بن سماك العاملي. الإحاطة في أخبار غرناطة ٣/٤١٠، وفيه: تقرأ القيان.. يسيل عبابه.

(٢) الفرا: الحمار الوحشي. أي كل الخير فيه. انظر مجمع الأمثال ٢/١٣٦.

(٣) نهر الذيب: من فروع نهر الداراني. غوطة دمشق ٢٥٦.

تـرَى القَمَرَيْــنِ الدّهــرَ قـدْ عُنِيـا بــهِ	يُفَضِّضُــهُ بَــدرٌ وتُذْهِبُــهُ شَــمْسُ[1]

٣(٤٧) - نهرُ الشّراكِ[2]:

نهر الشراك، قدْ نَصَبَ للسُّرورِ أشراك، يجري بـينَ قُضـبٍ وأزاهـر، وحدائـقَ تُزهِـرُ كالأنْجُمِ الزَّواهِر، وتغريدِ أطيارِ كَرنَّاتِ المَزاهِـر، قـدِ التحَـفَ مِـنْ رياضِـهِ بُـرْدًا، وجَعلَهـا لِفِضّيِّ حُسامِهِ غِمْداً[3]. [الطويل]

ومـاءٍ على الرّضْـراضِ يَجـري كأنّـهُ	صفـائحُ تِـبْرٍ قـدْ سُـبكْنَ جَـداوِلا

كـأنّ بهـا مِـنْ شِـدّةِ الجَـرْيِ جِنّـةً	وقـدْ ألبَسـتْهُنَّ الريـاحُ سَلاسِـلا[4]

٤(٤٨) - نهرُ المَيْلَقون[5]:

نهرُ المَيلَقون، يَجري بينَ جَناتٍ وعُيون، قدْ غُصَّ بمائِهِ، وشَرِقَ بِنُجومِ سَمائِهِ، يَنْـثُرُ لُؤْلُؤَهُ في مَشارِبِ النسيمِ ومَساحِبِهِ، ويَضْطَرِبُ لا عُجْباً لِعبَثِ[6] الرياحِ بِهِ. [الكامل]

للهِ نهــرٌ ســالَ في بطحــاءِ	أشْـهَى وُرُودًا مِـنْ لَمَـى الحَسْـناءِ

مُتعَطِّــفٌ مِثْــلَ السِّــوارِ كأنّــهُ	والزهــرُ يَكْنُفُــهُ مَجَــرُّ سَــماءِ[7]

---

(١) البيتان لأبي جعفر أحمد بن عبد الملك بن سعيد الأندلسي. نفح الطيب ٣/٥١٦، ٤/١٨٩ وفيه: عن حسنه الأنس.

(٢) نهر الشراك من فروع نهر الداراني. غوطة دمشق ٢٥٦.

(٣) في (ب): لفضيِّ حسامها.

(٤) البيتان لأبي سعيد الرستمي. يتيمة الدهر ٣/٢٤٤، وفي الأصل: قد سكنَّ جداولا.

(٥) نهر الميلقون: فرع من فروع نهر الداراني غوطة دمشق ٢٥٦.

(٦) في (أ): ويضطرب عجباً لعبث.

(٧) البيتان لابن خفاجة الأندلسي. الديوان صفحة ٣٥٦، وانظرنفح الطيب ٣/٢٠١.

٥(٤٩) - نهرُ الحَجَرِ الدائرِ[1]:

نَهرُ الحَجرِ الدائِرِ، يَجري بينَ رِياضِهِ كالهائِمِ الحائِرِ، ولِقُضْبِ أدواحِهِ بالزهْرِ أجيابٌ وأجياد، تَدْنو إليكَ دَلالاً وتَبعُدُ حينَ تَنقاد، صفّقَتْ غُدْرانُهُ لمّا هاجَ بالرّوضِ هُيامُهُ، وتَراقصَتْ غُصونُهُ لمّا غنّاها حَمامُهُ. [الكامل]

وحدائقٍ يَنسابُ فِيها جَدولٌ	طَرْفي بِرَونقِ حُسنِها مَدهُوشُ
يَبدُو خَيالُ غُصونِها في مائِهِ	فكأنّما هوَ مِعْصَمٌ مَنقُوشُ[2]

٦(٥٠) - نهرُ كَفرِ سُوسيا[3]:

هيَ قريةٌ ذاتُ رياضٍ وقُصور، وحدائقُ ليسَ فيها مِنَ الجَمالِ قُصور، تلعبُ في ميادينِها أطفالُ الأزاهِرِ، وتَرْتعُ في بَساتينِها أنواعُ الظّبْي والجَآذِرِ، تتّخِذُها ظُرَفاءُ الشامِ مَثوَى نشاطِهِمْ في الصيفِ، لإيلافِهِمْ رحلةَ الشتاءِ والصيفِ. [الوافر]

لَها نهرٌ تَخالُ بهِ لُجَينا	يُذابُ وقدْ يُذَهِّبُهُ الأصيلُ
كأنّ الروضَ يَعْشقُهُ فَمِنهُ	علَى أرجائِهِ ظِلٌّ ظَليلُ[4]

فَيقسِمونهُ عِندَهم أربعةَ أقسامٍ، كلُّهُم تَرمُقُهُ عُيونُ الأزاهِرِ منَ الأكمامِ.

---

(١) هو من فروع نهر القنوات. انظر خطط دمشق للمنجد، صفحة ٣٣.

(٢) البيتان لابن لؤلؤ. الديوان صفحة ٥٢.

(٣) هو من فروع نهر القنوات. انظر خطط دمشق للمنجد، صفحة ٣٣. وكفرسوسيا (كفرسوسة) التي كانت قرية جنوب دمشق بـ ٣ كم أضحت اليوم متصلة بالمدينة، من أرفع أحياء دمشق عمراناً.

(٤) البيتان للكستندي. نفح الطيب ٤٩٧/٣، ٤٩٨، وبه: وصهريج تخال به..

٧(٥١) - نهرُ الكُرَيْمي[١]:

مُخضلُّ الرُّبا، مُعتَلُّ نَسماتِ الصَّبا، كأنَّهُ نهرُ الزابِ، أو الجَوهَرُ المُذابُ، قدْ كُحِّلَتْ أجفانُهُ بالظلالِ، و لَمْ يَحْظَ مِنْ مَعشُوقِهِ بغيرِ الخَيالِ. [الكامل]

شَقَّ النسيمُ عليهِ جَيبَ قَميصِهِ ... فانْسابَ مِنْ شَطَّيهِ يَطلُبُ ثارَهُ

فتضاحَكتْ وُرْقُ الحَمامِ بِدَوحِها ... هُزْءًا فَضَمَّ مِنَ الحياءِ إزارَهُ[٢]

٨(٥٢) - نهرُ الغَربيّ:

ماءٌ كَعينِ السِّنَّورِ، صافٍ كَقُضْبِ البِلَّورِ، تَلوحُ في قَرارَتِهِ حَصْباؤُهُ، وتَفوحُ بالعَبيرِ أكْنافُهُ وأرْجاؤُهُ، إذا صافَحتْهُ مُسلِّمَةً يدُ الريحِ، لَبِسَ لمكافَحتِها الدِّرعَ كالمُشيحِ. [الكامل]

ومُنَمْنَمِ الشَّطَّينِ أُحكِمَ صَقْلُهُ ... كالمَشرِفيِّ قدِ اكْتَسَى بِفِرِنْدِهِ

فخمائِلُ الدِّيباجِ منهُ حَمائِلٌ ... مُتعانِقٌ فيها البَهارُ بِوَردِهِ[٣]

٩(٥٣) - نهرُ أبو عيار:

نهر أبو عيار، صاحبُ الأعلامِ والازدهارِ، مُمَسَّكٌ مُعَنْبَر، وحُلَلُ رياضِهِ مِنَ الزُّمُرُّدِ الأخضر، يَجري بينَ حدائقَ زاهِرَة، ورَياحينَ كالأنجُمِ الزاهِرَة، ائْتلَفَ فيها المَنثورُ والمَنظومُ، واختلَفَ مِنها المَطعومُ والمَشمومُ. [الطويل]

ونهرٍ جَلَتْ عَنْ حُرِّ صَفحَتِهِ القَذى ... مِنَ الريحِ مِعطارُ الأصائِلِ والبُكَرْ

---

(١) هو من فروع نهر القنوات. انظر خطط دمشق للمنجد، صفحة ٣٣.

(٢) البيتان لمحمد بن سفر، قالهما في نهر إشبيلية. الوافي بالوفيات ٣/١١٤، نفح الطيب ١/١٥٧.

(٣) البيتان لأحمد بن عبد الحق الجذلي المالقي. الإحاطة في أخبار غرناطة ١/١٨٢، وفيه: كالمشرفي إذا اكتسى.. فحمائل الديباج.. ومعانق فيها البهار.

بـــهِ عَبَـــقٌ مِمّـــا تَسَــــحَّبَ فَوقَـــهُ   نسيمُ الصَّبا يَجري علَى الماءِ والزَّهَـرْ[1]

١٠(٥٤) - نهرُ الأشْعابِ[2]:

نهـر الأشـعاب، قـدِ اسـتَوعَبَ المَحاسِـنَ أيَّ اسـتيعاب، مَشْـرَبٌ طابتْ مَشــارِعُهُ، وغَرَّدَتْ علَى أعوادِها سَواجعُهُ، ترنَّحَتْ أغصانُهُ عُجْباً، لِمَا امْتلأتْ قلوبُها مِنهُ حُبًّا. [الكامل]

وتــرَى الريــاحَ إذا مَسَـــحْنَ غَديــرَهُ   صَقَلْنَـــهُ ونَفَيْـــنَ كُـــلَّ قَـــذاةِ

مــا إنْ يَــزالُ علَيـــهِ ظَبْـــيٌ كــارِعٌ   كتَطلُّـــعِ الحَســـناءِ في المِـــرآةِ[3]

نهرُ قَنوات[4]:

يَقسِمُ نَهرًا صَغِيراً، يَجري بينَ رياضٍ تَنفُحُ نَـدىً وعَبـيراً، وباقِيـهِ يَدخُـلُ المَدينـةَ مـعَ صِنْوِهِ بانياسٍ، كَما سَيأتي تَفصِيلُهُ منْ غيرِ التباسٍ[5].



---

(١) البيتان لابن الرومي. الديوان ٩٧٢/٣، وفيه: وماء حلت.. على النور والزهر.

(٢) فرع من نهر القنوات، يسقي أراضي باب السريجة وباب المصلى والميدان. انظر خطط المنجد، صفحة ٣٣.

(٣) البيتان لابن المعتز. الديوان ٢٢٩/٢.

(٤) تقدم برقم (٦) صفحة ١٦٨.

(٥) انظر صفحة: ١٦٨ والصفحة ٢٠٠.

[تقسيم نهر ثورا]

ولْنَشْرَعْ بِذِكْرِ **ثَوْرا وما يَتَقَسَّمُ مِنهُ**، ونَروي أحاديثَ الصّفا عَنهُ، فقدْ قِيلَ: إنّهُ نِيلُ دِمَشقَ المَحميّةِ، وعلَيهِ جُلُّ مَبانِيها البَهيّةِ، وعِندَهُ أكثرُ مُنتزَهاتِها، ومِنْ مائِهِ نَشْأةُ حَدائِقِها ورَوضاتِها، تَحُفُّهُ الأدواحُ منْ طَرَفيهِ، وقدْ شَغفَها حُبًّا فانْعَطفتْ عليهِ. [الوافر]

تَثَنّى الغُصنُ إعْراضًا وعُجْبًا ... علَى نَهرٍ يَذوبُ أسىً علَيهِ
فَرَقَّ لهُ النسيمُ فَجاءَ يَسعَى ... مُلاطَفةً ومَيَّلها إلَيهِ

١(٥٥) - نهرُ الأنصار[1]:

نهر الأنصار، ولهُ منَ الرّياحينِ حَفَدَةٌ وأنصار، جَليلُ القَدْرِ والمَهابَة، واسِعُ النّعمةِ المُستَطابة، رياضُهُ تُذَكِّرُ الناظِرَ بالنّعيم، وتَحضُّ مَوتَى الهَمِّ إذا هَبَّ علَيها مِعطارُ النّسيم، والطيرُ يُغَرِّدُ على نَشرِها، وهيَ تُحَيّيهِ بِطيبِ عِطرِها، وقُدودُ الأفنانِ مُتشابِكة، وثُغورُ الأزاهرِ منْ طِيبِ رياضِها ضاحِكة. [الرجز]

كأنّما النهرُ وقدْ حَفّتْ بهِ ... أشجارُهُ فَصافَحتْهُ الأغْصُنُ
مِرآةُ غِيدٍ قدْ وَقفْنَ حَولَها ... يَنظُرْنَ فِيها أيُّهُنَّ أحْسَنُ[2]

٢(٥٦) - نهرُ بِشْرٍ[3]:

نَهرُ بِشر، نُزهةُ الناظِرِ في الطّيّ والنّشْرِ، رائِقُ المَشارِب، كَمْ قَضى السُّرورُ عندَ رياضِهِ منْ مَآرَب، نُورٌ يَرُفُّ في جَنباتِهِ، وأدواحٌ تَلعَبُ في هَضباتِهِ، وأطيارٌ تَترَنّمُ بأنواعِ اللّغاتِ، وتَتَكلّمُ بِلَطيفِ الإشارةِ عنْ أسرارِ الموجوداتِ. [البسيط]

---

(١) فرع صغير من ثورا (ماصية)، ويسمى ماصية الأنصار، وحسب مخطط الصالحية لدهمان يقع اليوم في منطقة الروضة.

(٢) البيتان لعمر بن محمد بن أبي حرادة العقيلي. أعيان العصر ٣/٦٥٥، وفيه: كأن وجه النهر إذ حفت به.

(٣) فرع صغير من ثورا (ماصية)، ويسمى ماصية بشر، وحسب مخطط الصالحية لدهمان يقع اليوم في منطقة الروضة.

تَضُمُّــهُ الريــحُ أحيانًــا وتُفْرِقُــهُ	فالمــاءُ مــا بــينَ مَحبــوسٍ ومُنطَلِــقِ
كــأنّ حافاتِــهِ نُطِّقْــنَ مــنْ زَبَــدٍ	مَناطِقًــا رُصِّعَــتْ مــنْ لُؤلُــؤٍ نَسِــقِ[1]

٣(٥٧) ـ نهرُ غالب:

نَهرُ غالب، نالَ منْ حُسْنِ حَدائِقهِ أسْنَى المَطـالب، لَبِسَـتْ أدواحُـهُ ثِيـابَ النّضـارَةِ، فَعَلاهُ مِنها سُرادِقاتُ الإمارَةِ، وعُيونُ الأزاهرِ شاخِصةٌ إلَيهِ، عاكِفةٌ مِـنْ طِيـبِ هَـواهُ علَيـهِ. [الكامل]

والنهـرُ قـدْ مـالَتْ عليـهِ غُصونُـهُ	فكأنّمــا هــوَ مُقلَــةٌ وَطْفــاءُ[2]
وبَــدا نِثــارُ الجُلَّنــارِ بِصَفْحِــهِ	فكأنّمــا هــوَ حيَّــةٌ رَقْطــاءُ[3]

٤(٥٨) ـ نهرُ المَحلاتِ:

نهر المحلات، زَاهي الحدائِقِ والرّوضاتِ، ابْتَهجَـتْ أفنانُـهُ بغَرائِـبِ الأجنـاس، وامتـازَتْ لَمّـا نفَحتْها الأزاهِرُ بأطيبِ الأنفاس، حدائِقُ بِعَرْفِ الأنوارِ عابِقة، وأطيارٌ بِفُنونِ التّغريدِ ناطِقة. [الوافر]

ونهــرٍ كالســماءِ يَجُــولُ فيــهِ	سَــحائِبُ مِــنْ ظِــلالِ الدّوحَتَــينِ
تَــدرَّعَ للنّواسِــمِ حــينَ هــزَّتْ	علَيــهِ كُــلَّ غُصــنٍ كــالرُّدَيني[4]

---

(١) البيتان لعلي بن محمد الإيادي، يصف البحر بالمنصورية (مدينة قرب القيروان). زهر الآداب ٢٣٥/١.

(٢) مُقلة وطفاء: كثيرة الشعر.

(٣) البيتان لعلي بن موسى العنسي. نفح الطيب ٢٦٣/٢.

(٤) البيتان في نفح الطيب ٦٠٥/٣ من غير عزو.

٥(٥٩) - نهرُ السّرداب:

نهر السرداب، تَردَّى مِنْ وَشْيِ أزهارِهِ بأبْهَى جلباب، بدَتْ طلائِعُ الصّبا تَجُرُّ ذُيولَ الزّهْوِ علَى صفحاتِهِ، فأهداها زَهرةً مِنْ طِيبِ نفَحاتِهِ، وهوَ يَجري في هَواها كَسَيْرِ الهائِمِ، وثُغورُالزّهرِ تَبْسُمُ في وَجْهِهِ مِنَ الكَمائِمِ. [الكامل]

والنهرُ مُذْ عَلِقَ الغُصونَ مَحبَّةً ... ظلّتْ تُطيلُ صُدُودَهُ وجَفاهُ

فتَراهُ يَجري لاثِمًا أقْدامَها ... وخَريرُهُ يَشكُو الذي يَلقاهُ

٦(٦٠) - نهرُ الشباكِ:

نَهرُ الشباك، قدْ مَدَّ لِصيدِ النفوسِ منْ حدائقِهِ شِباك، كمْ قبَّلتِ النسائِمُ مُحيَّاهُ، وأهداهُ الرّوضُ منْ طِيبِهِ وحيَّاهُ، فَتجعَّدَ وَجْهُهُ خَجَلاً، وجرَى بينَ خَمائِلِهِ سَلسَلاً. [المتقارب]

تَرَى الريحَ تَنسُجُ منْ مائِهِ ... دُروعًا مُضاعَفةً أوْ شَبكْ

كأنّ الزُّجاجَ بهِ قدْ أُذِيبَ ... وماءَ اللُّجَينِ بهِ قدْ سُبِكْ[1]

٧(٦١) - نهرُ الفَرادِيسِ:

نَهرُ الفراديسِ، قدْ ضمَّتْهُ رياضٌ كالفَراديسِ، ومَدّتْ لهُ فُرُشَها العبقرية، وعَطّرَتْهُ بنَفحاتِها العنْبرية، وغنّاهُ مُطَوَّقُها بألحانِهِ، وهَيْنَمَ شُحرورُها بغَريبِ فُنونِهِ على أفنانِهِ. [الكامل]

والماءُ مِنهُ سَبائِكٌ منْ فِضّةٍ ... ذابَتْ على دَوحاتِ شاذِرْوانِ

وكأنّما سَيفٌ هُناكَ مُشَطَّبٌ ... ألقَتْهُ يومَ الحربِ كَفُّ جَبانِ[2]

---

(١) البيتان للصنوبري. الديوان ٤٣٢، وفيه: كأن الزجاج عليها.

(٢) البيتان لابن حمديس. الديوان ٤٩٥، وانظر نفح الطيب ١/٤٩٥.

٨(٦٢) - نهرُ قُلْبين[١]:

نَهرُ قلبينِ، مَنظَرٌ باهرٌ وماءٌ مَعينٌ، تَسربَلَ مِنْ رياضِهِ حُلَلا، وصاحَتْ بهِ أطيارُهُ فَجرَى مُهَرْوِلا، يَطفُو ويَرسُبُ في أُصولِ أشجارِهِ، فتَميلُ سُكْرًا منْ رَحيقِ عُقارِهِ. [الكامل]

والنهرُ كالهِنْديِّ أوْ هُوَ مِعْصَمٌ   في حُلَّةٍ خَضراءَ أو ثُعبانُ

والقُضبُ تَرفُلُ في غَلائِلِ سُندسٍ   صِيغَتْ أزاهِرَها لَها تِيجانُ[٢]

٩(٦٣) - نهرُ الزَّيْنَبيِّ[٣]:

ماءٌ كَسلْسالِ الرِّضاب، مُغتَسلٌ باردٌ وشراب، يسيرُ بينَ رياضٍ أنضرَ منَ الخُدودِ النواضِرِ، تَمنْطَقَتْ بِبدائِعِ الدُّررِ منْ أنواعِ الأزاهرِ. [الطويل]

فجَدولُهُ في سَرْحَةِ الماءِ مُنْصلٌ   ولكنَّهُ في الجَذْعِ عطفُ سِوارِ

وأمواجُهُ أردافُ غِيدٍ نَواعِمٍ   تَلفَّعْنَ بالآصالِ رَيْطَ نُضارِ[٤]

١٠(٦٤) - نهرُ بابِ الثّلثِ[٥]:

هذا النهرُ رَحبُ الجَنابِ، غَزيرُ السّخاءِ واسِعُ الرّحابِ، تُحيطُ بهِ يَفاعٌ حَسَنة، ومُنتَزهاتٌ بَديعةٌ مُستَحسَنة، وهَزارٌ وعَندليب، ونَسيمٌ يَنشُرُ المِسكَ والطِّيب. [المتقارب]

---

(١) قُلبين ذكرها ياقوت نقلاً عن ابن عساكر، وقال: أظنُّها من قرى دمشق. معجم البلدان.

(٢) البيتان لشهاب الدين ابن الخلوف. الديوان، صفحة ١٢٤.

(٣) هو فرع من ثورا، وهو قناة كانت سبيلاً من السُّبلان. انظر خطط المنجد، صفحة ٣٢.

(٤) البيتان لأبي القاسم بن معاوية. الوافي بالوفيات ٤/٣١٠، ومعاهد التنصيص ٢/٩٥.

(٥) قال المنجد في خطط دمشق صفحة ٣٠: ومن ثورا فرعٌ يسمى مقسَم الثلث، يسقي أراضي حزة وزملكا وعربيل، وبعض أراضي عين ترما. والثلث في لغة العامة هي الماصية ذاتها. الريف السوري ٢/٣٢.

كـــأنّ المِيـــاهَ خـــلالَ الريـــاضِ وأعـــينُ أزهارِهـــا نـــــاظِرَهْ
سمـــاءٌ تَقطَّـــعَ فيهـــا الغَمـــامُ فلاحَـــتْ بـــهِ الأنجُـــمُ الزاهِـــرَهْ[1]

١١(٦٥) ـ نهرُ عِلّيتا:

نهر عليتا، يَجري بينَ رياضٍ شتّى، حتّى يتّصلَ بِحدائِقِ حَرستا، وهـيَ قريـةٌ بـارزةُ الحُسنِ واللّطافةِ، كامِلةُ الأوصافِ والظّرافةِ، صَحِيحةُ الهوَى، هيَ والجنانُ علَى حـدٍّ سَـوا، تُهرَعُ إليها زُمَرُ الناسِ لِورْدِهـا العَـذب، وَورْدِهـا الّـذي يُنعِشُ الـروحَ والقلـب، وهنـالكَ طاحونٌ تَجلُبُ المَسرّاتِ منْ كلِّ جانب، ويَستوقِفُ الناظِرَ ما في بَسـاتِينِها مـنَ العَجـائب، تُحيطُ بها رياضٌ مُنَمَّقَةٌ بـأنواعِ الرّيـاحين، مُطَـرَّزَةٌ بِطـرازِ الأزاهـرِ مـنَ الـوَردِ والنّسـرينِ، ونهرُها أصفَى منْ دَمعَةِ عاشقٍ رُمِيَ بالنّوَى، ولَعِبَتْ بهِ تباريحُ المَحبّةِ والهوَى. [السريع]

انظـرْ إلَـى النهـرِ الـذي مـاؤُهُ يَبيْـتُ سَـكْرانًا بـهِ مَـنْ صَحـا
تلاطَمـــتْ أمْواجُـــهُ فغَـــدتْ وبينَهـــا صُنْـــعٌ يُدِيـــرُ الرّحَـــى

وفي ذلكَ يقولُ الأستاذُ: [من الخفيف]

١- يـــا ســـقَى اللهُ ســـاحةَ الطـــاحُونِ مِـنْ حَرسْـتا بِصَـوبِ مُـزْنٍ هَتُـونِ
٢- ورَعَـــى ثَـــمَّ رَوضـــةً ذاتَ مَرْعًـــى غَضّـةَ النّبْـتِ قـد أهـاجَتْ شُـجوني
٣- نهرُهـــا حَولَهـــا يَـــدورُ كَثكْلَـــى فَقـدَ الإلْـفَ بـينَ تلـكَ الغُصـونِ
٤- ونســـيمُ الصّبـــاحِ حَـــرّكَ شَـــجْوًا مِـنْ قُـدودِ الريـاضِ كُـلَّ سُـكونِ
٥- وسَـــمِعْنا تَرنُّـــمَ الطّـــيرِ لّمـــا ضَـجَّ مِـنْ فَـوقِ غُصنِـهِ بِـاللّحونِ

---

(١) البيتان لسيف الدين المشد، الديوان صفحة ٩٣، وفيه: عنها الغمام.. فلاحت بها.

❀ وقالَ: [من المديد]

١- في حَرسْـــتا خـــارجَ البلَـــدِ	مِــلْ إلَــى رَوضٍ هُنــاكَ نَــدِي
٢- ثُــمَّ قِــفْ في سَــفحِ مَرْجَتِــهِ	بَــينَ نَهْرَيْهــا ولا تعــدِ
٣- وانْتشِــقْ ريَّــا نَســائِمِها	إنّــهُ يَشْــفِي فُــؤادَ صَــدِ
٤- رُبَّ يــومٍ قــدْ نَعِمْــتَ بِــهِ	مــعَ صِحــابٍ ســالِمي الخَلَــدِ
٥- ســاحةُ الطّــاحونِ مَنزِلُنــا	غيرَهــا في الحُســنِ لمْ نَجِــدِ
٦- روحُ ذاكَ القطْــرِ تلــكَ ومِــنْ	حَولِهــا الغِيطــانُ كالجَســدِ

وهذا آخرُ ما قَسمَهُ ثَوْرا، فَبثَّ في الحدائِقِ زَهْرًا ونورا.



[تقسيم نهر يزيد]

وأمّا **نهرُ يَزيدَ** فإنّه سَمحَ بِجَدْولَينِ، تَتحدَّرُ على صَفحاتِ صُخورِها كَذَوْبِ اللُّجَينِ، أوّلُها:

١(٦٦) - **جَدولُ الشّجريّةِ**، الذي يَسِحُّ بهِ على بَعضِ رياضِ الصالِحيّةِ، تَضُمُّهُ رَوضاتٌ غَضّةُ الجنَى، مَعدُودةٌ لِنَيلِ المُرادِ والمُنَى، يَنثُرُ عليها قِطَعَ الجُمانِ، فتُطَوِّقُ أجيادَ الأدواحِ بقَلائِدِ العِقيانِ، ماؤُهُ قَرْقَفٌ، ومَحاسِنُ رياضِهِ لا تُوصَفُ، وأطيارُهُ في وَرقِ الأشجارِ، كأنّها قِيانٌ خَلفَ أسْتارٍ، تُملِي أحاديثَ الهوَى والشُّجونِ، وتُوردُ علَى الأسماءِ مِنْ حُسْنِ مَنْطِقِها أنواعَ الفُنونِ، والأفنانُ تَرقُصُ طَرَباً، وتَطرَحُ على الروضِ مِنْ أكْمامِها فِضّةً وذَهباً. [الطويل]

لَها جَدولٌ يَنسابُ مِنْ فَوقِ شاهِقٍ ... كَما انْسابَ أَيْمٌ[1] في صَفِيحِ غَديرِهِ
تكَسَّرَ فوقَ الصَّخرِ بِالجَرْيِ جِسْمُهُ ... فَدلَّ علَى آلامِهِ بِخَريرِهِ

٢(٦٧) - ونهرُ مَهدي:

نهر مهدي، رياضُه أحسَنُ الرياضِ عِندِي، بالصّالِحِيّةِ مُقامُهُ، وفي أراضِي السّهْمَينِ سِهامُهُ، يَسرَحُ بينَ الْتِفافِ خمائِل، تَقلَّدَتْ مِنْ أنواعِ زَهْرِها بِحَمائِل، ورياحينَ تَبوحُ بأسرارِها، وتَفوحُ على غِناءِ أطيارِها. [الكامل]

وكأنّ جَدولَهُ حُسامٌ مُرْهَفٌ ... ما إنْ يَزالُ مدَى الزمانِ مُجرَّدا
صدأُ الزّلالِ يَزيدُ رَونَقَ حُسْنِهِ ... أرأيتَ سَيفًا قَطُّ يَصْقلُهُ الصَّدا

---

(١) الأيم: الحية الأبيض اللطيف. القاموس (أيم).

وأمّا نَهرا بانياسَ والقنوات:

فَهُما نَهرا المدينةِ الحاكِمان علَيها المُسلَّطانِ على دُورِها بالإتقانِ العَجيبِ، والترتيبِ المُصِيبِ، يَنقَسِمُ كلٌّ مِنهُما على أقسامٍ كثيرة، ويتفرَّقُ في المدينةِ بأصابعَ مُقدَّرَةٍ مَعلومة، يَجري في قِنًى مَدفونةٍ في الأرضِ، إلى أنْ يَصِلَ إلى مُستحقّاتِهِ بالدُّورِ والأماكنِ والجَوامعِ والمدارس والرّبطُ على حَسَبِ التّقسِيمِ، ثُمَّ تَنْصبُّ فَضلاتُ الماءِ منَ البرَكِ والمَيْضاواتِ، إلى قِنًى مَعمورَةٍ تحتَ الأرضِ، ثمّ تَجتمِعُ وتَخرُجُ جَعْفَرًا طافِحًا إلى ظاهِرِ المدينةِ، لِسَقْيِ أراضٍ وبَساتينَ مُختصّةٍ بهِ. انتهى.



وأمّا ما ذَكرْناهُ منَ الأنهارِ العذبةِ، التي ذَكرْناها مُفصّلَةً أُصولاً وأقْسامًا، فَهيَ سِتةٌ وسِتونَ نَهرًا، أشَرْنا إلى عِدَّتِها بعدَدِ حُروفِ الجَلالةِ المُعَظَّمَةِ مِنْ طَريقِ الجُمّلِ، وهي في البيتِ الذي خَتمْنا بهِ الأنهارَ مِنَ الأُرجُوزَةِ، وهوَ: [من الرجز]

مَواهِبُ اللهِ العَلِيِّ الأعلَى ... نالَتْها جِلّقُنا فكانَتْ أهْلا[1]



(1) هو البيت (١٣٥) من أرجوزته صفحة ١٦، ولفظ الجلالة في حساب الجمل: الله (أ = ١ + ل = ٣٠ + ل = ٣٠ + هـ = ٥) = ٦٦. كذا أرادها المؤلف رحمه الله أن تكون موافقة لعدد حروف الجلالة المعظمة؛ بعدما جعل نهر الشجرية الذي يتفرع عن نهر يزيد جدولاً، وإلا فإن ما ذكره (٦٧) نهراً مقسمة كما يلي: (٧) أنهر أصلية + (٢٠) نهراً تتفرّع عن نهر بردى + (١٧) نهراً تتفرع عن المنيحي + (١٠) أنهر تتفرع عن نهر الداراني + (١١) نهراً تتفرع عن نهر ثورا + نهرين يتفرعان عن نهر يزيد.

فصلٌ
في ذِكْرِ أوْدِيَتِها

التي ضاهَتْ بِمحاسِنِها الجِنانَ وأربَتْ على نهرِ الأبلةِ وشِعْبِ بَوّانَ. [الكامل]

في كـــلِّ وادٍ للنّواظِــرِ مَســـرَحٌ ... تَدعُـــو إليـــهِ مَنـــارَةٌ وبِطـــاحُ[1]

فاخَرَتِ الدّنيا بِتلكَ الحَدائِقِ والرّياضِ، واخْتالَتْ زَهْوًا بِهاتِيكَ الخَمائِلِ والغِياضِ، يـا لَها منْ جَنّاتٍ هَيْنَمَتْ مُفرَداتُها فأطْرَبتْ صَميمَ الأحجارِ! وجَـرتْ أنهارُهـا فَطـابَ لأهـلِ الخَلاعَةِ عِندَها خلعُ العِذارِ! [البسيط]

أنهارُهـــا بِميـــاهِ الحُسْـــنِ دافِقَـــةٌ ... كأنّهـــا لِـــذَوِي التّنْعِيـــمِ جَنـــاتُ

كلُّها رَوضاتٌ وعُيون، وفي ذلكَ فَلْيَتَنافَسِ المُتنافِسونَ. [البسيط]

فَكُـــلُّ وادٍ بـــهِ مُوسَـــى يُفَجِّـــرُهُ ... وكـلُّ نَهـرٍ علَـى حافاتِـهِ الخَضِـرُ[2]

---

(١) البيت لابن سعيد في نيل مصر. نفح الطيب ٣٠٦/١، وفيه: منازح وبطاح.

(٢) البيت لابن سعيد المغربي في جلق. فوات الوفيات ١٠٥/٣، والوافي بالوفيات ٢٥٦/٢٢

١- وادي بَردَى[1]:

هو بَيتُ القَصيدِ، والزّاهِـي على الزّاهِي والوحيـدِ[2]، كلُّـهُ دَرانِـكُ[3] مُفَوَّفَـةٌ بالأزهـارِ، مُطَّرِدَةٌ بالجَداوِلِ والأنهارِ، تَزخْرفَتْ أشجارُهُ، وابْتَسمَتْ مِنْ كمائِمِهـا أزهـارُهُ، قـامَ بـهِ سُـوقُ السُّرورِ والطَّرَب، وهامَ طَيرُهُ على هامَةِ الأدواحِ فأظْهرَ منْ شَجْوِهِ العَجب، ونادَى: هَلُمّوا إلى أشْرَفِيّةِ الطّباعِ، وجَدّدوا مَواسِمَ اللذّاتِ عِندَ هذهِ الحَدائِقِ والبِقـاعِ، وهَيْنَـمَ البُلبـلُ بـينَ تلـكَ الجنانِ، لّما خفقَتْ على جسْرِ دُمَّرَ رايـاتُ الأغصـانِ، ومَـدَّ باعَيْـهِ لاعْتِنـاقِ بـرَداهُ، ونـادَى بلسانِ حَريرِهِ: قلبي بحُبِّ تَيّاهٌ، وَضمَّهُ ضَمَّةَ عاشِقٍ أضَرَّ بهِ وَجْـدُهُ، وطـالَ عـنْ رُؤْيـةِ مَـنْ يَهواهُ عَهْدُهُ، والنّهرُ كأنّهُ مَلِكٌ بينَ جُنودِهِ، يُشبِّبُ لهُ الشُّحرورُ ويُغَنّيهِ البلبلُ على عُـودِهِ، والعُيونُ تَرْمُقهُ مِنْ كُلِّ طَرفٍ، والأشجارُ تُهدِيهِ مِنْ أزهارِها أنواعَ الطُّرَفِ. [الكامل]

لَمّـا بَـدا بَـردَى تَجُـودُ فُروعُـهُ ... بـينَ الريـاضِ دَعـا إلَـى التّشـبيهِ

فكأنّـهُ فِيهـا سَـبائِكُ فِضّـةٍ ... وكأنّهـا قِطَـعُ الزَّبرْجَـدِ فيـهِ[4]

حولَهُ جبالٌ فُروعُها فوقَ الثُّرَيا شامِخَة، وعُروقُها تحتَ الثّرَى في الماءِ راسِخَة، تُباهِي بأزاهِرِها نُجومَ السّماء، وتُناجِي بأسرارِها أُذُنَ الجَوزاءِ، وهوَ يَسيرُ سَيرَ الهـائِمِ، بـينَ رَقْـصِ غُصونٍ وغِناءِ حَمائِم، يَنثُرُ على الرياضِ دُرَرًا، فَتَنْظُمُها الأدواحُ بأجيادِها غُرَرًا. [الطويل]

---

(١) وادي بردى: هو المنطقة الواقعة بعد خروج بردى من التكية، حتى حدود مدخل الربوة عند دمشق، حيث يدخل النهر في واد عميق شديد الانحدار، بطول يزيد على (٣٠) كم، حيث القرى العامرة بالنشاط والآهلة بالسكان، وحيث تنتشر الأشجار ذات الفواكه والثمر، والحراجية للزينة والنظر، وكلها تؤلف مشاهد طبيعية خلابة مع النسيم العليل، ومياه بردى وعيون القرى وينابيعها تنتظم الجميع. انظر: المعجم الجغرافي للقطر العربي السوري ٥٣١/١، والريف السوري ٢٥٩/٢.

(٢) في هامش (أ): الزاهي والوحيد هما قصران لابن عباد. وانظر نفخ الطيب ٢٧٤/٤.

(٣) الدارنك جمع الدُّرْنك: كل ما له خمل قصير كخمل المناديل من بساط أو ثوب. معجم متن اللغة.

(٤) البيتان لابن النقيب. الديوان، صفحة ٣٠٨.

فمـــا هــوَ إلاّ فِضّـــةٌ في زَبَرْجَـــدٍ تَســاقَطَ مِنــهُ اللُؤلُـــؤُ المُتنـــاثِرُ
بحيثُ الصَّبا والتُّرْبُ والماءُ والهَـوى عَبـــيرٌ وكـــافورٌ وراحٌ وعـــاطِرُ
ومـا جَنَّةُ الدُّنيـا سِـوَى مـا وَصَفْتُـهُ ومـا ضَمَّ مِنهُ الحُسن نَجْدٌ وحـاجِرُ

فهـوَ - لَعَمْـري - مُنتهَـى الجَمـالِ[1]، ومُزدهَـى الصَّبـا والشّـمالِ، مَيدانُ الأفـراحِ، ومِضْمارُ سَوابقِ الأُنْسِ والانْشِراحِ، عَديمُ المَثيلِ والشَّبيهِ، فَلِلّهِ دَرُّ القائِلِ فيهِ: [من البسيط]

وادِي دِمَشقَ الّـذي يُعْـزَى إلَـى بَـرِدَى إليـهِ كـلُّ فُـؤادٍ في الـورَى صـادِي
فيـهِ المِيـاهُ هـيَ العَـذْبُ الـزُّلالُ مَشـتْ علَـى الحصَـى بـينَ إهْبـاطٍ وإصْعـادِ
فيـا لـهُ في الـورَى وادٍ لَطيـفُ شـذًى طَلْـقُ الجَوانِـبِ أضْحَـى نُزْهَـةَ الغـادِي
لّمـا نَسـيمٌ بـهِ قـدْ فـاحَ قُلْـتُ لـهُ: للهِ دَرُّكَ مـا تَحْويـهِ يـا وادِي[2]

٢ـ وادِي الرّبوَةِ[3]:

صُورةٌ تَجْلو الأبصارَ، وتَرْمـي القلـوبَ في حَبـائِلِ الانْبهـارِ، خيَّمـتْ فيـهِ سُـرادِقاتُ أزهارِهِ، واصْطَفّتْ علـى أدواحِـهِ مَواكِـبُ أطيـارِهِ، ضَرَبَـتْ أنهـارَهُ كُوسـاتُ الطَّـربِ[4]،

---

(١) في (ب): فهي لعمري الجمال.

(٢) لله درّك... عجز بيت لمحيي الدين ابن عربي، وصدره: عرّج ففي أيمن الوادي خيامُهُم. من قصيدة مطلعها:
يـا حـادي العيـس لا تعجـل بهـا وقفـا فـإنني زمـن في إثرهـا غـادي

(٣) وادي الربوة: مضيق، يولف آخر وادي بردى وأول المتسع الذي تبدأ به أرض الغوطة الغربية، ويقول الشيخ محمد أحمد دهمان: إن ما يسمى اليوم بالربوة إنما هو واد تتدفق فيه المياه وتنساب. والربوة من متنزهات دمشق، التي تشتبك فيها الأشجار، حتى تشكل غياضاً وارفة الظلال، وفروع بردى تحيط بها من كل جانب ومكان، والوادي واقع بين علوتين شاهقتين كالجدران، من أعضاد قاسيون الممتدة بين دمر وحي المهاجرين، وبين المياه المتدفقة والأشجار الباسقة الملتفة يتشبع الجو بالرطاب المنعش، وهذا ما يجعل وادي الربوة مقصد المتنزهين والباحثين عن الجمال الأخاذ والطبيعة الخلابة. انظر الريف السوري ١٨٨/٢ وما بعدها. وانظر صفحة ١٥٦ الحاشية (٢).

(٤) في (ب): كؤوسات الطرب.

فتناقفَتْ مَوجاتُها ببَوارِق بِيْضِ الحَبَبِ، شَقَّ الماءُ صُخورَهُ بِمِنشارٍ[1]، وتَحدَّرَ في تُخومِ رَبوةٍ ذاتِ قرارٍ، بَرَدَ نَسيمُهُ وتعَطَّرَ، فلذا يَزيدُ ماؤُهُ ويتقطَّرُ، وخارَ ثَوراهُ بتلكَ البقاعِ، فاختارَتْ قَنواتُهُ خَيْطَ الارتفاعِ، واهْتَزَّتْ قَناتُهُ اهتِزازَ الصِّلِّ، فَصدَّعَتْ جَوفَ الجَبلِ رَغبةً في الظِّلِّ، ودارَ الدارانيُّ على أخدانِهِ، فاكْتَنَفهُ الدَّوحُ بظِلالِ أَفْنانِهِ، وفاضَ دمعُ بانياسَ وانحدَرَ، وقَصدَ الشقراءَ يسألُ مِنَ النّسيمِ الخَبرَ، حينَ قَسمَتْهُم أيدي المَقاسِمِ، وتَركَتْ كُلاًّ مِنهُم بحُسْنِ رياضِهِ هائِم[2]، يسيرُ بينَ ظِلٍّ ظَليلٍ، ورياضٍ تَتراءى لِلناظِرِ بالحَسَنِ الجَميلِ، تُناديهِ أطيارُها: هَلُمُّوا إلى مَغْرِسٍ للحُسْنِ ومَقِيْلٍ، قد سَئِمَتْ أرضُها الما، حتّى احتاجَتْ إلى الظّما. [الطويل]

فَمِنْ رَوضَةٍ غَنّاءَ تجري خِلالَها ... جَداوِلُ مِنْ نَهرٍ يَفِيضُ إلى نَهرِ

رسائِلُ تَمشي بالمَودّةِ بينَهم ... وتُبدي لَنا ما في حَشاها مِنَ السِّرِّ[3]

تَضمُّهُ جبالٌ تُضيءُ بها قَناديلُ النّجومِ، وتَلتفُّ على هاماتِها أذيالُ الغُيومِ، تَغرَّبَ الماءُ في أكنافِها اغْتِرابَ الحارثِ بنِ مُضاضٍ[3]، واضْطرَبَ في شِعابِها اضْطرابَ الحَيَّةِ النَّضْناضِ[4]، وهامَ شُحرُورُها هُيامَ سَعْدٍ بورْدِهِ[5]، وأبْدَى فَصاحةَ ابنِ يَعْفُرَ حينَ أثارَ الغَرامُ وَجْدَهُ[6]. [السريع]

---

(١) المنشار: بقايا درجات حجرية في سفح جبل قاسيون الغربي، إلى الغرب المجاور لدير مران، فوق خانق الربوة، عند الصخرة المشهورة التي كتب عليها (اذكريني دائماً) وكانت هذه الدرجات تصل إلى مسجد الديلمي الذي جدده نور الدين الشهيد، ولا زالت آثار هذه الصخرة باقية إلى الآن بعد أن أصبحت كأسنان المنشار. معجم دمشق التاريخي.

(٢) كذا الأصول، مراعياً السجعة. (٣) البيتان لابن النقيب. الديوان ١٤٢.

(٣) الحارث بن مُضاض بن عبد المسيح الجُرهمي، من ملوك الجاهلية، خرج من بلاده يجول في الأرض زمناً طويلاً، فضُرب المثل باغترابه، ويقول المسعودي: إنه أول من تولى أمر البيت بمكة من جُرهم.

(٤) النضناض من الحيات: الذي لا يثبت في مكانه لِشِرّته ونشاطه.

(٥) يريد قول النوّار بنت جَلٍّ، كما جاء في طبقات فحول الشعراء ١/٣٠.

أورَدَها سعدٌ وسعدٌ مُشتمِلْ ... ما هكذا تُوردُ يا سعدُ الإبِلْ

(٦) ابن يعفر هو الأسود، ولعلّه يقصد قوله الذي ذكره ابن قتيبة في الشعر والعشراء ١/٢٥٥.

ماذا أؤمّلُ بعدَ آل محرّقٍ ... تركوا منازلهم وبعدَ إيادِ

الطـيرُ قـدْ غنّـى علَـى عُـودِهِ   في الـرّوضِ بـين الجنـكِ والـدّفِ[1]

وحَسبُكَ وادٍ شرَّفَهُ التّنزيلُ، فهوَ وإنْ كَثُرَتْ فيهِ الأقاويلُ. [البسيط]

نـزِّهْ لِحـاظَكَ في أطرافِـهِ لِـترَى   أصنـافَ مـا خَلـقَ الرّحمـنُ لِلبَشـرِ

تَـرَى مَحاسِـنَ وادٍ يحتَـوي نُزهًـا   لَـذَادَةَ السّـمعِ والأبصـارِ والفِكَـرِ

مـا بَـينَ رَوْضٍ وأنهـارٍ مُسَلْسَـلَةٍ   تَجـري وتَحمِـلُ أنواعًـا مِـنَ الثّمَـرِ

٣ـ وادِي مكرمٍ:

حَسَنُ المَنظَرِ والغَضارَةِ، قد أَخَذَ على أخَواتِهِ رُتبةَ الأمارَةِ، حيثُ ما يَمَّمْتَ اقْتَبَسْتَ نورًا، وَرأيتَ ثَمَّ نَعيمًا ومُلْكًا كبيرًا، قَدَحَتْ زِنادُ النّسائِمِ زُنودَ أشجارِهِ، فَنفحَتْ مَجامِرَ الطِّيبِ مِنْ كَمائِمِ أزهارِهِ، يُنادِيكَ طَيرُهُ الأكْيَس: اخلَعْ نَعليكَ فإنّكَ بالوادي المُقَدَّس. [الكامل]

لَـو لَـم يَكُـنْ هـو جَنَّـةَ المـأوَى لَنـا   مـا كـانَ تَجْـري تَحتَـهُ الأنهـارُ

نَشرَ كافورُ الطَّلِّ مِسْكِيَّ الشذَا على كَمائِمِ أشجارِهِ، لَمّا نَصبَتْ على فُرُشِهِ العبقريّةِ سُرادِقاتِ أزهارِهِ، فَنَبَّهَتْ عُيونَها ذُيولُ النسائِمِ، ونِيطَتْ على قُضْبِها مِنها تَمائِم، فَغدَتْ عيونُها شاخِصَةً، وقُدودُ أغصانِها على غِناءِ الحَمائِمِ راقِصَةً. [الطويل]

كـأنَّ عليهـا عَبْقَـرِيَّ مطـارفٍ   ومِـنْ حُلَـلِ الدّيبـاجِ وَشْـيَ عَصـائِبِ

اخْضرَّتْ مَسارِحُ نَباتِهِ، واخضَلَّتْ مَساري هبَّاتِهِ، ودَمعَتْ بالطَّلِّ عُيونُ زَهْرِهِ، لَمّا ذابَ على زَبرْجَدِ حَدائِقِهِ بِلّورُ نَهرِهِ. [السريع]

---

[1] البيت لابن الوردي. الديوان، صفحة ٣٥٢.

يـا أيّهـا الـوادي الـذي نَشْـرُهُ ... قـدْ مَـلأَ الأرجـاءَ نَشْـرًا فَتيـقْ

إنّ الرّبـا قـدْ كُلِّلَـتْ بـالنّدى ... وانْتَظَـمَ المَنْثـورُ بـينَ الشَّـقيقْ

وكُلّمـا مَـرَّتْ بنـا نفحَـةٌ ... أهْدَتْ مِن الأزهـارِ مِسكًا سَحيقْ

رَوتْ حَديثًـا عـادَ دَمعِـي لَـه ... مُسلسَلاً بـالحُبِّ لا يَسـتَفِيقْ[1]

٤- وادي كِيوان[2]:

رَوضُ كِيْـوانَ فُقْـتَ طَبعًـا وَوصْفـا ... فَكثِـيرُ الثّنـاءِ فِيـكَ قَليـلُ[3]

تِـهْ علَـى الشِّعْبِ شِعْبِ بَوّانَ وافْخَـرْ ... فعلَـى مـا نَقـولُ قـامَ الدَّليـلُ[4]

هوَ كَعبةُ الحُسْنِ الغرّا، تَطوفُ بأكنافِهِ وُفودُ السّرا، تَدفّقَ ماؤُهُ بينَ المُحَصَّبِ والصَّفا، وراقَ لُجَيْنُهُ على زُمُرُّدِهِ وصَفا، لَبِسَ مِنَ الوَشْيِ رَونَقَ الإحرامِ، فلبّاهُ حَمامُهُ في حُجْرِ ذلكَ المَقامِ، ونادَى المُطَوَّقُ: هَلُمُّوا لِزيارَةِ بيتِ الهَنا، وارْمُوا جَمراتِ الهُمومِ بوادي المُنَى. [السريع]

احْجُـجْ إلى الزّهْـرِ لِتَحظَـى بـهِ ... وارْمِ جِمـارَ الهَـمِّ مُسْـتَنفِرا

مَـنْ لَمْ يَطُـفْ بـالزّهرِ في وَقتِـهِ ... مِـنْ قَبْـلِ أنْ يَحلِـقَ قـدْ قَصّـرا[5]

---

(١) الأبيات لمحمد الجُرموزي. نفحة الريحانة ٤٠٦/٣.

(٢) كيوان المحلة الواقعة في طريق بيروت على الضفة الجنوبية لنهر بردى، شرقي الربوة وشمالي المزة، بين ساحة الأمويين وساحة مشفى المواساة تنسب إلى كيوان بن عبد الله من كبار ضباط الإنكشارية في الشام بمطلع القرن الحادي عشر الهجري. معجم دمشق التاريخي.

(٣) في (ب): فلكثير الثناء.

(٤) البيتان لأحمد بن صالح بن أبي الرجال، من قصيدة في وصف روضة صنعاء. خلاصة الأثر ٢٢٠/١، ونفحة الريحانة ٤٨٦/٣، وفي المصدرين: روض صنعاء فُقت...

(٥) البيتان للقاضي شرف الدين المقدسي. فوات الوفيات ٥٨/١، الوافي بالوفيات ٢٣٢/٦، قال صاحب معاهد التنصيص ١٤١/٣: ومما جاء في التوجيه في قواعد العلوم في شيء من قواعد الفقه. لذا قال الشيخ محيي الدين عبد الحميد معلقاً، بعد أن أثبت في المتن: بالزهر في وقفةٍ: في الأصل: بالزهر في وقته. وما أثبتناه موافق لما في خزانة ابن حجة، وهو من تمام التوجيه المقصود إليه في البيت.

وعَلا الشُّحرورُ مَنابرَ الدَّوحِ وزَمْزَمَ، وأرْمَلَ البُلبلُ لِقدُومِ النسائِمِ وتَرنَّمَ، والعندليبُ بينَ مُفْردٍ وقارِنٍ، مُتمَتِّعٌ مِنَ الرياضِ بتلكَ المَحاسِنِ، يَسعَى بينَ غَديرٍ وجَدولٍ، ويَذْبَحُ كَبشَ الأحزانِ عندَ كلِّ حديقةٍ ومَنهلٍ، والحَمائِمُ في عَجٍّ وثَجٍّ، تَزُورُهُم نَسَماتُ المَسرَّةِ مِنْ كُلِّ هَضَبَةٍ وفَجٍّ، كلُّهم ناطِقٌ بِلسانِ التوحيدِ، يَشهدُ بِوَحدانيةِ المُبدعِ المَجيدِ. [الخفيف]

١- إنَّ وادي كِيْـوانَ ألطـفُ وادي ... ماؤُهُ العَـذبُ صادَ قلبَ الصَّادي

٢- حَمَلتْنـا إليـهِ نَسْـمَةُ فَجْـرٍ ... ضاعَ فيـهِ الشـذا فبـاتَتْ تُنـادي

٣- والسـواقِي جـرَى بهـا المـاءُ عَذْبًـا ... فـوقَ حَصْبائِـهِ اللِّطـافِ الجِيـادِ

٤- فـإذا مـا رَأتْـهُ ذاتُ حِلِـيٍّ ... لَمسـتْ عِقْدَهـا بتلـكَ الأيـادي

٥- وبِـدونِ الخَلْخـالِ إنْ هـيَ خـاضَتْ ... فيـهِ خـاضَتْ بِمِثلـهِ المُسـتعادِ

٦- تَحسِبُ الشـمسَ فيـهِ أخـرَى سِـواها ... فسَـماها للمـاءِ كالحُسّـادِ

هـ- وادي الجَناوِلَةِ:

هذا الوادي عالي السَّنَدِ، مَحلُّهُ بينَ العلياءِ والسَّندِ، ماؤُهُ مُتَسلسِلٌ مُتَواتِـرٌ، مُنخَفِضٌ تحتَ ظِلالِ الأزاهـرِ، عَبيرُ نـورِهِ على أيـدي النَّسائِمِ مَرفـوعٌ، وليـسَ الخَبـرُ الصحيـحُ كالمَوضوعِ، ولا الضَّعيفُ كالمَقطوعِ. [الوافر]

ولا بَـرِحُ الصَّبـا يَـروي صَحيحًـا ... حديـثَ رياضِـهِ وبِـهِ اعتِـلالُ[1]

والطيرُ راوي أحاديثِ تلكَ الحدائِقِ، يُملي على الأسْماعِ فُصولَ شَدْوِهِ الغابِقِ. [الخفيف]

وأتَـى مُرسَـلُ النَّسـيمِ إلى الغُصْـ ... ـنِ فَيُوحِـي إليـهِ كيـفَ يَميـلُ[2]

---

(١) البيت لشهاب الدين التلعفري. انظر ديوانه صفحة ٢٣٣، وفيه: حديث رياضها.

(٢) البيت للقاضي محمد بن إبراهيم السحولي. انظر نفحة الريحانة ٣/٤٨٨.

[وقيل]: [من الكامل]

والزّهـــرُ بـــينَ مُدَبَّـــجٍ ومُجَعَّـــدٍ ومُذهَّـــبٍ ومُفَضَّـــضٍ ومُـــورَّدِ

حسَنُ المَنظرِ والشميمِ، كأنّهُ مَفروزٌ مِنْ جَناتِ النّعيم. [الكامل]

مـازِلْتُ أُسْـنِدُ مِـنْ مَحاسِـنِ رَوْضِـهِ خَـبرًا صَحيحًـا ليـسَ بِـالمقطوعِ
كـمْ مُرْسَـلٍ مِـنْ نَهـرِهِ ومُسَلسَـلٍ ومُدَبَّـجٍ مِـنْ دَوحِـهِ المَرفـوعِ[1]

٦ـ وادي السّفرجَلِ:

حازَ الفَضلَ الرفيع، بِطرازِ وَشْيِ أيدي الربيعِ، نَسيمُهُ أمينُ أسرارِهِ، مأمونٌ علَى طَرائِفِ أزهارِهِ، صَدحَ حَمامُهُ الأقمَر، وغنّى على كلِّ ساقِيةٍ وجَعفَر. [الطويل]

سـيُغنِيكَ عـنْ مِزمـارِ آلِ مُخـارِقٍ ومَرْبَعِهـم تَغريـدُ تِلـكَ الحَمـائِمِ[2]

ومُطوَّقُهُ رَشيدُ الإيقاعِ والغِناءِ، مَسرورٌ بتلكَ الروضةِ الغَنّاءِ، مُعتَصِمٌ بأفنانِ أدواحِهِ، مَنْصورٌ بِجُيوشِ أزاهِرِهِ وأرْواحِهِ. [الكامل]

ورقَـى خَطيـبُ العندليـبِ مَنـابِرَ الـ ـأغصـانِ لابِـسَ خِلْعَـةَ الخُلَفـاءِ

(١) المرسل، والمسلسل، والمدبج، والمرفوع: من مصطلحات علم الحديث.

(٢) هو قوله: مزمار مخارق، وكلمة آل زائدة ومخارق هو أبو المهنأ ابن يحيى الجزار إمام عصره في فن الغناء، ومن أطيب الناس صوتاً. اتصل بالرشيد والمأمون ونال استحسانهما، توفي بسرمن رأى سنة ٢٣١ للهجرة.
والبيت في زهر الأكم ٢/١٦٦ من غير عزو، وفيه: وبربطهم تغريد...

حَسَنُ الصوتِ المُغرِبِ، سهلُ الطريقةِ في المُرقِصِ المُطرِبِ، كأنْ قدْ أخذَ الألحانَ عنْ مَعبد[1]، وتصحيحَ الألحانِ عن أبي الأسْوَد[2]، وعِلْمَ السَّماعِ عن إبْراهيم[3]، ونَقْرَ الوَترِ عنْ إسحاقِ النّديم[4]. [الطويل]

تَغنَّتْ بهِ الأطيارُ منْ كلِّ نَغْمَةٍ　　تُهيِّجْنَ ألحانَ النديمِ ومَعبَدِ[5]

يترَقْرقُ ماؤُهُ بسلسالِهِ، فيُديرُ على حدائقِهِ كُؤوسَ جرْيالِهِ. [الطويل]

بهِ الفَضلُ يَبدو والربيعُ وكمْ غَدا　　بهِ الروضُ يَحيَى وهوَ لا شكَّ جَعفَرُ[6]

والبلبلُ يَترنّمُ على عُودِهِ، تَرنُّمَ زِرياب[7] على عُودِهِ. [البسيط]

نَزِّهْ عُيونكَ في الوادي الأريجِ تَرَى　　رَوضَ الرُّبا قدْ حوَى للزَّهرِ ألوانا

بهِ رَوَيْنا حديثَ الأُنسِ مُتّصِلاً　　لكنَّ سَلْسَلَ دَمْعِ الحُبِّ عقيانا

واسمَعْ سَواجِعَ وُرْقٍ مِنْ صَوادِحِهِ　　فقدْ رَوتْ فيهِ عنْ إسحاقَ ألحانا

---

(١) معبد بن وهب المغنّي: أبو عبّاد المدني، نابغة الغناء العربي في العصر الأموي، كان أديباً فصيحاً، نشأ في المدينة، ثم رحل إلى الشام، فاتصل بأمرائها، وارتفع شأنه. مات في عسكر الوليد بن يزيد سنة ١٢٦هـ.

(٢) أبو الأسود الدؤلي: ظالم بن عمرو (١ق هـ ـ ٦٩هـ) كان معدوداً من الفقهاء والأعيان والأمراء والشعراء والفرسان، واضع علم النحو، وكذلك الحركات والتنوين في لفظ الكلمة. ولي إمارة البصرة، شهد صفين مع علي رضي الله عنه. ولما وفد على معاوية بالغ في إكرامه.

(٣) إبراهيم بن محمد المهدي (١٦٢-٢٢٤هـ): أخو هارون الرشيد، كان حاذقاً بصنعة الغناء.

(٤) إسحاق النديم بن إبراهيم الموصلي (١٥٥-٢٣٥هـ): من أشهر المغنين في العصر العباسي، تفرد بصناعة الغناء، وكان عالماً باللغة والموسيقا والتاريخ والكلام، راوياً للشعر، حافظاً للأخبار.

(٥) البيت لعبد الله بن محمد حجازي. نفحة الريحانة ٢/٥٧٠.

(٦) في البيت تورية لطيفة فالفضل هو الفضل بن يحيى، ويحيى هو ابن خالد بن برمك، وجعفر هو ابن يحيى فضلاء من آل برمك.

(٧) زرياب: علي بن نافع، مولى المهدي العباسي، نابغة الموسيقا في زمانه. كان شاعراً مطبوعاً، حسنَ الصوت، وهو الذي جعل العود خمسة أوتار، وكانت أربعة، سافر إلى الأندلس وعلت بها شهرته. توفي بقرطبة سنة ٢٣٠هـ.

٧- وادي الحِمصيّ:

وادٍ يفوحُ منهُ عَرْفُ الطِّيب، فيُوردُ لِلقلبِ ذِكْرَ حبيب، أزاهِرُهُ كعُقودِ الجُمانِ في النُّحورِ، وقلائِدِ العِقْيانِ فوقَ صُدورِ الحُورِ، والوُرْقُ في أفنانِها كالشادي المُغْرِبِ، تترنّمُ بألحانِها بالمُرْقِصِ المُطْرِبِ، ولسانُ العندليبِ تُرجُمانُ الأشواق، فلذا تُرى حضرتُهُ مَصارِعَ العُشّاقِ، يَرفُلُ بينَ وَرْدِ الرّوضِ ورَيْحانِهِ، فيُزَمِّرُ لهُ النسيمُ على رنّةِ ألحانِهِ، إلى عبيرٍ يَفْعَلُ فِعْلَ السُّلافَةِ بالألبابِ، والدُّميةِ في العاشقِ المُرتابِ، والمُطوَّقُ آخِذٌ في مقاماتِ الطربِ، يُمْلي عليكَ المُعْرَبَ منْ لِسانِ العَربِ، تَخِذَ الرياضَ مَعاهِدَ أُنْسِهِ، وديوانَ صَبابَتِهِ ونُزْهَةَ نَفْسِهِ. [الوافر]

فلا تَغْفَلْ عنِ الأطيارِ تَسمَعْ إذا غَنَّتْ مقاماتِ الحَريري

لَعَمْري هو لِلأَنْفُسِ مَطْمَحٌ، ولِلخاطِرِ والناظِرِ مَسرحٌ، مَرْكَزُ إحاطةِ الحُبورِ، وقُطبُ دائرةِ الأُنْسِ والسُّرورِ، ونُزهةُ النفوسِ ومِرآةُ الزمانِ، وخَريدةُ العَجائِبِ وحياةُ الحَيوانِ، ونَهرُهُ كأيِّمٍ أدْرَكَهُ الطَّلَبُ فَذهبَ، وانسابَ بينَ حَصْباءِ الفِضةِ ومُروجِ الذهبِ. [الكامل]

١- فانْهضْ إلى الوادي السّعيدِ ومائِهِ الـ عَذْبِ الفُراتِ وظِلٌّ ذاكَ الآسِ

٢- هذي الجِنانُ تَنفّسَتْ في أَوْجهِ الـ خُضْرِ الرياضِ بأطْيَبِ الأنفاسِ

٣- ومشَى النسيمُ مُصَحِّحًا ما اعتلَّ مِنْ أدواحِها فهو العليلُ الآسي

٤- والقَطْرُ مُنْتَثِرٌ على جَنباتِها كاللُّؤلُو المُتناسِقِ الأجْناسِ

٥- والعندليبُ مُصَفِّقٌ يَشدو على تِلكَ الهِضابِ وغُصنِها المَيّاسِ

٦- وكأنّما الأزهارُ قدْ صِيغَتْ لهُ قَفَصًا مِنَ الياقوتِ والألماسِ

٧- مُتوَشِّحًا بِسَحيقِ مِسْكٍ جيْدُهُ   مُتلَفِّعًا في عَنْبريٍّ لِباسِ[1]

٨ـ وادي الشّقرا[2]: [الخفيف]

مَنظَرٌ يَبعثُ السُّرورَ ومَرآى   يُذكِّرُ المَرْءَ طِيبَ عَصْرِ صِباهُ[3]

هو المَيدانُ الأخضر، الحاوي لِنَهْرَيّ بارِقٍ[4] والكَوثَر، والجَبْهَة والخَلخال، والمَرجة الخَضراءُ ذات السّلسال. [السريع]

سِرْ بي إلى الشّقراءِ مِنْ جِلّقٍ   واثْنِ إلى الخَضْراءِ مِنكَ العِنانْ
وانزِلْ بِوادِيها الذي نَشْرُهُ   مِسْكٌ وحَصْبا النهرِ فيهِ جُمانْ

نالَ الشّرفَ الأعلَى بِشرَفَيْهِ، وبِأدواحِهِ التي تُظِلُّهُ أفنانُها مِنْ طرَفيهِ. [الكامل]

والأرضُ تَرْفُلُ في مَطارِفِ سُندُسٍ   كالخُودِ في حُلَلِ الحَريرِ الأخْضَرِ
والرّوضُ مُعْتَلُّ النسيمِ كأنّهُ   دارُ النعيمِ ومَاؤُهُ كالكَوثَرِ[5]

وبالجُملةِ، فهوَ جَنّةٌ تَتقاصَرُ عنْ دَرْكِ وَصْفِها أعناقُ الفَصاحَةِ، وتُقَصِّرُ عنْ مُناوَلَةِ مَحاسِنِها في مَيدانِ البلاغةِ كلُّ راحةٍ. [الكامل]

لَمْ يَحْكِ جِلّقَ في المَحاسِنِ بَلدَةٌ   قَولٌ صَحيحٌ ما بِهِ بُهتانُ

---

(١) الأبيات للأمير منجك. الديوان، صفحة ٤٥.

(٢) وادي الشقراء: من متنزهات دمشق، في الجانب الغربي منها، طوله أثنا عشر ميلاً، وعرضه ثلاثة أميال، وتطل عليه صنعاء الشام (قبل المزة)، وكان اسمه وادي البنفسج، ومكانه اليوم معرض دمشق. انظر معجم دمشق ٣٣٥/٢.

(٣) البيت لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني. خريدة العصر (المغرب) ٢٦١/١، نفح الطيب ٤٩٧/١.

(٤) بارق والكوثر نهران من أنهار الجنة. انظر مسند الإمام أحمد ٢٦٦/١.

(٥) البيتان للمحبي، ذكرهما في كتابه خلاصة الأثر ١٣٧/٤.

وَلَئِنْ غَدَوْتَ مُنافِسًا في غَيرِها ... هَا بَيْنَنا الشَّقراءُ والمَيْدانُ

٩- وادي الصُّفَيْرى[١]:

ماؤُهُ لِلوارِدِ وِرْد، وعِطْرُهُ العَرارُ والوَرْدُ، هَواهُ مُرسَلٌ، وماؤُهُ مُسَلسَلٌ، هَدَرَ كالدَّأْماءِ اللُّهامِ[٢]، وهَرْوَلَ هَرْوَلَةَ العَرامِ، وعَمَّ الوِهادَ والآكامَ، مَرِحَ دَوْحُهُ مَرَحَ الإدلال، وَماسَ أُمْلودُهُ دَلالاً وَمال، لمّا أهداهُ المِسكُ عِطْرَه، وأعطاهُ السُّرورُ لِواءَ الإمرَة، هَدَرَ حَمامُهُ وصَدح، ومَلأَ مَحارَ الأسْماعِ دُررَ المِلَح، سَرَدَ آلاءَ اللهِ وحِكَمَه، ودَرَسَ مَكارِمَ رَسولِهِ وكَرَمَه، وسادَ أسْوَدُهُ وصاح: هَلُمُّوا لِمَورِدِ اللّهْوِ ومَسارِحِ الأرواح، الأمْواهُ لأدواحِهِ كالسّوارِ لِلمِعْصَمِ، والظّلُّ حَولَهُ كالسِّمْطِ المُحْكَمِ، لَعَمْرُكَ هو للآرامِ مَسرحٌ، وللآمالِ مَرامٌ ومَطْمَحٌ. [الكامل]

لله وادٍ للسرورِ مَراحُ ... دَوْحٌ وماءٌ سَلسَلٌ رَحْراحُ

وَرْدٌ وآسٌ أسودٌ صَدّاحُ ... عَطِرٌ حَمُومٌ عاطِرٌ أرواحُ

١٠- وادي بَرْزَة[٣]:

كُلُّهُ نَضْرَةٌ ونَعيم، كيفَ وقدْ شرَّفهُ سيدُنا إبْراهيم، ومَسجِدُهُ مَوضِعُ الإنابَة، ومَحلٌّ لقَبولِ والإجابَة. [البسيط]

مَقامُهُ حَرَمٌ فيها ومُحتَرَمٌ ... عنْ حُسْنِ مَحْتِدِهِ يَروي لَنا سَنَدا

---

(١) وادي الصُفيرى: واد في جبل قاسيون، عند النهاية الشرقية لحي ركن الدين، بينه وبين حي برزة. وأصل التسمية سرياني من (صفره) وتعني العصافير أو الطيور. معجم دمشق.

(٢) الدأماء اللهام: البحر العظيم.

(٣) برزة: هي اليوم حي من أحياء دمشق، أما في الأصل فهي قرية قديمة، بدليل آثارها القديمة ومقام إبراهيم الخليل فيها، وينحدر واديها إلى قريب من سهل القابون، حيث كانت الزراعة مزدهرة فيها، من الحبوب والزيتون وأشجار الجوز والتين، وزراعة نبات اليانسون، تسقى من نهر منين، وبعض مياه يزيد. المعجم الجغرافي ٢/٢٨١.

لــهُ مَقــامٌ بِــهِ الأنـــوارُ ســـاطِعةٌ تَجلُو العيـونَ فـلا تَشـكو إذًا رَمَـدا

وقدْ تَداوَلَتِ الألْسُنُ[1] فَضْلَهُ وعِزَّه، لِوُرودِ الخَبرِ في ما بينَ أَرْزَةَ[2] وبَرْزَة. [الكامل]

أمّـــا الريـــاضُ فـــإنّهنّ عَرائِـــس لَمْ يَحْتَجِبْـنَ حَـذارَ عَـينِ الكـالِي[3]

تَثنِـي الصَّبـا مِنهـا أكُـفَّ زَبَرْجَـدٍ مَنظومَـــةً أطرافُهـــا بِــــلآلِ[4]

رِياضٌ وجِنان، أفنانُها في الحُسْنِ ذاتُ افْتِنـان، بَـرزَتْ أدواحُهـا في ثِيابِهـا المُنَمْنَمَـة، واخْتالَتْ في حُلَلٍ منَ الزّهْوِ مُعْلَمَـة، شـاخِصَةً لِربِّ السـماءِ، الـذي كَوّنَهـا عـنْ أصـلابِ السُّحُبِ في أرحامِ الغَبراء. [الكامل]

والأرضُ زاهِيـــةٌ بِحِلْيَتِهـــا الــتي نُسِــجَتْ بِلُطْـفِ مُدَبِّـرِ الأشـــياءِ

والغُصونُ تَترَنَّحُ تِيْهاً، تُسبِّحُ بِحَمدِ مُوجِدِها ومُنْشِيها. [الكامل]

وَرَقُ الغُصـــونِ إذا نَظَـرْتَ دَفـــاتِرًا مَشــــحونةً بأدلَّـــةِ التوحيـــدِ[5]

وبينَ ذلكَ أزهارٌ تَبوحُ بأسْرارِها، وتَهطُلُ منْ دَمعِ الطَّلِّ علَى خَريرِ أنهارِها. [البسيط]

وفـاحَ مِـنْ أرَجِ الأزهـارِ طِيْـبُ شـذًا نَشْــرٌ تَعطَّــرَ مِنْــهُ كــلُّ مُنْتَشِــقِ

كـأنَّ ذِكْـرَ رســـولِ اللهِ مَــرَّ بِهــا فأكْسَبَتْ أرجًـا مــن نَشْـرِهِ العَبِـقِ[6]

---

(١) في (ج): تداولت الأنس.

(٢) أرزة: قرية دارسة بدمشق، قام في موضعها اليوم حي الشهداء في طريق الصالحية ين ساحتي البرلمان وعرنوس. معجم دمشق.

(٣) الكالي: المراقب.

(٤) البيتان لعبد الله بن سارّة الإشبيلي. خريدة القصر (المغرب) ٢/٣١٧، المغرب في حلى المغرب ١/٤١٩.

(٥) البيت لحسن بن محمد البوريني. خلاصة الأثر ٢/٥٧، ريحانة الألبا ٢٣، ١٠٨، وفيه: ورق الرياض إذا نظرت دفاترٌ.

(٦) البيتان لصفي الدين الحلي، الديوان ١/١٥٣، وفيه: أرج الأزهار منتشرًا.

تُحيطُ بِهِ جِبالٌ كأنّها جَبَلا نَهاوَنْدٍ وكَوكَبان، أو جَبَلُ الفَتْحِ أو سيلان، بَلَغَ كُلٌّ مِنهُم مِنَ الارتفاعِ ما يَتوهَّمُهُ الناظِرُ نَجْماً، وإذا استدارَ عليهِ قَوسُ السحابِ كانَ لَهُ سَهماً، وهُنالِكَ مِنَ الصَّوادِحِ، ما يُبَرْهِنُ دَعوَى المادِحِ: [الكامل]

١- مِنْ عَندليبٍ رَاحَ يَلعَبُ بالنُّهَى بِفُنونِ لَحنٍ زانَهُ الخُيَلاءُ

٢- وَيَليهِ بالمِزمارِ شُحرورٌ لَهُ صَدْحٌ لَهُ تَتَنَبَّهُ الأهواءُ

٣- عَجَبًا لَهُ يَبدو كأَعْبَدِ ناسِكٍ قَدْ جَلَّلَتْهُ حُلَّةٌ سَوداءُ

٤- ولِصِبْغَةِ الجِريالِ في مِنْقارِهِ حُكْمٌ علَى إِلْحادِهِ ونِداءُ

٥- وخِلالَ هذَيْنِ الحَمائِمُ أَلْفَتْ هَزَجًا لَهُ ما تَفعَلُ الصَّهباءُ

٦- فتَرى الغُصونَ تَميدُ مِنْ طَرَبٍ بها حتّى يُناجِيْها الغَرامَ الماءُ

٧- مِنْ كُلِّ مُنْسابٍ يَجِدُّ كأنَّهُ صَبٌّ لَهُ مِنْ حُبِّهِ اسْتِدعاءُ

٨- وتَرَى لأنْفاسِ النسيمِ تَعَرُّضًا في وَجْهِهِ فكأنَّها رُقَباءُ

٩- وتَنِمُّ عِندَ مُرورِها بِسرائِرِ الزْ زَهْرِ الّتي أوْدَعْنَها الأنْداءُ

١٠- للهِ مِنْ أسرارِ نَشرٍ لَيسَ في سِرٍّ سِواها يَحْسُنُ الإفشاءُ

١١ـ وادي مَعْرَبا[1]:

وادٍ بَديع، قدْ أحْكَمَ إتْقانَهُ مُهَندِسُ الربيع، غنّى هَزارُهُ على فُروعِ أدواحِهِ، فَمالَتْ أصُولُها طَرَبًا لِقُدومِ أرواحِهِ، وأفْصَحَ الشُّحرورُ بتَفسيرِ لُغةِ التوحيدِ، فهَدَرَ الماءُ لِبيانِ مَعاني ذلكَ التغْريدِ، وفَقِهَ النهرُ مَنْطِقَ الطيرِ فَهام، وفَرضَ للروضِ مِنْ فَيضِ جُودِهِ سِهام، والحَمامُ

(١) معربا: قرية تبعد عن دمشق ١١ كم، وهي واقعة عند ملتقى وادي حلبون بوادي منين، اللذين يجتمعان ويهبطان نحو برزة، وهي تشرف من مرتفعها على وادي عين الصاحب المشجّر الأغنّ. الريف السوري ١/ ٤٣٢.

في حَدلِ بينَ دَوحِهِ وأوراقِـهِ، مُعتَقِـدًا أنّـهُ اسْتعارَ نَقْشَ أطواقِـهِ، وازْدَهـرَ النّجـمُ في فَلـكِ الرياضِ، واختالَ في بُرْدٍ مِنَ الوَشْيِ فَضْفاض، وتَرنّمَ البُلبلُ نحوَ مائِهِ النّمِيرِ، وروَى حَديـثَ الوَجْدِ لدَى كُلِّ ساقِيةٍ وغَديرِ، ونادَى المُطوَّقُ بصَوتٍ رَخيم: أنا مِنَ الشعراءِ ألَمْ تَرَ أنّي في كلِّ وادٍ أهيـم، وحـرَّكَ مُوسِيقى الطّرَبِ على دَساتِينِ الأوتـارِ، فأنْسَـى ذِكْـرَ الفلهـدِ[1] وصاحِبِ المِزمارِ. [البسيط]

أمَا ترَى الطـيرَ قـد غنّتْ وقدْ طَرِبَتْ ... تَحكِـي بنَغمتِهـا وزنَ الدَّسـاتينِ[2]

تُظِلُّهُ جبالٌ لَوْ رآها المَلِكُ الضلّيلُ، لَمَا زَمَّلَ ثَبيرًا بِبِجادِ التّبْجيلِ[3]، غنّى بها مُطـوَّقُ الحَمـامِ، لَمّا صافَحتْها راحةُ الغَمامِ، فَطُوبَى لِمَنْ أَمَّهُ وَزَارَه، وقضَى مِنَ الصَّبابَةِ أوطارَه. [الكامل]

للهِ مِـنْ عَهـدِ الصَّبابَـةِ والصِّبـا ... يـومٌ علـى وادي الدُّرَيْـجِ ومَعْرَبـا

طـارَتْ بِنـا خَيْـلُ السُّـرورِ وأزْلَفَـتْ ... حتّـى حَلَلْنـا في مَغانيـهِ الحُبـا[4]

١٢- وادي حُرْنَة[5]:

وادٍ بـينَ جبـالٍ يَضِـلُّ فِيهـا الذّيـب، كأنّهـا جَبـلُ الراهـونِ أوْ سَـرَنْديب، تُسـامِتُ العَيُّوقَ[6] ارتِفاعاً، كأنّها مَدَّتْ لِتَناولِ الجَوزاءِ باعـاً، أوْ فَقـدَتْ في زُحَـلِ السـماءِ صُواعـاً،

---

(١) الفهلد: الغلام السمين الذي راهق الحلم.

(٢) البيت في المحب والمحبوب ٢٨/٣ من غير عزو، والدساتين جمع، مفرده الدستان، وهو الوتر من العود.

(٣) إشارة إلى قول الملك الضليل امرئ القيس في جمهرة أشعار العرب لأبي زيد القرشي ٢٧٤:

كـأنَّ ثَبـيراً في عَرانـينِ وَبْلِـهِ ... كبـيرُ أنـاسٍ في بجـادٍ مزمّـلِ

(٤) البيتان لابن النقيب. الديوان ٥٣.

(٥) حرنة: وادٍ للقرية الواقعة بين معربا وواديها، يقع شمال دمشق بـ ١٥ كم، تغمره البساتين المزروعة بالخضار وأشجار الفواكه المثمرة، وأكثرها أشجار الجوز، كما يزرع فيها المشمش والأجاص والخوخ. الريف السوري ٣٩٢/١، للعجم الجغرافي ٤٩/٣.

(٦) العَيُّوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرّة الأيمن، يتلو الثريا، لا يتقدّمها. القاموس.

حِلَلُها الشِّيْحُ والخُزامُ، وحِلْيُها الرَّنْدُ والبَشامُ، وبَيْنَها رِياضٌ تَلْعَبُ بالنُّهَى، وأزاهِرُ تَنْظُرُ مِـنْ حَدَقِ المَها، تَسْتَوقِفُ الطَّرْفَ حُسْنًا وازدِها، ماؤُهُ عِـدٌّ، ومَحاسِنُهُ لا تُعَـدُّ، وعِنـدَهُ أطيـارٌ يأتونَ بالسِّحْرِ الحَلال، ويُطَوِّقُونَ مِنْ سَجْعِهِم بما هو أجملُ منْ سِمْطِ اللآل. [الكامل]

انظُـرْ إلى الـوادي إذا مـا غَـرَّدَتْ	أطيـارُهُ شَـقَّ النسـيمُ ثِيابَـهُ
أَتَـراهُ أطْرَبَـهُ الهَديـلُ وزادَهُ	طَرَبًـا وحَقِّـكَ أنْ حَلَلْـتَ جَنابَـهُ[1]

١٣- وادي التّلّ[2]:

هذا الـوادي، نـاظُورَةُ ذلـكَ النـادي، مركـزُ تلـكَ الـدارَةِ، ونُقطَـةُ هـاتِيكَ الأفـلاكِ المِعْطارَةِ، فاقَ بحُسْنِهِ على المَرام، فَلِذا ترَى طَيْرَهُ كأنّهُ في يومِ رام، وقد بَلَغ مِنْ لَهْوِهِ المَرام، يُغازِلُ الأدواحَ غَزَلَ ابنِ أُذَيْنَة[3]، ويَكْلَفُ بها كَلَفَ جَميـلٍ بِبُثَيْنَـة، ويرتـاحُ بشَـميمِ عِطْـرِ تلكَ القُرَى، كما ارتاحَ ابنُ حُمَيْدٍ بوادي القُرَى، وفيهِ منَ الزهر، ما يُزْري بِمَحاسِـنِ ابـنِ زُهْـر[4]، ومـنَ النَّضـارَة، مـا تَهْـزَأُ بأوْصـافِ ابـنِ دارة[5]، أرْبَـى علـى نُزهـةِ هِشـامٍ بِدَيْـرِ

---

(١) البيتان لابن البراق. نفح الطيب ٣/٥٠٦، المغرب في حلى المغرب ٢/١٥٠، وفيه: انظر إلى الوادي الذي مذ غرّدت.

(٢) التل: وادٍ جميل، يؤمه المصطافون لعذوبة مائه وعليل هوائه، وجميل منظره وكثرة أشجاره، وخاصة الجوز والتين، والجوز فيه من أجود الأنواع، إضافة إلى أشجار الفواكه الأخرى وطبيعته الخلابة. الريف السوري ١/٣٩٤، يقع هذا الوادي الجميل في الجانب الشرقي من مدينة التل. تقع شمال دمشق بـ ١٤ كم. المعجم الجغرافي ٢/٤٦٢.

(٣) ابن أذينة: هو عروة بن يحيى (لقبه أذينة) بن مالك الليثي، شاعر غزل مقدم من أهل المدينة، وهو معدود من الفقهاء والمحدثين، ولكن الشعر غلب عليه، توفي نحو ١٣٠ للهجرة.

(٤) ابن زهر: هو محمد بن عبد الملك بن زهر الإيادي أبو بكر (٥٠٧-٥٩٥هـ) من نوابغ الطب والأدب، له كتب في الطب، وشعر رقيق، وموشحات انفرد بإجادة نظمها أشهرها موشحة مطلعها: ما للموله من سكره لا يفيق، وأخرى:

أيهـا السـاقي إليـك المشـتكى	قـد دعونـاك وإن لم تسـمع

(٥) ابن دارة: هو سالم بن دارة واسم أبيه مسافع، وأمه دارة من بني أسد، وسمّيت دارة لجمالها، شُبِّهت بدارة القمر. وهو شاعر هجاء مخضرم. انظر الشعر والشعراء ١/٤٠١.

الرُّصافة[1]، وأنافَ على حُسْنِها أيَّ إنافَة، تَعْتَنِقُهُ جبالٌ أبْعدُ مِنْ مَناطِ العَيّوق[2]، وأعزُّ في ارتفاعِها مِنْ بيض الأَنوق، يَجري بينهما نَهرٌ أرَقُّ مِنَ الصَّبا، وأشْهَى وأعْذَبُ مِنْ شَرخِ الصِّبا، ولمّا طابَ منهُ الشذَا والنفح، أنْشَدَ فيهِ ابن أبي الفَتْح[3]: [من الطويل]

١- أقَمْنا بِوادي التّلِّ نَسْتَجْلِبُ البَسْطا ... بحيثُ دَنا مِنا السُّرورُ وما شَطّا

٢- وقدْ ضَرَبَتْ أفنانُ أغصانِهِ لَنا ... سَتائِرَ إذْ مَدَّتْ خمائِلُهُ بَسْطا

٣- يُباري بهِ الوُرْقُ الهَزارَ كَراهِبٍ ... يُحاكي بِعبرانيِّ ألفاظِهِ القِبْطا

٤- ويَعطِفُ ما بَينَ الغُصونِ نَسيمُهُ ... كما اجْتَمعَ الإلْفانِ مِنْ بَعدِ ما شَطّا

٥- جَلسْنا على الرَّضْراضِ فيهِ هُنَيْئةً ... وقدْ نُظِمَتْ كالدُّرِّ حَصْباؤُهُ سِمْطا

٦- بهِ مِنْ لُجَيْنِ الماءِ يَنسابُ جَدْوَلٌ ... تُجَعِّدُهُ أيدي النسيمِ إذا انْحَطّا

٧- صَحِبْتُ بهِ مِثلَ الكواكبِ فِتْيَةً ... أحاديثُهُم في مَسْمَعِي لَمْ تَزلْ قُرْطا

٨- يُديرونَ مِنْ كأسِ الحديثِ سُلافَةً ... وربَّتما تَحكِي الأحاديثُ إسْفَنْطا[4]

١٤- وادي منين[5]: [الرمل]

يا رعاهُ اللهُ مِنْ وادٍ وَسِيمٍ ... رَقَّ فيهِ الماءُ واعتلَّ النسيمُ[6]

---

(١) هشام بن عبد الملك: الخليفة الأموي اجتمعت في خزائنه من المال ما لم يجتمع لأحد من ملوك بني أمية، وبنى الرصافة على أربعة أميال من الرقة غرباً، وكان يسكنها في الصيف، وتوفي بها سنة ١٢٥ للهجرة.

(٢) العَيّوق: نجم أحمر مضيء في طرف المجرّة الأيمن، يتلو الثريا. القاموس.

(٣) هو يوسف بن أبي الفتح بن منصور الدمشقي (٩٩٤ - ١٠٥٦ هـ)، نزيل الأستانة، شاعر، من الفقهاء، ولي إمامة ثلاثة سلاطين من آل عثمان. والأبيات في نفحة الريحانة ٧٧/١، وخلاصة الأثر ٤٩٧/٤.

(٤) الإسفنط: المطيب من عصير العنب، أو أعلى الخمر.

(٥) منين: قرية جبلية كبيرة، شمال دمشق بـ ٢٠كم، تحيط بها الجبال من الجهات الأربع، وهي ذات مشاهد جميلة ومياه من عينها المشهورة عذبة، وهواء بارد عليل، وجو هادئ رخيم، ونبعها غزير، يتفجر من أسفل الجبل، وهو عذب بارد نمير. الريف السوري ٣٩٧/١، وقال البدري في نزهة الأنام، صفحة ٣٤٥: هذه القرية من محاسن الشام...

(٦) البيت لمصطفى عثمان البابي من موشح يذكر فيه مياه عين الذهب في بلدة الباب بحلب. نفحة الريحانة ٤٦٤/٢.

قدْ عَلا على غَيْرِهِ مَحلاً ومَكاناً، وفاقَهُم بِحدائِقِهِ حُسنًا وإتقاناً. [الطويل]

مَعـالِمُ أحبـابٍ ومَغْنـى حَمـائِمِ   ودَوحـةُ أغصـانٍ وسَـرْحُ رَبـارِبِ
ومَنْبَـعُ أمـواهٍ وحانَـةُ قَهـوةٍ   ورَوضَـةُ أزهـارٍ وأُفـقُ كواكِـبِ[1]

جالَ طَيْرُهُ في مَيادينِ مَرْجتهِ الخَضْرا، إجالَةَ ابنِ عَبَّادٍ[2] جَوادَ لَهْوِهِ في مَلاعِبِ الزهرا، ضَحِكَتْ في أرجائِهِ ثُغورُ الأزهارِ، وتَنقَّشتْ بِظِلالِ أدواحِهِ مَعاصِمُ الأنهارِ. [الطويل]

فأنهـارُهُ تَجْـري وأزهـارُهُ تُضـي   وأشـجارُهُ زِيْنَـتْ بِتِـينٍ وأعْنـابِ

وفَوقَهُ جِبالٌ أمْنَعُ مِنَ العُقابِ، وأرفَعُ مِنَ السحابِ، يُناجِي السِّماكَ سِماكُها، ويُباهِي الأفلاكَ استِمْساكُها، فاحَ زَهرُها بِعَرْفٍ كَما وَشَّى المِسْكُ ريّاه، ونَمَّ على الصَّباحِ مُحَيّاه، والطيرُ في هَزْلٍ وَجِدٍّ، مِنْ رَوضةِ نَرْجِسٍ إلى حَديقةِ وَرْدٍ، يَتصرَّفُ ترنامُهُ في القلوبِ، تَصرُّفَ فَقْدِ يوسُفَ في فُؤادِ يَعقوبَ. [الوافر]

وواDٍ قـدْ حَكَـى جَنّـاتِ عَـدْنٍ   بِرَونَـقِ مَنْظَـرٍ وحَصـاءِ دُرِّ
وقـدْ حـاكَ الربيـعُ بـهِ بِسـاطًا   كـأثوابٍ مُوَشّـاةٍ بِتِـبْرِ
وقـدْ سـالَ الـزُّلالُ بـهِ لُجَيْنًـا   كـأيمٍ خـائِفٍ مِـنْ فَـرْطِ ذُعْـرِ

وهذهِ القريةُ مِنْ قُرَى الشامِ، الموصوفةِ بِطِيبِ الهواءِ والانْسِجامِ، وعَيْنُها الآتي ذِكْرُها[3]، يَتسَلْسلُ على تِلكَ المُروجِ الزاهرةِ نهرُها، تَدْعوكَ إلى اللّذاتِ حدائِقُها

---

(1) البيتان لشهاب الدين ابن الخلوف، الديوان صفحة ١٥٤، وفيه: وسرب ربارب.. ومنبع أنهار.

(2) ابن عباد: محمد بن عباد بن إسماعيل اللخمي أبو القاسم، المعتمد على الله (٤٣١-٤٨٨ هـ) صاحب إشبيلية وقرطبة وأحد أفراد الدهر شجاعة وحزماً وضبطاً للأمور.

(3) انظر صفحة: ٢٣٣.

والبساتين، وزَمانُ أُنْسِها أيامَ العِنَبِ والتين، تَهُشُّ إليها زُمَرُ أهـلِ اللّطافَـة، فـيَزِدْهُمْ هَواهـا لُطفًا وظَرافَة، ولو لَمْ تَكُنْ للنّعيمِ مَلاذ[1]، لَما قالَ يَمْدَحُها الأستاذ، بِقولِهِ: [من الخفيف]

١- يـــا لَيـــالٍ مَنَّـــتْ بِهِـــنَّ مَنِـــينُ	كـــانَ فيهـــا لنـــا الصّفـــاءُ المُبِـــينُ
٢- بَوّأَتْنــــا مِنْهــــا الخَمــــائِلُ دارًا	أرضُهـــا الـــوَرْدُ فـــاحَ والياسَـــمينُ
٣- ونَزلْنــــا مِــــنْ عَيْنِهــــا فــــوقَ جَفْــــنٍ	أخْضَــرِ الهُــدْبِ زانَــهُ التّحســينُ
٤- وشَـــمَمْنا المَســـاءَ نَفْحـــةَ وَرْدٍ	قَــطُّ مـــا شَــمَّ مِثلَهـــا العِرْنِـــينُ
٥- والحَصـــا في المِيـــاهِ عَقْـــدُ لآلٍ	هـــوَ مِـــنْ أفْخَـــرِ العُقـــودِ ثَمـــينُ
٦- وكـــأنَّ الشَّـــمسَ المُنِـــيرةَ تِـــبْرٌ	ذابَ والمـــاءُ تحـــتَ ذاكَ لُجَيْـــنُ
٧- حَولَـــهُ الحُـــورُ قائِمـــاتٌ صُفوفًـــا	هُـــنَّ حُـــورٌ خُضْـــرُ الغلائِـــلِ عِيْـــنُ
٨- ونَســـيمُ الحدائِـــقِ الرّطْـــبُ وافَـــى	يَنفَـــحُ الطِّيْـــبَ فيـــهِ لُطْـــفٌ ولِـــينُ
٩- وتَغنّـــتْ علـــى الغُصـــونِ طُيـــورٌ	راقَ مِنهـــا الغِنـــاءُ والتّلحِـــينُ
١٠- يـــومَ وادي مَنِـــينَ بِـــالأُنسِ لَمّـــا	مِنْـــهُ مَـــدّتْ لِجَـــذْبِ قلـــبي يَمِـــينُ
١١- قريـــةٌ مِثـــلُ جَنّـــةِ الخُلْـــدِ لكـــنْ	جَنـــةُ الخلـــدِ مِسْـــكَةٌ وهـــي طِـــينُ

١٥- وادي الدُّرَيج[2]:

صَفا الظلالُ على مَجاري أنهارِهِ، وجادَ النسيمُ فَبدَّدَ دَراهِـمَ أزهـارِهِ، وسـرَى نَبْـتٌ عـارَضَ النهـرَ في صفَحـاتِ خُـدودِ البِطـاحِ، وانْثَنـى عَطْـفُ الـدَّوحِ لِـوُرودِ النسـائِمِ عِنـدَ الصباحِ، وهَبَّ مُؤَقِّتُ وَرْقِهِ مِنْ نَومِهِ، فأذَّنَ بالسَّحَرِ بينَ رِنْدِهِ وقَيْصُومِهِ. [مجزوء الرمل]

---

(١) كذا في الأصول، مراعياً السجعة.

(٢) قرية الدريج: قرية جبلية صغيرة في القلمون، تقع بين حلبون وإفرة من الشمال، وحرنة والتل ومنين من الشرق، ومن الجنوب دمر ومعربا. تبعد عن دمشق ٢٢ كم، في شرقها وادٍ مشجر جميل، ينحدر من عين الصاحب، طيبة الهواء، وفيها بساتين العنب وأشجار التين والجوز. الريف السوري ٤١٢/١، المعجم الجغرافي ٣٣٤/٣.

أذَّنَ القُمْــــريُّ فِيهـــا ... عنــدَ تَهْوِيـــمِ النُّجـــومِ

فـــانْثنى الغُصْــنُ يُصَلّــي ... بِتَحِيّـــاتِ النســـيمِ[1]

تَجاوَبتْ منْ أدواحِها أطيارُهُ، فَسَلكَتْ فيهِ منْ كلِّ طَرَفٍ أنهارُهُ، وفاضَتْ عيونُهُ منْ كلِّ جانب، وتدفّقَتْ على تلكَ المُروجِ والسّباسِبِ. [الرجز]

عيـــونُ مـــاءٍ وريـــاضٌ أشِـــبَهْ ... تُسْـمَعُ لِلطيـــورِ فيهـــا جَلَبَـــهْ

تُناديكَ صَوادِحُهُ بِحَيَّ على البُكورِ، إلى مَرْبَعِ اللّذاتِ ومَثْوَى السرورِ. [الكامل]

شـتّى مَحاسِـنُهُ فَمِـنْ زَهْـرٍ علـى ... نهـرٍ تَسلسَـلَ كالحَبَـابِ تَسلْسُـلا[2]

وعليهِ جبالٌ شَـمَخَ كـلٌّ مِنهـا على الجَـوْزاءِ بأنْفِـهِ، واتّخَـذَ الثّريّـا وِشاحًا لِعِطْفِهِ، فالأرضُ تدَّعِيهِ لأنّهُ ثَبتَ على مناكِبِها، والسماءُ تُنازِعُها فيهِ لأنّهُ تَمنْطقَ بِكَواكِبِها. [البسيط]

مَجـامِرُ الزَّهْـرِ في أرجائِـهِ نفَحـتْ ... والـوُرْقُ قـدْ صَدحَـتْ فيـهِ بأفنـانِ

أشـجارُهُ بَسـقَتْ أغْصانُـهُ اتّسـقَتْ ... خِيـامَ ظِـلٍّ ولكِـنْ ذاتُ أفنـانِ[3]

وقـدْ رأى بَصري مِـنْ حُسْـنِ رَونَقِـهِ ... أضعافَ مـا وَصَفُـوا في شِـعْبِ بَوّانِ[4]

---

(١) البيتان لسيف الدين المشد الديوان صفحة (١٤٠). من قصيدة مطلعها:

اسـقنيها يـا نديمـي ... بثنيـات الكـروم

(٢) البيت لابن الأبّار محمد بن عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي. الديوان ٤٥٧، وفيه: نهر يسيل، الوافي بالوفيات ٣/٣٥٨، ونفح الطيب ٤/١١٩.

(٣) في (ب): خيال ظلّ.

(٤) الأبيات لعبد اللطيف بن محمد محب الدين المحبي، يصف منتزهاً في الروم، بالقرب من أق بابا. نفحة الريحانة ٢/١٨٩.

وشعب بوان بأرض فارس أحد متنزهات الدنيا.

١٦- وادي حَلْبُون[(١)]:

حدّثني نسيمُ بنُ زَهْرٍ، وكانَ أعذبَ روايةً من ابنِ نَهْرٍ، قالَ: دَخلْتُهُ فَرأيْتُهُ جاءَ بالقَضِّ والقَضِيضِ، ورمَى الناظِرَ في الطّويلِ العريضِ، نَبْتُهُ أزكَى منَ المِسكِ الأصْهَبِ. بالعَنبرِ الأشْهَبِ، وأطيبُ نَشْرًا منَ الصِّوار[(٢)]، وأعْطَرُ نَفْحًا منْ هُبوبِ النسائِمِ المُضَمَّخَةِ بطِيْبِ الأزهارِ، ماؤُهُ مَسُوس[(٣)] وصَيدُهُ الظِّباءُ والنُّسوس، جبالُهُ تكادُ تَغْرفُ مِنْ حَوْضِ الغَمامِ، كأنّها جَبلا دَمْخٍ وشَمامِ[(٤)]، تَوشّحَتْ بالغُيومِ، وتَحلّتْ بالنُّجومِ، عانَقتْ بارتفاعِها السِّماكَ، يَطْمَعُ راقِيها أنْ يَقطِفَ نَرْجِسَ الكواكِبِ مِنْ حَدائِقِ الأفلاكِ، شَبَّ مُطَوّقُهُ عنِ الطَّوْقِ[(٥)]، وثارَ في رياضِهِ ثَورَةَ مالكِ بنِ طَوْقٍ[(٦)]، وحَنَّ حَنينَ الهَيْجمانِ[(٧)]، وهَيْنَمَ بما يُزري بفَصاحةِ حَسّانَ، وقدْ أَخذَ مِنْ جَدِّهِ المُعْجِبِ، إلى هَزْلِهِ المُطرِبِ، بما هوَ أعذبُ من ماءِ بارِقٍ[(٨)]، وأطربُ منْ نَغماتِ زَنامٍ ومُخارِقٍ[(٩)]، حتّى انْبرَتْ لِمُساجَلَتِهِ حَمامةٌ، أجْمَلُ

---

(١) حلبون: قرية من قرى القلمون، تتبع منطقة التل، تقع في ضفة وادٍ منخفض، مختبئ بين ثلاثة جبال، وينحدر واديها إلى أن يجتمع بوادي منين، وهذا الوادي أغنُّ كثير البساتين والغياض، فيه مياه كثيرة وينابيع عديدة، وهي بلدة جيدة الهواء، عذبة الماء، ذات مناظر طبيعية خلابة. الريف السوري ٤٠٢/١، المعجم الجغرافي ١٠٩/٣.

(٢) الصوار: المسك. مجمع الأمثال ٤٣٩/١.

(٣) المسوس: الماء العذب المذاق، المريء في الدواب. مجمع الأمثال ١٧٨/١.

(٤) جبل دَمْخ: من الجبال الضخام لبني نفيل بن عمرو.
وجبل شمام: جبل له رأسان. وشمام مبني على الكسر عند الحجازيين. مجمع الأمثال ١٥٥/١، ١٥٦.

(٥) شبَّ أي كبر، انظر مجمع الأمثال ١٣٧/٢: كبر (شبَّ) عمرو عن الطوق.

(٦) مالك بن طوق التغلبي أبو كلثوم أمير كان من الأشراف الفرسان الأجواد، ولي إمرة دمشق للمتوكل، وبنى رحبة مالك على الفرات توفي سنة ٢٥٩هـ.

(٧) الهيجمان: الذَّرَّة والعنكبوت الذكر. القاموس.

(٨) نهر من أنهار الجنة. انظر مسند الإمام أحمد ٢٦٦/١. وقيل: ماء البارق: ماء السحاب يكون فيه البرق. مجمع الأمثال ٤٩/٢.

(٩) زنام: انظر الحاشية (٢) صفحة (١٨١) ومخارق أبو المهنأ ابن يحيى الجزار إمام عصره في فن الغناء، توفي سنة ٢٣١ هـ.

مِنْ صاحبِ العمامَةْ[1]، وقالَتْ: إنّ هذا لَهِتْرُ أَهْتار[2]، ومَنْ سَلكَ الجَدَدَ أمِنَ العِثارَ[3].

لَعَمْري، لقدْ أساءَ الزّمان، حتّى صارَ الزجُّ قُدّامَ السِّنان[4]:

عندَ الصباحِ يَحمدُ القومُ السُّرى ... وتَنْجَلي عَنْهم غَياباتُ الكَرَى[5]

فصاحَ بها العندليبُ، وقالَ: بَخٍ بَخٍ ساقٌ وخَلْخالٌ، أوائِلٌ ورَبابُ، ولكنّ جَرْيَ المُذْكِياتِ غَلاّبٌ[6]، لقدْ غَرَّ بكِ الإصْباحُ فأدْلِجي، وليسَ بعُشّكِ فادْرُجي[7]، إنّما أنتِ كبارِحِ الأرْوَى، قليلاً ما يُرى[8]، فناداهُ الهَزارُ: لقدْ سُدْتَ يا عِصام، ألَمْ تَدْرِ أنّها ألقَتْ مَراسِيها بِذِي رَمْرام[9]؟ [الكامل]

أنا صَخْرةُ الوادي إذا ما زُوحِمَتْ ... وإذا نَطقْتُ فإنّني الجَوزاءُ[10]

---

(١) أجمل من ذي عمامة: مثل من أمثال مكة، وذو العمامة سعيد بن العاص بن أمية، وكان في الجاهلية إذا لبس عمامة، لا يلبس قرشي عمامة على لونها. مجمع الأمثال ٢/٨٨.

(٢) إنه لهتر أهتار: الهتر العجب والداهية، يضرب للرجل الداهي المنكر. مجمع الأمثال ١/٢٧.

(٣) من سلك الجدد أمن العثار: الجدد الأرض المستوية، يضرب في طلب العافية. مجمع الأمثال ٢/٣٠٦.

(٤) صار الزج.. مثل يضرب في سبق المتأخر المتقدم من غير استحقاق. مجمع الأمثال ١/٤٠٣.

(٥) بيت شعر قاله خالد بن الوليد رضي الله عنه، بعد قطعة مفازة مهلكة. المثل يضرب للرجل يحتمل المشقة رجاء الراحة. معجم الأمثال للميداني ٢/٣.

(٦) المذكية من الخيل: التي أتى عليها بعد قروحها سنة أو سنتان، والغِلاب: المغالبة. أي إن المذكي يغالب مجاريه فيغلبه لقوته. يضرب لمن يوصف بالتبريز على أقرانه في حلبة الفضل. مجمع الأمثال ٢/١٥٨.

(٧) أي ليس هذا من الأمر الذي لك فيه حق، فدعيه. يقال: درج، أي مشى ومضى. يضرب لمن يرفع نفسه فوق قدره. مجمع الأمثال ٢/١٨١.

(٨) الأروى (الوعل) مساكنها الجبال، فلا يكاد الناس يرونها سانحة ولا بارحة إلا في الدهر مرة. يضرب لمن يُرى منه الإحسان في الأحايين. مجمع الأمثال ١/٢٥.

(٩) أي سكنت الإبل واستقرّت وقرّت عيونها بالكلأ والمرتع. والرمرام ضرب من الشجر، وحشيش الربيع. يضرب لمن اطمأن وقرّت عينه بعيشه. مجمع الأمثال ٢/١٨٦.

(١٠) البيت للمتنبي. شرح ديوانه ١/١٤٣.

أَأَخْرَقُ مِنْ حَمامةٍ[1] ؟ وأَجْرأُ مِنْ أُسامةَ[2] ؟ أما تَخْشَى سَيْلَ تَلْعَتِي[3]، وبُروزَ سِلْعَتِي ؟ ﴿والشمسِ وضُحاها﴾ إنّ وَراءَ الأَكَمَةِ ما وراها[4]، أَنَّةٌ وزَفِير، وأنتَ لا في العِيْرِ ولا في النَّفِيْر، فاهْتَزَّ الغُصْنُ ومَرِح، وماسَ لِسَماعِ تلكَ المُلَح، وحَيَّتْهُ الصَّبا فَصَبا، وحَرَّكَهُ الهَوَى فَهوَى. [الكامل]

وجَرَى النَّسيمُ يَجُرُّ فَضْلَ رِدائِهِ ... بينَ الحدائِقِ مِشْيَةَ الخُيَلاءِ
نَشْوانَ يَعْبَثُ بالغُصونِ ويَنْثَنِي ... مَرِحًا فَيعْثُرُ في غَديرِ الماءِ[5]

فَمِلْتُ طَرَبًا بأخبارِهِ، حينَ أدارَ على سَمْعِي كُؤوسَ إخبارِهِ، وهِمْتُ وَجْدًا بتلكَ الشمائِلِ، وأَنْشَدْتُ تَسلِّيًا قَولَ القائِلِ: [من البسيط]

اِنْزِلْ بحَلْبُونَ حَولَ الماءِ في الوادي ... بينَ التشابيكِ مِنْ أَقْفاصِ أعْوادِ
والْبِسْ ثِيابَ خَلاعاتِ الصِّبا مَرِحًا ... عندَ الرُّبا كُلَّما غنَّى لكَ الحادي
واسْمَعْ خَريرَ حَواري الماءِ مُطْرِبَةً ... إسْماعَ كمْ رائِحٍ في الرَّوضِ أو غادي
وقِفْ هُناكَ على الوادي وقُلْ طَرِبًا: ... للهِ دَرُّكَ ما تَحويهِ يا وادي[6]

---

(١) أخرق من حمامة مثل يضرب في الغباء، لأنها لا تحكم عشها، وذلك أنها ربّما جاءت إلى الغصن من الشجرة، فتبني عليه عشها في الموضع الذي تذهب به الريح، فبيضها أضيع شيء. مجمع الأمثال ٢٥٥/١.

(٢) أسامة هو الأسد. مجمع الأمثال ١٨٩/١.

(٣) التلعة مسيل الماء من السند إلى بطن الوادي (لأن من نزل التلعة فهو على خطر أن يجيء السيل فيجرفه) ومعنى المثل: إني أخاف شر أقاربي وبني عمي. مجمع الأمثال ٣٣/١.

(٤) مجمع الأمثال ١٣/١.

(٥) البيتان لمحمد بن هانئ الأزدي الأندلسي. خريدة القصر (مصر) ٢٨١/١، قال ابن العماد: ووجدت في ديوانه قصيدة، لكنها في ديوان ابن خفاجة الأندلسي.

(٦) انظر الحاشية (٢) صفحة ٢٠٣.

١٧ـ وادي بَسِّيْمَة[١]:

ما كلُّ مُرتَفَعٍ نَجد، ولا كلُّ وادٍ يُنْبِتُ العَرارَ والرّند، مَنْظَرُهُ قَيّدَ الأَبْصارَ والبَصائِرَ، وأَمَدَّ الأفكارَ والخَواطِرَ، كلُّهُ رياضٌ مُزَرْكَشةٌ بالأزهارِ، مُطَرَّزَةٌ بالسّواقي والأنهارِ، خُذْ حَيثُ قَصَدْتَ طِيْبًا وعِطْرًا، وأنّى اتّجَهْتَ ساقيةً ونَهرًا، تَصدحُ في أفْنانِهِ مُطرِباتُ العَنادِلِ، وتُغنّي بَلابِلُهُ فَتُهَيِّجُ البلابِلَ[٢]، تَطِيبُ الأفواهُ بِذكْرِ نَوّارِهِ، والمَسامُ بِعَبيرِ أردانِ[٣] أسحارِهِ.

[الكامل]

وادٍ يَفوحُ المِسْكُ مِنْ جَنباتِهِ ... ويَصِحُّ فيهِ لِلنسيمِ عَليلُ[٤]

تَطوفُ بِهِ جبالٌ كأنّها وَكْرٌ لِنَسْرِ السما، أو هامَةٌ مُتوَّجَةٌ بكلِّ سَحابةٍ دَكْنا، تَرتعُ العُيونُ في حَدائِقِهِ فَتجْنِي ثمارَ الأعاجيب، وتَمْتلِئُ أصْدافُ الأسماعِ مِنْ دُرَرِ هَيْنَمَةِ هَزارٍ وعَندليب، قدْ شَنّفَتِ الأسماعَ، وأقامَتِ السَّماعَ، فاسْتمالَتِ الطّباعَ، وأنوارُهُ تَتغازَلُ بعُيونِ المَها، وتَميدُ أغصانُها بِوُرودِ وَفْدِ النّسائِمِ عُجْبًا وازْدِها، تَتوَّجَتْ هِضابُهُ بِطرازِ الرَّنْدِ والكَبا[٥]، وفاحَ عِطْرُ الخُزامَى فَعطَّرَ أردانَ الصِّبا، وصاحَ أسْوَدُهُ على شَقائِقِ النُّعمان: إنّي مُنذِرُكُم عُيونَ ابنِ ماءِ السما، وطلائِعَ جُيوشِ النسيمِ أنْ تَطْرُقَكُمْ في الحِمَى، وقدْ أخذَ في فُنونِ الهَيْنَمَةِ، على طُرَرِ أغصانِهِ المُنمْنَمَةِ. [الطويل]

---

(١) بسيمة: قرية تقع في أسفل وادي بردى، عند عدوته اليسرى، ينحدر واديها انحداراً سحيقاً نحو وادي بردى، وأشهر ينابيعها عين القطين العليا وعين القطين السفلى، وتنتثر على طول واديها الأشجار الباسقة المتكاثفة، وهي ذات مياه وبساتين وغياض، ومناظر طبيعية جميلة، تأخذ بمجامع القلوب. الريف السوري ٢/٢٢٤، المعجم الجغرافي ٢/٣١٢.

(٢) البلابل: الهم والوساوس في الصدر. تاج العروس.

(٣) في (ب): بعبير أدوان أردان.

(٤) البيت لسيف الدين المشد. الديوان صفحة (١٢٥)، وهو في نفح الطيب ٢/٤٠٩.

(٥) الكباء: عود البخور. القاموس.

وما هاجَنِي إلاّ ابنُ وَرقاءَ سُحْرَةً ... لهُ فوقَ أفنانِ الرياضِ هَدِيْلُ
يُردِّدُ في صُحفِ الرِّياضِ قَصائِدًا ... مِنَ الشوقِ يُمْلِيها لَنا ويَمِيْلُ
تَسنَّمَ غُصنًا في رياضٍ أريْضَةٍ ... تَهُبُّ عليها شَمْأَلٌ وقَبُولُ
يُصفِّقُ جَذْلانَ الفُؤادِ كأنَّما ... تُدارُ عليهِ في الكُؤوسِ شَمُولُ[1]

طَربَ لِسَوطِ جائِشَةِ الخَريرِ، جَذِلٌ يَمرحُ بينَ ساقِيةٍ وغَديرٍ، والرياضُ قدْ تَقمَّصَتْ غَلائِلَ الزّهورِ، وتَخلخلتْ بلُجَينِ الجَداولِ والنُّهورِ. [الوافر]

١- وقانا لَفْحَةَ الرّمْضاءِ وادٍ ... سَقاهُ مُضاعَفُ الغَيْثِ العَمِيْمِ
٢- نَزلْنا دَوْحَةً فَحَنا علينا ... حُنوَّ المُرضِعاتِ على الفَطِيمِ
٣- وأرْشَفَنا على ظَمأٍ زُلالاً ... ألَذَّ مِنَ المُدامَةِ للنّدِيمِ
٤- يَصُدُّ الشمسَ أنّى واجَهتْنا ... فَيَحْجُبُها ويَأْذَنُ للنسيمِ
٥- تَروعُ حَصاهُ حالِيَةَ العَذارَى ... فَتلْمسُ جانِبَ العِقْدِ النظيمِ[2]

١٨- وادي الخَضْراء[3]:

وادي الخَضْرا، ما كلُّ نَبْتٍ مَرعَى، ولا كلُّ عَهدٍ يُرعَى، مَعهدُ أُنْسٍ وداعِيةُ سُرورٍ، ومَربَعُ لَهوٍ ومَسرَحُ لُبانَةٍ وحُبورٍ، أعلامُ الأُنْسِ في ضَواحِيهِ خافِقَة، وألْسُنُ الأطيارِ بأنواعِ

(١) الأبيات للحسن بن محمد البوريني. ريحانة الألبا ٢٥.

(٢) الأبيات لأحمد بن يوسف المنازي، يصف وادي بُزاعا. الوافي بالوفيات ٢٨٥/٨، معاهد التنصيص ٢٤٨/١. قال ياقوت في معجم الأدباء ١٢١٢/٣: وقد نسب أهل المغرب لحمدة (حمدونة) بنت زياد بن بقي الأبيات الشهيرة المنسوبة للمنازي. والأبيات في نفح الطيب ٢٨٨/٤.

(٣) وادي الخضراء: يقع غربي بسيمة، بأقل من كيلو متر واحد، وانظر الحاشية (١) صفحة (٢٣٢).

التّرنُّمِ ناطقة، يَغشاهُ جَبلانِ، كُلٌّ مِنْهما عِرْنِينُهُ قدْ شَمخَ، وقَدَمُهُ قـدْ غـاصَ ثُبوتًـا ورَسخَ، فَصَحَّ أنْ يُقالَ فيهِ: أنْفٌ في السماءِ، واسْتٌ في الماءِ[1]. [الطويل]

رســا أصلُــهُ تحــتَ الـثّرى وسمــا بــهِ إلى النّجْـمِ فَــرعٌ لا يُنـــالُ طويـــلُ[2]

يَستوقِفُ الطَّرْفَ بباهِرِ أزهارِهِ، ويصقُلُ الخاطرَ بِصَفاءِ أنهارِهِ. [الطويل]

تـأمَّلْ على مَجرَى المِيـاهِ حُلَى الزهْـرِ كعَهـدِكَ بـالخَضراءِ والأنْجُـمِ الزُّهْـرِ
وقـدْ ضَحِكَـتْ للياسَــمينِ مَباسِـمٌ سُرورًا بِخفّـاقِ النسيمِ علـى النهـرِ
وأصْغَـتْ مـنَ الآسِ النّضـيرِ مَسـامِعٌ لِتَسْمَعَ مـا يتلـوهُ في سُـورِ الشّـعْرِ[3]

إلى مَغانٍ تُثيرُ جوَى العشاقِ، تَهزأُ بِرياضِ أصفهانٍ وأرضِ العِراقِ، زارَها النسيمُ مِـنْ شِعابِ نَجدٍ وهِضابِها، على ظمإٍ منهُ فأرْشَفتْهُ عَذبَ رُضابِها، وهَيَّمَتِ الوُرقُ على نـوَى الهديلِ، وهبَّتِ الصَّبا فغَدا رَكْبُ الغُصونِ يترَنَّحُ ويَميلُ. [الكامل]

فكأنّمــا القُمْـريّ يُنْشِـدُ مَصْرَعًــا مِــنْ كـلِّ بيــتٍ والحَمـامُ يُجيـزُ

وقدْ جرَى النهرُ لاستقبالِ عَساكرِ النسيمِ، لابِسًا بُرْدَ الأزاهِرِ بقلبٍ سليم. [الكامل]

١- وَصفَــــتْ شَـــمائِلُهُ وَرقَّ نَســـيمُهُ وَصفَــتْ علــى حَصْبائِــهِ غُدرانُــهُ

---

(١) مجمع الأمثال ٢١/١.

(٢) البيت للسموأل. الديوان ١٢، الأمالي لأبي علي ٢٦٥/١.

(٣) الأبيات لصفوان بن إدريس أبي بحر، فقد خرج يوماً وجماعة في مرسية، فقعدوا على صهريج ماء، يحف به أدواح مزهرة، وسقيط نورها على الماء، فقال أبو بكر البلنسي محمد بن ثعلبة الكاتب :

خليلـي أبـا بحـرٍ ومـا قرقـفُ اللمـى بـأعذب مـن قـولي خليـلي أبـا بحـرِ
أجـزْ غـير مـأمور قسـيماً نظمتـه تـأمّلْ علـى مجـرى الميـاه حُلـى الزّهـرِ

فأجابه صفوان بن إدريس. الوافي بالوفيات ٢٨٢/٢، نفح الطيب ٢٧١/٣.

٢- وتجـــاوَبتْ أطيـــارُهُ وتَـــبرَّجَتْ أقمـــارُهُ وتنعَّمَـــتْ غِزلانُـــهُ

٣- وتَبسَّـــمَتْ أزهـــارُهُ وتَنسَّـــمَتْ أسْـــحارُهُ وتمـــايلَتْ أغصانُـــهُ

٤- ودَنـــتْ قُطـــوفُ اللّهـــوِ في أفنانِـــهِ وتَزخْرفَـــتْ لـــلزائِرينَ جنانُـــهُ

٥- وشَـــكتْ تَبـــاريحَ الصَّبابـــةِ وُرْقُـــهُ وتَمـــايلَتْ بِيَـــدِ الصَّبـــا أفنانُـــهُ

٦- والمـــاءُ بـــينَ مُصَفِّـــقٍ ومُرَقْـــرقٍ ومُـــروّقٍ شَـــرِقَتْ بـــهِ غِيطانُـــهُ

٧- والطـــيرُ بـــينَ مُسَـــجِّعٍ ومُرَجِّـــعٍ ومُفَجَّـــعٍ تَشـــكو الهـــوَى ألحانُـــهُ

٨- يـــا حبّـــذا آرامُـــهُ وظِبـــاؤُهُ ورياضُـــهُ وغِياضُـــهُ وأواـُـــهُ[1]

١٩- وادي الفِيْجَة[2]:

هو مُلتقَى الأنهارِ، حاوِي الأماني والأوطارِ، عَديمُ الأشباهِ والنظائِرِ، تَنْويرُ الأبصارِ والبصائِرِ، تجتمِعُ فيهِ مِياهُ الشامِ، اجتمـاعَ الرافِدَيـنِ بـدارِ السـلامِ، مَـرَجَ النهريـنِ يلتقيـان، بَيْنَهُما بَرزَخٌ لا يبغِيان[3]، ماؤُهُ للناظِرِ بَحْرٌ، لكنّـهُ في الحقيقـةِ نهـرٌ، ورياضُـهُ فَرْشُـها دُرَر، وعَرْشُها غُرَر، تَفجَّرتْ ينـابيعُ لُجَيْنِـهِ علـى مُـروجِ رياضِـهِ، وتَبـدَّدَتْ جَواهِـرُهُ في حُجـورِ الحدائِقِ فَطابَ النهرُ بِرَضْراضِهِ، وتَجارَتْ سَوابِقُ الطيرِ في ميادينِ تلكَ الجنانِ، وجَـرَّدَ المـاءُ صِفاحَ الطَّربِ فهَزَمَ جُيوشَ الأحزانِ. [المتقارب]

فَمـــا تَقَـــعُ العَـــينُ إلاّ علَـــى ريـــاضٍ تَضيّـــفُ أنوارُهـــا

---

(١) البيتان ١ و ٥ في المدهش ٢٥٣، وفيه: راقت حمائله.

(٢) الفيجة: أكبر قرى وادي بردى وأعمرها، وأجملها بحكم الماء الدافق من نبعها الكوثري، المتميز من جميع ينابيع الشام، وهي مهوى أفئدة المتنزهين، تبعد عن دمشق ٢٤ كم، ومنها تشرب مدينة دمشق. الريف السوري ٢/٣٣٠.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى في سورة الرحمن ١٩-٢٠: ﴿مرج البحرين يلتقيان ۞ بينهما برزخ لا يبغيان﴾.

هـيَ الخُلْـدُ تَجْمَـعُ مـا يُشْـتَهى ... فزرْهـا فَطُوبَـى لِمَـنْ زارَهـا[1]

نُفِحَتْ بِنَوافِحِ المِسْكِ أزهارُهُ، فَتَعارَضَتْ بِغَرائِبِ المَنْطِقِ أطيارُهُ. [البسيط]

مِنْ كُلِّ وَرْقـاءَ في الأفنـانِ صادِحَـةٍ ... بـينَ الحدائِـقِ في فَيْحـاءَ زهـراءِ

وُرْقٌ تَغنَّتْ بِجَنّـاتٍ رَقَيْـنَ علـى ... عِيدانِهـا فالُـهُ في مَغْنًـى وغنّـاءِ[2]

تَحْضُنُهُ جِبالٌ تُزاحِمُ الأفلاكَ بالمناكِبِ، يكادُ مَنْ يَرقاها أنْ يلْتقِطَ لآلِئَ الكواكِبِ، تَقِيهِ حَرَّ الشمسِ، وتُظِلُّ رياضَهُ التي تَتمتّعُ بِحُسْنِها الحواسُّ الخمسُ، محاسِنُ تروقُ للناظِرِ، وتُذْهِلُ السامِعَ والناظِرَ[3]. [المنسرح]

يـا مَنْظَـرًا إنْ نَظـرْتُ بَهْجَتَـهُ ... أذْكَرَنيـهِ لِجَنّـةِ الخُلْـدِ[4]

تُرْبَـةُ مِسْـكٍ وجَـوُّ عَنْـبَرَةٍ ... وغَيْـمُ وَرْدٍ وطَـشُّ مـاوَرْدِ

كأنّمـا جـائِلُ الحَبـابِ بِـهِ[5] ... يلْعَـبُ في جانِبَيْـهِ بـالنَّرْدِ

---

(١) البيتان لكشاجم محمود بن الحسين من أهل الرملة بفلسطين، يصف مدينة حلب. الديوان، صفحة ١٩٩. وفيه: تجمع ما تشتهي.

(٢) البيتان لسيف الدين المشد. الديوان صفحة (٥٢-٥٣)، وفيه:

ورق تغنّت بجناتٍ رَتعنَ على ... عيدانها فأرتْنا رقص هيفاء

وهما من قصيدة مطلعها:

يا فاتر اللحظ قد أضرمت أحشائي ... لولاك ما سهرت بالليل عينائي

(٣) الأبيات التالية في نفح الطيب ٦٤٤/١، نسبت إلى عبد الله بن السيد البطليوسي، قالها في مجلس الناعورة في المُنية، وفيه أيضاً ١٥٨/٤ منسوبة إلى ابن عائشة.

(٤) نفح الطيب: أذكرني حسن جنة الخلد.

(٥) نفح الطيب ١٥٨/٤: جائل.

٢٠ـ وادي العَرَّادِ[١]:

وافِرُ المَحاسِنِ والألطافِ، كامِلُ المَلاحَةِ والأوصافِ، تَسلْسلَ عارِضُ نَهرِهِ بحواشِـي الريحانِ، وتَرنّمَ مُغَـرِّدُهُ في ديـوانِ خَمائِلـهِ بتَوقِيـعِ الألحـانِ، تعلّقـتْ بأذيـالِ الصَّبـا أشـطانُ أغصانِهِ، وخطَّ على مَهارِقِ الحدائِقِ رِقاعَ الزهورِ بِطُومارِ حسّانِهِ[٢]. [البسيط]

يا حُسْـنَ مـا قَلَـمُ الأشعارِ خَـطَّ على ... تلـكَ الريـاضِ فـلا يَسْـلُوهُ إنسـانُ[٣]

أقسَـمْتُ بـالمُصحَفِ السـامي وأحْرُفِـهِ ... مـا مَـرَّ بالبـالِ يومًـا عنـهُ سُـلوانُ

ولا غُبـارَ علـى تلـكَ الريـاضِ فَلِـي[٤] ... حِسـابُ شَـوقٍ لـهُ في القلـبِ ديـوانُ

ونهرُهُ يُزعِجُ القلوبَ بِهَدِيرِهِ، لكنّهُ يُطرِبُ الأسماعَ بِخَرِيرِهِ، يَتدفّقُ بينَ تلكَ الحدائِـقِ والشعابِ، كما انْهلّتْ بِعُزّالِها[٥] مُعصِراتُ السحابِ، وأدواحُهُ خاشِعةٌ كأنّ على رُؤوسِها الطير، تَحْسَبُها للاستِكانَةِ في نادي زُهيرٍ[٦]. [الكامل]

هـو مُلتقَـى أرِجِ النسـائِمِ فـانْظُرا ... هـلْ تعرفـانِ بـهِ القَضِيـبَ الأخْضَـرا

وتَتوّجَـتْ بـالزّهْرِ هـامُ هِضابِـهِ ... ذَهَبًـا فَقلّدَهـا نَـداهُ جَوْهَـرا

---

(١) وادي العرّاد: وادٍ سيلي في ناحية قدسيا، من ريف دمشق، يمتد من قرية رأس العين غرباً حتى بلـدة الهامـة شـرقاً لينتهي في نهر بردى، وهو وادٍ تنتشر فيه أشجار الفواكه ذات الثمار، وأشجار الحور، وتنتشر عيـون المـاء العذب في هذا الوادي الجميل، منها عين الصفرا، وعين البيضا، ونبع العراد. المعجم الجغرافي ٤/٢٧٥.

(٢) الأبيات التالية لابن جابر في ذكر الأقلام السبعة. معاهد التنصيص ٣/١٥٣، نفح الطيب ٢/٦٨٢.

(٣) مصادر الشعر: ذاك الجبين فلا يسلوه.

(٤) مصادر الشعر: ولا غبار على حبّي فعندك لي.

(٥) العزالى والعزالي: مفردها عزلاء: مصب الماء من أسفل الراوية والقربة.

(٦) وكأنه يعني بيت زهير بن أبي سلمى الوارد في ديوانه صفحة ٤٣:

وإنْ جئتهـم ألفيـت حـول بيوتهـم ... مجـالس قـد يُشـفى بأحلامهـا الجهـلُ

وكأنّمـا طَـربَ الغَديـرُ فَمزَّقَـتْ   عـنْ صَدرِهِ النّكْبـاءُ بُـرْدًا أخْضَـرا[1]

٢١- وادي الشّرقِيّ:

وادي الشرقي، إنْ كانتِ الجنةُ في الأرضِ فهوَ هيَ لَعَمْرِيْ، قُصورٌ مـنْ أدواح تحتَهـا الأنهارُ تَجـري، وحدائِـقُ تَغشَـى أنوارَهـا الأحـداق، وعِيانُهـا للخَبَرِ عنْهـا مِصْداق وأيُّ مِصْداق، وقدْ أحاطَتْ بها الأنهار، إحاطةَ الهالاتِ بالأقمار. [الطويل]

جنـانٌ وأشـجارٌ تَلاقَـتْ غُصونُهـا   فـأُوْقِرْنَ بالأثمـارِ والـورقِ الخُضْـرِ
وأنهـارُ مـاءٍ كالسّلاسِـلِ فُجِّـرَتْ   لِـتُرضِعَ أولادَ الريـاحينِ والزَّهْـرِ[2]

فَما شِئْتَ منْ أنهارٍ ذاتِ انسجام، وأطيارٍ تَصدَحُ بأبْهَى تَغَرُّدٍ وترنام، وخمائِلَ تُهدي طِيبَ الأرْجِ والعَرْف، وَوُرودٍ تُـروِّحُ النفسَ وتُمَتِّعُ الطَّـرف، ينسـابُ فيهـا جَـداولٌ كالصِّلال، لا تكادُ تَرْمُقُهُم الشمسُ مِنْ تَكاثُفِ الظِّلال، تُبْصِرُ بكلِّ سَرْحَةٍ منهُ ظِلاًّ ضافِياً، ونَهرًا وافِياً، وطَيرًا يَصدَحُ على فَنَنٍ، فيَذْهَبُ بأثقالِ الهَمِّ والحَزَن. [الطويل]

١- ومـا هـاجَني إلاّ ابـنُ وَرْقـاءَ سُـحْرَةً   علـى فَنَـنٍ بـينَ الجزيـرةِ والنهـرِ
٢- مُفَسْـتَقُ طَـوْقٍ لازَوَرْدِيٍّ كَلْكَـلٍ   مُوَشَّى الطُّلَى أحوَى القوائِمِ والظهرِ
٣- أدارَ علـى اليـاقوتِ أجفـانَ لُؤلُـؤٍ   وصاغَ على الأجيادِ طَوْقًا مـنَ التِّبْرِ
٤- حديـدُ شَـبا المِنقـارِ دَاجٍ كأنّـهُ   سَنا قَمَرٍ مِـنْ فِضّةٍ مـدَّ مـنْ حِبْرِ
٥- توسَّـدَ مـنْ تلـكَ الريـاضِ أريكَـةً   ومـالَ علـى طَيِّ الجَناحِ معَ النَّحْـرِ[3]

---

(١) الأبيات لابن قلاقس. الديوان ١٠٥، وفيه: أرج النواسم.. القضيب الأنضرا.

(٢) البيتان لابن المعتز، يمدح المعتضد ويصف الثريا. الديوان ٤٧٨/١، وفي الأصول: فأورقن، والمثبت من الديوان.

(٣) الأبيات لعلي بن غالب بن حصن. المغرب في حلى المغرب ٢٤٦/١، مع اختلاف، وفي الأصل: غدا في طوق لازوردي، والمثبت من المغرب.

فصلٌ
في الأعيُنِ الكِبارِ الّتي تَجْري مَجْرَى الأنهارِ

وكلُّ واحدةٍ تَكفّلَتْ برياضٍ وحدائِق، فأظَلّتْها الأدواحُ منْ أفنانِها بِسُرادِق، وضَمّتْها الأزاهرُ في حُجورِ رياضِها، فانْسابَتْ كالصِّلالِ في خمائِلِ غِياضِها. [الكامل]

فَوُجوهُ هاتيكَ الرياضِ سَوافِرٌ   غِيدٌ تُزانُ مِنَ المِياهِ بأعْيُنِ

١ـ عينُ الصاحِبِ[1]:

صَفا مَشْرَبُها على صَفحاتِ الصُّخورِ والأحجار، والْتَوَى ماؤُها الْتِواءَ فِضّةِ السِّوار، وهيَ تَجري بينَ رياضٍ أشهَى منْ بُلوغِ الوَطَر، وأعذَبَ إلى النُّفوسِ منْ يومِ المَطر، ماءٌ عَذْب، يَسيحُ على اللُّؤلُؤِ الرَّطْب، وعليهِ طُيورٌ صَوادِح، تُضْرِمُ نارَ الأشواقِ في مَحاجِرِ الجَوانِح، تَحمِلُها أغصانٌ يَعطِفُها النسيمُ بِرَقيقِ الأنفاسِ، فتَميلُ كأنّها رَكْبٌ أمالَهُم سُكْرُ النُّعاسِ. [الطويل]

سقَى اللهُ عينَ الصاحِبِ العَذبُ ماؤُها   تَسلْسَلَ في حَصْباءَ كاللُّؤلُؤِ الرَّطْبِ
وجَدْوَلَها المُنْسابَ كالأيْمِ مُسْرِعًا   إذا ما الْتَوَى يَمْشِي إلى داخلِ السَّربِ

(١) عين الصاحب: نبع غزير، يتفجر من أرض قرية حلبون ذات العيون المائية الثرة الغزيرة، وهي من مذوب الثلج، باردة نقية، تسقي بساتين تلك القرية (وادي البساتين) وتمتد لتسقي بساتين القرى المجاورة وسكانها. منها معربا، وتقع شمال دمشق بـ ١١كم. انظر الريف السوري ٣٨٤/١.

٢ـ عينُ الخَضْراءِ[1]:

تَخرُجُ منْ ذَيلِ جَبلِ وادِيْها، مثلَ تَناثُرِ الدُّرِّ بوادِيْها، ثُمّ يَحضُنُها مَهْدٌ منَ النباتِ الأخْضَرِ، بعدَ ما بَرقَ صَفاؤُها منْ أجفانِ ذلكَ المَحْجَرِ، فَلِذا قِيلَ: الماءُ منْ صَفائِهِ، يَتلوّنُ بلَونِ إنائِهِ. [الكامل]

قـدْ رَقَّ حتّـى ظُـنَّ قُرْصًـا مُفرَغًـا ... مِـنْ فِضّـةٍ في بُـردةٍ خَضـراءِ[2]

يَتساهَمُها رياضٌ تَجلُو صدأ النفوسِ، وتَفْعَلُ في عَليلِ الجَوَى ما لا يَفْعَلُهُ طِبُّ جَالينوس. [الطويل]

نَسـائِمُها راقَـتْ ورَقّـتْ شَـمائِلاً ... فَخِلْنـا شَـمُولاً ثُـمَّ تَلْعَـبُ بـاللّبِّ

إذا نفَحـتْ هَبّاتُهـا وترَقْرَقَـتْ ... تقـولُ هـيَ العَـذراءُ بالشَّـنَبِ العَـذْبِ

٣ـ عينُ سيَّافةٍ:

قامَتْ هيَ والعَرَّادُ بِميرَةِ رياضِ الهامَـةِ، وانْحَدرَتْ إليها منْ رَبْوتِها كالمُسْتَهامَة، رياضٌ خَفقَتْ عليها أعلامُ الشّجَرِ، وتَزركَشتْ تُربَتُها بِوَشْيِ الزَّهْـرِ، جَناتٌ ونَعيم، وماءٌ منْ تَسْنيم. [الكامل]

وكأنّمـا سَـكَنَ الأراقِـمُ جَوفَهـا ... مـنْ عَهـدِ نُـوحٍ مُـدَّةَ الطّوفـانِ

فـإذا رأيْـنَ المـاءَ يَطفَـحُ نَضْنَضَـتْ ... مـنْ كـلِّ خَـرْتٍ حَيَّـةٌ بِلِسـانِ[3]

---

(١) عين الخضراء: نبع عذب نمير، يقع غرب قرية بسيمة وامتدادها (وهي على بعد ٢٢ كم من دمشق) على أقل من كيلو متر واحد منها، وهي مقصد المتنزهين لطيب هواء المنطقة وكثافة أشجارها، وخرير مياه بردى قربها. انظر الريف السوري ٢/٢٢٤، والمعجم الجغرافي ٤/٣٨٦.

(٢) البيت لابن خفاجة. الديوان صفحة ٣٥٦، وانظر نفح الطيب ٣/٢٠١.

(٣) البيتان لعلي بن حريق. المغرب في حلى المغرب ٢/٣٢٠، فوات الوفيات ٤/٣٢٠، نفح الطيب ٣/٤١١، ٤/٥٧.

٤ـ عينُ مَنين[١]:

هذهِ العَينُ التي تَغنَّتْ بذِكْرِها الحُداة، وتَعطَّرَتْ بنَشْرِ مَحاسِنها أفواهُ الرُّواة، ماءٌ كالقِنْدِ حَلاوةً، والطَّبَرْزَدِ لَذَّةً وطَلاوَةً، طامِيةٌ أرجاؤُهُ، يبوحُ بأسرارهِ صَفاؤُهُ. [الطويل]

فَلِلّهِ عَينٌ لمْ تَرَ العينُ مِثلَها ... ولا تَلْتقي إلا بجَنَّاتِ رِضوانِ[٢]

تَجري بينَ أزاهرٍ كَقِطَعِ المَعادِنِ، وتَختالُ أفنانُ رياضِها بينَ شادٍ وشادِنِ. [الطويل]

فَفِي اللّونِ بِلّورٌ وفي اللّمْعِ لُؤلُؤٌ ... وفي الطِّيبِ قِنديدٌ[٣] وفي النَّفْعِ دِرْياقُ[٤]

تَنحدرُ منْ أرفَعِ مَكانٍ ومَحلٍّ، حتّى تَنسابَ انْسيابَ الصِّلِّ، في حدائِقِ التَّلِّ، بينَ بَهْجَةِ جَنباتٍ، وطِيْبِ نَفحاتٍ وَهبَّاتٍ. [الوافر]

ألا للهِ عَينٌ في مَنينٍ ... لَها ماءٌ يَشوقُكَ بالخَريرِ

وقدْ جَرَّ النسيمُ ذُيولَ نَشْرٍ ... لَنا مِنْهُ فَحَدَّثْ عنْ جَريرِ

فمَتِّعْ مُقلَتَيْكَ بِطِيبِ أرضٍ ... لَنا مَدَّتْ بِساطًا مِنْ حَريرِ

٥ـ عينُ مُرجانَة:

هيَ في القريةِ الصَّحيحةِ الهَوا، مُنتدَى أهلِ الخَلاعَةِ والهوَى، المَزَّةُ الفَيْحاءُ ذاتُ الرّياحينِ، والفواكِهِ الّتي يُضْرَبُ المَثلُ منها بالعِنَبِ والتينِ، ومَوقِعُها بالسَّفْحِ قُربَ الرَّبوة،

---

(١) عين منين: عين ثرة غزيرة، في قرية منين من منطقة التل، يتدفق ماؤها من أسفل جبل العين، تجري مياهها نحو الجنوب ضمن وادٍ عميق، تنتشر فيه الأشجار بكثافة، حتى تشكل غياضاً جميلة رائعة في حسنها وجمال منظرها، وتنتهي مياهها في أراضي قرية برزة، التي أصبحت جزءاً من دمشق. المعجم الجغرافي ٣٦٥/٥.

(٢) البيت لعبد الرحمن بن محمد بن سعيد. نفح الطيب ٣٧١/٢.

(٣) القنديد: عسل قصب السكر إذا جمد. القاموس.

(٤) البيت للصنوبري. الديوان ٣٥٨.

وكمْ تَحدَّدَ في رياضِها لأهلِ الصَّبابةِ صَبْوَة، فهيَ - لَعَمْري - يَعجزُ عنْ وَصْفِ رَوضاتِها اللّبيب، ويقفُ عندَ حَصْرِ مَحاسنِها يَراعُ الأديب، مِياهٌ تُطرِبُ الأسماعَ بخَريرِها، وأطيارٌ تُرَوِّحُ الأرواحَ بِصَفيرِها، وقدْ نالَتْ منَ الشَّرَفِ أوفَى بُغْيَةٍ، حيثُ ضمَّتْ تُربُها سيدَنا دِحْيَةَ[1]. [البسيط]

جِئنا إلى المِزَّةِ الفَيْحاءِ فاكْتَسَبَتْ	أخلاقُنا مَنْظَرًا مِنْ لُطْفِها حَسَنا
لو لمْ يكُنْ تُربُها بالحُسْنِ مُتَّصِفًا	لَما بِها دِحْيَةُ الكَلْبيُّ قدْ دُفِنا

وهَواها بالرِّقَّةِ مَوصُوف، وبِطِيبِ الشَّميمِ مَعروف، يَتدرَّجُ إليها مِنْ قاسيونَ وسَفْحِه، فتَطيبُ ضَواحِيها منْ طِيْبِ نَفْحِه، وقدْ قالَ فيها المرحومُ الأستاذُ: [الخفيف]

١- قدْ دَعانا داعِي الهوَى نَحوَ مِزَّةْ	قريةٍ تِينُها حَلا وهيَ مَزَّةْ
٢- كلّما هبَّتِ النسائمُ فيها	أخذَتْ مِعْطَفَ الحدائقِ هِزَّةْ
٣- قدْ أتَيْنا معَ الصّحابِ إلَيْها	بقُلوبٍ منَ الهوَى مُسْتَنْفِزَّةْ
٤- وسَمِعْنا الطيورَ في الدَّوحِ غنَّتْ	فأذلَّتْ دَمعَ العيونِ الأعِزَّةْ
٥- وصَفا في الرياضِ جَدولُ ماءٍ	ونَسيمُ الصَّبا يُجَعِّدُ خَزَّةْ
٦- وجميعُ البلادِ وحدةُ عَينٍ	وهيَ شامٌ على السّوَى وهيَ عِزَّةْ

---

(١) دحية بن خليفة الكلبي صحابي، بعثه رسول الله ﷺ برسالته إلى قيصر. كان جميلاً مهيباً، نزل جبريل عليه السلام على النبي ﷺ بصورته، وقبره ما زال قائماً بالمزة.

٦ـ عينُ الكرشِ[1]:

مَنشَؤُها منْ جَوفِ الرياضِ، ومَسكَنُها بينَ الحدائِقِ والغِياضِ، تَجري بينَ دَساكِرٍ وقُصورٍ، وقِبابٍ منَ الدّوحِ قَناديلُها الزُّهور، كأنّ عُيونَ أنوارِها تُناجيك، وثِمارُها الدانيةُ لاقتِطافِها تُناديك، لو رآها ابنُ عَبّادٍ لَما أجالَ في الزهراءِ طَرْفَه، ولا أسْرَجَ للتفرّجِ في مُنتزَهاتِها طُرفَة، ماءٌ يترقْرقُ سَلسالُه، قدْ فاضَ على مَغانِي اللّهوِ جِريالُه. [الكامل]

انظُرْ إلى الأغصانِ في أدواحِها ... والريحُ تَزْمُرُ والطيورُ تُغَرّدُ

حارَتْ عُقولُ الناسِ في إبْداعِها ... ألِسُكْرِها أمْ شُكْرِها تَتأوّدُ

فتَقولُ أصحابُ البَطالةِ: تَنْثَنِي ... وتقولُ أربابُ الحقيقةِ: تَسْجُدُ[2]

٧ـ عينُ الورّاقَةِ[3]:

اتّخذَها أهلُ الشامِ لِعلاجِ المَرْضَى، وقدْ جَعلوا ذلكَ عليهم فَرْضاً، لِعُذوبَةِ مائِها ولَطافَتِهِ، وصَفاءِ جَوهرِهِ ونَظافتِهِ، والحدائِقُ بِها مُحدِقَة، وشُموسُ الأُنْسِ منْ رياضِها مُشْرِقَة. [الخفيف]

قدْ زكا عَرْفُ طِيبِها فَحَسِبْنا ... نَفْحَةً قدْ سَرَتْ منَ الفِردوسِ

وتَغنّى مُبَهْرَمُ الكَفِّ فِيها ... بِغِناءٍ يَشُوقُ شَجْوَ النفوسِ

---

(١) عين الكرش: يطلق اليوم على حي سكني في دمشق، نسبة إلى عين الماء التي ذكرها المؤلف، حيث كانت المنطقة منطقة بساتين وغياض وأراض زراعية في ظاهر دمشق في ذاك الزمان، والحي يقع بين سوق صاروجا ومنطقة المزرعة. انظر مخطط الصالحية لدهمان.

(٢) البيتان ٢ و ٣ في الإحاطة ٥٢٠/٣ لعبد الرحمن بن يخلفتن، من قصيدة قالها شكراً لله على غيث جاء بعد قحط.

(٣) عين الوراقة: جدول ماء، كان في الشرف الأعلى إلى الجنوب من المدرسة العزّية (قبالة مدرسة التجهيز الأولى) على الطرف الشمالي لشارع بيروت. معجم دمشق ٩٢/٢.

كَــمْ أَتَيْنـــا مُسَـــلِّمينَ فَـــرِدَتْ ... هَيَــفُ باناتِها بِخَفْــضِ الــرُّؤوسِ
قُــمْ نُجَــدِّدْ عُهودَنــا يــا بــنَ أُنْسِــي ... في رُباهــا فــأَنْتَ خَــيْرُ جَلِيــسِ[1]

٨ـ عينُ الزّيْنَبيّةِ[2]:

مَكْرَعُ نَميرٍ زُلالٍ، يَسرحُ بينَ خُضْرِ نَباتٍ وسُمْرِ ظِلالٍ، ماءٌ عذب، صـافي السـريرةِ والقلـب، ينسـابُ بـينَ حِلَى أزاهـر، وغنـاءُ طَـيْرٍ أطـرَبُ مـنْ رنّـاتِ المَزاهِـر، والقُضـبُ كالأحبابِ في إيناسِها، تسعَى بينَهُم الصَّبا بنَميمَةِ أنفاسِها. [الخفيف]

فــترَى الزهــرَ يَرقُــمُ الأرضَ رَقْمًــا ... وتــرَى الريــحَ تَنْقُــشُ المــاءَ نَقْشــا
فكــأنّ المِيــاهَ سَــيفٌ صَقيــلٌ ... وكــأنّ الريــاضَ غِمْــدٌ مُوشّــى
مَنظَــرٌ يَمْــلأُ النَّواظِــرَ نُــورًا ... قــدْ غَــدا عِبْرَةً لِمَـنْ كــانَ يَخْشَــى[3]

٩ـ عينُ الشّرْشِ[4]:

هيَ في رَوْضٍ جادَ طِرازُهُ، وتَساوَتْ في البَصرِ حقيقتُهُ ومجـازُهُ، أتقَـنَ وَشْـيَهُ راقِمُـهُ، وانْسلّتْ بينَ أدواحِهِ أراقِمُهُ، هو مُنتدَى اللّهوِ والخَلاعَـةِ، ومَثْـوَى أهـلِ الظّـرفِ والبراعَـةِ، ومَجْمَعُ إخوانِ الصَّفا، ودارُ الإخاءِ والوَفا، فهوَ أنْضَرُ منْ بـاكورَةِ الشـبابِ، وأعـذبُ مـنْ بَرْدِ رِضابِ الأحبابِ، بعدَ طيٍّ بِساطِ العِتابِ. [الخفيف]

---

(١) الأبيات لإبراهيم بن محمد السفرجلاني. نفحة الريحانة ١/٤٨٦، سلك الدرر ١/٢٢.

(٢) الزينبية: هي اليوم حي سكني في منطقة القصاع من مدينة دمشق، وهو مدخل المدينة من جهـة الغوطـة الشـرقية. وعين الزينبية موقعها اليوم مكان محطة وقود عبد الله ديوانه في ساحة العباسـين. (المصـدر: حديـث مـع العـالم بالمنطقة الشيخ المعمّر أحمد الفضل عيد).

(٣) البيتان الأولان في الإحاطة ١/٢٥١، وهما لأحمد بن علي ابن خاتمة الأنصاري.

(٤) عين الشرش: في حارة الشرش، شرقي محلة الفرائين (قرب باب توما). معجم دمشق ١/١٦١.

فَتشَمَّرْ واخلَعْ عِذارَكَ للرو ض بِقلْبٍ لِمَنْ تُحِبُّ مُطيعِ
واسْتمِعْ صوتَ بُلْبُلٍ وهَزارٍ يَتغنّى برائِقِ التّسْجيعِ
هذهِ لذّةُ الحَياةِ وهذا مُقتضَى الوقتِ جاءَ بالتوقيعِ

١٠ـ عينُ الدُّقيّةِ:

تَحُفُّها مُروجٌ وعيون، ورياضٌ تحارُ في رَونَقِها العيون، في الوادي الشّرقِيِّ مَخرَجُها، وبينَ خَمائِلِ روضاتِهِ زَبْرَجُها. [الكامل]

عَذُبَتْ فمَا نَدري أماءٌ ماؤُها عندَ المَذاقَةِ أم رَحيقٌ سَلْسَلُ[1]

وهيَ تَرْصُفُ في تلكَ المرجةِ الخَضْرا، فتَنفَحُ ما حولَها منَ الأزاهرِ منْ كَمائِمها عِطراً. [الطويل]

ومَرْجاءَ في وادٍ يَروقُكَ وَصْفُها ولاسِيَّما إنْ جادَ غَيْثٌ مُبَكِّرُ
بها فاضَ ماءٌ منْ لُجينٍ كأنّهُ صَفائِحُ أضْحَتْ بالنّجومِ تُسَمَّرُ
تُلاحِظُها عينٌ تَفيضُ بِأدْمُعٍ يُرقرِقُها منهُ هنالكَ مَحْجَرُ[2]

١١ـ عينُ قَرْقُوزٍ[3]:

تَتجرَّدُ منْ غِمْدِها عندَ جِسْرِ الغَيْضَة، وكمْ سَكِرَ بكأسِ رَحِيقِها حَديقةٌ وغَيْضَة، طفحَ ماؤُها وتَدفّقَ، وتَوشّحَ غُصنُ رياضِها بالزّهرِ وتَمنْطَقَ، وجرَى جَدولُها مُهرْولاً، وانسابَ في خَمائِلِهِ مُتسلسِلاً. [الكامل]

---

(١) البيت للقاضي التنوخي. يتيمة الدهر ٢/٣٩٩.

(٢) البيتان ١ و ٣ لعبد الله بن عبد الظاهر الجذامي المصري. الوافي بالوفيات ١٧/٢٨٥، وفيه: وبطحاء في واد يروقك روضها.

(٣) قرب جسر الغيضة كما ذكر المؤلف، انظر الحاشية (١) صفحة ١٥٥.

مُتسلسِـــــلٌ وكأنَـــــه لِصفائِـــــهِ   دمــعٌ بِخَـدّي كـاعِبٍ يَتسلسَـــلُ
وإذا الريــاحُ جَرَيْـنَ فـوقَ مُتونِـــهِ   فكأنّـــهُ دِرْعٌ جَلاهـــا صَيْقَـــلُ[1]

والأدواحُ تُحْيِيها النسائِمُ فَتدْنو إليه، تُشيرُ ببَنانِ الأفنانِ مُسلِّمةً عليه، والطيرُ بين مُصْطَحِبٍ وفاقدٍ، وعاكفٍ في غُصْنِهِ تحتَ ظِلالِ الغَراقِدِ. [الكامل]

١- رَقمَــتْ بزَهــرٍ يــانِعٍ جَنباتُهـــا   كالوَشْـيِ في الدّيباجَـةِ الخَضـراءِ
٢- مِسْـــكِيّةٌ أنفاسُـــهُ فكأنّمـــا   هبَّــتْ نَســائِمُها بنَشــرِ كِبــاءِ[2]
٣- تَسْـري بهـا ريـحُ الشـمالِ عَليلـةٌ   فَتحُــضُّ مَوتَــى الهَــمِّ بالإحيــاءِ
٤- وتَجــرُّ أذيـــالاً هنــاكَ بَلِيلَـــةً   تَنْــدَى لِمَــسِّ دَرانِــكِ[3] الأفيــاءِ
٥- مـا بـينَ نَغْمَـةِ مَنطِـقٍ بِبَنانِـهِ الــ   ــوتَــرُ الفَصيــحُ ورنَّــةُ الوَرْقــاءِ
٦- ومُغــرِّدٍ فيــهِ اشْـتياقُ مُتيَّـــمٍ   يَشْـدو بأشْـجَى مَنْطِـقٍ وغِنــاءِ[4]

١٢- عينُ أقلايا[5]:

ما عَسايَ أنْ أقولَ فيها ودونَ الغايةِ عَجْزٌ فـاضِح، ومـا أغنَـى الشمسَ عـنْ مـدحِ المادح، تَرقرقَ ماؤُها على مُروجِهِ وتَسلسل، وصَفا في مَجاري حدائِقِهِ صفاءُ السَّجَنْجَلِ[6]،

---

(١) البيتان للقاضي التنوخي. يتيمة الدهر ٢/٣٩٩.

(٢) الكِباء: عود البخور. القاموس.

(٣) تقدم شرح كلمة (درانك) في الصفحة (٢٠٢) الحاشية (٣).

(٤) القصيدة لأحمد الكيواني. الديوان ٣٧.

(٥) عين أقلايا: تنبع من أراضي قرية المحمدية في الغوطة الشرقية، قرب قرية حسرين، فتسقي بعض قرى المرج. غوطة دمشق، لمحمد كرد علي، صفحة ٩٦.

السجنجل: المرآة.

ورياضُهُ قدْ نظمَ الزهرُ جَواهرَهُ في أجيادِها، وابتسَمتْ ثُغورُ كَمائِمِها بِصَوْبِ عِهادِها. [الكامل]

أنّى نَسخْتَ بلَحْظِ عَينِكَ لا تَرَى ... إلاّ غَديرًا جالَ فيهِ الماءُ

وتَرَى بِنَفْسِكَ غِرَّةً في دَوْحِهِ ... إذْ فوقَ رأسِكَ حيثُ سِرْتَ لِواءُ

١٣- عينُ حَرُّوشٍ[1]:

تَنسابُ بينَ سَباسِبٍ ورِياض، وتَجري في مَساحِي خَمائِلٍ وغِياض، تَجلو صَدأَ القلوبِ بِصَيْقَلِها، وتَخُطُّ دائِرَةَ المَسرَّةِ ببركارِ جَدْوَلِها، وتُحرِّرُ وَفقَ الأُنْسِ على بَسيطِ مُروجِها، وتَرصدُ شمسَ الصَّفا في زاهي بُروجِها، والطيرُ مُشتري تلكَ المَسرّاتِ بِزَهرةِ غِنائِهِ، مُحيطٌ عليها بِخَطِّ اسْتِوائِهِ. [الطويل]

كأنّ ظِلالَ القُضْبِ فوقَ غَديرِها ... إذا اضْطرَبَتْ تحتَ الرِّياحِ أراقِمُ

كأنّ غِناءَ الطيرِ ألحانُ مَعبَدٍ ... إذا رَقصَتْ تلكَ القُدودُ النّواعِمُ

كأنّ ثِمارًا في غُصونٍ تَوسْوَسَتْ ... لِعارِضِ خَفّاقِ النسيمِ تَمائِمُ

كأنّ القُطوفَ الدانياتِ مَواهِبٌ ... ففي كلِّ غُصنٍ ماسَ في الدَّوحِ خاتِمُ[2]



(١) عين حروش أو حاروش: تنبع من أرض زبدين، فيتكون منها قناة تسقي عدة قرى في المرج، وهي في حقيقتها رشح من ماء بردى. غوطة دمشق، لمحمد كرد علي، صفحة ٩٦.

(٢) الأبيات لعفيف الدين التلمساني. الوافي بالوفيات ١٥/٤١٣، فوات الوفيات ٢/٧٥.

تَذْيِيلٌ

وعلى ذِكْرِ المياهِ، فَلْنَذْكُرْ نُبْذَةً، وإنْ كانَ فيها بَعضُ الطُّولِ، فالبَديعُ غيرُ مَمْلُولٍ.

اعلَمْ أنّ العربَ تَستَعيرُ في كلامِها الماءَ، لِكُلِّ ما يَحْسُنُ مَنْظرُهُ ومَوقِعُهُ، ويَعْظُمُ قَدْرُهُ ومَحلُّهُ، فتقولُ: ماءُ الوجْهِ، وماءُ الشبابِ، وماءُ الحياةِ، وماءُ النّعيمِ، كما تَستعيرُ الاستسقاءَ في طَلَبِ الخيرِ.

❁ وممّا استُعِيرَ لهُ **ماءُ الوجهِ**، وهوَ عِبارةٌ عنِ الحالِ الذي هو أفضلُ منَ الماءِ، قولُ أبي تَمامٍ[1]: [من البسيط]

وما أُبالِي وخَيرُ القَولِ أصْدَقُهُ ... حَقَنْتَ لي ماءَ وَجْهِي أمْ حَقَنْتَ دَمِي

❁ ومِمّا أُريدَ بهِ **رَونَقُ الحُسْنِ**، كَقولِ ابنِ المُعتزِّ[2]: [من الخفيف]

لمْ تَرِدْ ماءَ وَجْهِكَ العَينُ إلاّ ... شَرِقَتْ قَبْلَ رِيِّها بِرَقيبِ

❁ ومِنهُ **ماءُ الشّعرِ والكلامِ**، كَقولِ أبي تَمّامٍ[3]: [من الوافر]

وكيفَ ولَمْ يَزلْ لِلشِّعْرِ ماءٌ ... يَرُفُّ عليهِ رَيحانُ القلوبِ[4]

---

(١) ديوان أبي تمام ٣/٢١٨.

(٢) ديوان ابن المعتز ١/٣١٤.

(٣) ديوان أبي تمام ٤/٣١٥.

(٤) في (أ): عليه يرف.

❁ ومِنهُ ماءُ الشبابِ وماءُ الحُسْنِ، وقدْ أكثروا مِنَ التّصرّفِ فيهما؛ قالَ أبو مُحمدٍ الفياض[1]: [من الوافر]

وما بَقِيَتْ مِنَ اللّذاتِ إلاّ ... مُحادَثَةُ الكِرامِ على الشَّرابِ
ولَثْمُكَ وَجْنَتَيْ قَمَرٍ مُنِيرٍ ... يَجُولُ بِخَدِّهِ ماءُ الشبابِ

وأحسنُ ما قيلَ في الحُسْنِ قولُ ابنِ المُعتزّ[2]: [من مجزوء الرمل]

ويَكادُ البَدْرُ يُشْبِهُهُ ... وتَكادُ الشمسُ تَحكِيهِ
كيفَ لا يَخضَرُّ شارِبُهُ ... ومِياهُ الحُسْنِ تَسْقِيهِ

❁ ومِنهُ ماءُ النّضارَةِ والنّدَى والبِشْرِ، قالَ بَعضُهم: [من الطويل]

يَجولُ بهِ ماءُ النّضارةِ والنّدَى ... كما جالَ ماءُ البِشْرِ في وَجْهِ قادمِ[3]

❁ ومِنهُ ماءُ النّدَى والكَرمِ والنّوالِ والجُودِ، قالَ العَتّابي[4]: [من الطويل]

أَأَتْرَبُ مِنْ جَدْبِ المَحْلِ وضَنْكِهِ[5] ... وكَفّاكَ مِنْ ماءِ النّدَى تَكِفَانِ

---

(١) هو عبد الله بن عمرو بن محمد الفياض، أبو محمد، كاتب سيف الدولة ونديمه، والبيتان في ثمار القلوب ٨١٢/٢، ويتيمة الدهر ١٣٠/١.

(٢) ديوان ابن المعتز ٤٤٠/١.

(٣) البيت لابن خفاجة. الديوان، صفحة ٧٨.

(٤) ثمار القلوب ٨١٣/٢، والعتابي هو كلثوم بن عمرو التغلبي شاعر محسن، وكاتب مجيد، له جملة كتب. صحب البرامكة. انظر تاريخ بغداد ٤٨٨/١٢، ومعجم الأدباء ٢٢٤٣/٥.

(٥) في ثمار القلوب: أتتركني جدب المحلّة ضنكها.

وقالَ البُحتُريُّ[1]: [من الطويل]

وما أنَا إلاّ غَرْسُ نِعْمَتِكَ الّتي		أفَضْتَ لَهُ ماءَ النَّوالِ فأوْرَقا

وقالَ[2]: [من الوافر]

وَوَجْهٍ سالَ ماءُ الجُودِ فيهِ		على العِرْنِينِ والخَدِّ الأسِيلِ

❁ ومِنهُ **ماءُ البَشاشةِ**، قالَ أبو العَتاهِيةِ[3]: [من الطويل]

ليالِيَ تُدْنِي مِنكَ بالقُربِ مَجْلِسي		وَوجهُكَ مِنْ ماءِ البَشاشَةِ يَقْطُرُ

❁ ومِنهُ **ماءُ الظَّرْفِ**، في قولِ الصاحِبِ بنِ عبَّادٍ[4]: [من الرجز]

وشادِنٍ أحْسَنَ في إسْعافِهِ		يَقطُرُ ماءُ الظَّرفِ مِنْ أطْرافِهِ

❁ ومِنهُ **ماءُ الودِّ**، في قولِ الشريفِ الرّضيِّ[5]: [من الطويل]

تَرقرَقَ ماءُ الودِّ بَيْني وَبينَهُ		وطاحَ القَذَى عنْ سَلْسَلِ الطَّعْمِ رائِقِ

❁ ومِنهُ **ماءُ النعيمِ**، في قولِ بَعضِهم في مُزَيِّنٍ[6]: [من المتقارب]

إذا لَمَعَ البرقُ في كَفِّهِ		أفاضَ على الرأسِ ماءَ النعيمِ

---

(١) ديوان البحتري ١٥٠٧/٣، وبه: وما أنا إلا غرسك الأول الذي.

(٢) ديوان البحتري ١٧٣٨/٣، وفيه: ووجهٌ رق ماء الجود فيه.

(٣) ديوان أبي العتاهية ٥٣٤.

(٤) ديوان الصاحب ٢٤٨، ثمار القلوب ٨١٤/٢، وفيهما: من أعطافه.

(٥) ديوان الشريف الرضي ٦٦/٢، وفيه: تروّق ماء...

(٦) البيت للسري الرفاء. الديوان ٢٤٧.

❁ ومِنهُ **ماءُ المُنَى** في قولِ الشريفِ الرّضيّ[1]: [من الكامل]

فاسْـمَحْ بِفعْلِـكَ بعـدَ قولِـكَ إنّـهُ ... لا يُحْمَـدُ الوَسْـمِيُّ إلاّ بـالْوَلِي

فَلَعلّنـا نَمتـاحُ إنْ لَمْ نَغْـتَرِفْ ... مـاءَ المُنَـى ونُعَـلُّ إنْ لَمْ نَنْهَـلِ

وأمثالُهُ مما يَقطُرُ منهُ ماءُ البَراعَة، كثيرٌ اكتَفيْنا منهُ بِجرْعَة.



(١) ديوان الشريف الرضي ٢/١١٧.

فَصلٌ

ولّما مدحَ شُعراءُ الأندلُسِ قُطرَهُم البَديع، بِموشَّحاتٍ(١) هيَ أزهَى وأنضَرُ منْ وَشْيِ الربيع، ووَصفوا مَعالِمَها ومَحاسِنَها بأبدَعِ لَفظٍ وأعذَبِ عِبارَة، ووَسموا تلكَ المُوشَّحاتِ

---

(١) ١ـ لما أفرد مؤلف الكتاب فصلاً كاملاً عن الموشح، أجد لزاماً عليّ التعريف به تعريفاً مفصلاً، فأقول مشجّراً للموشح الأول:

١ـ المطلع أو المذهب		في ريـاض الشـام لطـف وصفـا	وســرور طـــارد للحـــزن
		وبصفـو مـن لهـا قـد وصفـا	صــادق في وصفـــه لم يـــن
٥ـ البيت	٢ـ الدور	حبـذا المرجـــة ذات الشـــرفين	صــادت النــاس بصــدر البـــاز
		حيـث فيهـا النهـر زاهـي الطرفـين	وهــو يجـري بســواها هـــازي
		ناظرانـــا ليـــس بـــالمنصرفين	عـــن رباهـــا بهجـــة المجتـــاز
	٤ـ القفل	قنـوات ماؤهـــا قـــد وكفـــا	وعليهـــا بـــان يـــأس المحـــن
		بـــردى الرائـــق حســـبي وكفـــا	يـــا صفـــا سلســـله العـــذب الهـــني

في ريـاض الشـام لطـف وصفـا	٦ـ - غصن	وســـرور طـــارد للحـــزن	٦ـ - غصن	
وبصفـو مـن لهـا قـد وصفـا	٦ـ - غصن	صـــادق في وصفـــه لم يـــن	٦ـ - غصن	
حبـذا المرجـة ذات الشـرفين		صـادت النـاس بصـدر البـاز	٣ـ - سمط	
حيـث فيهـا النهـر زاهـي الطرفـين		وهـو يجـري بسـواها هــازي	٣ـ - سمط	
ناظرانـــا ليـــس بـــالمنصرفين		عـــن رباهـــا بهجـــة المجتـــاز	٣ـ - سمط	
قنـوات ماؤهـا قـد وكفـا	٦ـ - غصن	وعليهـا بـان يـأس المحـن	- غصن	اللازمة
بـردى الرائـق حسـبي وكفـا	٦ـ - غصن	يـا صفـا سلسـاله العـذب الهـني	- غصن	

٧ ـ الخرجة: وهي قوله في آخر بيت في الموشح (١٥) صفحة: ٢٥٢.

وأحـــاذي باتضــاعي شــرفاً عاليـــاً فـــوق ذرى المجـــد بـــني

بالكَواكِبِ السبْعةِ السّيارَة، انتُدِبَ لِمُبـاراتِهم مـنَ الشـامِ رِجـالٌ وأيُّ رِجـال! ونَظمـوا في جِلِّقِهِم مـا يُـزْري بِعُقـودِ الـلآل، شَـبَّبوا بِذِكْـرِ رياضِهـا الّـتي تَسْـتَوقِفُ النـاظِر، ووَصفـوا مُنتَزهاتِها الّتي تُفْحِمُ المُناظِر، فَمنْ ذلكَ:

١- **المطلع أو المذهب:** اصطلاح يطلق على مطلع الموشحة ويتكون عادة من شطرين أو أربعة (وهنا أربعة)، وقد تختلف القافيتان (وصفا - للحزن. وصفا - يمن) وقد تتفقان.

وموشحنا قد بدأ بمطلع، وهو القفل الأول فيُسمّى (التام). وإذا لم يبدأ به فهو أقرع.

٢- **الدّوْر:** وهو ما يأتي بعد المطلع في الموشح التام، ويتكون الدور من مجموعة من الأقسمة لا تقل عن ثلاثة، وقد تزيد على ثلاثة شريطة أن تُكرر بالعدد نفسه في بقية أدوار الموشحة. وأن تكون من وزن المطلع، ولكن بقافية تختلف عن قافيته، إضافةً إلى ذلك فإن أقسمة الدور الواحد تكون على قافية واحدة.

٣- **السمط:** اسم لكل شطر من أشطر الدور (وقد يكون السمط مكوناً من جزء واحد، وقد يكون مؤلفاً من جزأين كما هو الحال هنا) ولا يقل عدد الأسماط في الموشح عن ثلاثة، وقد يزيد إلى أي عدد يرتئيه الوشاح، ويشترط في قوافي الأسماط في كل دور أن تكون على روي واحد، ويلتزم بعدد الأسماط في كل أدوار الموشحة، ويُسمّى السمط مفرداً إن كان مؤلّفاً من جزء واحد، ومركّباً إن كان من جزأين (كما هو الحال هنا).

٤- **القفل:** هو ما يلي الدور مباشرة، ويُسمّى أيضاً (مركزاً). وهو شبيه بالمطلع في الموشح التام وزناً وقافية وعدد أجزاء.

٥- **البيت:** وهو في الموشحة غيره في القصيدة، ففي الموشحة البيت هو الدور مع القفل الذي يليه.

٦- **الغصن:** هو كل شطر من أشطر المطلع أو القفل أو الخرجه. وتتساوى الأغصان عدداً وترتيباً وقافية في كل الموشحة. وقد يكون الغصنان من قافيتين مختلفتين (وصفا - للحزن) وقد تتفق قوافيها.

٧- **الخرجة:** اسم لآخر قفل في الموشحة. والفرق بين القفل والخرجة أن القفل غير ملتزم به في المطلع إذ يأتي الموشح أقرع، والخرجة تشبه القفل في كل شيء إلا أنها تأتي في نهاية الموشحة، ويجب وجودها.

انظر معجم مصطلحات العروض والقافية ٢٩١-٢٩٧.

[الموشح الأول]

مُوشّحُ سَيدي المرحومِ **الشيخِ عبد الغنيِّ**، قُدِّسَ سِرُّهُ:

في رِيــاضِ الشــامِ لُطْــفٌ وصَفــا … وسُـــرورٌ طـــارِدٌ لِلْحَـــزَنِ
وبِصَفْــوِ مَــنْ لَهــا قــدْ وصَفــا … صــادِقٌ في وَصْفِــهِ لَمْ يَمُــنِ

١- دَور:

حبّــذا المَرجَــةُ ذاتُ الشّــرَفينِ … صــادَتِ النــاسَ بِصَــدْرِ البــازِ
حيــثُ فيهــا النهــرُ زاهِــي الطّرَفــينِ … وهــوَ يَجْــري، بِسِــواها هــازي
ناظِرانــا ليــسَ بــالْمُنصَرِفَيْنِ … عَــنْ رُباهــا بَهجــةِ الُمجْتــازِ
قَنــواتٌ، ماؤُهــا قــدْ وَكَفــا … وعليهــا بــانَ يَــأْسُ المِحَــنِ
بَــرَدى الوائِــقُ حَسْــبي وكَفــى … يــا صَفــا سلســالِهِ العَــذْبِ الهَنِــي

٢- دَور:

قُــمْ إلى الرّبــوةِ والمِنْشــارِ … وتَنشَّــقْ طِيْــبَ ذاكَ الــوادِي
وميــاهُ السّــبعةِ الأنهــارِ … جاريــاتٌ لارتِــواءِ الصّــادِي
والبســاتينُ أُلُــو الأزهــارِ … نَفْحُهــا المِسْــكِيُّ فِيهــا بــادِي
رَوضُهــا أزهَــرُ وَجْهُــا وقَفــا … كــادَتِ الأرضُ بــهِ لَمْ تَبِــنِ
كــلُّ مَــنْ مَــرَّ عليهــا وقَفــا … يَتمنّــاهُ كَحُــبِّ الوطَــنِ

٣- دَور:

والحَواكــيرُ الّــتي قــدْ نفَحــتْ … في زُهــورِ الياسَــمينِ البَهَــجِ

ورِيــاضُ الزَّهــرِ فيهــا فتّحــتْ أعْيُـــنَ الـــوَرْدِ بِطيْـــبِ الأرجِ
وزِنــادُ البُسْــطِ فيهــا قَدحَـــتْ للّـــذي يَقْـــرَعُ بـــابَ الفَـــرَجِ
وعَـــلا الخَـــيرُ عليــــهِ وطَفـــا وهــــوَ غَرْقـــانُ بِبَحْـــرِ المِنَـــنِ
ولِحـــاظُ الغِيــدِ تَزْهـــو وَطْفـــا حَـــيَّرَتْ أعْيُـــنَ حـــورِ عَـــدنِ

٤ـ دَور:

يـــا نَسِـــيمًا فائحًـــا بالنّـــيرَبِ بَـــينَ هـــاتيكَ الرّوابِـــي والريـــاضْ
عَهدُنـــا المـــاضي بِوَصْـــلِ الرَّبْـــرَبِ مـــا لَنـــا عنـــهُ وإنْ فـــاتَ اعْتِيـــاضْ
شَـــرْقِي يـــا صَبْوَتِـــي أو غَرْبِـــي نَحـــنُ مَرضَـــى أعـــينِ الغِيـــدِ المِـــراضْ
طالَمـــا قلبِـــي عليهـــا وجَفـــا خافِقًـــا مِـــنْ خَفْـــقِ قُـــرْطٍ مُثمـــنِ
ذُبْـــتُ وا وَيْـــلاهُ هَجْـــرًا وجَفـــا لَيْـــتَ لـــو فَـــكَّ أسِـــيرَ الشَّـــجَنِ

٥ـ دَور:

وبقاسُـــــونَ وسَـــــفحِ الجَبـــــلِ وسَـــواقي المـــاءِ مِـــنْ نهـــرِ يَزيـــدْ
كـــمْ ضَريـــحٍ لِنَبِـــيٍّ وَوَلِـــيّ صـــارَ منـــهُ النُّـــورُ يَبْـــدو ويَزيـــدْ
والفتَـــى يُـــدْرِكُ كُـــلَّ الأمَـــلِ دائِمًـــا في ظِلِّـــهِ ذاكَ المَدِيـــدْ
والأسَـــى والهَـــمُّ عنـــهُ صُرِفـــا وهـــوَ بـــالأفراحِ في عَيْـــشٍ سَـــنِي
ولِـــدُرِّ الأنْـــسِ أضْحَـــى صَدَفـــا في بِحـــارِ البَسْـــطِ كـــالمُرْتَهِنِ

٦ـ دَورٌ:

يـــا سـقَى الـــوادي بِشَـــرقيِّ البـــلادِ صَـــوْبُ مُـــزْنٍ في رُبـــاهُ يَهطـــلُ

كَـمْ بـهِ مـَـنْ نُزْهَـةٍ فـوقَ المُـرادِ رَقَـصَ الغُصـنُ وغنّـى البلبُـلُ
وجـرَى النهـرُ لديـهِ بـامتِداد حولَـهُ النّبْـتُ الأغَـضُّ الأخْضَـرُ
لَـوْ عَـلا فـوقَ خَيـالٍ لَطَفـا رِقّـةً جالِبَـةً لِلْفِطَـنِ
وبِمَـنْ يَجلِـسُ فيـهِ لطُفـا كـلّ حـينٍ تحـتَ ظِـلِّ الفَنَـنِ

٧ـ دَور:

هـذِهِ الشـامُ وفي جامِعِهـا للقَنـاديلِ ثُرَيّـاتٌ تَلـوحْ
كنُجـومٍ في ذُرَى طالِعِهـا مُبْهِـراتٍ كُـلَّ ذي عَقْـلٍ ورُوحْ
وعَـروسُ الحُسْـنِ في شـارِعِها ما لَهـا عـنْ طَـرَبِ السَّـمعِ نُـزوحْ
قُـلْ لِـذاكَ الصَّحـنِ منـهُ أَسَـفا وَيْحَـكَ الهـمَّ عـنِ المُمْتَحَـنِ
وإذا فـاتَ عليـهِ أَسِـفا زادَ بـينَ النـاسِ طُـولُ الزّمَـنِ

٨ـ دَور:

طَلَـعَ البَـدْرُ علينـا طَلْعـا وهـوَ في قامَتِـهِ فـوقَ قَضيـبْ
طَرْفُـهُ الصّـارِمُ قلـبي قَطَعـا مَـنْ تُـرَى يُنْصِفُنِـي في ذا الحَبيـبْ
خَـدُّهُ الـوَرْديُّ إذا مـا امْتَنعـا عَقْـربُ الصِّـدْغِ لـهُ فيـهِ دَبيـبْ
قـدْ جَنـاهُ نـاظِرِيْ واقْتَطَفـا يـا لـهُ مِـنْ وَرْدِ بُسـتانٍ جَنِـي
والحَيـا مِثْـلُ النّـدَى وقـتَ طَفـا فوقَـهُ ذابَ اصْطِبـاري وفَنِـي

٩ـ دَور:

يـا أخِلاّئـي فُـؤادِي في الْتِهـاب في هـوَى الأهْيَـفِ ذي الخَـدِّ الأسِيـلْ

وا عَذابِـي مِـنْ ثَنايـاهُ العِـذاب　　تركَـتْ دَمْعِـيَ في العَـينِ يَسِيـلْ
وإلى كَـمْ نحـنُ بالحُسْـنِ المُهـاب　　كالأسـارَى في يَـدِ الظَّبْـيِ الكَحِيـلْ
لَـوْ رآهُ صَلْـدُ هَجـرٍ لَهْفـا　　نَحـوَهُ مِـنْ نُـورِ وَجْـهٍ حَسَـنِ
ذابَ فيـهِ القلـبُ مِنّـي لَهَفـا　　لَيْتَـهُ بـالوَصْلِ لَـوْ يَرْحَمُنِـي

١٠- دَور:

يلعـبُ السـالفُ في وَجْنَتِـهِ　　أسـودٌ في روضِ وَرْدٍ أحمـرِ
ويَغـارُ الظّبْـيُ مِـنْ لَفتَتِـهِ　　أسمـرٌ صـالَ بقَـدٍّ أسْـمرِ
كـلُّ شمـسٍ في ضِيـا بَهْجَتِـهِ　　تَختفِـي مـعَ كـلِّ بَـدْرٍ مُقْمِـرِ
قَـدُّهُ الهمـزةُ صـارتْ أَلِفـا　　وهـوَ مِـنْ خَمـرِ صِبـاهُ يَنْثَنِـي
قلبُـهُ لِلهَجـرِ فينـا أَلِفَـا　　كيـفَ يَقسُـو وهـوَ رَطْـبُ الألْسُـنِ

١١- دَور:

جَـلَّ مُنْشـيهِ مِـنَ النُّـورِ الـذي　　نَشـأَتْ منـهُ جَميـعُ الكائِنـات
وهـوَ نـورُ المُصطفَـى الطَّلْـقِ الشَّـذِيّ　　قـدْ هَدانـا مِـنْ ضَـلالِ الظلمـات
وبـهِ في كـلِّ حـينٍ نَغْتَـذي　　قـامَ بالآيـاتِ فينـا البيِّنـات
نفسُـهُ في اللهِ بيعَـتْ سَـلَفا　　نَصْرُهـا كـانَ لـهُ كـالثّمَنِ
يـا رعَـى اللهُ زَمانًـا سَـلَفا　　كـانَ فيـهِ هادِيًـا لِلسُّـنَنِ

١٢- دَور:

أحمـدُ المُختـارُ طَـهَ ذو الكَمـالْ　　صـاحبُ المِعـراجِ للسَّـبْعِ الطِّبـاق

مَـنْ لـهُ الإسْـراءُ في جُنْـحِ اللّيـالْ وتَرقّـى راكِبًـا فـوقَ الـبُراق
نـابعٌ مِـنْ يَـدهِ المـاءُ الـزُّلالْ وبـهِ للصَّحْـبِ أروَى والرّفـاق
وهـوَ عـنْ كـلِّ كَمـالٍ كَشَـفا نـورَ حـقٍّ ظـاهرٍ مُكْتَمِـن
ومِـنَ الـداءِ لِعـافي كَشَـفا قُـلْ دواءٌ هـوَ لِلمُفتَتِـن

١٣- دَور:

خـاتَمُ الرُّسْـلِ وكـلِّ الأنْبِيَـا مَـنْ أتَـى بـالحَقِّ والذِّكْـرِ الحَكيـم
وإمـامُ النُّجبَـا والأولِيَـا قـدْ هَدانـا لِلصِّـراطِ المُسـتقيم
حَوضُـهُ تَشـربُ منـهُ الأتْقِيـا وبـهِ يَلقَـونَ جَنـاتِ النعيـم
وصَـلاةٌ عَرْفُهـا مـا خلفَـا عنـهُ طِيْـبٌ في نَواحِـي الدِّمَـن
وسَـلامٌ عَـمَّ منـهُ خَلَفَـا صَالِحًـا هـامَ بـهِ عَبْـدُ غَنِـي

١٤- دَور:

لَمْ يَـزلْ هـذا عليـهِ دائِمًـا أبَـدًا كـلَّ مَسـاءٍ وصَبـاحْ
مـعَ أصْحـابٍ كِـرامٍ قائِمًـا أهـلِ جُـودٍ وكَمـالٍ وسَـماحْ
مـا شَـجَى الطـيرُ فُـؤادًا هائِمًـا بـالتّغنّي وتَثَنـى الغُصـنَ ريـاحْ
وعَـنِ الأغيـارِ سَـمْعي عَزفـا[1] إذْ غَـدا شـادِي الحِمَـى يُطرِبُنِـي
وعلَـى العِيـدانِ فينـا عَزفـا طـائِرُ السِّـنِّ كثـيرُ الحَنَـن

١٥- دَور:

قُلـتُ هـذا وأنـا المُعـتَرِفُ بِقُصـورِ البـاعِ عـنْ أوْجِ النُّجـومْ

---

(١) في (أ): وعن الأغياد.

ومـــنَ البحـــرِ أنـــا المُغـــتَرِفُ	بحـر فَيـضِ الغَيـبِ في ظِـلِّ الكُـرومْ
وذُنوبًـــا إنّنِـــي مُقـــتَرِفٌ	ولَيـــالي العَفـــوِ أرجُوهـــا تَـــدومْ
فَعسَـــى يُـــدرِكُ قَـــدْرِي شَـــرفًا	وارْتِقـــاءً فيـــهِ نحـــوَ الظَّـــنِّ[1]
وأُحـــاذِي بِاتضـــاعِي شَـــرفًا	عالِيًـــا فـــوق ذُري المَجْـــدِ بُنِـــي



(١) في (ب): عالياً وارتقاء فيه.

[الموشح الثاني]

ومِنْ ذلكَ قولُ المَرحومِ السيد **عبد الكريمِ بن حَمزةَ النقيب**[1]:

يــا زَمانًــا بالتّهــاني سَــلَفا ... في رُبــا جلّــقَ ذاتِ الحُسْــنِ

لا أرَى بَعــدَكِ يومًــا خَلَفــا ... لا عَـدَتْ ذِكْـراكِ رَطـبَ الألسُـنِ

١ـ دَور:

كـمْ حُبيــتُ الحَــظَّ في رَبْوتِهــا ... إذْ غَــدَتْ دارَ قــرارٍ ومَعِــينِ

ولُبانــاتٍ بهــا بُلّغْتُهــا ... حيـثُ مَـنْ أهـواهُ لي طَـوعَ اليمـينِ

يــا لَهــا مِــنْ رَبــوةٍ نَضْرَتُهــا ... صَيْقَـلُ الأبْصـارِ والقلـبِ الحَزيـنِ

لا عَدِمْناهــا لِقَصْــفٍ مَأْلَفــا ... ولِجَمْـعِ الشَّـمْلِ أزهَـى مَوطِـنِ

وسَــقتْها المُــزنُ مِنهــا مــا صَفــا ... وشُــؤونُ الدّمــعِ مــاءَ الأعْيُــنِ

٢ـ دَور:

يــا رَعــاكَ اللهُ عَهــدَ النّــيْرَيْنِ ... وأرَانــا مِنْــكَ عَــوْدًا أحْمَــدا

يــا لَشَــجْوٍ أيهمــا مِــنْ جَنّتَــينِ ... فِيهمــا الأنهــارُ تَجــري سَــرْمَدا

حُــقَّ أنْ يَزْدَريــا بِــالرَّقْمَتينِ ... إذْ غَــدا طَيرُهُمــا مُعَرْبِــدا

كيــفَ لا يَأْويهِمــا مَــنْ كَلِفــا ... والهــوَى قــدْ خَصَّــهُ بــالمِحَنِ

وعلــى ظِلِّهِمــا مُنْعَكِفــا ... كيــفَ لا يُلفَــى خَدِيــنُ الحَــزَنِ

---

(١) انظر ترجمته صفحة: ٤٤.

٣ـ دَور:

وحَمَى الخَضْراءَ ذاتِ الشَّرفِ ... عن عفاءٍ وسَقاها الوابِلُ
قدْ غدَتْ مَرتَعَ كلِّ مُترَفِ ... سحرُ عَينيهِ عَنَتْهُ بابلُ
لا أرَى عنْ فَيْئِها مُنْصَرَفي ... ونضارُ الماءِ فيها سائِلُ
إنْ تكُنْ يا صاحِ حَقًّا مُنْصِفا ... بالرّقي حقٌّ لَها أنْ تَعْتَني
إذْ غَدتْ لا غَرْوَ رَوْضًا آنِفا ... قدْ حَباناها بِعُظْمِ المِنَنِ

٤ـ دَورٌ:

ورعَى الغُوطةَ مِنْ مُنْتَزَهِ ... فاقَ في الحُسْنِ سِواهُ وَسَما
في ذُرَى أفيائِها كمْ نُزَهِ ... تَجْتلِي والنّجمُ يَحكِي الأنْجُما
المَزايا قدْ حَوتْ مِنْ أَوْجُهِ ... فَهيَ لِلآمالِ تُلْفَى مَغْنَما
كمْ حَللْنا مِنْ حِماها غُرَفا ... ونَعِمْنا صاحِ بالعَيْشِ الهَنِي
واتّخَذْنا دَوحَها مُنْعَكَفا ... وشَهِدْنا فَيْضَ ماءِ الأعْيُنِ

٥ـ دَور:

وبِسَوحِ السَّفْحِ كم مِنْ ليلةٍ ... بالهَنا أحْيَيتُها حتّى الصّباحْ
حيثُ حَظِّي في الهوَى ذُو دَولَةٍ ... والصَّبا يَمْرَحُنِي نَحوَ الصّباحْ
لا خَلَتْ أنْحاؤُهُ مِنْ رَحْمةٍ ... تَتوخّاها صَباحًا ورَواحْ
مُذْ تَقضَّتْ إثْرَها القلبُ هَفا ... فأنا نِضْوٌ لِفَرْطِ الشَّجَنِ
وإذا ما الصَّبُّ أضْحَى لَهِفا ... كيفَ يَلْقَى راحةً في البَدَنِ

٦- دَور:

سَلَفَتْ لي والأماني أَمَمٌ ... حيثُ مَنْ أهواهُ لي كانَ سَميرْ

أسْعَدَتْ حَظّي بِذاكَ القسمِ ... بُرْهَةً كانَتْ كَسِرٌّ في الضَّميرْ

إذْ تُريني اللُّطْفَ منهُ الشِّيَمُ ... ويُراقيني بِوَجْهٍ مُسْتَنيرْ

كلّما حَرَّكْتُ منهُ طَرَفا ... يَجْتَني سَمْعي ثِمارَ اللَّسَنِ

وإذا ما سِمْتُهُ الوَصْلَ وفَا ... يُنْجِزُ الوَعْدَ وفيهِ لا يَني

٧- دَور:

لِسَميري كيفَ لا أرعى الذِّمَامْ ... ولهُ طارِفُ وَجْدِي والتّلِيدْ

فَعليهِ وعلَى الحَظِّ السّلامْ ... إذْ بِهِ حَظّي لقدْ كانَ سَعيدْ

لَيْتَ ذاكَ الحَظُّ لَوْ عادَ دوامْ ... وتَمنّى عَوْدَهُ جَهْدُ العَميدْ

كَمْ أُقضّي بالتّمنّي زُلَفا ... وأُعاني في الدّياجي مِحَني

ولقدْ قَضّيْتُ قدمًا كَلَفا ... في هَوَى مَنْ حُبُّهُ تَيَّمَني

٨- دَور:

إنّما العُمْرُ لهاتيكَ اللّيالْ ... حيثُ شَملِي كانَ كالعِقْدِ النَّظيمْ

بأُصَيْحابٍ لهُم وَصْفُ الكمَالْ ... وخِلالٍ تَزْدَري لُطْفَ النسيمْ

نَجْتلِي إذْ نحنُ في أنْعَمِ بالْ ... كأسَ ساقٍ أَجْيَدَ الجيدِ كريمْ

ما عَهِدْناهُ لِكأسٍ عَكَفَا ... عنْ مُريدٍ وعنِ الحَثِّ وَني

لِسوَى تقبيلِهِ مُرْتَشِفا ... مِنْ أعاليهِ لِقَصْدٍ حَسَنِ

٩- دَور:

يـا لَـهُ ساقٍ حـوَى كـلَّ الجَمـالِ — تَتفـدّاهُ هَـوىً مِنّـا النُفـوسْ
تَـرِفُ الجِسْـمِ رَبيـبٌ بـالدّلالِ — سيفُ لَحْظيهِ سَبا حـربَ البَسـوسْ
طَيِّـبُ العَـرْفِ فَمِـنْ رَيّـاهُ نـالَ — قـالَ: لا عِطْـرَ إذَنْ بعـدَ عَـروسْ
حبّـذا منـهُ التّدانِـي والوَفـا — فَمتَـى الحَـظُّ بـهِ يُسْـعِدُنِي
وأراهُ لِي مُعيـدًا لُطفـا — ومُديـرًا لِي كُـؤوسَ اليُمْـنِ

١٠- دَور:

مِـنْ مُـدامٍ تُـلزِمُ السـاقي انْعِطـافْ — تَتَدانَـى منـهُ نَحْـويَ القُبَـلُ
تُكسِبُ النّشوةَ قبلَ الارتشـاف[1] — بشَـذاها الكـأسُ قَبْلِـي ثَمِـلُ
بِنْـتُ كَـرمٍ خُطِبَـتْ قبـلَ القِطـافْ — ثـمَّ زُفّـتْ حـينَ وافَـى الأجَـلُ
قـدْ تَحلّـتْ بِحَبـابٍ قـدْ طَفـا — تَـوّجَ الكـأسَ بِتـاجٍ مُثمـنِ
فَهـوَ صِرْفًـا يَجْتَلِيهـا قَرْقَفـا — مازِجًـا لِي بـاللّمى كأسِـيَ السَّـنِي

١١- دَور:

مـا علَـى مَـنْ يَجتلِـي الـراحَ جُنـاحْ — إنْ تَعاطاهـا بشُـرْبِ الأربِ
للتّصَـابي هـيَ يـا صـاحِ جَنـاحْ — تَطـرُدُ الهـمَّ بِخَيْـلِ الطّـرَبِ
فاحْتَسِـيها قَبـلَ إفْصـاحِ الصّبـاحْ — مِـنْ يَـدَيْ سـاقٍ شَـهِيٍّ الشَّـنَبِ
كُلّمـا عاطـاكَ كأسًـا مُلطفًـا — حَـثَّ مِـنْ لَحْظَيـهِ كـأسَ المِحَـنِ

---

(١) في (ب): تكسب النشأة.

فَبكأْسَــيْهِ تــرَى مُعْتَرِفًــا   قــائِلاً: أيُّهمــا أسْـكَرَني

١٢- دَور:

أتَــرَى يَقْضِــي لِصَحْــوي سُـكْري   مِــنْ حُمَيّــا كــأسِ راحٍ وغَــرامْ

أمْ بِسُـكْرِ الحُــبِّ يَمْضــي عُمُــري   حبّــذا لي ذاكَ بــلْ أقْصَــى مَــرامْ

إنّ صَحْــوي ليــسَ بــالْمُغْتَفرِ   لســتُ أرضــاهُ ولَــوْ ذُبْــتُ اضْطِــرامْ

فَحُمَيّــا الحــبِّ طِــبٌّ وشِــفا   مــا اسْـتحالَتْ لِصــلاحِ الْمَعْــدِنِ

مــا احْتَســاها غــيرُ مَــنْ قــدْ عَرَفــا   وغَــدا عَــنْ حُبِّهــا لا يَنْثَنِــي

١٣- دَور:

كــمْ بِهــا نــالَ الأمــاني عــارِفٌ   مُــذْ تَــراءَتْ نــارُ لَيــلاهُ فَمــالْ

وإلى حاناتِهــا كــمْ واصِــفْ   لِمزاياهــا دَعانــا فاسْــتمالْ

لا عَدانــا مِــنْ سَــناها عــاطِفٌ   أبَــدًا يَعطِفُنــا نحــوَ الجَمــالْ

إنّمــا أعنِــي جَمــالَ الْمُصْطفَــى   والــدَ الزهــراءِ جَــدَّ الحَسَــنِ

دامَ لي صــاحِ ذُراه كَنَفــا   ومَــلاذًا فهــوَ إحْــدَى مَــأْمَني

١٤- دَور:

إذْ هــوَ الْمَلْجــأُ لا غَــرْوَ غَــدا   حيثُ يُضْنِــي النــاسَ هَــولُ المَوْقِــفِ

فَلِعلْيــاهُ انْتِســابي قــدْ غَــدا   واضحــاً بُرهانُــهُ غــيرَ خَفِــي

مَــنْ سِــواهُ منــهُ أرجُــو المَــدَدا   وهــوَ لِلذمَّــةِ أوْفَــى مُنْصِــفِ

وبــهِ الأُمّــةُ أضْحــتْ حُنفــا   فلَهــا البُشــرَى بِعِــزٍّ بَيِّــنِ

فــاجْزِهِ اللّهــمَّ عنّــا رَأفــا   بــالّذي يُرضِــي جَنــابَ الْمُحْسِــنِ

[الموشح الثالث]

ومنْ ذلكَ للمرحومِ **سعودي بن يحيى**، الشهيرِ **بالمُتنبّي**[1]:

يـا رياضًـا غَيْثُهـا قـدْ وَكفـا	في دِمَشْق الشامِ ذي الحُسْـنِ السَّنِي
قـدْ مَـلأْتِ العَـينَ أُنسًـا وصَفـا	مُـذْ نَشَـرْتِ الزّهـرَ والـوَردَ الجَنِـي

١- دَور:

بَسَـمَ الـبَرْقُ وغنّـى العندليـبْ	حيـثُ كنّـا في رُبـا السّـفْحِ نُـزُولْ
وصَفـا اللّيـلُ وقـدْ غـابَ الرقيـبْ	واسْـتَنارَتْ بَهجـةً تلـكَ الطُّلـولْ
وانْجلَـى مـا بَيْنَنـا كـأسُ النّسِـيبْ	فـانْثَنى عِطْـفُ النّدامَـى بالشَّـمولْ
يالَهـا ليلـةَ أُنْـسٍ وصَفـا	غالَهـا الصُّبْـحُ بلَيْـلٍ مُمْكِـنِ
وإذا مَـا الفَجـرُ أَبْـدَى مُرْهَفـا	ذَهـبَ الليـلُ كـأنْ لمْ يَكُـنِ

٢- دَور:

قُـمْ بِنـا نَسْـعَى لأعلَـى الشَّـرَفِ	نَنْتَشِـقْ مـنْ عَـرْفِ ذيّـاكَ النسـيمْ
واتْحِـفِ الطَّـرْفَ بتلـكَ التُّحَـفِ	في ريـاضٍ هـيَ جَنـاتُ النعيـمْ
بِصَبـا المَرجَـةِ دائِـي يَشْـتَفي	وشَـذاها يُـبْرِئُ القلـبَ السّـقيمْ
كَـمْ عليهـا مـنْ نَسـيمٍ أشْـرَفا	بَعدَمـا صـافحَ شِـيْحَ اليَمَـنِ

(١) هو سعودي بن يحيى بن محيي الدين الشهير بالمتنبي العباسي الشافعي الدمشقي أحد العلماء والأفاضل أديب شاعر، له ديوان شعر سماه: مدائح الحضرات بلسان الإشارات توفي سنة ١١٢٧هـ. ودفن بمرج الدحداح. ذيل نفحة الريحانة ٢٥٤، ويوميات البديري الحلاق ٢٣١، وورد اسمه في سلك الدرر ١/٦٩: أبو السعود بن يحيى.

وعلَـى أدْواحِهـا قـدْ عَكَفـا   ناشِـرًا مِنْهـا عَبـيرَ السَّوسَـنِ

٣- دَور:

حبّـذا رَوضـاتُ أُنْـسٍ بَهَـرَتْ   بسَـناها إذْ بَـدَتْ لِلنّـاظِرينْ
ولأرْجـاءِ الرّوابـي عَطّـرَتْ   وبِهـا قـدْ فـاحَ عَـرْفُ الياسَـمينْ
يـا لَهـا جَنـاتِ عَـدنٍ زُخْرِفَـتْ   وبِهـا كَوثَرُهـا مـاءٌ مَعـينْ
حيـثُ ذاكَ الغُصـنُ نَحـوي انْعَطَفـا   وحَبـانِي منْـهُ بـالعَيْشِ الهَنِـي
ومَحـا بـالوَصْلِ أوقـاتَ الجَفـا   إنّ هـذا مِـنْ عَظيـمِ المِنَـنِ

٤- دَور:

ورُبـا الرّبْـوةِ أقْصَـى أرَبـي   طـابَ لِي مِنْها صُـدوري والـوُرود
فـاجْتَلِي فِيهـا كُـؤوسَ الطّـرَبِ   بـينَ جَنْـكٍ مِـنْ سَـواقِيها وعُـود
واسْـقِنِي شَمْسًـا كلَـوْنِ الذهَـبِ   عَرْفُهـا عَطّـرَ أنفـاسَ الوُجـود
وصَفـا الكـأسُ بهـا حـينَ صَفـا   مُـذْ سَـناهُ وَجْـهُ ذاكَ الحَسَـنِ
فالحُمَيّـا والمُحَيّـا ائْتلَفـا   في تَلافِـي والهَـوَى والمِحَـنِ

٥- دَور:

قـدْ سَـقاني شَـفَقًا مِـنْ خَـدِّهِ   لاحَ فِي الكـأسِ فَخِلْنـاهُ رَحيـقْ
بَـلَّ مِـنَ الرّيـقِ ونـادَى وَرْدَهُ   خَمْرُنـا والثّغْـرُ كَـأْسٌ مِـنْ عَقيـقْ
مـاسَ تِيهًـا يَنْثَنِـي فِي بُـرْدِهِ   فَسَـبانا قَـدُّهُ ذاكَ الرّشـيقْ
رَشَـأٌ إنْ لاحَ لِلبَـدرِ اخْتَفَـى   وغَـدا مِـنْ عِشْـقِهِ فِي شَـجَنِ

لَيتَـــهُ يَســـــمَحُ يومًـــا بِوفَـــا لأسِــــيرٍ في الهَـــوَى مُرْتَهِــــنِ

٦ـ دَور:

ظَبْـيُ أُنْـسٍ قَـــدْ أعـــارَ الحَدَقــا للظِّبـــا والحُسْـــنَ منـــهُ لِلمِـــلاحْ
وبِـــلالُ الخـــالِ في الصُّبْـــحِ رَقــا جيْـدُهُ مُـذْ شـامَ عـامودَ الصّبـاحْ
وأقـــامَ اللّحْــــظُ لمّـــا رَمَقـــا بِـــازْوِرارٍ بَينَنَـــا سُـــوقَ السّـــلاحْ
طَرْفُـــهُ الوَسْـــنانُ أبْـــدَى مُرْهَفـــا ثُـــمَّ بِالسِّـــحْرِ أتَـــى للفِتَـــنِ
وأراشَ الجَفْـــنَ ثُـــمَّ انْعَطَفـــا بِهِمـــا في حَرْبِـــهِ يَقْصِدُنِــــي

٧ـ دَور:

حَدِّثـاني عَـنْ سَـنا الـبَرقِ اللّمـوعْ يـــاخَليليَّ فقـــدْ بـــانَ النهـــارْ
وانْفِجـارِ النـورِ مـا بـينَ الربـوعْ مِـنْ قُصـورِ الشـامِ دانِـي الاشْـتِهارْ
يـا لَقومِـي كيـفَ يَهْنـا لي هُجـوعْ وأنـــا مَأْسُـــورُ أشْـــواقٍ غِـــزَارْ
بِهُمـــامٍ قـــدْ عَلاهُـــم شَـــرَفا وهـــوَ رَوْحٌ والسِّـــوَى كـــالبَدَنِ
قَصْـــرُهُ السّـــامِي علَيهـــم أشْـــرَفا فسَـــناهُ لَيـــسَ بـــالمُتَكِنِ

٨ـ دَور:

إنّ فَتحِـــي بالثّنـــا فيـــهِ مُبِيْـــنْ حيـثُ للأفْـرادِ قـدْ أضْحَـى خِتَـامْ
وهـــوَ بـــالإرْثِ لِخَتْـــمِ المُرْسَـــلِينْ خُصَّ في ذا العَصـرِ مِـنْ دُونِ الأنـامْ
كـــامِلٌ أضحَـــى يَمُـــدُّ الكـــامِلِينْ وهـــوَ للأقطـــابِ قُطْـــبٌ وإمـــامْ
نُـــورُهُ سِـــرُّ المَثـــاني كَشَـــفا وبَـــدتْ عنـــهُ بُـــروقُ السُّـــنَنِ

كيـفَ لا يَحـدُو بِنـا حَـدْوَ الصَّفـا　　وهـوَ سِـرُّ المُصْطفـى عبـدُ الغَنِـي

٩- دَور:

أحْمـدُ المُزمِّـلُ الهـادي الأمِـين　　مَظْهَـرُ الـذّاتِ وعَـرْشُ الاسْـتِوا
فـارِقٌ بِـالنُّورِ بـينَ العـالَمَيْن　　جـامِعٌ لِلحـقِّ والخَلْـقِ سَـوَى
فهـوَ عـينُ الكُـلِّ في عـينِ اليَقِـين　　حيـثُ منـهُ السِّـرُّ لِلكُـلِّ حَـوَى
فَعليـهِ صَلَـواتٌ تُصْطَفَـى　　كُـلَّ آنٍ في مَمَـرِّ الزَّمَـنِ
وسَـلامٌ بَرْقُـهُ قَـدْ هَتفـا　　بالرِّضـا مِـنْ ربِّـهِ والمِنَـنِ

١٠- دَور:

وعلَـى الخِـيرَةِ مِـنْ كـلِّ الأنـامْ　　نُخبَـةِ الأبْـرارِ أهْـلِ الاصْطِفـا
وهُـمُ الأصْحـابُ والآلُ الكِـرامْ　　مَـنْ بِهِـمْ نِلْنـا الهُـدَى والشَّـرَفا
وبِهِـمْ أرجُـو مِـنَ اللهِ المَـرامْ　　وهُـوَ حَسْـبي في أُمُـوري وَكفَـى
وسُـعودي بِـالقُصورِ اعْتَرَفـا　　عَـنْ ذَوي أهـلِ النُّهَـى واللَّسَـنِ
وإذا مَـولاهُ عنـهُ قَـدْ عفَـا　　فهُـوَ في أسْـنَى مَقـامٍ حَسَـنِ



[الموشح الرابع]

ومِنْ ذلكَ للمرحومِ **محمدِ صادق، الشهير بابنِ الخرَّاطِ**[1]:

جادَ رَبْعَ الشامِ غَيْثٌ وَكفَا   وسَقَى عَهدي بتلكَ الدِّمَنِ

لمْ تكُنْ إلاّ وِصالاً وَوفَا   واخْتِلاسًا منْ أيادِي الزَّمَنِ

١- دَور:

يا حَمَى اللهُ زَمانًا في حِمَى   نَيْرَبَيْها قدْ تَقضَّى كالخَيالْ

حَيثُما تَغْرُ الرّوابي ابتسَما   وعُيونُ الزهرِ تَنْدَى باللآلْ

ونسيمُ الأُنْسِ فِيها نسَّما   وثَنى الأغصانَ خَفّاقُ الشِّمالْ

وابنُ وَرقاءَ بِها قدْ هتَفا   بفُنونِ الشَّوقِ فوقَ الفَنَنِ

فشَجا قلبًا كَئِيبًا دَنِفا   مُحيَتْ آثارُهُ بِالمِحَنِ

٢- دَور:

يا لَيالِي الوَصْلِ أيامَ الصِّبا   جادَكِ صَوْبُ الحَيا كلَّ صَباح

في رُبا رَبْوتِها مَرْبَى الظِّبا   وفَنا أفنانِها ذاتِ المِراح

كلّما هبَّتْ بها ريحُ الصَّبا   أو شَدَتْ في دَوْحِها ذاتُ الجَناح

أذْكَرَتْني طِيْبَ عَيشٍ سَلفا   يا لهُ في الدَّهرِ منْ عَيشٍ هَنِي

---

(١) كذا في الأصل، و لم أجد له ترجمة، ولعلّه هو صادق بن محمد بن حسين الشهير بالخراط، انظر ترجمته صفحة (٤٤) وكأني بالمؤلف قد درج على زيادة اسم (محمد) قبل بعض الأسماء، أو هي موجودة أصلاً حذفها بعض المؤرخين، وانظر لصاحب الدور التالي وهو محمد سعدي العمري وذكره صاحب سلك الدرر ١٧١/٢: سعدي ابن عبد القادر العمري.

لَمْ أزلْ أبكِي عليهِ أسَفا وفؤادِي لَمْ يَزلْ في شَجَنِ

٣- دَور:

عَمركَ اللهِ إذا ما جُزْتَ في جانِبِ السَّفْحِ صَباحًا يا نسيمْ
فَعلَى المَرجَةِ ذاتِ الشَّرَفِ عِجْ وحيِّيها بأنواعِ النِّعيمْ
فَلِوادِيها رفيعُ الغُرَفِ لم يَزلْ شوقي مدَى الدهرِ مُقيمْ
يا خَليلَيَّ خُذانِي وَقِفَا في رُباها حيثُ مَجْلَى الحَزَنِ
إنّني مازِلْتُ فيها كَلِفا فعَسَى الآمالُ أنْ تُسْعِدَني

٤- دَور:

صَفَّقَ النهرُ وغنَّى البلبلُ عندما قدْ رَقَصَتْ هِيفُ الغُصونْ
ونسيمُ البَانِ وافَى يَنقُلُ نَفحةَ الزهرِ عنِ الروضِ المَصونْ
ولَنا أهْدَتْ شَذاهُ الشَّمأَلُ بعدَما ابْتلَّتْ بأطرافِ العُيونْ
والصَّبا مُذْ مَرَّ فيها حَلفا إنّهُ عنْ ظِلِّها لا يَنْثَنِي
فسقَى الوَسْميُّ رَوضًا أُنُفا عِندَهُ أصْبَحْتُ كالمُرتَهَنِ

٥- دَور:

قُمْ بنا نَجلُو كُئوسَ الطَّرَبِ في رُباها بينَ وَرْدٍ وشَقيقْ
وامْلأِ الكأسَ بماءِ الذَّهَبِ إنّما اللّذّةُ كأسٌ ورَفيقْ
شمسُ راحٍ حُرِسَتْ بالشُّهُبِ كأسُها مِنْها غَدا لا يَسْتفيقْ
فاعطِنيها يا نَديمي قَرْقَفا ودَعِ اللاّحِي عليها يَلْحَنِي

فلَهــا مــــازِلْتُ أصْبـــو شَـــغفا   وهــيَ تَسْــري كالشِّــفا في البَــدَنِ

٦ـ دَور:

قَهــوةٌ في الحَــانِ تُجْلَــى كــالعَروسْ   راحَـــةُ الـــرُّوحِ وكَــنْزُ المِنَـــحِ
لَسْـــتُ أدري أبُـــدُورٌ أمْ شُـــموسْ   قــدْ أضــاءَتْ مــن أعــالِي القَــدَحِ
رقَصَتْ مــن طَــرَبٍ فيهــا الكُــؤوسْ   حـــينَ دارَتْ بالهَنـــا والفَـــرَحِ
فاحْتَسَـــيْناها سُـــرورًا وشِـــفا   وانْتَهَزْنـــا فُرصـــةً لَمْ تَكُـــنِ
فرَعَـــى ا للهُ لِوَيـــلاتِ[1] الصَّفـــا   إذْ حَبَتْنـــا بِعَظِيـــمِ المِنَـــنِ

٧ـ دَور:

كيـــفَ لا أذكُـــرُ هـــاتيكَ اللّيـــالِ   وبِهــا قــدْ مَــرَّ لي عَيــشٌ رَغيــد
حيثُ كــانَ الدهـرُ صـافٍ[2] كـالزُّلالِ   وغَــزالُ الأُنْــسِ عَنّــي لا يَحيــد
يَنثنِـــي بالتِّيـــهِ في بُـــردِ الجَمـــالِ   فيَغــارُ الغُصــنُ منــهُ إذْ يَميــد
لَـــوْ رأى البَـــدْرُ سَـــناهُ انْكسَـــفا   وقَضيـــبُ البـــانِ أمْسَـــى مُنْحَنِـــي
سَــلَّ مِـــنْ لَحْظَيْـــهِ عَضْبًـــا مُرْهَفـــا   يـــا لِقَومـــي مـــنْ سُـــيوفِ اليَمَـــنِ

٨ـ دَور:

تخِـــذ الجَـــوزاءَ في الجيـــدِ عُقـــودْ   بعدمـــا قـــدْ صـــيَّرَ البَـــدرَ غُـــلامْ
وبَــدتْ مِــنْ فَرْقِــهِ شمــسُ الوجــودْ   واحْتَسَـــيناها مـــن الثَّغْـــرِ مُـــدامْ
وأعــارَ الـــوردَ في الـــرَّوضِ خُــدودْ   وغُصـــونَ البـــانِ لِيْنًـــا وقَـــوامْ
واسْـــتبانا مُـــذْ تَثنّـــى هَيَفـــا   بِجَمـــالٍ يُخجِـــلُ البَـــدرَ السَّـــنِي

---

(١) كذا الأصل، وكأن الصواب: لييلات الصفا، أو: لُويَّاتِ.   (٢) كذا (صافٍ) للضرورة الشعرية.

وعـــنِ المُرْهَـــفِ بـــالغَمْزِ اكْتفَـــى يـــا بِرُوحِـــي غَمْـــزَ تلـــكَ الأعْيُـــنِ

٩- دَور:

ظَبْـــيُ أُنْـــسٍ في فُـــؤادي رَتَعـــا أتْلَـــعُ الجِيـــدِ كَحيـــلُ المُقْلَتـــين
خـــانَ ودِّي ولِعَهْـــدي مـــا رَعـــى وصَلَـــى قلـــبي بِنَـــارِ الوَجْنتـــين
وإذا رُمْـــتُ وفَـــاهُ امْتَنَعـــا ولـــوَى جيْـــدًا وأدلَـــى طُرَّتـــين
يـــا عَـــذولاً في هَـــواهُ عَنَفـــا لا حَبـــاكَ الله بـــالعَيْشِ الهَنِـــي
كـــمْ تَرانِـــي ذُبْـــتُ فيـــهِ كَلفـــا وبِفَـــرْطِ اللّـــومِ تَذَكّـــى شَـــجَنِي

١٠- دَور:

أيُّهـــا السـائِلُ عـــنْ حَـــالِ الغريـــبْ سَـــلْ ظِبـــاءَ المُنْحَنَـــى لمْ يَعِـــدوا
إنّ لي مـــن بُعْدِهـــم حـــالاً عَجيـــبْ لَيْتَهـــم وَفّـــوا بمـــا قـــدْ وَعَـــدوا
خلّفونـــي بـــينَ وَجْـــدٍ ونَحيـــبْ وضُلـــوعٍ جَمْرُهـــا يَتّقِـــدُ
وعُيـــونٍ جَفْنُهـــا قـــدْ رَعَفـــا وبِهـــمْ عـــافَتْ لَذيـــذَ الوَسَـــنِ
واصْطبـــارٍ حـــينَ بـــانوا قـــدْ عَفـــا وغَـــرامٍ لِلْهَـــوَى لمْ يَخُـــنِ

١١- دَور:

آهِ وا شـــوقِي بِهـــاتيكَ الطُّلـــولْ يـــا سَـــقاها الله أوفَـــى الدِّيَـــمِ
إنّ لي في ظِلّهـــا عُرْبًـــا نـــزولْ لَيْتَهـــم زاروا ولَـــوْ في الحُلـــمِ
قَسـمًا عـــنْ حُبِّهـم لسْـــتُ أحُـــولْ لا ولا يَشْـــفَى الحَشـــا مـــنْ ألَـــمِ
غـــيرَ ذِكْـــرِي لِجَنـــابِ المُصْطفَـــى مَـــنْ حَمانـــا مـــن جَميـــعِ الفِتَـــنِ

أحمــدُ المُختـــارُ كَـــنزُ الإصْطِفـــا أشـــرفُ الخَلْـــقِ إمـــامُ اللَّسَـــنِ

١٢- دَور:

مَــنْ ســرَى لَيــلاً إلى أعْــلا العُــلا ورأى بـــالعَينِ أنْـــوارَ اليَقـــين
ولَــهُ شَــوقًا ســعَى جَــذْعُ الفَــلا وحُبِـي بـــالنَّصْرِ والفَتْـــحِ المُبـــين
ولدِيـــنِ الحـــقِّ بـــالحقِّ جَـــلا وأبـــادَ الشِّـــرْكَ بـــالعَزْمِ المَتـــين
زادَهُ ربُّ البَرايـــــا شَـــــرَفا إذْ دعـــا الخَلْـــقَ بِخُلُـــقٍ حَسَـــنِ
وأبَــانَ الحــقَّ مِــنْ بعــدِ الخفَــا وَهــدَى النــاسَ لأعلَــى سُــنَنِ

١٣- دَور:

فَعلَيـــهِ كلَّمـــا هبَّـــتْ شَـــمالْ صَلَـــواتُ اللهِ تَـــترَى والســـلام
وعلَــى الآلِ الأُلَــى نــالوا الوصــالْ أبَــدًا مــا أسْــفَرَ البَــدرُ التَّمــام
واخْصُــصِ الأصْحـابَ أربـابَ الكَمـالْ بتَحِيّـــاتٍ لَهـــا المِسْـــكُ خِتـــام
مـــا تَذكَّـــرْتُ أُوَيْقـــاتِ الوَفـــا وغَـــدا الشَّـــوقُ لَهـــا يَنْشُـــدُني
حـــادَ ربـــعَ الشـــامِ غيـــثٌ وكَفـــا وســـقَى عَهـــدِي بتلـــكَ الدِّمَـــنِ



[الموشح الخامس]

ومِنْ ذلكَ لِمَنْ اشْتملَ بأوصافِ الظّرافَة، وتَحلّى بأنواعِ الكمالِ واللّطافَة، أُنْمُوذَجِ البلاغَةِ الصَّعبةِ المَرام، وفَذْلَكَةِ البَراعَةِ التي تَسجُدُ لَها الأقلام، رَوضُ المَجدِ العاطِر، وبحرُ الفضلِ الزاخر، صديقُنا المرحومُ **محمد سعدي العُمَرِيّ**[1]، رحِمَهُ اللهُ تعالَى:

يا رعَى اللهُ زَمانًا سَلَفا ... في رياضِ الشامِ بالعَيْشِ الهَنِي

كَمْ حَلَلْنا مِنْ رُباهُ غُرَفا ... قَلّدَتْنا بعُقودِ المِنَنِ

١ـ دَور:

والتّصابي رَوضُهُ الغَضُّ قَشيبْ ... والصِّبا ماءٌ بأعطافي يَجُولْ

وشَبابي غُصْنُهُ اللَّدْنُ رَطِيبْ ... والهوَى يلعَبُ بي لَعِبَ الشَّمولْ

وانتهابي فُرَصَ العيشِ الرحيبْ ... جَرَّ بي مِنْ فاضلِ اللّهوِ ذُيولْ

لَمْ يكُنْ إلاّ خيالاً وعفَا ... وتَقاضَتْهُ عَوادي المِحَنِ

كَمْ بهِ جاوَرْتُ رَوضًا أُنفا ... حَسَدَتْ عَيني علَيَّ أُذُني

٢ـ دَور:

حيثُ طيرُ اللّهوِ خفّاقُ الجَناح ... وجُموعُ[2] الدّهرِ مَغلُولُ اليَدَيْن

ودَواعِي الأُنْسِ وَفْقَ الاقتِراح ... والمُنَى تَلْحَظُ آمالي بِعَيْن

---

1) هو سعدي بن عبد القادر العمري الشافعي الدمشقي المعروف بابن عبد الهادي الشيخ العالم الفاضل البارع الأديب الناظم الناثر. توفي سنة ١١٤٧هـ، ودفن بتربة مرج الدحداح. انظر سلك الدرر ١٧١/٢، وانظر الحاشية السابقة صفحة (٢٦٢).

2) كذا الأصل، ولعلّها: وجموحُ الدهر.

ورَخيـمُ الـدَّلِّ مَحلُـولُ الوِشـاح حاسِرُ الطُّـرَّةِ عـنْ مِثْـلِ اللُّجَـين
كلّمـا سـاوَمْتُهُ الوَصْـلَ وفَـا وحَبـاني وَرْدَ خَدَّيْـهِ الجَنِـي
وسَـقاني مـنْ لَمـاهُ قَرْقَفـا أطْفَـأَتْ حَـرَّ الجَـوَى والشَّـجَنِ

٣- دَور:

بِـأَبِي أَفْديـهِ مِـنْ سـاقٍ رَشِـيقْ واضِـحِ الغُـرَّةِ مَعْسُـولِ الشَّـنَبْ
في صَفـا خَدَّيْـهِ وَرْدٌ وشَـقيقْ وبِكَـنْزِ الـدُّرِّ خَمْـرٌ وضَـرَبْ
والشِّـفاهُ اللّعْـسُ مِسْـكٌ وعَقيـقْ غُشِّـيَتْ أسْـلاكَ دُرٌّ وحَبَـبْ
زَمْـزمَ الكـأْسَ وأحيـا دَنِفَـا بِشَـذَى خـاتِمِ ثَغْـرٍ حَسَـنِ
بِنـتُ كَـرْمٍ بِسَـناها والصَّفـا سَـلَبَتْ رِقَّـةَ بِنْـتِ اليَمَـنِ

٤- دَور:

والرُّبـا تَسْـحَبُ لِلطَّـلِّ ذُيـولْ مِنْ حِلَى الدَّوحِ علَى زُرْقِ العُيـونِ
والنسـيمُ الرَّطْـبُ خفّـاقُ الذّيـولْ يَتَهـادَى بـينَ أعطـافِ الغُصـونِ
وجُفـونُ الزّهـرِ مـنْ بَعـدِ الذُّبـولْ مَسَـحَتْها راحـةُ الطَّـلِّ الهَتُـونِ
وبِهـا الطـائِرُ مَهْمـا هتَفـا سَـلبَ الطَّـرفَ طُـروقَ الوَسَـنِ
وإذا مـا طـارَحَ الصَّـبَّ هفَـا وانْثَنَـى يَهـتزُّ شَـروَى الغُصـنِ

٥- دَور:

كيـفَ لا آسَـى علَـى تلـكَ الليـال وأنـا في قَبْضَـةِ الهَـمِّ أسِـيرْ
وغَوانـي الأُنْـس مـن بعْـدِ الحِجـال كسـفَ الخَطْـبَ مُحيّاهـا النّضـيْرْ

والأولَى عـاطَيْتُهم صِرْفَ الكَمـال — عـاهَدُوا التّفريـقَ في كـلِّ شَـفير
فـإذا حـاولْتُ مِنْهـا طَرَفـا — أجِـدُ الأقـدارَ لا تُسـعِدُني
فأنـا بـينَ التأسّـي والجَفـا — غـائِضُ الفِكْـرَةِ عـافي البَـدَنِ

٦- دَور:

كـانَ للشِّـعْرِ وأهليـهِ زَمـانْ — رَكَضَـتْ في ظِلّـهِ قَبْلـي رِجـالْ
نَصبُـوا للسَّـبْقِ مَيْـدانَ الرِّهـانْ — وجَـروا في سُـوحِ ذيّـاكَ المَجـالْ
ورَمُـوا الأفهـامَ عـنْ قَـوسِ البَيـانْ — فأصـابُوا سَـهْمَ مَـنْ وشّـى وقـالْ
جـادَ رَبْـعَ الشـامِ غيـثٌ وكَفـا — وسـقَى عَهـدِي بتلـكَ الدِّمَـنِ
فَتَجـارَيْتُ وحَسْـبي شَـرَفًا — مَـدْحُ خَـيرِ الخَلْـقِ جَـدِّ الحَسَـنِ

٧- دَور:

خَـيرُ مَـنْ شَـيَّدَ أرْكـانَ الهُـدَى — بيَـدِ التوفيـقِ مِـنْ بـاري النَّسَـمْ
وجَـلا الرُّشْـدَ لأهْـلِ الاهْتِـدا — بِمَسـاعٍ أرهَفَـتْ بِيْـضَ الهِمَـمْ
وامْـتَرى بـالقُربِ أخْـلاقَ النّـدَى — وارْتَـوى بـالصِّدْقِ مِـنْ ضَـرْعِ الكَـرَمْ
خَـرَقَ الحُجْـبَ بـأنوارِ الصّفـا — واجْتلَـى بـالقُربِ مـا لَمْ يَكُـنِ
ورأى مـا عنْـهُ جِـبْريلُ اختفَـى — وتَحـامَى ذلـكَ الشَّـأْوَ السَّـنِي

٨- دَور:

مَـنْ حَكَـتْ آياتُـهُ زَهْـرَ النُّجـومِ — وعلَـى مـا يَعلَـمُ اللهُ اشْـتَملْ
وجَـرتْ منـهُ يَنـابيعُ العُلـومِ — بِـرَوِيِّ الصِّـدقِ وإشْـراقِ العَمـلْ

فـــارتَوتْ منهـــا بـــأقْداحِ الفُهـــومِ جُمَـــلُ الأفكـــارِ عَـــلاًّ ونَهَـــلْ
ودَعانـــا لِلهُـــدَى فانْكَشَـــفا عـــنْ مُحَيّـــا الحـــقِّ رَيْـــبُ الوَهَـــنِ
ومَحـــا عنّـــا بآيـــاتِ الشِّـــفا كـــلَّ مـــا خَطّتْـــهُ أيْـــدي الفِتَـــنِ

٩- دَور:

كَـــنزُ أنـــوارِ الهُـــدى طـــهَ الأمِـــينْ مَعـــدِنُ الأسْـــرارِ كشّـــافُ الكُـــروب
قـــائِدُ الغُـــرِّ بأسْـــبابِ اليقـــينْ لاقْتِبـــاسِ النـــورِ مـــنْ شَـــمسِ الغُيـــوب
جـــاءَ بالآيـــاتِ والنـــورِ المُبـــين فأمـــاطَ الغَيْـــنِ عـــنْ عَـــينِ القلـــوب
قِبلَـــةُ الحـــقِّ لأهـــلِ الإصْطِفـــا مُســـتوَى عَـــرْشِ الرَّشـــادِ البَيِّـــنِ
مـــنْ ظُهـــورِ الكـــونِ يَجلِـــي والخَفـــا لِمَرائـــــــي سِـــــــرِّهِ والعلَـــــــنِ

١٠- دَور:

فهـــوَ في غَيْـــبِ مُناجـــاةِ القَديـــرْ حـــاضِرُ القلْـــبِ لإدْراكِ السُّـــعود
واضِـــحُ الآثـــارِ والوجْـــه المُنـــيرْ ســـاطِعُ النُّـــورِ بآفـــاقِ الوُجـــودِ
جَوهَـــرِيُّ الـــذّاتِ قُدْسِـــيُّ الضَّمـــيرْ غـــائِصُ الأفكـــارِ في بحـــرِ الشُّـــهود
مَـــنْ نَحـــا بحـــرَ هُـــداهُ اغترَفـــا وارتـــوَى مِـــنْ كوثَـــرِ الحَـــقِّ الهَنِـــي
ورأى وجْـــهَ الهُـــدَى مُنكَشِـــفا فـــاهتدَى منـــهُ لأقْـــوى سُـــنَنِ

١١- دَور:

ضـــاقَ ذَرْعُ اللُّـــبِّ والفِكـــرِ الصَّحيـــحْ عـــنْ مـــدَى عَلْيـــاكَ واسْـــتعفَى الـــيَراعْ
وتَحـــامَى وَصْفَهـــا كـــلُّ فَصيـــحْ بَعدَمـــا جَفَّـــتْ عُيـــونُ الاخْـــتِراعْ

هــلْ يَفِــي بــالقولِ مــنْ رامَ المَديــحْ ... ومَنــالُ الزهـــرِ مـــا لا يُســـتَطاعْ
فـــإذا المـــادِحُ أثْنَـــى اعتَرفَـــا ... بعُـــلا تُعْيِـــي جَميـــعَ الألْسُـــنِ
لكـــنِ الآمـــالُ إنْ غِيْـــضَ الوَفـــا ... فيـكَ يـا غَـوثَ الــورَى تُطمِعُنِـــي

١٢- دَور:

فعسَـــى مَدحِـــي لِذَيّـــاكَ الجَنـــابْ ... منـكَ أنْ يَطْـرُفَ في ذَيْـلِ القَبـولْ
وأرَى ريَّـــا شَـــذاهُ المُســـتطابْ ... سَـــاحِبًا في عَـــينِ أمـــالي ذُيـــولْ
لِيَقِينِـــي عَرْفُـــهُ مَـــسَّ العَـــذابْ ... يـومَ يَغشَـى النـاسَ هَـولٌ وذُهـولْ
ويَـــدُ الأقـــدارِ تَجلُـــو صُحُفـــا ... مُلِئَـــتْ مـــنْ سَـــيِّئٍ أوْ حَسَـــنِ
فـــإذا المَـــرءُ رأى مـــا اقْتَرفـــا ... عَـــرَفَ المُذْنِـــبُ فَضْـــلَ المُحْسِـــنِ

١٣- دَور:

وأفـــانِينُ صَلاتـــي والسَّـــلام ... لـكَ يـا مُختـارُ حِيْنًـا بعـدَ حِـينْ
وعلَـــى الأصْحـــابِ والآلِ الكِـــرام ... مَصْـــدَرِ الحـــقِّ وأنـــوارِ اليقـــينْ
راجِيًـــا في حُبِّهِـــم حُسْـــنَ الخِتـــام ... واثِقًـــا بـــا للهِ رَبِّ العـــالَمينْ
مـا حَـلا مَدحِـي لِطَـهَ المُصْطفَـى ... وثَنَـــى أعطـــافَ أهـــلِ اللَّسَـــنِ
وجَــلا الأسْــماعَ منــهُ طَرفـــا ... دُرُّهـــا المَكْنـــونُ غـــالي الثَّمَـــنِ



[الموشح السادس]

ومنْ ذلكَ للمرحومِ **عبدِ الرحمنِ بنِ عبدِ الرّزّاقِ**[1]:

كـمْ جَنَيْنـا زَهـرَ أُنْـسٍ وصَفـا ... في رَوابـي الشـامِ ذاتِ الأعْيُـنِ
واجْتَلَينـا مـنْ أُوَيْقـاتِ الوفَـا ... شمـسَ أفـراحٍ لـدَى عَيـشٍ هَنِـي

١- دَور:

يـا لِوادِيهـا المُفَـدّى بـالعُيونْ ... في رُبـا رَبْوتِهـا الرَّحْـبِ الوَسـيمْ
حيثُمـا يَمَّمْـتَ نهـرٌ وعُيـونْ ... ونَسـيمًا لُطفُـهُ يُحيِـي الرَّمِيـمْ
طالَمـا حَيَّيْـتُ وادِيـهِ المَصـونْ ... والرُّبـا يَثْنِيـهِ أنفـاسُ النسـيمْ
وهَـزارُ الـدَّوْحِ فيـهِ هتَفـا ... بِلُحُـونٍ قـدْ أثـارَتْ شَـجَني
وبِمَـرْآهُ الشَّـجِي قـدْ شُـغِفا ... كـلُّ طَـرْفٍ يـا لَـهُ مَـرْأىً سَـنِي

٢- دَور.

لَسْـتُ أنْسـاهُ أُوَيقـاتِ السَّـحَرْ ... والصَّبـا يَعطِـفُ أعطـافَ المِيـاهْ
وغُصـونُ البـانِ تَنـدَى بـالزهرْ ... وَجَـنيُّ الـوَردِ يَنـدَى مِـنْ حَيـاهْ
حبّـذا تَجلُـو بِمَـرْآهُ النَّظَـرْ ... وتَـرَى الأطيـارَ تشـدُو في رُبـاهْ
كـلُّ طَـرْفٍ كـمْ تَـراهُ وَقَفـا ... عِنـدهُ زهـرُ التَّهـاني يَجْتَنِـي
وبـهِ مـازالَ طَرْفِـي كَلِفـا ... جـادَهُ دَمعِـي غَزيـرَ المُـزُنِ

---

(1) انظر ترجمته صفحة ٥٢.

٣ـ دَور:

بِـأَبي والــرُّوحِ عـالِي الشـرَفِ   دَيـرُ مُـرَّان البَهِـيُّ الأَنِـسِ
لَمْ تَـزلْ أكْنـافُ ذاكَ الطَّـرَفِ   بالبَهـا تَزهُـو علَـى الأنْدلُـسِ
كـمْ بـهِ النُّدْمـانُ بـالأُنسِ الـوَفِي   مَزَجُـوا الصَّهبـا بمـاءِ اللَّعَـسِ
وشَـمالٍ في ذُراهُ عَكَفَـا   ناشِـرًا أزهـارَ تلـكَ الدِّمَـنِ
كيـفَ لا يَصبُـو فُـؤادٌ دَنِفـا   لِحِمـاهُ وهـوَ أهنَـى مَوْطِـنِ

٤ـ دَور:

رَقـصَ الغُصـنُ وغنَّـى العنْدليـبْ   في رُبـا نَيْرَبِهـا الغَـضِّ النَّضِـيرْ
والحَيـا قلَّـدَ أجْيـادَ القَضيـبْ   بـلآلٍ زانَهـا الزهْـرُ الوَثـيرْ
وخُوَيْـطٍ نـاعمِ الجسـمِ رَطيـبْ   يَنثَـني مـا بـينَ رَوضٍ وغَديـرْ
يـا فَدتْـهُ الـروحُ رَوضًـا أُنُفـا   فَرشُـهُ العَنـبَرُ والـوَرْدُ الجَنِـي
لمْ أكُـنْ أُلْفِـي سِـواهُ مألَفـا   يـا شَـقيقَ الـرُّوحِ طُـولَ الزَّمَـنِ

٥ـ دَور:

فَسـقَى جِلِّـقَ وَسْـمِيُّ العِهـادْ   ورَعَـى غُوطَتَهـا مَجنَـى السـرورِ
إذْ هَواهـا لمْ يَـزلْ يُحْيِـي الفُـؤادْ   حبَّـذا مـا بـينَ أنفـاسِ الزُّهـورِ
إنّهـا الشـامةُ في جيـدِ البـلادْ   يـا لَهـا تَزهُـو بوِلْـدانٍ وحُـورِ
بـلْ هـيَ الجنّـةُ حُفّـتْ بالصَّفـا   دُرُّهـا الحَصْبـاءُ غـالي الثَّمَـنِ
بِعْـتُ نَفسِـي في هَواهـا سَـلَفا   كيـفَ عنْهـا غُصـنُ شَـوقي يَنثَنِـي

٦- دَور:

قُمْ بِنا نَقْضِ لُباناتِ الهوَى   ياسَميري عندَ هاتيكَ الرياضْ
نَحتَسِي صِرْفًا علَى وَفْقِ المُنَى   والتّهانِي قَهوةً تَشْفِي المِراضْ
إنّها لِلجِسمِ رُوحٌ ما لَنا   إنْ تَناءَتْ لَحظَةً عنْها اعْتِياضْ
نَجْتلي ما رَقَّ منْها وَصَفا   بينَ رَيْحانٍ وغَضِّ السَّوْسَنِ
في رياضٍ غَيْثُها قدْ وَكَفا   والشَّحاريرُ بِها تُطرِبُني

٧- دَورٌ:

ونَديمٍ قامَ يَجْلُوها صَباحْ   بِكْرُ دَنٍّ أشْرقَتْ منْها الشُّموسْ
خَدُّهُ يَزهُو بِوَرْدٍ وأقاحْ   وبها يُسْفِرُ عنْ سُوقِ العَروسْ
ما علَى مَنْ هامَ فِيها مِنْ جُناحْ   يا لَها تُحْيي برَيَّاها النُّفوسْ
هاتِها شَمسَ الحُمَيّا قَرْقَفا   ودَعِ اللاّحِي علَيها يلْحَني
مِنْ يَدَيْ حُلوِ الثّنايا أهْيَفا   تَرِفِ الجِسمِ رَطِيبِ البَدَنِ

٨- دَور:

خنثُ الأعطافِ ساجي الحَدَقِ   لمْ يَزلْ يَختالُ في زاهِي البُرود
وَجْهُهُ يَسْبي بُدورَ الغَسَقِ   والحَيا قدْ زانَ تُفّاحَ الخُدود
عطْفُهُ الرّيّانُ بِالدلِّ سُقي   وتَبَدَّى فيهِ رُمّانُ النُّهود
يا لِقَومِي سَلَّ عَضْبًا مُرْهَفا   مِنْ عُيونٍ خَمْرُها يُسْكِرُني
ودَنا نَحْوي بِطَرْفٍ أوْطَفا   آه وا وَيْلاهُ لَوْ يَرْحَمُني

٩- دَور:

تَقْطُــــرُ الآدابُ مــــنْ أعْطافِـــــهِ ... عِندَمــا يَجلُــو كُـــوؤسَ الطَّـــرَبِ
وإذا مـــــا جَــــالَ في أَلْطافِـــــهِ ... يَمـــلأُ الدَّلْـــوَ لِعَقْـــدِ الكُـــرَبِ
يـــا حَيـــاةَ الصَّـــبِّ في إسْـــعافِهِ ... نَهلَــةٌ مـــنْ رَشْــفِ مــاءِ الضَّــرَبِ
حَشْـــوُ بُرْدَيْـــهِ يُرينـــا طَرَفًـــا ... والهَـــوَى يُبْـــدِي فُنـــونَ الفِتَـــنِ
آهِ مـــا أحْـــلا لَمَـــاهُ مَرْشَـــفًا ... دُرُّهُ أهــــدَى عُقـــودَ المِنَـــنِ

١٠- دَورٌ:

كلّمـــا حـــاوَلْتُ لَثْـــمَ الوَجْنتـــين ... أحْـرَقَ الأحْشـــاءَ ذاكَ الاضْطِـــرامْ
وإذا مـــا خِلْـــتُ غَمْـــزَ المُقلَتيْـــن ... فَوَّقـــا للقلـــبِ أنـــواعَ السِّـــهامْ
ذُبْـــتُ وا وَيْـــلاهُ في ذا الحـــالَتين ... فـاقْرؤوا يـا قَـومُ منْ رُوحـي السَّـلامْ
كـــلُّ مَـــنْ في حُبِّـــهِ قـــدْ عَنَّفـــا ... لا يَـــرَى إلاّ فُنـــونَ المِحَـــنِ
يـــا رَعـــاهُ اللهُ حَســـبِي وكفَـــى ... ورَعَـــى في الحُـــبِّ مَـــنْ تيَّمَـــنِي

١١- دَور:

وسـقَى عَصـرَ التّصـــابي والشـــبابْ ... سُـحْبُ دَمْـعٍ مِـــنْ جُفُــونٍ تَقْطُـــرُ
ورعَـى عهـدَ الندامَـــى والصِّحـــابْ ... وأُوَيْقـــــاتٍ سَـــــناها يَبْهَــــرُ
هــلْ لَهـا يـا صـاحِ رَجْـعٌ وإيـابْ ... أمْ تُراهـــا في الأمــــاني تَخطُـــرُ
يـــا لَعَمْـــري قـــدْ بَكَتْهـــا أسَـــفا ... أعْيُـــنٌ مــا ذُقْـــنَ طَعْـــمَ الوسَـــنِ
لا ولا مِـــنْ بَعدِهـــا طَـــرْفٌ غفَـــا ... لَيْـتَ لَـوْ تُفْـدى بِغَمْـضِ الأعيُـــنِ

١٢- دَور:

لَيْتَ شِعْري كيفَ قدْ مزَّقَها ساعِدُ الدَّهرِ وردَّاعُ الخُطوبْ
والنَّوَى مِنْ جَورِهِ أحْرَقَها بجَوىً جَفَّ بنيرانِ الكُروبْ
هكذا الأقْدارُ مَنْ حَقَّقَها يَلْقَها تَجْري صَباحًا وغُروبْ
بقضَاءٍ ليسَ يُدْنيهِ خفَا لكنِ الظَّنُّ بهِ يُطمِعُني
إنَّه لا غَرْوَ يُحْبِينا الوفَا وَفْقَ ما يَرضَى وفيهِ لا يَني

١٣- دَور:

يا لِدمْعٍ جادَ مِنْ فَرْطِ الغَرَام تَخِذَتْهُ العينُ للجيْدِ عُقُودْ
إنَّني مازِلْتُ في جُنْحِ الظَّلام هائِمًا في شَمسِ أنوارِ الوجُودْ
سيِّدُ الرُّسْلِ وقدْ وافَا خِتَام ورقَى مِعْراجَ قُربٍ وشُهودْ
مَلْجأُ الرّاجينَ طَهَ المُصْطفَى أحمدُ الهادي لِخَيْرِ السُّنَنِ
مَنْ سعَى شَوقًا لهُ صَلْدُ الصّفا ثُمَّ حيَّاهُ بِصوتٍ حَسَنِ

١٤- دَور:

كمْ لَديهِ مُعجِزاتٌ بَهرَتْ مِثلُ نَبعِ الماءِ صافٍ كالزُّلال
وأحاديثٌ لهُ إنْ نُشِرَتْ تُلمِسُ الحسناءَ مَنْظومَ اللآل
يا نَبِيًّا سارَ حتّى ظَهرَتْ حَضْرَةُ الذات لهُ جُنْحَ اللّيال
فَرأى وازْدادَ حَقًّا شَرَفا ربَّهُ المُحْبِيْهِ بِالقَدْرِ السَّني
وعَلا في نُورِ غَيْبٍ شَرَفا لِسِواهُ ﴿والضُّحَى﴾ لمْ يَكُنِ

١٥ـ دَور:

فَصــــلاةُ اللهِ تَـــتْرَى كُــلَّ حـــين	معْ سَلامٍ فــاحَ مــنْ رَوضِ الكمَــال
دائِمًـــا تُهْــدَى إلى طَـــهَ الأمِـــين	مَــنْ أعــارَ الكــونَ أنْــوارَ الجمَــال
وذَويـــــهِ الآلِ أربــــابِ اليقِــــين	مَنْ تَحلّوا في الهُدَى أسْنَى الخِصــال
وكَــذا الأصْحــابِ أهــلِ الإصْطِفـــا	أبْحُــــرِ التّقْــوَى إمـــامِ اللّسَـــنِ
مــا عُبَيْــدٌ يَرتَجِــي حُسْــنَ الوفَــا	في رِضــا الرّحمــنِ والعَيــشِ الهَنِـــي



[الموشح السابع]

ومِنْ ذلكَ للأديبِ الكاملِ صَديقِنا **محمدِ بنِ عثمانَ، الشهير بابنِ الشمعةِ**[1]:

قُـمْ بِنـا ياصـاحِ نَجْلُـو القَرْقَفـا في ريـاضٍ مائِسـاتِ الأغْصُـنِ
واسْـقِنيها في زمـانٍ قـدْ صَفـا مِـنْ صُـروفِ الدّهـرِ ثُـمَّ المِحَـنِ

١ـ دَور:

خَمْـرَةٌ تُحْيـي فُـؤادَ المُسْـتَهامْ في يَـدِ النُّدمـانِ تُجْلَـى كـالعَروسْ
مـا علَـى شـارِبِها عِنـدِي مَـلامْ سِـيَّما إنْ عُتِّقَـتْ عنـدَ القُسـوسْ
كـمْ بِهـا قلـبي المُعَنَّـى في غَـرامْ وبِهـا مِنّـا لَقـدْ طـابَتْ نُفـوسْ
فاحْتَسَـيْناها فَنِلْنـا شَـرَفا مـعَ سُـرورٍ تَـمَّ بِـالعَيْشِ الهَنِـي
آهِ مـا أحْـلا أُوَيْقـاتِ الصَّفـا حيـثُ كُنّـا في عَظيـمِ المِنَـنِ

٢ـ دَور:

يـارعَى ا للهُ دِمَشْـقًا إنّهـا زينَـةُ الأرضِ ومِصْبـاحُ البِـلادْ
كـمْ غَريـبٍ قـد أتاهـا ظَنَّهـا جَنَّـةَ الفِـرْدَوسِ أو ذاتَ العِمـادْ
وَصْفُهـا أعْيَـى لأربـابِ النُّهَـى إذْ بِذِكْـرَى وَصْفِهـا يَحْيـا الفُـؤادْ
فـاحْيِ خِلِّـي قلـبَ صَـبٍّ دَنِفـا بِصِفـاتٍ علَّهـا تُنْعِشُـنِي
إنّهـا دارُ سُـرورٍ وصَفـا بَهجَـةُ الدُّنيـا وتـاجُ المُـدُنِ

---

(١) انظر الحاشية (٢) من الصفحة (٧٩).

٣- دَور:

بلـــدةٌ أكْرَمَهـــا المَولَـــى الكريـــمْ   مَسْـكَنُ الأبْـدالِ مَـأوَى الصـالحين

وَبهـا قاسُـونُ ذُو السَّـفحِ العَظيـمْ   كَـمْ بِـهِ مِـنْ أنْبيـاءِ سـاكِنين

وَبهـا جامِعُهـا الرَّحْـبُ الوَسِـيمْ   فيـهِ يُتْلَـى قَـوْلُ رَبِّ العـالَمين

مَنْبَـعُ الأقطـابِ أهـلُ الاصْطِفـا   مُذْهِـبٌ لِلْهَـمِّ ثُـمَّ الحَـزَنِ

رَحِـمَ اللهُ وَليـدًا سَـلَفا   قـدْ بَنـاهُ مِـنْ قَديـمِ الزّمَـنِ

٤- دَور:

حبّـذا نَيْرَبُهـا السّـامِي السّـعيدْ   كَـمْ بِـهِ مِـنْ نُزُهـاتٍ وقُصـور

وكَـذا الـوادي البَهـي الغَـضّ الفريـدْ   مَرْتَعًـا أضْحَـى لِوِلْـدانٍ وحُـور

طالَمـا أمْسَـى بـهِ عَيْشِـي رَغِيـدْ   ثَمِـلاً مِـنْ كـأسِ صَهْبـاءِ الثُّغـور

وبـهِ طَـيْرُ الهَنـا قـدْ هتَفـا   بلُغـاتٍ هَيَّجَـتْ بـي شَـجَني

والرَّشـا قـدْ حـازَ قَـدًّا أهْيفـا   كلّمـا هَـبَّ نَسـيمٌ يَنْثَنِـي

٥- دَور:

يـا بِنَفْسِـي دَيْـرَ مُـرَّانَ القديـمْ   قـدْ عَـلا رَبْوتَهـا دارُ السُّـعودْ

وَبهـا ياصـاحِ كـمْ هَـبَّ نَسـيمْ   عَرْفُـهُ فـاقَ علـى مِسْـكٍ وعُـودْ

برُبـا مَرْجَتِهـا دارُ النعيـمْ   كَمْ ظُبـيً بـالطَّرْفِ قدْ صـادَتْ أُسُـودْ

وبـأعلا شَـرَفَيْها وَقفـا   أكْحَـلُ العَيْنَيْـنِ مَـنْ تيَّمَـني

وضَمـيري مـعْ فُـؤادِي اعْتَرَفـا   أنَّ سُـقْمِي مِـنْ سَـقيمِ الأعْيُـنِ

٦- دَورٌ:

خُـوطُ بـانٍ أغْيَـدٍ زَيـنِ المِـلاحْ فـاقَ بَـدرَ التِّـمِّ بالوَجْـهِ الصَّبُـوحْ
ذِي قَـوامٍ أهْيَـفٍ يَحكِـي الرِّمـاحْ إنْ تَثَنّـى أثْخَـنَ القلـبَ جُـروحْ
يـا لِقَومـي خالُـهُ المِسْـكيُّ فـاحْ واللآلِـي مِـنْ ثَنايـاهُ تَلـوحْ
والعيـونُ الوُسْـنُ أبْـدتْ مُرْهَفـا مِـنْ سُيوفِ الهندِ ثُـمَّ اليَمـنِ
ورِضـابُ الثَّغْـرِ خَمْـرٌ بـلْ شِـفا أبْتَغـي كأسًـا بـهِ يُسْـكِرُني

٧- دَورٌ:

يـا صَبـا نَجـدٍ ويَـا رِيـحَ الشَّـمالْ عَرِّجـا صُبْحًـا علَـى تلـكَ الطُّلـول
إنّ لي في رَبْعِهـا بـاهِي الجمَـالْ بلِّغـاهُ مـا بِجِسْـمي مِـنْ نُحـول
قمَـرًا يَختـالُ عُجْبًـا ودَلالْ ولمـاهُ العَـذْبُ يُـزْري بالشَّـمول
قـدْ عَـلا كـلَّ البَرايـا ووَفـا بالْبَهـا واللُّطْـفِ والحُسْـنِ السَّـنِي
مِثلمَـا قـدْ فـاقَ أربـابَ الصَّفـا فَخْـرُ كـلِّ الأصْفيـا عبـدُ الغَنِـي

٨- دَور:

قُطْبُ هـذا العَصْرِ مَـنْ حـازَ التُّقَـى عـينُ هـذا الدَّهْـرِ بَـلْ إنْسـانُها
مَـنْ عَـلا فَـوقَ السُّـهَى بالارْتِقـا عـالِمُ الأمْصـارِ بـلْ نُعمانُهـا
مَـنْ إلى عَلْيـاهُ شَـدَّ الأيْنُقـا فَصَّـلا أهـلَ الدُّنـا أعْيانُهـا[1]
مَعْـدِنُ التَّحْقيـقِ حقًّـا والوَفـا مَـأْمَنُ الخـائِفِ مُحْيِـي السُّـنَنِ
مَنْهَـلُ الـورّادِ كَهْـفُ الضُّعَفـا مُوصِـلُ الرّاجـي لأهْـدَى سَـنَنِ

---

(١) كذا في (أ). وفي (ج): فضلا.

٩- دَور:

سَـيّدي مَـنْ جِلّـقٌ ضَـاءَتْ بـهِ ... حيـثُ أضْحَـى ثالِثًـا لِلنَّـيْرَين
لَوذَعِـيٌّ مَـنْ دنَـا مِـنْ قُرْبـهِ ... نـالَ أسْـمَى رُتْبَـةٍ في الخَـافِقَيْن
شَـهِدَتْ عُجْـمُ الـورَى مـعَ عُرْبـهِ ... أنّـهُ شمـسُ الضُّحَـى في المَشْـرِقَين
مَـنْ تسَـامَى بِعُـلاهُ عـنْ كفَـا ... مُخلِـصٌ في سِـرِّهِ والعلَـنِ
بَحـرُ فَضْـلٍ غَيْثُـهُ قـدْ وكَفـا ... فَهـوَ يَـروي كـلَّ حَـبْرٍ فَطِـنِ

١٠- دَور:

رَوضُ عِلْـمٍ ضـاعَ ذاكِـي عَرْفِـهِ ... فـالغَوالي مِـنْ شَـذاهُ تَنْشُـقُ
وابـنُ هـاني عـاجزٌ عـنْ وَصْفِـهِ ... ثُـمَّ قُـسٌّ عِنـدَهُ لا يَنْطِـقُ
حـازَ أنـواعَ العُلَـى في لُطْفِـهِ ... والمَعـالي نَحـوَهُ تَسْـتَبِقُ
مـاجدٌ في وَعْـدِهِ لـنْ يُخْلِفـا ... صـادِقٌ في قولِـهِ لا يَنْثَنِـي
نُـورُهُ إنْ لاحَ لِلبَـدْرِ اختفَـى ... تحـتَ أذيـالِ الغمَـامِ الهُتُّـنِ

١١- دَور:

يـا إمامًـا سِـرُّهُ عَـمَّ الوجُـودْ ... أنـتَ مِصبـاحُ البَرايـا في الدُّجَـى
يـا مَنـارَ الحـقِّ يـا مُـوفي العهُـودْ ... يـا غَزيـرَ الفَضْـلِ أنـتَ المُرْتجَـى
قـدْ أضـا نَجْمِـي بـأفلاكِ السُّـعودْ ... بـامْتِداحي مَـنْ لـهُ السّعدُ الْتجَـى
جِهْبِـذٌ تحريـرُهُ كـمْ كشَـفا ... حُجُبًـا عـنْ مُشْـكِلٍ لَمْ يَبِـنِ
أروعٌ تقريـرُهُ كـمْ أوْقفَـا ... كـلَّ مِنْطِيـقٍ فَصيـحٍ لَسِـنِ

١٢- دَور:

كيفَ أُحْصي وَصْفَ شَهْمٍ قدْ غَدا وارِثًا عِلْمَ الرسولِ الطَّيِّبِ
مَظهرُ الآياتِ مِشْكاةُ الهُدَى مَنْ رَقا أعْلا العُلَى في الغَيْهَبِ
جاءَتِ الأشْجارُ تَمشي سُجَّدا نَحوَهُ مِنْ كلِّ قَفْرٍ سَبْسَبِ
يا نَبيًّا فَضْلُهُ لنْ يُوصَفا بلسانٍ بلْ بِكُلِّ الألْسُنِ
كيفَ تستطيعُ الورَى أنْ تَصِفا مَنْ أتانا بالكِتابِ البَيِّنِ

١٣- دَور:

مَنْ مَحا الأقطارَ مِمَّنْ قدْ ظَلَمْ وَجلَتْ أنوارُهُ جُنْحَ الظلام
وَرمَى الأصنامَ مِنْ أعْلا الحَرَمْ وَسقَى الكفّارَ كاساتِ الحِمَام
وَجرَتْ في فَيْضِ كفَّيْهِ دِيَمْ فَروتْ جَيْشًا مِنَ الصَّحْبِ لِهام
فَعليهِ صَلِّ ربّي ما هفا طائِرٌ في مكّةٍ أو عَدَنِ
وعلَى الآلِ الكِرامِ الحُنفا معَ سَلامٍ هاطِلٍ كالمُزْنِ

١٤- دَور:

وارْضَ عنْ صِدِّيقهِ الغيثِ الوَهوب ثانيَ الإثْنينِ يَنبُوعِ الكَرَمْ
وارضَ عنْ مُردي العِدَى لَيثِ الحُروب عُمَرَ الضِّرْغامِ فَلاّقِ القِمَم
وارضَ عنْ عُثمانَ كَشّافِ الكُروب جامِعِ القُرآنِ مِصْباحِ الظُّلَم
وارضَ عنْ حَيْدَرةٍ كمْ قَطفا رأسَ قومٍ في الوَغَى عنْ بَدَنِ
واعفُ عنْ مُحمّدٍ بالمُصْطَفى واتّحِفْهُ بالخِتامِ الحَسَنِ

[الموشح الثامن]

ومِنْ ذلكَ لِخاتِمَةِ البُلَغاءِ، صاحِبِنا المرحومِ **عبدِ الرحمنِ بنِ محمدٍ التّركُماني، الشّهير بالبُهلولِ**[1]، رَحِمهُ اللهُ تعالى:

غَنّيـــانِي بِسُـــعادٍ وصَفـــا ... مَطلَعَ الشامِ بِمَغنًـــى[2] حَسَـــنِ

دارُ أُنْـــسٍ وصُعُـــودٍ وصَفـــا ... جَنّـــةُ الأرضِ عَـــروسُ المُـــدُنِ

١- دَور:

مـــا لِوادِيهـــا لَعَمْـــرِيْ مِـــنْ نَظـــير ... مَسْـــرحُ الآرامِ آرابُ النُّفـــوس

وازْدِهـــاءُ الجـــامِعِ الرَّحْـــبِ المُنـــير ... غـــادرَ المُـــدْنَ كَسَـــوْداءِ العَـــروس

كـــمْ لَنـــا في رَوضِـــهِ الغَـــضِّ النّضـــير ... صَبْـــوةٌ أطيـــبُ مِـــنْ حَـــثِّ الكُـــؤوس

شـــامَةُ الدُّنيـــا دِمَشـــقٌ وكَفَـــى ... إنّهـــا مَثْـــوَى الكِـــرامِ الفُطَّـــنِ

كيـــفَ لا وهِـــيَ بِنَـــصِّ المُصْطفـــى ... مَعْـــدِنُ الإيمـــانِ حِـــينَ الفِتَـــنِ

٢- دور:

كَلَّـــلَ الطَّـــلُّ رُبـــا رَبْوَتِهـــا ... فاكْتَسَـــى الـــدَّوحُ لُجَيْنًـــا وشُـــذورْ

ولقـــدْ نَـــمَّ شَـــذا بُقْعَتِهـــا ... بابْتِسامِ الـرّوضِ عـنْ شَـرْوَى الثُّغـورْ

إنَّ لِـــي في شَـــرَفَيْ مَرْجَتِهـــا ... مَرْتَعًـــا بـــينَ تهَـــاني وسُـــرورْ

ورَخيـــمُ الـــدَّلِّ يَجلـــو قَرْقَفـــا ... مِـــنْ رَحيـــقِ الـــدَّنِّ والثَّغْـــرِ الجَنِـــي

---

(١) هو عبد الرحمن بن محمد بن علي الشهير بالبهلول النحلاوي الشافعي الدمشقي أديب شاعر لغوي، له شعر رائق، ومعرفة في علم التاريخ. توفي سنة ١١٦٣هـ. ودفن بتربة الباب الصغير بدمشق. سلك الدرر ٢/٣٥٥.

(٢) في (ب): بمعنىً حَسَن.

فاسْتَحالَ الكأسُ شَمْسًا وصَفا   واختَلَسْنا طِيْبَ عَيشٍ أيْمَنِ

٣- دَور:

حبّذا النّيْرَبُ مُصْطافُ الهَنا   حَيثُما أرْفُلُ في الرّوضِ الأريْض

سَاحِبًا بالتّيهِ أذيالَ المُنى   ولَنا لاحَ منَ البِشْرِ وَمِيض

معَ مَيْسونَ إذا طارَحْتَنا   نَثرَ اللّؤلُؤِ نَثرًا وقَريض

بأبي أحْوَرَ أحْوَى أهْيَفا   كلّما سَاجَلْتُهُ يُنْشِدُني

قُمْ بِنا نَنْهَبْ أُوَيْقاتِ الصَّفا   قبلَ تَغْشانا خُطوبُ المِحَنِ

٤- دَور:

باكِرِ الحانَةَ واجْلُ الخَنْدَريسْ   مُتْرعًا أكْؤُسَها فاللّهوُ طابْ

مِنْ رَشيقٍ حَسَنِ الغُنْجِ أَنِيسْ   فاحِمِ الطُّرَّةِ مَعْسُولِ الرّضابْ

يا بِنَفْسي ثَغْرُهُ الدُّرُّ النَّفِيسْ   ولَمَىً طابَ رُضابًا وحبابْ

ذُو حُلَىً ألْطَفُ مِنْ راحِ الشِّفا   وأُحَيْلا مِنْ لَذيذِ الوَسَنِ

خُوطُ بانٍ حازَ ظَرْفًا أوطفا   فَضَحَ السُّمْرَ وبِيْضَ اليَمَنِ

٥- دَور:

يا سقَى الوَدْقُ لِوَيلاتِ السُّعود   وَرعَى ماضِيَّ أيّامي الحِسان

إذْ تُعاطيني الغواني بِنْتَ عُود   وتَهاداني الأماني بالأمان

أفلَتْ أنْجُمُ هاتِيكَ العُهود   بأُصَيْحابٍ وخَيْراتٍ حِسان

يَمِّمِ السَّفْحَ وحَيِّي الغُرَفا   واذْكُرْ آونَةَ العَيشِ الهَنِي

كـــانَ لي عَهْـــدٌ قَديـــمٌ وعفَـــا		لسْـــتُ أنســـاهُ بتلـــكَ الدِّمَـــنِ

٦- دَور:

مــا رِيــاضُ الحُسْــنِ مــا دارُ النّعيــمْ		رَفلَـــتْ في ظِلِّهــا بيْــضُ الغُــرَر
وشَــذَا العُــودِ ومَغْنــاهُ الرّخِيــمْ		والغَــوالي مــعَ نُسَــيْماتِ السَّــحَر
وارتشــافُ الــراحِ مــنْ راحِ النّديــمْ		وارْتــوا الظمْــآنِ مِــنْ لَثْــمِ الثّغــر
ولَذيــذُ الوَصْــلِ مِــنْ خَشْــفٍ وفَــا		بَعْــدَ بُعْــدٍ لِسَــميرِ الشَّــجَنِ
بــأُحَيلا مِــنْ مَديــحِ المُصْطفــى		شــارِعِ الديــنِ الصّحيــحِ البَيِّــنِ

٧- دَور:

مَــنْ بــهِ افْــتَرَّ بــلْ ازْدانَ الوجــودْ		جَــذَلاً بــلْ مِنــهُ بَــدْءُ الخَلْــقِ كــان
وتَبــاهَتْ أمّهــاتٌ وجُــدودْ		وتسَــامَى كــلُّ عَصْــرٍ وأوَان
لاحَ في المَولِــدِ لألاءُ السُّــعودْ		وتَــلاهُ البِشْــرُ مِــنْ كــلِّ مَكــان
وشَــدَتْ وُرْقُ الهنَــا بــلْ هتفَــا		بُلبُــلُ الأفــراحِ فــوقَ الغُصُــنِ
وبَشــيرُ الأُنْــسِ وافَــى وهفــا		رائــحَ البُشْــرَى لِنَفْــيِ الحَــزَنِ

٨- دَور:

أوْدَعَ اللهُ ينــابيعَ العلــومْ		قَلْبَــهُ فانْبَجَسَــتْ منــهُ الحِكَــمْ
وارْتعَــى مِــنْ فِيــهِ يَعسُــوبُ الفُهــومْ		وارْتــوَى مِــنْ بَحْــرِ كفّيــهِ الكَــرَمْ
ســارَ مِــنْ فَيــضِ عَطايــاهُ غُيــومْ		فــاجْتَنَى مَــنْ أرْيِ[1] نُعمــاهُ النّسِــمْ

---

١) الأَرْي: العسل، ومن السحاب درّته، ومن الريح عملها وسوقها السحاب، والندى.

وانْتمَــى الفَضْــلُ إليــهِ والوفــا بوعُــــودٍ وبَــــذْلِ المِنَــــنِ
وحَبَــــاهُ ربُّـــهُ اللهُ احْتفَـــى بمقــامٍ دُونَــهُ العــرشُ السَّــنِي

٩- دَور:

ســيّدُ العـــالَمِ فَضْـــلاً وجَمـــالْ صَفـوةُ العـــالَمِ مِـــنْ لُـــبِّ العَــرَبْ
مَــورِدُ الحِكْمــةِ ينبــوعُ الكمَـــالْ عَبقــريُّ الأصْــلِ مَيْمُــونُ النَّسَــبْ
أفْـــرغَ اللهُ عليــهِ ذو الجَـــلالْ حُلَـــلَ الآدابِ حِلْمًــا وحَسَـــبْ
كعبــةُ الرُّشْــدِ وسِــرُّ الاصْطِفــا ذَروةُ الفَخْـــرِ عِمـــادُ السُّــنَنِ
وإذا الجَـــاني ســـعَى واطَّوَّفــا بِـــذُراهُ نـــالَ عَفـــوَ المُحْسِـــنِ

١٠- دَور:

بـــالتُّقَى تَوَّجَـــهَ المَولَـــى البَديـــعْ واعتمَـــاهُ بالكِتَـــابِ المُسْـــتَبين
ولقَـــدْ أُفْـــرِدَ بـــالوصْفِ البَديـــعْ وهـــوَ لِلْعلـــمِ اللَّدُنِّـــيِّ أمِـــين
وبـــهِ تَحلُـــو أفـــانِينُ البَديـــعْ برَقِيـــقِ النَّظْـــمِ والنَّـــثْرِ الحَسِـــين
فَـــرعَ الخَلْـــقَ عُـــلاهُ شَــــرَفا فَرعَـــى الحَـــقَّ بِصـــدقِ اللَّسَـــنِ
مِثلمَـــا السُّـــؤْدُدُ فيـــهِ شَــــرُفا عَشِـــقَ الحُسْـــنُ مُحيّـــاهُ السَّـــنِي

١١- دَور:

شَـــأْوُكَ الأسْـــنَى مُحـــالٌ أنْ يُـــرامْ وحَـلاكَ الغُــرُّ عَــزّتْ عــنْ مَثيــلْ
مَــنْ بِهــا الأفْهــامُ عَيَّــتْ والقِــلامْ حـــاشَ أنْ يَسْــــطيعَها إلاّ جَليـــلْ

هَبْنِيَ الإغْضـاءَ عــنْ فَحـوَى النّظـامْ   لـكَ يَتلُـو ﴿فـاصْفَحِ الصَّفْحَ الجَمِيـلْ﴾[1]

كـمْ مَعـانيكَ الّـتي لـنْ تُوصَفـا   أفْحمَـتْ عـنْ لَوْذَعِـيٍّ فَطِـنِ

لكـنِ المـأمولُ يـا كَـنْزَ العفَـا   بِقَبُـولِ منـكَ أنْ تُتْحِفَنِـي

١٢ـ دَور:

علِّنِـي أُدْرَجُ في سِـلْكِ الأُولَـى   ظفـروا مِنـكَ بِتوفيـقِ السَّـداد

راقِيًـا بَحْبُوحَـةَ الفَـوزِ بِـلا   مِحْنَـةٍ تُخْطِـئ بـي نَهْـجَ الرَّشـاد

سـيِّدي إنْ لمْ تكـنْ لِيْ مَوئِـلا   فـإلى مَـنْ أَلْتَجـي يـومَ المَعَـاد

لـنْ يَخـافَ الدهـرَ شـادٍ هتَفـا   وَصْـفَ مَعْنـاكَ البَهِـيِّ الحَسَـنِ

فَـأغِثْني يـومَ آتِـي المَوقِفـا   واحْمِـني مِـنْ كـلِّ مـا يُحْزِنُنِـي

١٣ـ دَور:

زادكَ اللهُ سَـناءً واحْـترامْ   وصَـلاةً وسَـلامًا دائِمَـين

نَفْحُهـا عَـرْفُ لَطِيـمٍ وبشَـامْ   وسَـناها فـاقَ ضَـوءَ النَّـيِّرَين

حَـقُّ مِقْـدارِكَ والآلِ الكِـرامْ   وذَويـكَ الغُـرِّ سِـيْما الصّـاحِبَين

مـا اسْـتبانَ ابـنُ ذُكـاءٍ أوْ خفَـا   بـارِقٌ مِـنْ طَيْبَـةٍ واليَمَـنِ

وتَحلّـى كـلُّ نَظْـمٍ ألفَـا   بافْتِتـاحٍ واخْتِتـامٍ حَسَـنِ



(١) الحجر: ٨٥.

[الخاتمة]

وهُنا حَبسْنا عِنانَ اليَراعةِ لا عنْ مَلل، بلِ اكْتَفينا عنِ التّفصيلِ بالجُمل، ولو اسْتقْصَينا ما بِها منَ الأعاجيبِ، لاتّسَعَ بنا المَجَالُ وضاقَتِ المهَارِق فاقْتصَرْنا على ما ذَكرناهُ في هذهِ الرسالةِ البديعةِ الأساليب، العديمةِ المثالِ المُتحلّيةِ بكلِّ مَعنَى رائِق. وَضبْطُ مَحاسِنها بَعِيدُ المَرامْ، صَعْبٌ على مَنْ رام. [المجتث]

مَحاسِنُ الشامِ جَلّتْ	عنْ أنْ تُحَدَّ بحَدٍّ
عنْ حُسْنِها فتحدَّثْ	وعنْ سِواها فَعَدِّ

❁ كما قالَ المرحومُ عبدُ الباقي الحَنْبليّ: [من المجتث]

مَحاسِنُ الشّامِ قالتْ	كلُّ المَدائِنِ جُنْدي
فَلا تَقِسْني بغَيْري	واتْرُكْ لشُوم التّعدّي

❁ وقولُ الآخرِ: [من المجتث]

مَحاسِنُ الشامِ نادَتْ	أنا الفَريدَةُ وَحْدِي
وكلُّ حُسْنٍ لِغَيْرِي	فإنّما هوَ بَعْدِي



واللهُ المُوفّقُ، وعليهِ الاتّكالُ، وهو عُمدتي في كلِّ حالٍ.

وهذا آخرُ ما سَرَدَهُ اليَراعُ، وسلكَ بهِ مَهيْعَ الإبْداعِ.

وقدْ خَتمتُها بِهذَين البيتينِ البَديعَيِّ النّظامِ، راجيًا مِنَ اللهِ سُبحانَهُ حُسْنَ الخِتامِ، وهُما: [من مجزوء الخفيف]

وبِحَمْـــدِ الإلـــهِ مُـــذْ حـــازَ لُطفًـــا نِظامُهـــا
قلـــتُ فيهـــا مُؤَرِّخًـــا جـــاءَ مِسْـــكٌ خِتامُهـــا[1]



وقدْ يسَّرَ[2] اللهُ تعالَى الفَراغَ منْ تأليفِها نهارَ الخَميسِ غُرَّةَ شهرِ جُمادَى الآخرةِ، سنةَ إحدَى وسَبعينَ ومئةٍ وألفٍ، على يَدِ مُحرِّرِها، الفَقيرِ إلى اللهِ تَعالى: السيدُ محمدُ ابنُ المرحومِ[3] السيد مُصْطفى ابنُ المرحومِ خَداويردي بنِ مُرادِ بنِ إبْراهيمَ، الشهيرُ بابنِ الراعي الدّمشقيّ.

غَفرَ اللهُ تعالَى لهُ ولِوالِدَيهِ، ولِسائرِ المسلمينَ أجْمعينَ
وصلّى اللهُ تعالَى على سيّدِنا ومَولانا مُحمدٍ
وعلَى آلهِ وأصْحابهِ أجْمعينَ
والحمدُ للهِ ربِّ العالمين

---

(١) قوله في حساب الجُمَّل يساوي: (جاء = ٤ + مسك = ١٢٠ + ختامها = ١٠٤٧ = ١١٧١).

(٢) في (ب): قال مؤلفها: وقد يسّر.

(٣) في (ب): ابن السيد مصطفى.

وجاء في نسخة (ب): قال مؤلفها: وقد يسر... وقد وافق الفراغ من نسخها نهار الاثنين سلخ محرم الحرام، سنة ١١٩٩ تسع وتسعين ومئة وألف، على يد أفقر الورى إلى عفو رب البرية محمد درويش بن يحيى بن مصطفى بن محمد الطالوي، الشهير بجامي السنانية، غفر له آمين.

الفهارس العامة

- فهرس الآيات القرآنية الكريمة -

ـ فهرس الأحاديث الشريفة ـ

- فهرس الأعلام -

- فهرس الأقوام والجماعات والقبائل والأمم -

ـ فهرس الأماكن والمدن والأنهار والوديان ـ

- ث -

- ج -

- ح -

- ن -

ـ هـ ـ

- فهرس الكتب -

- فهرس الأمثال -

- فهرس الورود والأزهار -

فهرس الأشعار

ـ أ ـ

- ب -

الشطر الأول	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
ومحنية الأضلاع تحنو على الثرى	الترائبِ	الطويل	ابن سعيد	٤	٩٤
وذات حنين لا تزال مطيفة	السواكبِ	الطويل	ابن سعيد	٤	٩٣
وقد لاح زهر الأقحوان كأنه	القضبِ	الطويل	-	٢	١٢٦
على السبعة الأنهار من جانب الغربي	الكربِ	الطويل	النابلسي	١١	١٥٩
كأن عليها عبقري مطارف	عصائبِ	الطويل	-	١	٢٠٥
فأنهاره تجري وأزهاره تضي	أعنابِ	الطويل	-	١	٢١٨
معالم أحباب ومغنى حمائم	ربارب	الطويل	ابن خلوف	٢	٢١٨
سقى الله عين الصاحب العذب ماؤها	الرطبِ	الطويل	-	٢	٢٣١
نسائمها راقت ورقت شمائلاً	باللببِ	الطويل	-	٢	٢٣٢
كأنما دوحة الحناء إذ فتحت	مرتقبِ	البسيط	-	٢	١١٣
والأقحوانة تحكي ثغر غانية	القضبِ	البسيط	-	٢	١٢٦
انظر إلى الورد ما أحلى شمائله	الحطبِ	البسيط	-	٢	١٢٢
أما ترى شجرات الورد مظهرة	قضبِ	البسيط	ابن طاهر	٢	١٢٢
وعرف الديك وسط الروض أضحى	العجيبِ	الوافر	ابن الشمعة	٢	١١٠
وكيف ولم يزل للشعر ماء	القلوبِ	الوافر	أبو تمام	١	٢٤١
وما بقيت من اللذات إلا	الشرابِ	الوافر	الفياض	٢	٢٤٢
حيث المياه ترقرقت في جدول	مذهبِ	الكامل	-	٢	١٦٧
والنهر قد عشق الغصون فلم يزل	قلبِهِ	الكامل	-	٢	١٧٤
يا نسمة الروض الخصيب	الرطيبِ	مجزوء الكامل	صادق الخراط	١٦	٤٤
يا نسمة نسمت حبيبي	بطيبِ	مجزوء الكامل	محمد القدسي	٢١	٤٥
كأن آذريونها	القضبِ	مجزوء الرجز	الصنوبري	٢	١٣٢
كأنما الياسمين حين بدا	الكثبِ	المنسرح	ابن آيبك	٢	١١١
كأنما الجلنار حين بدا	القضبِ	المنسرح	ابن عبد الظاهر	٢	١١٥
بحر فضل لو قيس بالبحر كان	السرابِ	الخفيف	محمد الحلبي	٢	٧٤

- خ -

- د -

الشطر الأول	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
وصحب سرينا في الصباح بهم على	الحدُّ	الطويل	النابلسي	١٠	٣٩
سقى جلقا صوب السحاب المزرد	معهدِ	الطويل	ابن قضيب البان	٣	٥٥
وأضنى الجوى قلبي بتذكار معهد	الموارِدِ	الطويل	مصطفى اللقيمي	٢	٨٤
وحاكورة تحكي سماء زبرجد	المنضدِ	الطويل	النابلسي	٦	٩٢
رياض تردت بالرياض مجودة	الموارِدِ	الطويل	البحتري	٢	١٠٩
وذي هالة في الزهر أبيض ناصع	الوردِ	الطويل	ابن النقيب	٣	١١٤
وزنبق روض مذ تبدى خلته	المترددِ	الطويل	النابلسي	٢	١١٨
وياقوتة صفراء في رأس درة	زبرجدِ	الطويل	المأمون	٢	١١٨
ونيلوفر يحكي لنا المسك طيبه	مسعدِ	الطويل	الصولي	٣	١٣١
رياض حكى برد اليمانيّ وشيها	البردِ	الطويل	سرور	١	١٥٥
تغنت به الأطيار من كل نغمة	معبدِ	الطويل	-	١	٢٠٩
تنبه فقد شق البهار مغلساً	الندي	الطويل	ابن برد	٢	١٢٧
في حرستا خارج البلد	ندي	المديد	النابلسي	٦	١٩٣
الآس فرد بديع في محاسنه	بموجودِ	البسيط	ابن طباطبا	٢	١٠٤
انزل بحلبون حول الماء في الوادي	أعوادِ	البسيط	-	٤	٢٢٣
وادي دمشق الذي يعزى إلى بردى	صادي	البسيط	-	٤	٢٠٣
أرانا الورد في حمر الخدود	القدودِ	الوافر	ابن خلوف	٢	١١٦
فكأنما الورد الجني إذا بدا	عسجدِ	الكامل	-	٢	١٢٢
هيا بنا فالطير صاح مغرداً	بمغردِ	الكامل	النابلسي	٢	١٢٥
يرتاح للنيلوفر القلب الذي	وجهدِهِ	الكامل	ابن الرومي	٢	١٣١
يا حبذا المهد الأنيس فإنه	المشهدِ	الكامل	اللقيمي	٣	١٦١
لرياض جلق تحت نهر يزيد	يزيدِ	الكامل	ابن النقيب	٣	١٦٦
والجدول الفضي يضحك ماؤه	مهندِ	الكامل	-	٢	١٨١
ومنمنم الشطين أحكم صقله	بفرندِهِ	الكامل	الجذلي	٢	١٩١

- ر -

الشطر الأول	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
فمـــا تقـــع العـــــين إلا علـــــى	أنوارُها	المتقارب	كشاجم	٢	٢٢٧
يـــزر عليـــه الجـــو جيـــب غمامـــه	الزهرِ	الطويل	-	١	٨٧
خليلـــي مـــا لـــلآس يعبـــق نشـــره	الهواجرِ	الطويل	ابن وكيع	٢	١٠٥
وذي قامـة في الزهـر تنـدى غضـارة	الشحرِ	الطويل	ابن النقيب	٢	١١٠
بـــدا أبيـــض الـــورد الجـــني كأنمـــا	كافورِ	الطويل	السري	٢	١٢٤
وللأقحـــوان الغـــض ثغـــر مفلـــج	تبرِ	الطويل	العمري	١	١٢٦
رعـــى الله وادي النــــيربين فـــإنني	العمرِ	الطويل	-	٣	١٣٧
ونهـر إذا مـا الشـمس حـان غروبهـا	الخضرِ	الطويل	ابن لؤلؤ	٢	١٧٧
ونهـر جلـت عـن حـر صفحته القـذى	البكرِ	الطويل	ابن الرومي	٢	١٩١
فجدولـــه في ســـرحة المـــاء منصـــل	سوارِ	الطويل	أبو القاسم	٢	١٩٦
فمـــن روضـــة غنـــاء تجـــري خلالهـــا	نهرِ	الطويل	ابن النقيب	٢	٢٠٤
تـأمل على مجرى الميـاه حلـى الزهـر	الزهرِ	الطويل	صفوان	٣	٢٢٦
ومـا هـاجني إلا ابـن ورقـاء سـحرة	النهرِ	الطويل	علي بن غالب	٥	٢٣٠
جنـان وأشـــجار تلاقـــت غصونهـــا	الخضرِ	الطويل	ابن المعتز	٢	٢٣٠
لهـا جـدول ينسـاب مـن فـوق شـاهق	غديرِهِ	الطويل	-	٢	١٩٩
ومطّـــردِ الأمـــواج يصقـــل متنـــه	ضميرِهِ	الطويل	ابن حمديس	٢	١٨٣
حيًّـا دمشـق فكـم فيهـا لـذي وطـر	البصرِ	البسيط	ابن النقيب	٢٦	٤١
حيًّـا الحيـا جلقـاً داراً بهـا وطـري	المطرِ	البسيط	ابن الشمعة	٢٦	٧٩
حتى امتطـى صهـوات المجـد سـامية	الغررِ	البسيط	الطالوي	٣	٨١
رأيـت في السـمرة الحنـاء ذا عجـب	خمّارِ	البسيط	-	٢	١١٣
ومرزجـــوش كـــأن القطـــر شـــنفه	أبكارِ	البسيط	الهذلي	٢	١٣٤
رياضهـــا نصبـــت أعلامهـــا وغـــدا	مجرورِ	البسيط	صفي الدين	٣	١٤١
والنهـر يصـدى بهـاتيك الظـلال كمـا	الذكرِ	البسيط	ابن النقيب	٢	١٧٣
نـــزه لحـــاظك في أطرافـــه لـــترى	للبشرِ	البسيط	-	٣	٢٠٥

الشطر الأول	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
وزنبــق بمجلـــس بـــين الندامـــى	وقارِ	الوافر	حيدر الرومي	٢	١١٧
ونهــر خـــالف الأهـــواء حتـــى	أمرِ	الوافر	ابن تميم	٢	١٧٥
وواد قـــد حكـــى جنـــات عـــدن	درِ	الوافر	-	٣	٢١٨
ألا لله عــــــين في منـــــــين	الخريرِ	الوافر	-	٣	٢٣٣
فـــلا تغفـــل عـــن الأطيـــار تســـمع	الحريري	الوافر	-	١	٢١٠
وجلـــق الفيحـــاء مـــن بلـــدٍ	النشرِ	الكامل	ابن كيوان	٨	٨١
بـــرزت دمشـــق لزائـــري أوطانهـــا	أزهرِ	الكامل	-	٢	٦٧
جـــام تكـــون مـــن عقيـــق أحمـــر	أذفرِ	الكامل	-	٢	١١٥
إن جـــزت بـــالميطور مبتهجـــاً بـــه	الممطورِ	الكامل	صفي الدين	٣	١٤١
بحدائـــق يســـبيك وشـــي برودهـــا	عبقرِ	الكامل	الرفاء	٢	١٤٥
قصـــر بمدرجـــة النســـيم تحدثـــت	المستورِ	الكامل	ابن ظافر	٣	١٤٨
قصـــر زهـــا فـــروى عليـــل نســـيمه	الأزهارِ	الكامل	-	٤	١٤٨
والنهـــر مكســـو غلالـــة فضـــة	نضارِ	الكامل	الطاري	٢	١٨٣
والنهـــر بـــين مـــزرد ومـــدرع	مدنرِ	الكامل	ابن خلوف	٢	١٨٧
نهـــر يهيـــم بحســـنه مـــن لم يهـــم	يشعرِ	الكامل	مرج كحل	٢	١٧٠
والأرض ترفـــل في مطـــارف ســـندس	الأخضرِ	الكامل	المحبي	٢	٢١١
ســـقى دمشـــق موطـــن الأوطـــارِ	الزخارِ	الرجز	أمين المحبي	٣٥	٤٨
يـــا حســـنه مـــن ســـنبل نـــاصع	أخضرِ	السريع	ابن النقيب	٢	١١٧
انـــزل ببانـــاس ففـــي نهـــره	السرورِ	السريع	ابن فضل الله	٢	١٦٩
حدثونـــي عـــن نســـمة الأســـحار	الأشجارِ	الخفيف	النابلسي	٦	٤٠
مرجـــة الشـــام بهجـــة الأبصـــار	الأزهارِ	الخفيف	النابلسي	٤	١٥٠

- غ -

الشطر الأول	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
روض يـروض هـمـوم قلـبي حسـنه	مساغِ	الكامل	الميكالي	٢	١٠٣

- ف -

الشطر الأول	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
كأنـه فلـك والعـاكفون بـه	الشرفُ	البسيط	-	١	٣٠
لله ربـوة جلـق مـن روضـة	الأشرفُ	الكامل	ابن النقيب	٤	١٥٧
تبسّم زهـر البـان عـن طيـب نشـره	الوصفِ	الطويل	الشاب الظريف	٢	١٢٨
إذا جعـدت أيـدي النسـيم متونـه	قائفِ	الطويل	ابن النقيب	٢	١٧٩
أحبابنـا بنواحـي الغوطتـين سـقى	الذرفِ	البسيط	التلعفري	٣	٦٠
ولا تعـداك يـا بانـاس منهمـر	فالشرفِ	البسيط	التلعفري	٢	١٤٨
لله يـوم بـأعلى ذروة الشـرف	الشرفِ	البسيط	النابلسي	٣	١٥٠
تجادلنـا أمـاء الزهـر أذكـى	القطافِ	الوافر	ابن الوردي	٢	١٢٧
يـا حسـن شـادروان مـاء لم يـزل	الأضيافِ	الكامل	-	٢	١٦٨
كم تحت جنك الربوة الفيحـاء مـن	شنوفِها	الكامل	البدر الحلبي	٢	١٥٧
بـالجنك مـن مغنـى دمشـق حمـائم	بلطفِها	الكامل	ابن نباتة	٢	١٥٨
فالطـير قـد غنـى علـى عـوده	الدفِ	السريع	ابن الوردي	١	٢٠٥
انهـض إلى الربـوة مسـتمتعاً	يكفي	السريع	الصلاح الصفدي	٢	١٥٧

- ق -

الشطر الأول	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
مررنـا بشـاطي النهـر بـين حدائـق	الحدقْ	الطويل	ابن العطار	٢	١٨٤
أمـا دمشـق فحضـرة	الخلائقْ	مجزوء الكامل	المقري	٨	٥٣
يـا أيهـا الـوادي الـذي نشـره	فتيقْ	السريع	الجرموزي	٤	٢٠٦
ومـا أنـا إلا غـرس نعمتـك الـتي	فأورقا	الطويل	البحتري	١	٢٤٣

الشطر الأول	القافية	البحر	القائل	العدد	الصفحة
ونوفـرة كعـين الصـب شـكرى	يراقا	الوافر	الطالوي	٢	١٣١
ونهـــر دار نرجســـه عليـــه	راقا	الوافر	-	٢	١٨٨
إن سـامك الخطـب المهـول فأقلقـا	جلقا	الكامل	النابلسي	٦٥	٣٤
والنهـر لمـا أن زهـا نـثرت لـه	تفوقا	الكامل	-	٢	١٧٦
يـا صباحـاً بديـر مـران راقـا	الأحداقا	الخفيف	النابلسي	٧	٩١
لعـل سـنا بـرق الحمـى يتـألق	يطرقُ	الطويل	المجد الحنفي	٢٧	٦٤
ولما بـدا الخشـخاش في الـروض مزهـراً	الحدائقُ	الطويل	-	٢	١٠٨
ففـي اللـون بلـور وفي اللمـع لؤلـؤ	درياقُ	الطويل	الصنبوري	١	٢٣٣
انظـر إلى النهـر والأدواح ترمقـه	حدقُ	البسيط	ابن سعيد	٢	١٨١
والشـام شـامة وجنـة الدنيـا كمـا	جلقُ	الكامل	عرقلة	٣	٥٩
لي نحـو ربعـك دائمـاً يـا جلـق	أتمزّقُ	الكامل	الشمس الأسدي	٢١	٦٢
كـم ليلـة بالنـيربين قطعتهـا	شهيقُ	الكامل	المنيني	١٧	٧٣
شـوق تقطـع دونـه الأعـلاق	فراقُ	الكامل	سعيد السمان	٥٩	٧٥
وأصـابع المنثـور عضتهـا الصبـا	يعبقُ	الكامل	النابلسي	٢	١٠٥
وعشـية بالنـيربين تـروق	تسوقُ	الكامل	النابلسي	٦	١٣٩
مـن سـكر زبديـن إلى جسـرين كـم	رونقُ	الرجز	العروضي	٢	١٧٢
والنهـر يشـكو وجـده بخريـره	مومـوقُ	الكامل	الكيواني	٢	١٨٢
ترقـرق مـاء الـود بيـني وبينـه	رائقِ	الطويل	الشريف الرضي	١	٢٤٣
يـا رب سوسـنة قبلتهـا كلفـاً	ريقِ	البسيط	ابن المعتز	٢	١٠٨
ونرجـس الـروض قـد حيّـا بمضعفـه	يققِ	البسيط	ابن النقيب	٣	١٢٠
وأقبـل الـورد مـن برعومـه خجـلاً	العبقِ	البسيط	ابن النقيب	٣	١٢١
تضمـه الريـح أحيانـاً وتفرقـه	منطلقِ	البسيط	الإيادي	٢	١٩٤
وفـاح من أرج الأزهـار طيـب شـذاً	منتشقِ	البسيط	الحلي	٢	٢١٣
ونهـر للريـاح عليـه درع	بالشروقِ	الوافر	السلامي	٢	١٨٧

- ن -

- ي -

- الألف اللينة -

- فهرس الأرجاز -

- فهرس أنصاف الأبيات -

- فهرس الأدوار -

- فهرس المخمسات -

جريدة المصادر والمراجع

- **ابن وكيع التنيسي**: شاعر الزهر والخمر، جمع شعره وحققه د. حسين نصار، مكتبة مصر.
- **الإحاطة في أخبار غرناطة**: لسان الدين الخطيب، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م .
- **الأعلام**: خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين (ط٤)، ١٩٧٩.
- **تاريخ مدينة دمشق**: ابن عساكر، أجزاء، مجمع اللغة العربية بدمشق.
- **التذكرة الفخرية**: الصاحب بهاء الدين الإربلي، تحقيق د. حاتم صالح الضامن، دار البشائر. دمشق ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤.
- **التشبيهات من أشعار أهل الأندلس**: محمد بن الكتاني الطبيب، تحقيق د. إحسان عباس ، دار الشروق ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**: الثعالبي، تحقيق إبراهيم صالح، دار البشائر ١٤١٤ هـ - ١٩٩٤ م.
- **جبل قاسيون**: محمد أحمد دهمان، مطبعة الترقي ١٩٤٩ م.
- **جمهرة أشعار العرب**: لأبي زيد القرشي. تحقيق د. محمد علي الهاشمي. دار القلم دمشق ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- **حدائق الأنوار وبدائع الأشعار**: جنيد بن محمود، تحقيق هلال ناجي، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٥ م.
- **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**: عمر بن الوردي، مطبعة الشيخ عثمان عبد الرازق بالقاهرة ١٣٠٢ هـ.
- **خريدة القصر وجريدة العصر**: عماد الدين الأصبهاني الكاتب.
- **خطط دمشق**: صلاح الدين المنجد، نشر المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٤٩ م.

- **خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر**: المحبي، مصورة دار صادر.
- **الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة**: ابن حجر العسقلاني. مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد الدكن ١٣٤٨.
- **ديوان ابن الأبار**: تحقيق د. عبد السلام الهراس، الدار التونسية للنشر ١٤٠٥ - ١٩٨٥.
- **ديوان البحتري**: تحقيق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف بمصر ١٩٦٣ م.
- **ديوان ابن حمديس**: تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر ودار بيروت ١٣٧٩ - ١٩٦٠.
- **ديوان ابن خفاجة**: تحقيق د. السيد مصطفى غازي، منشأة المعارف، الإسكندرية.
- **ديوان ابن الخياط**: تحقيق خليل مردم بك، المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٧٧ - ١٩٥٨.
- **ديوان ابن الرومي**: تحقيق د. حسين نصار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣ م.
- **ديوان ابن زمرك الأندلسي**: تحقيق د. محمد توفيق النيفر، دار الغرب الإسلامي ١٩٩٧ م.
- **ديوان ابن عنين**: تحقيق خليل مردم بك، المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٦٥ - ١٩٤٦.
- **ديوان ابن الفارض**: دار صادر ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.
- **ديوان ابن قلاقس**: تحقيق د. سهام الفريح، مكتبة المعلا، الكويت ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- **ديوان ابن لؤلؤ الذهبي**: تحقيق محمد إبراهيم لاشين، دار الآفاق العربية، القاهرة ٢٠٠٤ م.
- **ديوان ابن المعتز (أشعار الأمير أبي العباس)**: تحقيق د. محمد بديع شريف، دار المعارف.
- **ديوان ابن نباتة المصري**: مطبعة التمدن بمصر ١٣٢٣ هـ - ١٩٠٥ م.
- **ديوان ابن النبيه المصري**. تحقيق عمر محمد الأسعد. دار الفكر ١٩٦٩.
- **ديوان ابن النقيب**: تحقيق عبد الله الجبوري، المجمع العلمي العربي بدمشق ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.
- **ديوان ابن الوردي**: تحقيق د. أحمد فوزي الهيب.
- **ديوان أبي تمام**: شرح الخطيب التبريزي، تحقيق محمد عبده عزام، دار المعارف بمصر.
- **ديوان أبي العتاهية**: تحقيق د. شكري فيصل، مطبعة جامعة دمشق ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م.

- **ديوان أبي الفتح البستي**: تحقيق درية الخطيب ولطفي الصقال، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤١٠ هـ - ١٩٨٩ م.
- **ديوان أبي فراس الحمداني**: تحقيق د. محمد ألتونجي، منشورات المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٧ م.
- **ديوان أحمد الكيواني**: المطبعة الحنفية بدمشق ١٣٠١ هـ.
- **ديوان التلعفري**: تحقيق د. رضا رجب، دار الينابيع ٢٠٠٤ م.
- **ديوان السري الرفاء**: مكتبة القدسي ١٣٥٥ هـ.
- **ديوان السموأل**: تحقيق محمد حسن آل ياسين، مطبعة المعارف، بغداد ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
- **ديوان سيف الدين المُشد**: جمع وتحقيق د. محمد زغلول سلام. منشأة المعارف بالإسكندرية.
- **ديوان الشاب الظريف**: بعناية ونفقة المكتبة الأهلية، بيروت، بلا تاريخ.
- **ديوان الشريف الرضي**: تحقيق إحسان عباس، دار صادر ٢٠٠٤ م.
- **ديوان شهاب الدين ابن الخلوف**: جمع وتحقيق د. هشام بوقمرة، الدار العربية للكتاب، تونس ١٩٨٨ م.
- **ديوان الصاحب شرف الدين الأنصاري**: تحقيق د. عمر موسى باشا، مجمع اللغة العربية بدمشق.
- **ديوان الصاحب بن عباد**: جمع وتحقيق محمد حسن آل ياسين، مكتبة النهضة، بغداد ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٥ م.
- **ديوان صفي الدين الحلي**: تحقيق د. محمد حور، ط ٢٠٠٠ م.
- **ديوان الصنوبري**: تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر ١٩٩٨ م.
- **ديوان ظافر الحداد**: جمع وتحقيق د. حسين نصار، دار مصر للطباعة.
- **ديوان عرقلة الكلبي**: تحقيق أحمد الجندي، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م.
- **ديوان منجك**: المطبعة الحفنية بدمشق ١٣٠١ هـ.

- **ديوان الوأواء الدمشقي:** تحقيق سامي الدهان، المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٠ م.
- **رحلة ابن جبير:** دار التراث، بيروت ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- **الرسالة المستطرفة:** تأليف محمد بن جعفر الكتاني. تحقيق محمد المنتصر الكتاني. دار البشائر الإسلامية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦.
- **الروض المعطار في خبر الأقطار:** محمد بن عبد المنعم الحميري، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان ١٩٧٥ م.
- **ريحانة الألبا وزهرة الحياة الدنيا:** شهاب الدين الخفاجي. طبعة بولاق بمصر ١٢٧٣هـ.
- **الريف السوري:** أحمد وصفي زكريا، دمشق ١٩٥٧ م.
- **زهر الآداب وثمر الألباب:** باعتناء د. زكي مبارك، المكتبة التجارية، ط ثانية.
- **زهر الأكم في الأمثال والحكم:** الحسن اليوسي، تحقيق الدكتور محمد حجي، والدكتور محمد الأخضر، منشورات معهد الأبحاث والدراسات والتعريب، المغرب ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- **الزيارات:** القاضي محمود العدوي، تحقيق صلاح الدين المنجد، المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٦ م.
- **سنن أبي داوود:** تحقيق عزت عبيد الدعاس وعادل السيد، دار الحديث، حمص ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٩ م.
- **سنن الترمذي:** تحقيق أحمد محمد شاكر وأساتذة، دار إحياء التراث العربي.
- **شرح ديوان المتنبي:** عبد الرحمن البرقوقي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- **شعب الإيمان:** أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق محمد السعيد زغلول، دار الكتب العلمية ١٤١٠ هـ - ١٩٩٠ م.
- **شعر ابن طباطبا:** تحقيق جابر الخاقاني، منشورات اتحاد المؤلفين والكتاب العراقيين ١٩٧٥ م.
- **شعر ابن عبد ربه الأندلسي:** جمع وتحقيق محمد أديب جمران، مكتبة العبيكان ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.

- **شعر ابن هذيل القرطبي:** جمع وتحقيق د. محمد علي الشوابكة، منشورات جامعة مؤتة ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م.
- **الشعر والشعراء:** ابن قتيبة. تحقيق أحمد محمد شاكر. دار الحديث القاهرة ١٤١٧- ١٩٩٦م.
- **شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل:** شهاب الدين أحمد الخفاجي. باعتناء محمد بدر الدين النعساني. مطبعة السعادة ١٣٢٥ هـ.
- **صبح الأعشى في صناعة الإنشا:** أحمد بن علي القلقشندي، القاهرة ١٣٣١ هـ.
- **صحيح البخاري.**
- **صحيح مسلم:** تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م.
- **طبقات فحول الشعراء:** ابن سلام الجمحي. تحقيق محمود شاكر.
- **غوطة دمشق:** محمد كرد علي، المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٤٩ م.
- **الفردوس بمأثور الخطاب:** شيرويه بن شهردار الديلمي، تحقيق السعيد زغلول، دار الكتب العلمية ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- **فضائل الشام ودمشق:** لأبي الحسن علي الربعي المالكي، تحقيق صلاح الدين المنجد، المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٠ م.
- **فوات الوفيات:** محمد بن شاكر الكتبي، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر.
- **القاموس المحيط:** الفيروزبادي، مؤسسة الرسالة ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- **القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية:** محمد بن طولون. تحقيق محمد أحمد دهمان. مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.
- **كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون:** حاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد.
- **مجمع الأمثال:** لأبي الفضل الميداني. تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصورة دار النصر بيروت.

- **محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء**: الراغب الأصبهاني، تحقيق د. رياض عبد الحميد مراد، دار صادر ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- **المحب والمحبوب والمشموم والمشروب**: السري الرفاء، تحقيق مصباح غلاونجي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م.
- **المدهش**: لأبي الفرج ابن الجوزي، المؤسسة العالمية، بيروت ١٩٧٣ م.
- **المستدرك على الصحيحين**: محمد بن عبد الله الحاكم، مطبعة دائرة المعارف النظامية، حيدر أباد الدكن ١٣٣٤ هـ.
- **مسند الإمام أحمد**: المكتب الإسلامي ودار صادر.
- **مسند البزار**: أحمد بن عمرو البزار. تحقيق: د. محفوظ الرحمن زين الله. مؤسسة علوم القرآن، ومكتبة العلوم والحكم. بيروت. المدينة ١٤٠٩ هـ.
- **معاهد التنصيص على شواهد التلخيص**: عبد الرحيم بن أحمد العباسي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مصورة عالم الكتب، بيروت.
- **معجم الأدباء**: ياقوت الحموي، تحقيق إحسان عباس. دار الغرب الإسلامي ١٩٩٣م.
- **معجم دمشق التاريخي**: د. قتيبة الشهابي. منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٩٩٩م.
- **المعجم الذهبي**: د. محمد ألتونجي، المستشارية الثقافية الإيرانية بدمشق ١٩٩٣ م.
- **معجم مصطلحات العروض والقافية**: تأليف الدكتور محمد علي الشوابكة والدكتور أنور أبو سويلم دار البشير ١٤١٢ هـ - ١٩٩١م
- **المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية**: إعداد الدكتور سهيل صابان. مكتبة الملك فهد الوطنية. الرياض ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- **المعجم الوسيط**: مجمع اللغة العربية بالقاهرة.
- **المعرب من الكلام الأعجمي**: الجواليقي، تحقيق أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦١ هـ.

- **المغرب في حلى المغرب**: تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف بمصر.
- **المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار**: المقريزي، تحقيق د. أيمن فؤاد السيد. مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي. لندن ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤م.
- **موسوعة العلوم الطبيعية**: إصدار إدوار غالب، بيروت، المطبعة الكاثوليكية ١٩٦٥ م.
- **موطأ الإمام مالك**: تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ م.
- **نزهة الأنام في محاسن الشام**: عبد الله البدري، المكتبة العربية ببغداد، المطبعة السلفية بمصر ١٣٤١ هـ.
- **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**: أحمد بن محمد المقري التلمساني، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
- **نصرة الثائر على المثل السائر**: صلاح الدين خليل الصفدي، تحقيق محمد علي سلطاني، مجمع اللغة العربية بدمشق.
- **نهاية الأرب في فنون الأدب**: أحمد بن عبد الوهاب النويري، مصورة وزارة الثقافة المصرية.
- **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**: ابن خلكان، تحقيق د. إحسان عباس، دار صادر.
- **يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر**: تحقيق د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- **مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق**: المجلد ٢٧



فهرس البرق المتألق

الموضوع	صفحة

- فصل: في ذكر أعينها: